ذمار عبر العصور

قـــــراءات
آثارية ، تاريخية ، جغرافية ، ثقافية

فكرة وإشـــراف وإعداد
أ.د. أحمـــد محمـــد الحضراني
رئيس جامعة ذمار

متابعة
د. وجـــــدان الصـــائغ

ذمـــار عـــبر العصـــور

إشراف وإعداد أ.د. أحمد محمد الحضراني

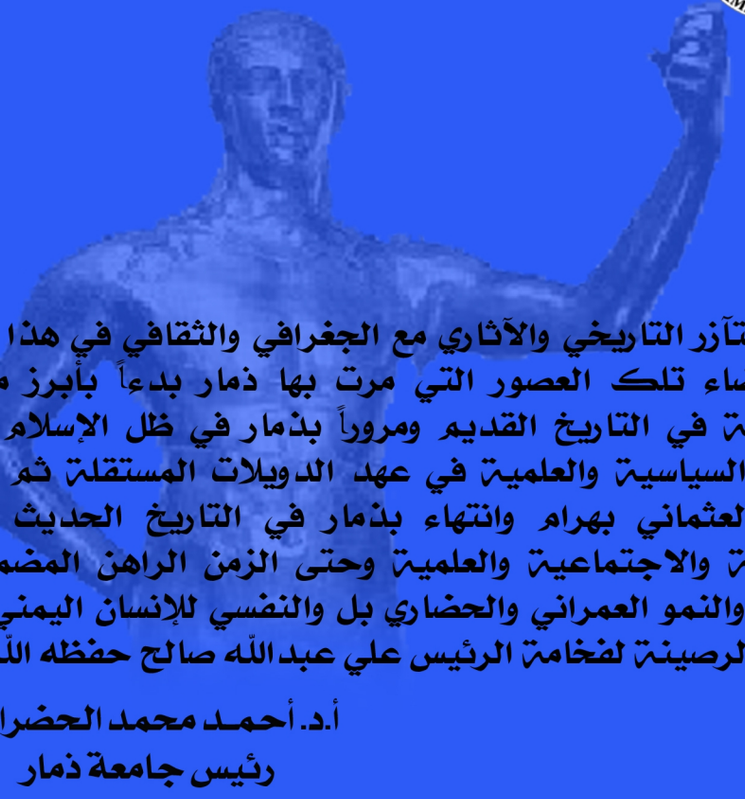

يتآزر التاريخي والآثاري مع الجغرافي والثقافي في هذا الكتاب كي تضاء تلك العصور التي مرت بها ذمار بدءاً بأبرز مراكزها الحضارية في التاريخ القديم ومروراً بذمار في ظل الإسلام الحنيف والحياة السياسية والعلمية في عهد الدويلات المستقلة ثم في عهد الوالي العثماني بهرام وانتهاء بذمار في التاريخ الحديث وأحوالها السياسية والاجتماعية والعلمية وحتى الزمن الراهن المضمخ بعطر الوحدة والنمو العمراني والحضاري بل والنفسي للإنسان اليمني في ظل القيادة الرصينة لفخامة الرئيس علي عبدالله صالح حفظه الله ورعاه .

أ.د. أحمـد محمد الحضراني
رئيس جامعة ذمار

ذمـــــار عـــبر العصـــور
قـــــراءات
آثارية ، تاريخية ، جغرافية ، ثقافية

ذمار عـــبر العصـور
قـراءات
آثارية ، تاريخية ، جغرافية ، ثقافية

فكـرة وإشـــراف وإعـــداد

أ.د . أحمد محمد الحضراني

رئيـــس جامعـــة ذمـــار

بمشاركة نخبة

من الأكاديميين بجامعة ذمار

متـــابعـــة

د. وجـــدان الصائـــغ

دار جامعة عدن للطباعة والنشر
تأسست عام ٢٠٠٧م
تلفاكس ٨٤١٨٤٦ ٦ ٩٦٧+
رقم الإيداع بدار الكتب صنعاء ٢٠ /٢٠٠٩
الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٩م

حقوق الطبع محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع
والحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي

تصميم الغلاف :د. مديحة رشاد ، محمد سبيع

التدقيق اللغوي : د. عبدالكريم البحلة

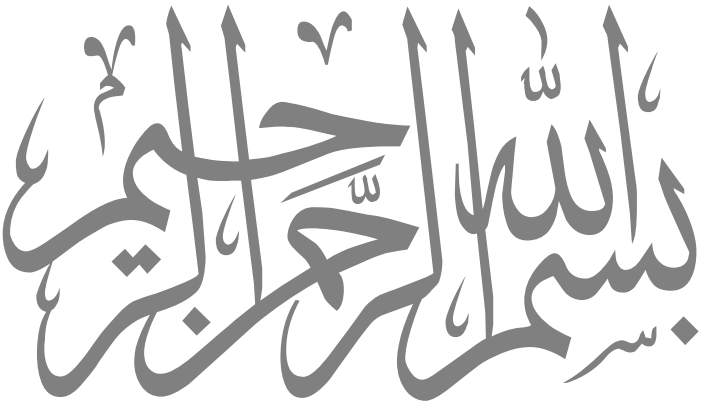
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى رمز نهضة اليمن ونبراس تاريخها المعاصر وعنوان طموحها إلى ذرى التطور وقمم الضوء إلى فخامة الرئيس / علي عبدالله صالح حفظه اللّه ورعاه وأبقاه ذخراً لليمن الجديد ، يمن الوحدة والإزدهار.

أ.د . أحمد محمد الحضراني
رئيس الجامعة

فخامة الأخ / علي عبدالله صالح

رئيس الجمهورية

فهرس المحتويات

ومضة البدء	١٣	أ. د. أحمد محمد الحضراني رئيس جامعة ذمار
آثار ذمار	١٧	
❖ المستوطنات القديمة في فترات عصور ما قبل التاريخ (منطقة مرتفعات ذمار)	١٩	د. مديحة محمد رشاد
❖ التماثيل البرونزية ذمار علي وابنه ثأران	٣٩	د. عزة علي عقيل
❖ الآثار الإسلامية في مدينة ذمار	٤٧	د. فؤاد الشميري
تاريخ ذمار	٨٧	
❖ ذمار و أبرز قبائلها و مراكزها الحضارية في التاريخ القديم	٨٩	د. أحمد صالح العبادي
❖ ذمار في الإسلام حتى أواخر القرن الثالث الهجري	١٢١	أ.د . عادل محيي الدين الألوسي
❖ الحياة السياسية والعلمية في ذمار في عهد الدويلات المستقلة	١٣٧	د. محمد أحمد طاهر الحاج
❖ مدينة ملحظ ((ذمار الصغرى)) مركز حكم ولاية اليمن في عهد الوالي العثماني بهرام باشا	١٦٧	أحمد صالح عبدربه المصري
❖ ذمار في التاريخ الحديث أحوالها السياسية و الاجتماعية و العلمية	١٩٥	أ.د صادق ياسين الحلو
جغرافية ذمار	٢٥٧	
❖ الخصائص الجغرافية لمحافظة ذمار	٢٥٩	د. محمد حزام العماري د. عباد البراق
ثقافة ذمار	٢٧٩	
❖ المشهد الثقافي وأعلامه في مدينة ذمار	٢٨١	أ.د . صبري مسلم حمادي
❖ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع مؤرخا	٣٠٣	د . كريم زغير أسيود
❖ غزال المقدشية قراءة في سيرة الشاعرة	٣٢٣	د. وجدان عبدالإله الصائغ

ومضـــة البـــدء

أ.د . أحمد محمد الحضراني
رئيس جامعة ذمار

استطاعت جامعة ذمار وعلى مدى ما يقارب من ثلاثة عشر عاماً وهو عمرها الزاخر بفيض الإنجازات العلمية أن تعزز الصلة بينها- بوصفها مؤسسة أكاديميـــة – وبـــين مدينـــة ذمار بوصفها الحاضنة المكانية لهذه الجامعة بحيث استندت الجامعة إلى هذا المكان المتميـــز والعريق في كثير من بحوثها الميدانية التي تناولت ظواهر علمية مطبقة على البيئة اليمنيـــة عامة وبيئة ذمار بوجه خاص، وتشهد مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث بأعدادها العلمية والإنسانية النشاط الملحوظ الذي تزامن مع نمو هذه الجامعة وازدهارها وفـــتح مزيـــد مـــن الكليات والأقسام ذات التخصص النادر. وقد قامت جامعة ذمار بتنقـــيح ومراجعـــة مناهجهـــا الدراسية كما أنها مستمرة في تطوير مهارات ومعارف أعضاء كادرها التدريـــسي وطلابهـــا والتحسين والتوسع في بنيتها الأكاديمية.

وجامعة ذمار وما وصلت إليه هو أحد النتائج المثمرة للقفزة العلمية التـــي حققهـــا اليمن في التعليم العالي في ظل دولة الوحدة ومحققها الحكيم فخامة الرئيس علـــي عبـــد الله صالح والتي تمثلت في إنشاء ثمان جامعات حكومية وست جامعات حكومية تحـــت التأســـيس وأكثر من عشرين جامعة خاصة وهذا يعتبر إنجازاً عظيماً في مجـــال التعلـــيم العـــالي بكـــل المقاييس العالمية.

ويأتي هذا الكتاب ضمن أهداف جامعة ذمار في تعريف المـــواطن العربـــي واليمنـــي بصفة عامة وأبناء محافظة ذمار بصفة خاصة بتاريخ وآثار هذه المحافظة بأســـلوب علمـــي رصين يعتمد على الأدلة والاستنتاجات العلمية.

يبدأ الكتاب بعرض علمي لآثار ذمار وما حولها فالمنطقة تعتبر من أهم المواقع الأثرية، حيث تتركز هذه الآثار في مدينة بينون ومصنعة ماريا والنخلة الحمراء ومعظمها يعود إلى الدولة الحميرية، كما أن مدينة ذمار غنية بآثارها الإسلامية وأهمها الجامع الكبير الذي تأسس في السنوات العشر الأولى للقرن الأول الهجري والمدرسة الشمسية، ويتطرق الكتاب إلى المراكز الحضارية والتاريخية لذمار وقبائلها في التاريخ القديم، وتبرز مدينة بينون في الحدأ كأهم المدن الحميرية ويستنتج بعض المؤرخين أنها كانت العاصمة الثانية للدولة الحميرية خصوصاً عندما كان الصراع يشتد بين الحميريين والسبئيين. كما يتناول الكتاب وضع ذمار وقبائلها أثناء الصراع بين الدولة الحميرية والسبئية من أجل السيطرة والحكم ويستدل من الدراسات أن ذمار والقبائل المحيطة بها كانت من الخطوط الدفاعية الأولى للعاصمة الحميرية (ظفار).

ويتناول الكتاب الحياة التاريخية والسياسية لمدينة ذمار وما حولها في عهد الدويلات المستقلة مثل الدولة اليعفرية والدولة الزيدية الأولى والدولة الصليحية ودولة بني المهدي والدولة الأيوبية، وما يدعو إلى الفخر ما قامت به قبيلتي جُنب ورخمة عندما تصدتا للغزو الأيوبي على ذمار في عام ١١٧٤م وخاضت معارك شرسة مع القوات الأيوبية مما أجبر الأخيرة على عقد الصلح والتوجه نحو صنعاء.

كما يتناول الكتاب التاريخ الحديث لمدينة ذمار وما حولها أثناء الصراع الطاهري الزيدي ثم الصراع الزيدي العثماني وإلى إنشاء مدينة المواهب في شرق ذمار عن طريق الإمام المهدي حيث أصبحت هذه المدينة عاصمة للدولة اليمنية وقد وصلت هذه الدولة إلى درجة من الرقي النسبي وازدهرت تجارة اليمن واستقبل المهدي في عاصمة حكمة مدينة المواهب العديد من الوفود الخارجية؛ الفارسية والعثمانية والفرنسية كما يتضح لنا أن ذمار كانت مركزاً للعلماء والمفكرين الإسلاميين ومن الروايات التي وردت أن أمبراطور الهند " اورنجزيب" قد أرسل بعض الأسئلة الفقهية إلى إمام اليمن للإجابة عليها، فقام الإمام بعرضها على كبار العلماء ومنهم علماء ذمار ويورد الكتاب نماذج من علماء ذمار في العصر الحديث.

ويأتي كتاب ذمار عبر العصور منسجماً مع الجهود الأكاديمية الدائبة لجامعة ذمار ومعززاً لها لاسيما في أنها تهتم بأكثر من جانب يخص هذه المدينة العريقة، حيث يتآزر الجانب التاريخي مع الجانب الآثاري كي يضيئا تلك العصور السحيقة التي مرت بها ذمار بدءاً

بأبرز مراكزها الحضارية في التاريخ القديم ومروراً بذمار في ظل الإسلام الحنيف والحياة السياسية والعلمية بذمار في عهد الدويلات المستقلة ثم في عهد الوالي العثماني بهرام باشا وانتهاء بذمار في التاريخ الحديث وأحوالها السياسية والاجتماعية والعلمية وحتى الزمن الراهن المضمخ بعطر الوحدة والنمو العمراني والحضاري بل والنفسي للمواطن اليمني في ظل القيادة الرصينة لفخامة الرئيس علي عبد الله صالح حفظه الله ورعاه.

وأما الجانب الجغرافي فقد استأثر بدراسة متميزة عن الخصائص الجغرافية لمحافظة ذمار ولا تخفى خصوصية ذمار بظواهرها الجغرافية وبيئتها ومناخها، ويختم الكتاب بالمشهد الثقافي لمدينة ذمار وأعلامه المؤرخين والشعراء والقاصين، وثمة بحث متميز عن الشاعرة غزال المقدشية التي استأثرت بمكانة خاصة في المتخيل الشعبي لأبناء مدينة ذمار، وبذلك يشع الكتاب في أكثر من اتجاه من أجل قراءة علمية أكاديمية متقنة لظواهر شتى تميزت بها ذمار، وإنجاز مثل هذا الكتاب لايعني أننا استكملنا كل ما يخص ذمار من جوانب جديرة بالدرس بل إن هذا الكتاب خطوة رائدة وجادة إذ لم يسبق أن أنجز كتاب يتضمن كل ما يخص مدينة ذمار وبنسق أكاديمي علمي رصين يتناول أدق التفاصيل الآثارية والتاريخية والجغرافية والثقافية.

إنه لشرف كبير لجامعة ذمار أن تخرج هذا الكتاب وتقدمه للقراء العرب بشكل عام والقراء اليمنيين بشكل خاص ليكون مرجعاً للباحثين والطلاب والمهتمين وليكون الكتاب حافزاً لمزيد من البحوث والدراسات.

والله الموفق،،،

ذمار ٢٠٠٩م

آثـــــــار ذمـــــــار

المستوطنات القديمة في فترات عصور ما قبل التاريخ (منطقة مرتفعات ذمار)
د. مديحـــة محمـــد رشـــاد

التماثيـــل البرونزيـــة ذمـــار علي وابنـــه ثـأران
د. عـــزة عـــلي عقيـــل

الآثـــار الإسلاميـــة فـــي مـــدينـــة ذمـــار
د. فـــؤاد الشمـــيري

المستـــوطنـــات القديمـــة
في فترات عصور ما قبل التاريخ (منطقة مرتفعات ذمار)

د. مديحـــة محمـد رشـــاد *

مقدمـــة:

يجب أن ننوه إلى أننا لا نستطيع التحدث عن عصور ما قبـــل التـــاريخ فـــي منطقـــة مرتفعات ذمار دون التطرق إلى أهم نتائج المسوحات والدراسات الأثرية لعـــصور مـــا قبـــل التاريخ في اليمن للشطرين الجنوبي والشمالي سابقا، و تعد الجمهورية اليمنية غنية بتراثهـــا الحضاري الذي يرجع إلى ما قبل التاريخ والمدون كمكتشفات في شكل مئـــات مـــن المواقـــع الأثرية الصخرية المبعثرة(١) على الجبال وعلى الطبقات البارزة من الصخور الرمليـــة وفـــي الوديان والصحاري (شكل رقم ١)، وترجع أزمنة هذه الإبداعات الفنية لإنسان ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية لآلاف السنين، وإذا كان علم الآثار يهتم بتعريف استخدام أشـــياء وأدوات معينة، ويعرف الظروف المعيشية والعمارة، ويروي قصص تطور الحضارات فإن عصور مـــا قبل التاريخ والرسوم الصخرية لما قبل التاريخ – كتلك التي تم اكتشافها بالقرب من ذمار في مدينة رداع في موقع جبل احرم والحجفة والأمسان (شكل رقم ٢) (٢)– تؤدي الغرض نفسه ، إذ إنها كانت تمثل أولى مراحل تعبير الإنسان قبل الكتابة التي توصـــل إليهـــا فـــي العـــصور اللاحقة.

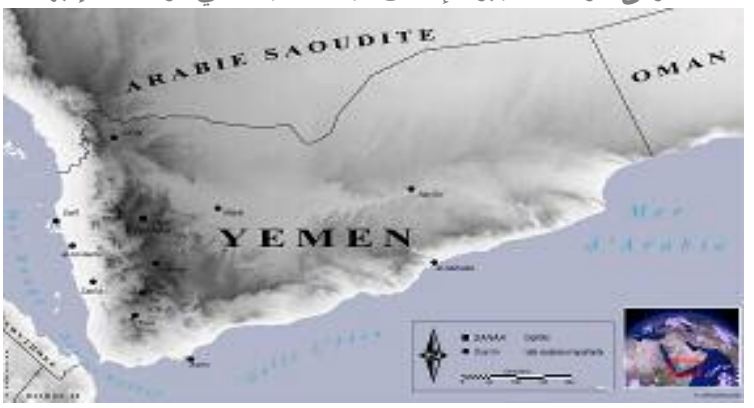

* الأستاذ المساعد الدكتور رئيسة قسم الآثار – كلية الآداب – جامعة ذمار

الشكل رقم ١. خريطة عامة توضح جميع المواقع الأثرية لعصور ما قبل التاريخ في اليمن.

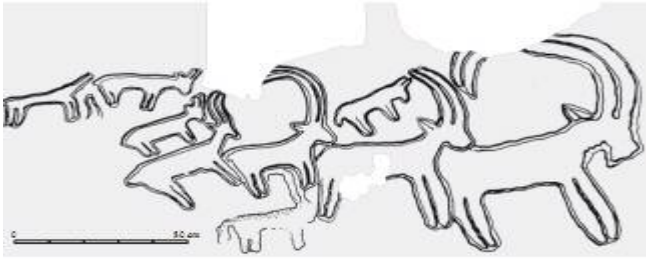

الشكل رقم ٢– الأمسان. ١ : مختارا من الشريط العلوي للوحة. قطيع من الظباء و الوعول والحمير. بنحت عميق مع صقل خارجي للحواف. النمط ٢.

المستوطنات القديمة في فترات عصور ما قبل التاريخ

(منطقة مرتفعات ذمار)

تقع اليمن بالقرب من القارة الأفريقية، التي انفصلت عنها منذ حوالي أربعة ملايين سنة، يحدها البحر الأحمر من جهه والمحيط الهندي من الجهة الأخرى، تحدها من الغرب سلسلة جبلية تمتد من الشمال إلى الجنوب يصل ارتفاعها إلى (٣٧٦٠ متر) عند جبل النبي شعيب الواقع بالقرب من صنعاء، أما من الجنوب فتحدها هضاب حضرموت الجيرية التي تتجه من الغرب إلى الشرق، وتطل نحو الشمال على الصحراء العربية الكبرى (الربع الخالي) مشكلةً حاجزاً مناخياً بين الصحراء والمحيط.

إن التنوع الجغرافي والمناخي الذي تتميز به اليمن وكذلك موقعها الذي يشكل حلقة وصل بين قارتين قد جعل منها مهداً للاستيطان البشري في عصور ما قبل التاريخ (شكل رقم٣).[٣]

غالباً ما توصف الجزيرة العربية بأنها صحراء تتخللها الواحات ومحاطة بالبحار، إلى جانب المناطق الصحراوية الواسعة،توجد مناطق تتلقى أمطار غزيرة وخصوصاً المرتفعات اليمنية التي أطلق عليها قديماً اسم (العربية السعيدة) ، وتفرق الدراسات التاريخية بين هاتين العربيتين على أن الأولى الصحراوية ربما سكنها (الرعاة البدو) والأخرى سكنها (الفلاحون المستقرون) وتختلف لغة و آلهة المنطقتين.

أ – سهل تهامة. تصوير: بي ماركولونجو.

ج – سهل صعده. تصوير : مديحه رشاد.

ب – الجبال الوسطى. تصوير: بي ماركولونجو

د – الصحراء الداخلية منطقة البحيرة القديمة في منطقة الهواة. تصوير: ماري لويز

ت ـ جبال المنطقة الوسطى منطقة إب. تصوير: هيلين دافيد.

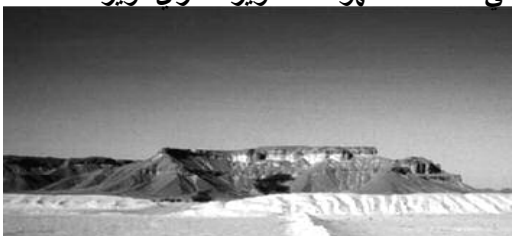

ذ – هضبة حضرموت متاخمة لرملة السبعتين. تصوير:ماري لويز اينيزان.

ث – الهضاب الشرقية ،خولان. تصوير: بي ماركولونجو. ر– وادي حضرموت محاط بهضبة الجوف. تصوير: ماري لويز اينيزان.

الشكل رقم ٣. مناظر طبيعية متميزة من تهامة إلى حضرموت.

تاريخ دراسات فترة ما قبل التاريخ في اليمن

إن ظهور هذا النوع من الدراسات التي تتناول فترة ما قبل التاريخ في اليمن لا تزال حديثة ، و حتى تاريخ ٢٢ مايو ١٩٩٠م تاريخ إعادة تحقيق الوحدة اليمنية، كان انقسام اليمن إلى شطرين يعيق أي دراسة متواصلة لهذه الفترة.

وهكذا فقد تطورت الدراسات للمستوطنات البدائية في اليمن في كل من الشطرين بشكل مستقل حتى العشر السنوات الأخيرة، فالدراسات الأولية المنتظمة للمستوطنات البدائية في فترة ما قبل التاريخ قد بدأت في الشطر الجنوبي سابقاً وذلك قبل الحرب العالمية الثانية، أما في الشطر الشمالي سابقاً فإن اكتشاف الرسوم الصخرية في منطقة صعدة شمال اليمن عام ١٩٧٤م دشنت البداية الأولى لدراسة هذه المستوطنات البدائية التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ.

في عام ١٩٣٧–١٩٣٨م قامت في جنوب اليمن السيدة كاتون تومسون وجارادير باكتشاف أول موقع للتاريخ البدائي القديم ،للعصر الحجري القديم ،والعصر الحجري الحديث، وذلك على أثر مسح وادي حضرموت استناداً للدراسات الجيولوجية وتحليل الأدوات الحجرية.

في عام ١٩٥٢م في وادي حضرموت الكبير قامت بعثة أثرية أمريكية باكتشاف مستوطنات ذات نوعين من تهذيب الأدوات الحجرية تسمى (بتقنية أو تهذيب لوفالوا) الذي يميز فترة العصر الحجري الوسيط في فترة ما قبل التاريخ بشكل عام، مع اكتشاف عدة

رؤوس أسهم مدببة عثر عليها في ملجأ صخري مصنوعة من الحجر الزجاجي الأسود (الأوبسيديان)

في بداية الثمانينيات من القرن العشرين باشرت بعثة أثرية إيطالية المسوحات في شمال اليمن برئاسة البروفسور /اليساندور ديمجريت [٤] حيث اتضح وجود استيطان بشري يعود إلى عصور ما قبل التاريخ في منطقة تهامة و في الجبال على أطراف الصحراء الوسطى حيث عثر على بعض الأدوات الحجرية التي تعود للعصر الحجري القديم على السطح، ودائماً خارج الأسبار الأثرية (Startigraphie) كتلك التي وجدت كذلك في الشطر الجنوبي، كما حددت مواقع صخرية أخرى في الشطر الشمالي على وجه الخصوص في جبال خولان وجنوب شرق صنعاء.

في الواقع لقد شكل اختراق حدود الشطرين الجنوبي والشمالي سابقا لصحراء رملة السبعتين عائق في اكتشاف وفهم تاريخ الاستيطان القديم في هذه البقعة الواسعة من جنوب الجزيرة العربية. وهكذا فقد كان من الصعب دراسة هذا الحوض الصحراوي الذي يربط طبيعياً بين الجبال في الشمال وهضاب حضرموت الكبرى، وننوه هنا بأن الممالك القديمة بجنوب الجزيرة العربية كانت موزعة حول هذا الحوض على مخارج الأودية.

بفضل تقدم التكنولوجيا و إطلاق أقمار صناعية جديدة في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين وما قام به ماركولونجو أول خبير في هذا المجال من أعمال الترجمة لصور الأقمار الصناعية (Indsat, Soyouz et spot) والصور الجوية تمكنا من قراءة الماضي الهيدروجيولوجي للحوض الصحراوي الخاص برملة السبعتين، حيث عثر فيها على العديد من الأدوات الحجرية(شكل رقم ٤)[٥] ومن خلال هذه القراءة تبين لنا بأن منطقة وادي الجوف حالياً كانت عبارة عن نهر متحجر يعود إلى العصر الهولوسين (آخر فترة مناخية رطبة من هذا العصر (الهولوسين) منذ أكثر من ٧٠٠٠ عام) كان ينبع من منطقة الجبال الواقعة في الشمال ويجري في الحوض الصحراوي الداخلي عبر هضاب حضرموت مروراً بوادي المسيلة حتى يصل إلى المحيط الهندي خصوصاً.

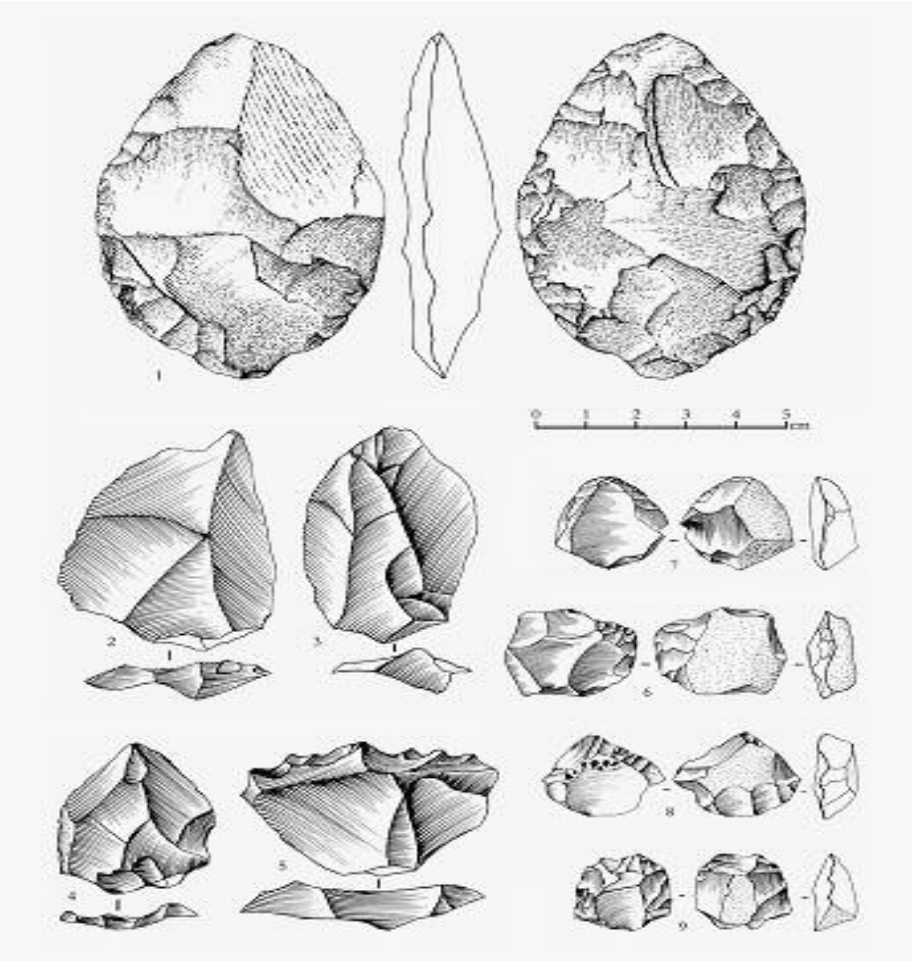

الشكل رقم ٤. صناعة حجرية من عصر البليستوسين الهواة (رملة السبعتين و وادي حريب – الجوف)

بعد إعادة تحقيق الوحدة اليمنية تم إجراء أول فحص فعلي لهذه الشبكة المائية القديمة وأحواضها البحرية على الأرض عام١٩٩٣م، وكذلك تم اكتشاف العديد من المستوطنات التي تحيط بهذه الأحواض التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ وذلك لأول مرة بفضل مساعدة ما يسمى بـ (GPS)، ونشير أيضاً إلى أن استخدام هذه الأداة كوسيلة استكشاف وتحديد المواقع عبر الأقمار الصناعية كان له دور رئيسي ليس فقط من أجل الاهتداء إلى المواقع على الأرض أثناء المسوحات، بل ساعد أيضاً في الاهتداء على آثار

مواقع استيطان صغيرة من فترة ما قبل التاريخ التي تم كشفها مسبقاً والمكونة من بعض أحجار المساكن أو من شظايا الأدوات أو من الأشياء المهجورة التي تظهر ثم تختفي غالباً بين ممرات التلال الرملية. وفي المقابل بفضل الأبحاث المنتظمة التي أدت إلى اكتشاف مواقع ذات طبقات أثرية مؤرخة خصوصاً في منطقة حضرموت، كما تم تحديد تاريخ ابتداء العصر الهولوسيني منذ حوالي (١٢,٠٠٠) عام .

فيما يتعلق بتحديد فترة ما قبل التاريخ في البحث فهي متفق عليها حيث حددت عالمياً باثنين مليون وخمسمائة ألف سنة منذ بداية الإنسانية حتى بداية التاريخ، أي حتى بداية ظهور الكتابة في بابل ومصر منذ ما يقارب (٥,٠٠٠) عام و (٣,٠٠٠) عام ق،م أما في جنوب الجزيرة العربية (اليمن)، فإن نهاية فترة عصور ما قبل التاريخ تنتهي بنهاية عصر البرونز أي في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد(١٢٠٠ ق.م) بظهور أقدم دلائل الكتابة في اليمن.

تحتل اليمن موقعاً جغرافياً هاماً بجنوب الجزيرة العربية واتصاله الجغرافي بالشرق الأدنى فهو أيضاً يحتل موقعاً رئيسياً منذ اللحظة التي تم فيها الاهتمام بانتشار الإنسان الأول بأفريقيا منذ حوالي اثنين مليون سنة، وإن كان الإنسان الأول (Homo ERECUTS) (هومو أر يكتوس) الذي اتخذ من الخندق الإنخسافي الكبير الشرق أفريقي مأوى دائماً له فهل اجتاز البحر الأحمر ليصل إلى جنوب الجزيرة العربية أم لا؟؟

على الرغم من ثبوت استيطان الإنسان للجزيرة العربية في عصر البلستوسين (الحقبة الرباعية) ومع عدم التوصل إلى معرفة تاريخ ذلك الاستيطان فالسؤال يطرح نفسه من جديد بخصوص جدنا (هومو سابينس Homo spiens) الذي قلنا إن أصله يعود لأفريقيا الشرقية، وأخذ في الظهور خارج القارة أفريقيا منذ (١٣٠,٠٠٠ ألف عام) هل هذه فترة اجتياز هذا الإنسان البحر الأحمر لأول مرة ؟؟

دلائل عصور ما قبل التاريخ في منطقة مرتفعات ذمار

تعتبر منطقة مرتفعات ذمار جزءاً من المرتفعات الوسطى (على ارتفاع ٢٥٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر)، تتميز ببيئة متنوعة بجبالها وسهولها، حيث تشكل سلسلة من

الجبال البركانية والأحواض (القيعان) الضيقة والخصبة التي تتوسط الجبال والمحاطة بالهضاب والتلال التي تمتد من الشمال إلى الجنوب (كقاع جهران وقاع شرعه)[٦] تشتمل هذه المنطقة على جبلين بركانيين هامين هما (جبل اسبيل – جبل اللسي) اللذان يعتبران من أهم المصادر الطبيعية لاستخراج حجر الأوبسيديان الهام منذ عصور ما قبل التاريخ . [٧]

تمتلك منطقة ذمار مخزون أثري كبير حيث تنتشر فيها المواقع الأثرية التاريخية العائدة إلى الفترة الحميرية كمدينة بينون ومصنعة ماريا والنخلة الحمراء وذمار القرن ... والتي تحتوي على العديد من المنشآت المعمارية والنقوش واللقى المختلفة، وهي وللأسف مثلها مثل باقي مواقع المرتفعات الوسطى لم تأخذ حقها من الدراسة والبحث العلمي المنظم (أعمال المسح والتنقيب) ومن ضمنها ذمار بكل ما تملكه من مميزات وشواهد تاريخية لم تحظَ بالاهتمام اللازم.[٨]

أما فيما يتعلق بالدراسة الخاصة بعصور ما قبل التاريخ فكانت معدومة تماماً في منطقة مرتفعات ذمار؛ لأن هذه الفترات بقيت خارج الاهتمام البحثي الأثري في عموم اليمن وذلك بسبب التحيز الواضح للفترات التاريخية للممالك اليمنية القديمة، واستمر هذا الوضع حتى ١٩٨١م الذي يعتبر عاماً هاماً سجل فتحاً بالنسبة لدراسات ما قبل التاريخ في المرتفعات الوسطى فقد أدخلت أجزاء من محافظة ذمار (منطقة الحداء) ضمن حدود منطقة عمل أول بعثه أثرية علمية منظمة لعصور ما قبل التاريخ متمثلة بالبعثة الإيطالية برئاسة اليساندرو ديمجريت[٩] وقد قامت منذ ذلك العام وحتى أوائل التسعينات بأعمال مسح وتنقيب في مرتفعات خولان الطيال والحداء ،و توصلت إلى نتائج هامة غيرت كثيراً من المفاهيم وأجابت على كثير من الأسئلة ، وذلك باكتشافها لثقافة العصر البرونزي التي لم تكن معروفة بوصفها إحدى ثقافات عصور ما قبل التاريخ، إضافةً إلى التعرف على ثقافة العصر الحجري الحديث والعصر الحجري القديم في تلك المرتفعات.

فتحت أعمال البعثة الإيطالية الباب أمام دراسة أثرية أخرى ممثلة للبعثة الأمريكية التابعة للمعهد الشرقي (جامعة شيكاغو) التي قامت بإجراء مشروع آثاري مستمر في منطقة ذمار والمناطق المحيطة بها (مشروع مسح ذمار) وذلك في ستة مواسم من العمل ابتداءً من ١٩٩٤م حتى ٢٠٠١م برئاسة توني ويلكنسون،[١٠] حيث أجريت عدد من المسوحات والتنقيبات في تلك المنطقة وتوصلت لمعلومات هامة وممتازة ساعدت في فهم عمليات

التطورات الثقافية والاقتصادية والاستيطان للمجتمعات التي عاشت خلال عصور ما قبل التاريخ، حيث سجلت خلال مواسم عملها (٣٧٠) موقعاً من كل الفترات من الباليوليت والعصر البرونزي وفترة العصر الحديدي وحتى العصر الإسلامي.

العصر الحجري القديم (الباليوليت)

على الرغم من قلة الأبحاث الأثرية المرتبطة بالعصور الحجرية القديمة فإن ما توفر لدينا من دلائل يشير إلى أن الإنسان القديم عاش في مرتفعات ذمار متنقلاً جامعاً للقوت يصطاد الحيوانات البرية بأسلحته الحجرية منذ أواخر العصر الحجري القديم الأدنى.

لقد وجدت في منطقة ذمار دلائل أثرية تشير إلى العصر الحجري القديم الأدنى أشارت إليها البعثة الإيطالية عام ١٩٨٣م، حيث عثرت على موقع يعود إلى هذه الفترة بالقرب من قاع جهران على بعد كيلومترات جنوب معبر، تحديداً في منطقة (ظيق قاع جهران QGI) و يمكن اعتباره أول موقع يعود تاريخه للباليوليتي الأدنى (حوالي ٢٠٠ ألف سنة) تم العثور فيه على أدوات حجرية من الفترة الأشولية أهمها الأدوات ثنائية الوجه وشظايا وسواطير ونواه وآلات قطع حادة كلها مرتبطة بالصناعة الأشولية لشرق أفريقيا.(١١)

وعلى الرغم من أن البعثة الأمريكية لم تعثر على مواقع أكيدة من العصر الحجري القديم إلا أنها عثرت على عدد من اللقى الأثرية المبعثرة في سطوح عدد من المواقع تحوي على مواد حجرية يمكن أن تكون من نمط هذا العصر كموقع (DS٨٤) عند الحافة المتاخمة من الغرب لقاع شرعه جنوب ذمار وموقع (DS٩٥) أهم تلك الأدوات شظايا الفلسايت من نمط العصر الحجري القديم. (١٢)

العصر الحجري الحديث (النيوليت) :

يعرف العصر الحجر الحديث عموماً بأنه عصر الزراعة والتدجين واكتشاف وبناء المستوطنات السكنية المترابطة المستقرة (القرى الزراعية الأولى) حدث فيه أول وأكبر انعطاف اقتصادي واجتماعي في تاريخ البشرية، حيث انتقل الإنسان من مستهلك سلب

للطبيعة إلى منتج إيجابي لها ومن متنقل جامعاً للقوت صياداً إلى إنسان مستقر يزرع ويـــدجن الحيوانات واضعاً الأسس المباشرة للحضارة التاريخية.

لكن العصر الحجري الحديث في اليمن عموماً وفي المرتفعات الوسطى خصوصاً يحمل ملامح ثقافة خاصة كشفت عنها أعمال البحث الأثري التي تشير إلى مستوطنات ذات مساكن بيضاوية حجرية بسيطة(شكل رقم ٥) منفردة غير مترابطة، لم يعثر فيها على دلائل وجـــود الفخار أو الحجر المصقول، وكذا الأدوات العظمية التي يعتبر عدم وجودها ميزة من مميـــزات العصر الحجري الحديث في المرتفعات.

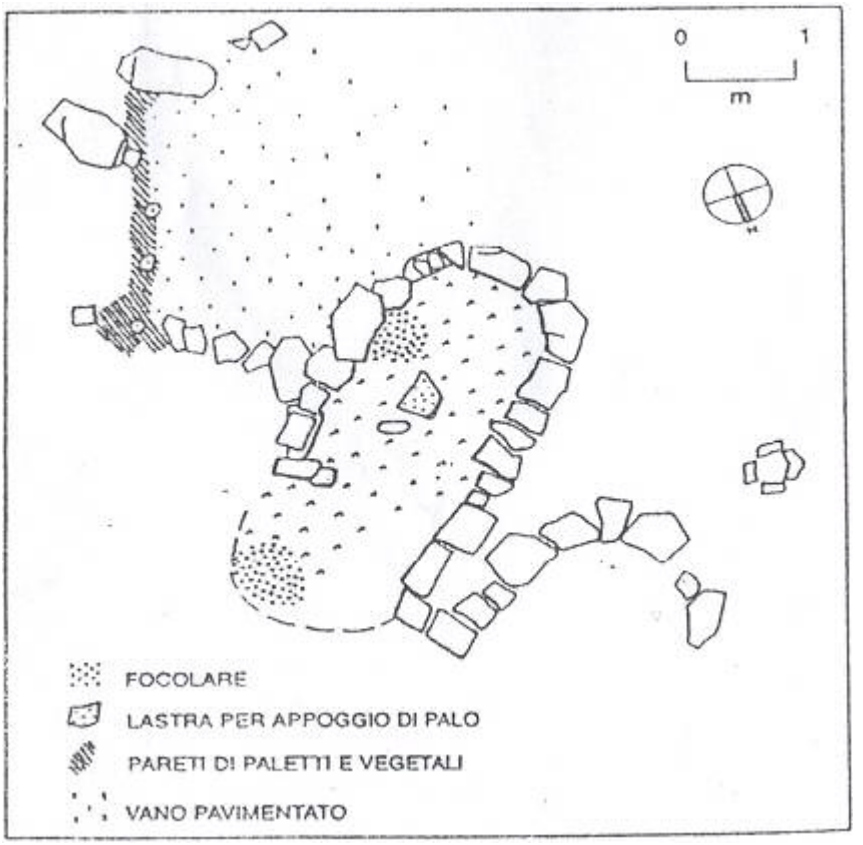

الشكل رقم ٥. موقع وادي الطيال ٣ من العصر الحجري الحديث، خولان
(عن : Fedele, F., ١٩٨٨, P. ٣٤)

كما لم يتم التعرف فيما إذا كانت الزراعة تمارس في تلك الحقبة أم لا وإلى الآن لا توجد دلائل مباشرة تدل على ذلك رغم وجود أدوات معالجة الحبوب في مستوطنات النيوليت كالرحى والمناجل.[١٣]

كما يتميز العصر الحجري في المرتفعات بوجود نمطين لصناعة الأدوات الحجرية الأول يعرف (الطيال) في خولان يرتبط بالنمط العربي التقليدي ثنائي الوجه الذي ساد على طول الجزيرة العربية في هذا العصر، والنمط الثاني يعرف (بقطران) في الحدأ وهو نمط محلي ساد في المرتفعات في وقت متأخر من النيوليت الذي ربما انبثقت منه صناعات العصر البرونزي.[١٤]

لقد عثرت البعثة الإيطالية على العديد من مواقع العصر الحجري الحديث في منطقة الحدأ محافظة ذمار وذلك في أسفل جبل شعير الواقع على منحدرات جبال الأعماس وفي الأودية المحاذية لوادي العش وفي جبل قطران الواقع في جبل الأعماس وفي جبل العرقوب كما أشارت إلى وجود مواقع مرادفة في الجهة الغربية من سهل قاع جهران جنوب معبر[١٥]

تشتمل هذه المواقع على أكواخ بيضاوية الشكل مازالت أساساتها الحجرية موجودة في المكان تبعد قليلاً عن بعضها البعض، لم يعثر فيها على كسر فخارية وتتميز بمدى شاسع من الصناعات الحجرية كالأحجار المدببة ثنائية الوجه ذات الشكل الورقي إضافة إلى شفرات (مثاقب) مقاشط ذات نهاية مدببة، و كانت مختلفة بشكل واضح عن النوع المكتشف في قرى العصر البرونزي. [١٦]

ترتبط هذه المواقع مع طبقات التربة القديمة (تربة الطيال) التي تدل على أن مجتمعات العصر الحجري الحديث عاشت في بيئة رطبة سادت في الهولوسين الأوسط، توفرت فيها شروط الحياة لذا أرخت تلك المستوطنات فيما بين (الألف السادس والألف الرابع قبل الميلاد)[١٧]

أما في منطقة ذمار وما حولها فإن البعثة الأمريكية لم تعثر على مبانٍ سكنية لنيوليتي ما قبل الفخار، إلا أنها وجدت كثيراً من الأدوات الحجرية التي تعود إلى هذه الفترة متناثرة هنا وهناك في العديد من المواقع كموقع (DS١٦٧) عند الحافة الشرقية لمنطقة جهران(شكل رقم ٦) الذي يرتبط بطبقة التربة القديمة (تربة جهران) المعاصر لتربة الطيال التي تعود إلى الفترة الرطبة لعصر الهولوسين الأوسط، وأيضاً في موقع آخر قرب قرية عقم الحديثة

الواقعة إلى الشرق من قاع جهران، وأيضاً في موقع عند الحافة الشرقية لقاع جهران، التي عثر فيها على أدوات تشابه أنماط تقاليد الصناعة الحجرية للعصر الحجري الحديث في المرتفعات، التي أشارت إليها البعثة الإيطالية أهمها الشظايا ثنائية السطح والمقاشط.[١٨]

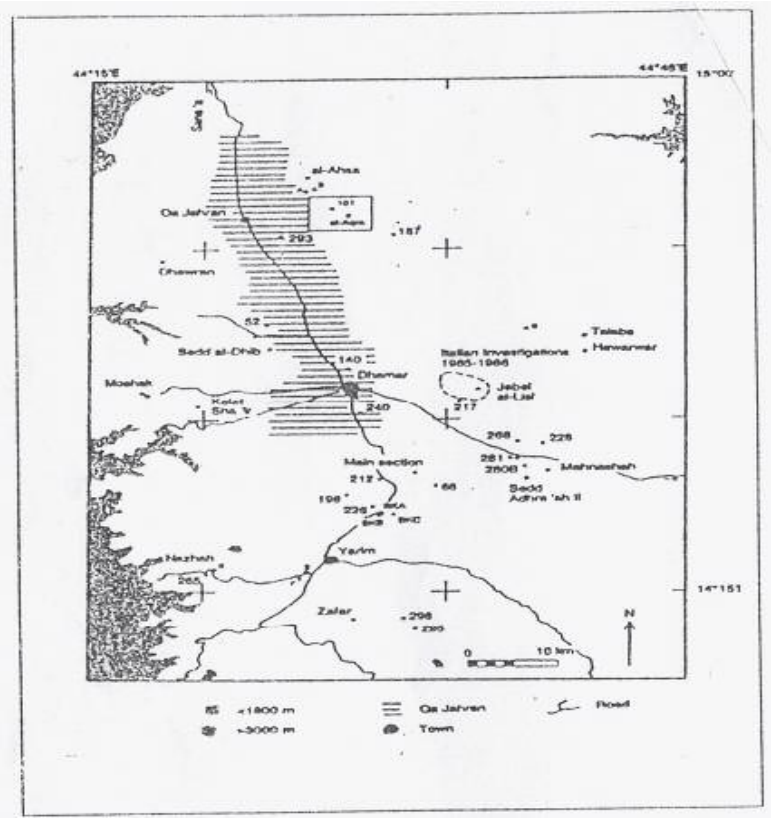

الشكل رقم ٦ . توضيح المواقع المكتشفة في هضبة ذمار (قاع جهران)
(عن: Wilkinson T.J. and Edens, C,. ١٩٩٩.)

وفي الأخير ومن خلال نتائج أعمال البعثات الأثرية في منطقة ذمار وما حولها يمكن القول إن هذه المنطقة امتلكت في فترة العصر الحجري الحديث بيئة صالحة للحياة سادها المناخ الرطب بعد أن سقطت عليها مياه الأمطار الموسمية بغزارة و شكلت بحيرات

ومستنقعات وفرت غطاءً نباتياً كثيفاً في فترات الهولوسين الأوسط استفاد منها السكان، حيث عاش مجتمع رعاة يعتمد في اقتصاده على ممارسة الرعي وجمع النباتات البرية، فقد ربوا الماعز و الأغنام مع الاستمرار في ممارسة صيد الحيوانات خاصة الماشية والخيول الوحشية والوعول.[١٩]

العصر البرونزي

يطلق العصر البرونزي في اليمن على الفترة الممتدة بين العصر الحجري الحديث وبين العصور التاريخية وظهور الممالك اليمنية القديمة، أي الفترة التي كان يطلق عليها (فترة الفجوة الحضارية) فيما بين نهاية الألف الرابع ونهاية الألف الثاني.[٢٠]

لقد تم التعرف لأول مرة على دلائل فترة العصر البرونزي في مرتفعات اليمن في عام ١٩٨١م عندما اكتشف اليساندرو ديمجريه مستوطنات مميزة الشكل والتخطيط ذات أنواع غير معروفة من الفخار، تختلف عما كان معروفاً في الفترات السابقة واللاحقة وذلك في خولان الطيال والحدأ .[٢١]

عثرت البعثة الإيطالية على عدة مواقع تعود إلى فترة العصر البرونزي في منطقة الحدأ أهمها موقع وادي العش غرب سيلة بني بخيت وموقع الجباحرة عند الطرف الشرقي للهضبة الكائنة إلى الشمال الشرقي من ذمار جنوب قرية الجباحرة وأيضاً موقع المعلك غرب قرية الجباحرة.[٢٢]

تمثل تلك المواقع في خولان والحدأ مستوطنات سكنية أكثر ترابطاً تكون عادة على شكل :

١. مستوطنات صغيرة الحجم لا تتجاوز مساحتها الهكتار، عادة ما تكون ذات مجمع سكني واحد تتألف من ساحة (فناء) دائرية مكشوفة محاطة بسلسلة من الغرف الدائرية والشبه مستطيلة المترابطة فيما بينها تطل على ذلك البناء المكشوف.
٢. مستوطنات كبيرة الحجم مساحتها تفوق (١٠ ألف متر) تحتوي على عددٍ من تلك المجمعات (الوحدات السكنية السابقة)وتكون مرتبة ومتراصة بكل بساطة فيما بينها أحياناً، وأحياناً أخرى نلمح في المخططات بداية من الدمج في العمران السكني.[٢٣]

تعتمد تلك الأبنية على قواعد من كتل حجرية كبيرة غير مهذبة مغروسة في الأرض لتثبيت جوانب الغرف، تحمل هذه القواعد الجدار المبني من حجارة صغيرة موصولة فيما بينها بالطين، كان لكل غرفة وظيفة خاصة في تلك البيوت، فإحداها خاصة بالمعيشة مزودة بقواعد حجرية في وسط الغرفة يعتمد على هذه القواعد عمودان مركزيان من الخشب لحمل السقف الذي ربما كان من القش، فيما استخدمت الغرفة الأخرى للخزن ومعالجة الحبوب وتحضير الطعام، حيث وجدت بكثرة أحجار الطحن والفخار والبقايا الحيوانية داخلها، كما توجد في بعض المواقع حفر صغيرة في الساحة المركزية كانت تستخدم للطبخ.[٢٤]

تميزت هذه المستوطنات بوجود الفخار المميز من حيث النوع وطريقة التشكيل والزخرفة فهو جيد الصنع مصنوع يدوياً، ثقيل الوزن، لونه أحمر كلون الطوب، يحتوي على حبيبات الجرانيت التي تشكل خشونة على سطحه، يختلف عن الفخار السبئي والحميري مما يجعل من السهل تمييزه وتحديد تاريخه (ويعتبر ظهور الفخار هذا من مميزات هذا العصر في عموم اليمن)، كما تميزت هذه المستوطنات البرونزية بالصناعات الحجرية غير المتخصصة التي تغيب فيها صناعات الأدوات الحجرية ثنائية الوجه التي سادت المرتفعات في العصر الحجري الحديث. [٢٥]

تم تحديد تاريخ مستوطنات عصر البرونز في خولان والحدأ في فترة ما بين ١٨٠٠-٢٩٠٠ ق.م[٢٦]

أما في منطقة ذمار وما حولها فقد استطاعت البعثة الأمريكية خلال ستة مواسم (في ما بين ١٩٩٤ــ ٢٠٠١) تسجيل ما يزيد عن (٧٠) موقعاً يعود إلى فترة العصر البرونزي[٢٧]أهمها موقع السبال الواقع على مرتفع جبلي منحدر يطل على قاع شرعة في جنوب شرق ذمار، وموقع حمة القاع الواقع قرب قرية عقم شمال شرق ذمار(شكل رقم ٧)، وموقع الخريب قرب قرية أفك شمال قرية الكولة (٢٢ كم) شرق ذمار، وموقع مدينة البرد قرب رهام قحطان في منطقة الحدأ شمال شرق ذمار، وموقع الهواجر في الجانب الشرقي لقاع جهران، وموقع الحيد الأسود في الضفة الشرقية من قاع جهران شمال ذمار على بعد كيلوا مترات جنوب شناظب، وموقع جبوبة الجرف قرب قرية أفك جنوب شرق ذمار[٢٨].

تشتمل هذه الموقع على مستوطنات سكنية أكثر عدداً وأحسن تنظيماً من مستوطنات خولان يمكن تصنيفها إلى :

١. مستوطنات صغيرة تشمل مساحة تتراوح بين هكتار واحد أو أقل.
٢. مستوطنات كبيرة تشمل مساحة واسعة تتراوح بين هكتارين وخمسة هكتارات.[٢٩]

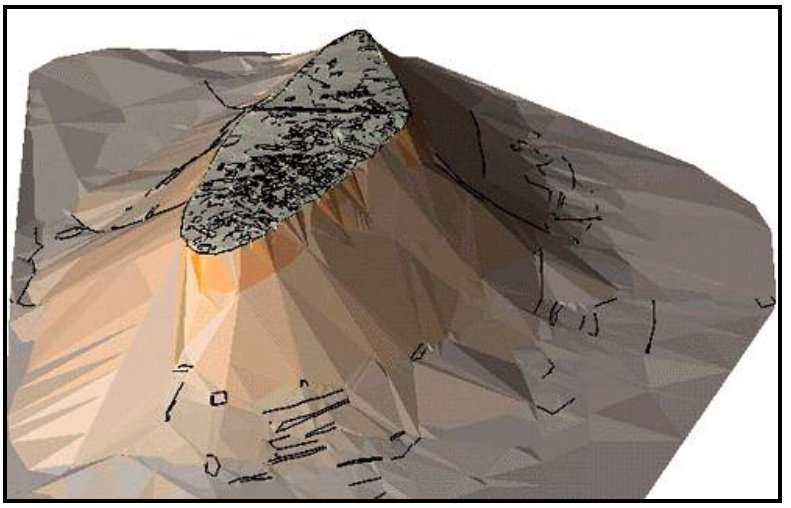

الشكل رقم ٧: يمثل موقع حمة القاع. (عن : www-oi.uchicago.edu)

تتباين هذه المستوطنات عن تلك الموجودة في خولان والحدأ من حيث كبر حجمها وتنظيمها والتكتلات الكثيفة للمباني المستطيلة وشبه المستطيلة، كما نرى ذلك في موقع الخريب الذي قدم نموذجاً متطوراً من تجمعات العصر البرونزي . [٣٠]
فالنمط المعماري لمستوطنات مدينة ذمار غالباً ما يكون من مباني مستطيله وطولية التخطيط مبنياً من أحجار كبيرة، كل مبنى يتكون من غرفة طويلة وضيقة نسبياً مقسمة إلى غرفتين أو ثلاثة، يفصلها عن بعضها البعض جدران داخلية، وغالباً ما كانت تحاط تلك المستوطنات بسور.

ويعتبر موقع حمة القاع أفضل المستوطنات الكبرى المسورة التي تم توثيقها (شكل رقم ٨)، حيث تبلغ مساحته ٤ هكتارات يتمثل بمنشآته المكونة من مجموعة من المباني المنتظمة التي تشكل مجمعات سكنية متوازية تفصلها عن بعضها شوارع، وفيها الأبنية المستطيلة المكونة من غرفة واحدة و يتم الدخول إليها عن طريق باب قائم على عمودين في منتصف الجدار إضافة إلى الأبنية الأكبر حجماً التي تضم عدة غرف، أحيطت تلك الأبنية بسور مكون من ثلاث بوابات.

الشكل رقم ٨. منظر عام لموقع وادي حمة القاع

وتشكل حمة القاع بمساحتها الكبيرة وتخطيطها إحدى مدن العصر البرونزي التي مهدت لقيام المدن التاريخية و لا نظير لها في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية.[٣١]
تغطي هذه المستوطنات الفترة الممتدة فيما بين أواخر الألف الرابع ق.م و١٣٠٠-١٢٠٠ ق.م،[٣٢] أما الفخار الذي وجد في تلك المستوطنات فإنه يشير إلى تماثل كبير من حيث الصناعة والشكل والزخرفة مع فخار خولان المؤرخ بالألف الثالث ق.م.[٣٣]
تشير الدلائل التي تم الحصول عليها من هذه المستوطنات إلى مجتمعات عاشت في قرى مستقرة على ضفاف الأودية والقيعان في بيئة ملائمة للعيش رغم ميل المناخ نحو الجفاف، اعتمدت على زراعة الحبوب كالقمح والشعير والشوفان على الحقول المدرجة وعلى ضفاف الأودية، واعتمدت أيضاً على تربية المواشي كالأغنام والماعز وشكلت بمنشآتها السكنية والمترابطة المسورة مراكز زراعية مستقرة ذات نشاط حضاري كثيف شكلت ما يعرف

بالقرى الزراعية الأولى التي وضعت الأسس الأولى لانتقال مجتمعات المدن ذات الوظائف والنشاطات المتعددة التي ظهرت في الألف الأول ق.م.[٣٤]

وباكتشاف هذه القرى التي يعود تاريخها إلى العصر البرونزي سدت الفجوة المعرفيـــة فيما بين العصر الحجري الحديث والعصور التاريخية التي كان للمرتفعات السبق فـــي تقـــديم أولى دلائلها.

قائمـــة المراجـــع

١-Khalidi,L.٢٠٠٦:Settlement Culture-contact and interachionalong the Red Sea coastal plain-Yemenite Tihamah Cultural Landscape intue late prehistoric period, ٣٠٠٠-٩٠٠BC, dissertation in submitted for the degree of philosophy, New ham college, University of Cambridge, P.٢٥.

٢-Art Rupestre Et Peupleuments Prehistoriques Au Yemen, Madiha Rachad, Catalogue, Page ٢٢٦, Annee CEFAS ٢٠٠٧.

مديحه رشاد،فن الرسوم الصخورية و الاستيطان في اليمن في فترة عصور ما قبل التاريخ،المركز الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ٢٠٠٧م ، ص ٢٢٦

٣-Art Rupestre Et Pruhistoriques Au Yemen,
Marie-Louise Inizian, Page ١٩ Sana'a CEFAC ٢٠٠٧.

٤- DE Maigret, A. ١٩٨٣: ISMEO activites: Arab Republic of Yemen. Eastand West ٣٣. P.٣٤٣.

٥-Art Ruprstre Et Pruh istoriques Au Yemen,
Marie-Louise Inizian, page ١٩ Sana'a CEFAS ٢٠٠٧.

٦- Davies, C, P. ٢٠٠٥: Holocene Paleoclimates of Southern Arabia from lacustrine deposits of the Dhamar highlands, Yemen, P.٤٥٤.

٧- ويلكنس- ايدينز- جيبسون : آثار المرتفعات اليمنية تسلسل زمني تمهيدي، (من كتاب) دراسات في الآثار اليمنية من نتائج بعثات أمريكية وكندية، ترجمة ياسين محمود الخالصي و مراجعة نهى صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ٢٠٠١ ص١٢٧-١٢٦.

٨- فرانكفليا، فرانشيسكو : مصادر الاوبسيديان في اليمن القديم، دي ميجريت حضارة العصر البرونزي في خولان الطيال والحدأ، المعهد الإيطالي لدراسات الشرقين الأوسط والأقصى. روما ١٩٩٠ ص ١٠٤-١٠٧.

٩- De Maigret,A. ١٩٨٨: The Yemeni Bronze Age,(in) Daum,W. Yemen ٣٠٠٠years of Art and Civilization in Arabia Felix, Umschau-verlag, Frankfurt.PP.٤٠-٣٨.

١٠-Wilkinson, T,J and Edens , C.١٩٩٩: Survery and Excavation in the central Highlands of Yemen, Results of the Dhamar Surviy project, ١٩٩٨, [in] Arabian Archaeology and Epigraphy,١٠.p.١.

١١- Edens,C.١٩٩٩: The Bronze Highland Yemenichronological and Spatial Variability of pottery and settlement. Paleorient ٢٥/٢.P. ١٠٦.

١٢- De Maigret,A. ١٩٨٨: The Yemeni Bronze Age,(in) Daum,W. Yemen ٣٠٠٠years of Art and Civilization in Arabia Felix, Umschau-verlag, Frankfurt.PP.٤٠-٣٨.

١٣- Wilkinson,T.J. Edens, C, and Gibson, M. ١٩٩٧: The Archaeology of the Yemen High plains : A preliminary chronology, Arabian Archaeology and Epigraphy, ٨.PP.١٠٧-١٠٨.

١٤- Fedele,F.G. ١٩٨٨: North Yemen : The Neolithic [in] Daum, W. Yemen ٣٠٠٠ years of Art and Civilization Arabia Felix, Ums chau-verlag, Frankfurt.P.٣٤.

١٥- De Maigret, A.٢٠٠٢ : Arabia Felix, An exploration of the archaeological history of Yemen. Translated by Rebecca Thompson. Stacey international, London. P.١٢٠.

١٦- De Maigret, A.١٩٨٣. Op. Cit. P.٣٤٢.

١٧- Fedele,F, G. and Zaccara, D. ٢٠٠٥ : Op. Cit .P.٢١٩.

١٨- Wilkinson,T.J. Edens, C, and Gibson, M: Op. Cit. pp. ١٠٢-١٠٨.

١٩- Fedele, F.G. ١٩٩٩: Man Landch wate: emerging in teractions form the Holocene of the Yemenhighlands, Bottema. S.Enties-Nieb-org, Mediterranean Landscape, Bottema. Rotterdam. PP.٤٢-٣١.

٢٠- De Maigret, A. ٢٠٠٢: Op. Cit. PP. ١٢٥-١٢٦.

٢١- De Maigret, A. ٢٠٠٢: Op. Cit. P.١٣٥.

٢٢- دي ميجريت، اليساندرو : حضارة العصر البرونزي في خولان الطيال والحدأ، المعهد الإيطالي لدراسات الشرقين الأوسط والأقصى. روما ص٩-١٥.

٢٣- De Maigret, A. ١٩٨٨: Op. Cit. P.٣٨.

٢٤- دي ميجريت، اليساندرو : عصر البرونز في المرتفعات، من كتاب "اليمن في بلاد ملكة سبأ"، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي- دار الوهاج، دمشق ١٩٩٩م ص ٣٤-٣٥.

٢٥- دي ميجريت، الساندرو : حضارة العصر النحاسي في ج. ع. ي ، ترجمة عثمان الخليفة، المعهد الإيطالي لدراسة الشرقين الأوسط والأقصى ١٩٨٤ ص٨.

٢٦- De Maigret, A. ٢٠٠٢: Op. Cit. P.١٥٨.

٢٧- AL-Nood,M. and Edens, C: Bronze Age Developments in the Highland of Yemen (in press).p.١.

٢٨- Wilkinson, T.J. and Edens.١٩٩٩, Op. Cit. PP. ١٧-٥.

٢٩- غالب، عبده عثمان : دراسات في الآثار اليمنية القديمة، مجلة **الثوابت**، العدد ٣٣، يصدرها المؤتمر الشعبي العام، يوليو – ديسمبر ٢٠٠٣م ص ٥٩,٢٦

٣٠- Wilkinson, T.J. and Edens.١٩٩٩, Op. Cit. P.٤.

٣١- Edens,C, and Wilkinson, T.J. ١٩٩٨: " Southwest Arabia during the Holocene : Recent Archaeological Developments". Journal of World History,١٢/١, PP.٨١-٨٠.

٣٢- Wilkinson, T.J.٢٠٠٣: The organization of settlement in highland Yemen during the Bronze and Iron Ages. P.١٦١.

٣٣- Wilkinson, T.J. Edens, C. and Gibson, M. ١٩٩٧: Op. Cit. P.١١٠.

٣٤- Edens. C. ٢٠٠٢. Op. Cit. ٨١-٨٠.

التماثيل البرونزية
ذمار علي وابنه ثأران

د.عزة علي عقيل بن يحيى *

يعتبر تمثالا النخلة الحمراء أكبر تمثالين عثر عليهما في اليمن حتى الوقت الحاضر فحجمهما أكبر من الحجم الطبيعي إذ يصل ارتفاع كل منهما متران وثلاثون سنتيمتر، ويبدو أن هذا الحجم من التماثيل لم يكن نادراً في اليمن القديم إلا أن ما تبقى لنا منها قليل ونادر، توجد على سبيل المثال قدم من البرونز في متحف سيئون يصل طولها إلى حوالي ٤٠سم مما يدل على أن التمثال كان بحجم تمثالي النخلة الحمراء.

و ترجع أهمية هذين التمثالين أيضاً إلا أنهما يمثلان ملكين حميريين، دون أدنى شك فاسما الملكين مدون على التمثالين ذمار علي وابنه ثأران، إن التعرف على تماثيل لملوك من اليمن القديم تبقى حالة نادرة ولا نعرف مثال آخر لتماثيل ملكية حتى الوقت الحاضر سوى تماثيل ملوك أوسان الموجودة في متحف عدن والمصنوعة من البلق، والمؤرخة من القرن الثاني وحتى القرن الأول للميلاد. وأيضاً رأس لتمثال من البرونز عثر عليه في النخلة الحمراء والموجود حالياُ في المتحف البريطاني، من المرجح أن يكون لملك حميري فتصفيف الشعر يشابه إلى حد بعيد صور الملوك على العملات الحميرية، فبالإضافة إلى التماثيل نتعرف على صور لبعض الملوك على العملات اليمنية القديمة كملوك قتبان[١].

---

* أستاذة محاضرة – قسم الآثار – كلية الآداب – جامعة ذمار .

و يعتبر هذان التمثالان من التماثيل التي توصف بالفخرية، صيغ تمثالي الملكين الحميريين ذمار علي يهبر وابنه ثأران من حيث الشكل والأسلوب على منوال تماثيل الملوك الهيلينستيين التي تحاكي تمثال ألكسندر المقدوني ، وقدم التمثالين لثلاثة أشخاص من رعاياهم لغرفة استقبال (مسود) قصرهم.

تمثال ذمار علي

المصدر: النخلة الحمراء(يقلا قديماً)، حفرية قام بها الأمير سيف الإسلام أحمد عام ١٩٣١م.

الموضع: متحف صنعاء الوطني (ي. م ٣٠٦) (RES٤٧٠).

المادة: برونز.

الحالة: التمثال مكسور ويتكون من عدة أجزأ ، عثر على بقاياه هو والتمثال التالي(تمثال ثأران) ،و تم ترميمهما في ماينز في ألمانيا١٩٨٣ــ١٩٨٨، وصنع وفقاً للأجزاء الأصلية تمثالان، الكسر الأصلية معروضة في متحف صنعاء إلى جانب نسختي التمثالين، عرض التمثالان في المتحف الروماني ــ الجرماني زنترال موزيوم عام ١٩٩٣.

المقاييس: ٢,٣٠م .

الوصف: تمثال رجل عار، واقف يرتكز على قدمه اليمنى،الرجل اليسرى مثنية، الذراع الأيمن مثني قليلاً ويمتد على طول الجسم و اليد مبسوطة ، الذراع الأيسر مرفوع وكانت اليد تقبض بشيء ما ، يوجد على الصدر نقش، صيغت ملامح الوجه بعناية ، العينان واسعتان نظرتهما هادئة، صور نون العين بحفرة صغيرة ، الأنف مستقيم ، الفم رفيع الشفاه، يعلوه شارب شكل بخصل صغيرة على شكل فواصل(،) كاللحية التي تحيط بالوجه. فرق الشعر عند منتصف الرأس وصفف بخصل متموجة حول الوجه ، ويحيط بالرأس شريط.

يوجد على الركبة اليسرى نقش إغريقي(Phokas epàiei) أي صنعه فوكاس ، الركبة اليمنى عليها نقش بالمسند (لحيعم هنسج) أي لحيعم أقفله.

تمثـــال ثـــأران

المصدر: النخلة الحمراء(يقلا قديماً)، حفرية قام بها الأمير سيف الإسلام أحمد عام ١٩٣١م.

الموضع: متحف صنعاء الوطني (ي. م ١٩٦) (CIH٤٧٩).

المادة: برونز.

المقاييس: ٢,٣٠م .

الوصف: تمثال رجل عار، واقف يرتكز على قدمه اليمنى،الرجل اليسرى مثنية، الذراع الأيمن مثني و اليد مبسوطة خلف الورك ، الذراع الأيسر مرفوع وكانت اليد تقبض بشيء ما، يوجد نقش بالمسند على الصدر، صيغت ملامح الوجه بعناية ،نظرة العينين هادئة نون العين صـــور بحفرة صغيرة ، الأنف مستقيم ورفيع، الفم مكتنز الشفاه يعلوه شارب شكل بخـــصل دقيقـــة على شكل فواصل(')كاللحية التي تحيط بالوجه. فرق الشعر عند منتـــصف الـــرأس ويحـــيط بالوجه بخصل متموجة، كما يحيط شريط بالرأس، ونرى خصل متعرجة من الـــشعر متنـــاثرة على الكتفين.

التعليق: للمرة الأولى يتم العثور في اليمن على تماثيل بهذا الحجم (أكبر من الحجم الطبيعـــي للإنسان ٢,٣٠م) ، عثر على هذين التمثالين البرونزيين في المدينة الحميرية يقلا (النخلة الحمراء حالياُ) عام ١٩٣١، يفيد النقش في التعرف علـــى هوية التمثالين، وهما للملكين ذمار علي يهبر وابنه ثأران مليكا سبأ و ذو ريدان، ويذكر النقش أن التمثـــالين قـــدما لثلاثة أشخاص من بنـــو ذرانـــيح (أقيـــال قـــشم) لغرفـــة استقبال(مسود) قصرهم سمع.

يوجد على الركبـــة اليـــسرى نقـــش باللغـــة اليونانيـــة (Phokas epàiei) أي صنعه فوكاس، مما يدل علـــى أن الصانع روماني، و من المـــرجح أنـــه أتـــى مـــن شـــرق الإمبراطورية الرومانية حيث كانت اللغة اليونانيـــة اللغـــة الرسمية المتداولة، الركبة اليمنى عليها نقـــش بالمـــسند (لحيعم هنسج) أي لحيعم أقفلـــه أو جمعـــه. نـــستنتج أن تصور هيئة التمثال وصب المعدن قام به فوكاس ، وأن

لحي جمع أجزاء التمثال ولحمها. ومن الجدير بالذكر أن الحرفيين المتجولين كفوكاس كانت حالة معروفة ومنتشرة في العالم القديم.

بنيان هذين التمثالين متطابق، رجل عار، واقف يرتكز على قدمه اليمنى،الرجل اليسرى مثنية ، الذراع الأيسر مرفوع وكانت اليد تقبض بشيء ما (على الأغلب حربة)، ،ولم يغير الحرفي في جسم التمثالين سوى حركة الذراع الأيمن الممدود على طول الجسم في تمثال ذمار علي، والتي أصبحت مثنية خلف الورك في تمثال الإبن ،أما في تفاصيل الوجه، فقد غير الفنان بعض ملامح الوجه، الأنف أعرض والفم أرفع في تمثال ذمار علي ، وأضاف خصل من الشعر أسدلت على كتفي تمثال ثأران.

تمت أول الدراسات لهذين التمثالين قبل ترميمهما، درس شولوبي التمثالين ، وأرخهما من القرن الثالث للميلاد معتمداً في تأريخه على عملات الملك ثأران[٢]. جاكلين بيرن أرختهما من القرنين الأول والثاني للميلاد وتقارنهما بقطع ساسانية مشابهه في صياغة الشارب وتصفيف الشعر[٣] ، راتجنس يربطهما بالتماثيل البارثية ويؤرخهما من القرن الثالث للميلاد[٤].

هذا النوع من التماثيل الملكية ، يد مرفوعة (تقبض برمح) والأخرى ممدودة على طول الجسم، كان معروف منذ الفترة الهيلينيستية ،وقد صورت هذه التماثيل على هيئة التمثال المعروف لإسكندر المقدوني مع الحربة الذي صنعه ليزب[٥] (الفنان الرسمي لإسكندر المقدوني). في الفترة الرومانية وفي القرن الثالث للميلاد بالذات صنعت الكثير من التماثيل على هذا المنوال[٦] من البرونز ومن الفخار[٧].

لتحديد فترة صناعة التمثالين سنتتبع الدراسة الأيقونية (الطراز) التي قدمها ويدرمان عن أسلوب صياغة الرأس. يشير ويدرمان إلى أن طريقة عمل اللحية على شكل خصل كالفواصل ظهر بعد عام ٢٣٥م، في حين أن فكرة العودة إلى التقاليد الهيلينيستية انتشرت منذ نهاية عهد الإمبراطور الروماني جالينوس الذي حكم ما بين ٢٥٣ــ٢٦٨م، و أن خصل الشعر المتناثرة على الكتفين التي تميز الفترة الكلاسيكية اختفت بعد فترة الإمبراطور الروماني ديوكلتين٢٨٥م، و يستنتج ويدرمان أن التمثالين الحميريين صنعا قبل هذا التاريخ.[٨] يظهر من النقش المكتوب على صدر التمثال أن ذمار علي حكم مع ابنه ثأران في نفس الوقت،

نجد بعض الصعوبة لتحديد فترتهما الكرونولوجية لأن اسما هذين الملكين تردد في النقوش في فترتين مختلفتين.

يذكر جاك ريكمانس وجود نقوش تتحدث عن حكم ذمار علي وابنه ثأران في نفس فترة حكم كل من ياسر يهنعم وشمر يهرعش حوالي عام ٢٠٧م[٩]، وتوجد نقوش أخرى عن حكم هؤلاء الملوك الأربعة من فترة متأخرة. [١٠]

تفيدنا نقوش المعسال أن الملكين ياسر يهنعم وشمر يهرعش كانا في الحكم في عامي ٢٦٧ــ٢٦٨م،ومن نقوش المعسال ذاتها نعلم أن شمر يهرعش كان يحكم وحيدا عام٢٩٢م.[١١]

وهكذا نستنتج من الدراسة الأيقونية والإبيجرافية أن تاريخ التمثالين يعود إلى نهاية القرن الثالث للميلاد.

مراجع البحث:

[١]-Mounir Arbach, “La chronologie du royaume de Qataban du ١er siècle avant J.-C. Au ١er siècle de l’ ère chétienne”,Chroniques Yéménites ٢٠٠٢,p.٧- ١١.

[٢] - J.Pirenne “Notes d’archéologie sud-arabe II: La statuette d’un roi de ’Awsn et l’hellénisation dans la statuaire sud-arabe”, in *Syria*, XXXVIII, ١٩٦١b,p. ٣٠٠-٣٠٤

[٣]-C. Rathjens Sabaeica, Bericht über die archäologischen Ergebnisse seiner zweiten, dritten und vierten Reise nach Südarabien (Mitteilungen aus dem Museum für Völkerkunde in Hamburg, XXIV): II. Teil, Die unlokalisierten Funde, Hamburg, ١٩٥٥, p. ١٠٦

[٤]- C.Rolley, *Les bronzes grecs*, Paris, ١٩٨٣, p.١٥٧, fig. ١٤٦

[٥]-E. Will “De la Syrie au Yémen : problèmes de relations dans le domaine de l’art”, in T. FAHD (ed.), *L’Arabie préislamique et son environnement historique et culturel*, Actes du Colloque de Strasbourg, ٢٤-٢٧ juin ١٩٨٧, Travaux du Centre de Recherche sur le Proche- Orient et la Grèce antique, ١٠, Leiden, ١٩٨٩,p. ٢٧٢.

٦ -L.De Lachenal, “Statua virile in nudità eroica e appoggiata ad una lancia”, in *Museo Nazionale Romano, La scultura*, I, Roma, ١٩٧٩, p.١٩٨-٢٠١,n°.١٢٤

[٧] -J. Ryckmans *La chronologie des rois de Saba et Du-Raydan* (Publications de l’Institut historique et archéologique néerlandais de Stamboul, XVI), Istanbul, ١٩٦٤.p. ٢٠

[٨] - J. Ryckmans *La chronologie des rois de Saba et Du-Raydan* (Publications de l’Institut historique et archéologique néerlandais de Stamboul, XVI), Istanbul, ١٩٦٤.p. ٢٦

[٩] - C.Robin, “Les inscriptions d'Al-Mi‘sal et la chronologie de ١’Arabie méridionale au IIIe siècle de ١’ere chrétienne”, in *Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*. Comptes-rendus des séances de ١’année ١٩٨١, p ٣٢٣.

١٠-L.De Lachenal, “Statua virile in nudità eroica e appoggiata ad una lancia”, in *Museo Nazionale Romano, La scultura*, I, Roma, ١٩٧٩, p.١٩٨-٢٠١, n°.١٢٤.

١١-K. WEIDERMANN*, Könige aus dem Jemen*, Mainz, ١٩٨٣.p.١٣١.[١] -H. Schlobies “Hellenistisch-Römische Denkmäler in Sudarabien“ in *Forschungen und Forischritte*, X, ١٩٣٤, p.٢٤٣

.

المراجع التي تحدثت عن التمثالين:

-H.Schobies,“Hellenistisch-Römische Denkmäler in Sudarabien“ in *Forschungen und Forischritte*, X,١٩٣٤: ٢٤٣, fig. ٣

-C.Ansaldi, *Il Yemen nella storia e nella leggenda,* Roma, ١٩٣٣. p.٤٢ fig. ١٣- ١٤

-C.Rathjens, *Sabaeica, Bericht über die archäologischen Ergebnisse seiner zweiten, dritten und vierten Reise nach Südarabien* (Mitteilungen aus dem Museum für Völkerkunde in Hamburg, XXIV): II. Teil, *Die unlokalisierten Funde*, Hamburg, ١٩٥٥. pp. ١٠٣-١٠٤. Photos,٣٩٤-٣٩٦;A.

-A.Grohmann*, Arabien* (Kulturgeschichte des alten Orients, III. Abschnitt, IV. Unterabschnitt, in Handbuch der Altertumswissenschaft), München, ١٩٦٣. p.٢٣٥, pl. XXII, ١

-J.Pirenne“Notes d’archéologie sud-arabe II: La statuette d’un roi de ’Awsn et l’hellénisation dans la statuaire sud-arabe”, in *Syria*, XXXVIII, ١٩٦١p. ٣٠٠-٣٠٢,. pl. XVIa XVI-d

-B.Doe *Southern Arabia*, London (Thames and Hudson) ١٩٧١: ١١٠-١١١. Pl,٤٢.;W.

-W.Radt, *Katalog der staatlichen Antikensammlung von Ÿan‘’ und anderer Antiken im Jemen* (Deutsches archäologisches Institut), Berlin, ١٩٧٣,p.١٥, n. ٧٠a-c, pl. ٢٥-٢٦

-P. M. Costa, “Note su alcuni pezzi del Museo Nazionale dello Yemen a Ÿan‘a” in *AION*, ٣٤ (N.S. XXIV), ١٩٧٤: ٢٨٦, pl IV- V-VIa;K.Weidemann, *Könige aus dem Jemen*, Mainz, ١٩٨٣. P.١-٣١

-C.Robin “L’inscription Ir ٤٠ de Bayt Dab῾an et la tribu Dmry”, in *Ÿayhadica*, Paris, ١٩٨٧: ١٣٤-١٣٥

-E. Will, “Les arts à l’école de la Grèce et de Rome”, in *Yémen, au pays de la reine de Saba* (Catalogue de l’Exposition à l'Institut du Monde Arabe, Paris, ٢٥ octobre ١٩٩٧ - ٢٨ février ١٩٩٨), Paris (Flammarion), ١٩٩٧ :pp.١٩٩-٢٠٣

-K.Parlasca “Bemerkungen zu den Archäologischen Beziehungen zwischen Südarabien und dem Grieschisch-Römischen Kulturkreis”, in T. FAHD (ed.), *L'Arabie préislamique et son environnement historique et culturel*, Actes du Colloque de Strasbourg, ٢٤-٢٧ juin ١٩٨٧, Travaux du Centre de Recherche sur le Proche Orient et la Grèce antique, ١٠, Leiden, ١٩٨٩: ٢٨٣-٢٨٤,pl. ٥-٦

-A. Ali Aqil, S. Antonini ,Repertorio Iconografico Sudarabico ,tome ٣, Bronzi Sudaraici di periodo Pre- Islamico,Académie des Inscriptions et belles – Letters , Istituto Italiano per L’Africa e L’Oriente ٢٠٠٧:n° I.A b.١٠, I.A b.١١.

الآثار الإسلامية في مدينة ذمار

د . فؤاد عبد الغني الشميري *

تعد محافظة ذمار من أغنى المناطق اليمنية بالآثار والتي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، مرورا بآثارها في العصور التاريخية المتعاقبة[١] ، وصولا إلى العصر الإسلامي الذي أصابت فيه مدينة ذمار نصيبا وافرا بآثارها الإسلامية التي تعود بداياتها إلى البواكير الأولى من صدر الإسلام في عهد الرسولﷺ، والممتدة إلى عصرنا الحاضر. وتتميز المنطقة الغربية من المحافظة بكثافة المنشآت الدينية الإسلامية والتي لم تصل إليها جهود الباحثين الآثاريين حتى الآن، فعلى سبيل المثال : قبة عراف في وصاب العالي ومساجد قرية ملص ومسجد قرية وينان وغيرها، ومن خلال ما سيتم عرضة سيتضح للقارئ الكريم صعوبة تتبع كل الآثار الإسلامية في مدينة ذمار في فصل واحد من كتاب، فكل أثر منها بحاجة إلى بحث مستقل بذاته، لذا أقتصر الحديث هنا على مطلبين رئيسيين، هما: المنشآت الدينية، والمنشآت المدنية في مدينة ذمار، مبتدئين بلمحة عن موقع المدينة وخصائصه بالإضافة إلى مكوناتها.

الموقع وخصائصه:

المدينة الإسلامية لقاء بين الزمان والمكان يتم اختياره بعناية فائقة لتلبية حاجات الإنسان التي تندرج في إطار الحماية من المضار وجلب المنافع على حد قول المؤرخين[٢]. إذاً لابد من مقومات أمنية وصحية واقتصادية بالدرجة الأساس في اختيار موقع المدينة الإسلامية، وإذا ما نظرنا إلى مدى توافر تلك الشروط في مدينة ذمار لوجدنا :

* أستاذ الآثار الاسلامية المساعد –قسم الآثار– كلية الآداب – جامعة ذمار

أن المدينة تقع بين تحصينين طبيعيين من جهتين مهمتين استراتيجيا هما: هـران من الجهة الشمالية وذمار القرن من الجهة الجنوبية بهما بقايا آثـار لحـصون ذات أسـوار ومداخل ترقى إلى عصر ما قبل الإسلام وإلى العصر الإسلامي، كما أن هنـاك آثـار لحـصن إسلامي في قرية يفع التي تقع شمال غرب مدينة ذمار يعرف عند الأهالي (بحصن النوبـة)، أما فيما يتعلق بسور المدينة فان الإشارات التي تناولته لم تفلح في تثبيت حقيقة وجوده مـن عدمه، ولعل أول إشارة هي التي ذكرها ابن المجاور بشيء يكتنفه بعض الغموض إلـى مـا يمكن أن يعد باب لسور مدينة ذمار إذ قال عن عجائب ذمار (لم يوجد فيها حية ولا عقـرب وإذا دخل إنسان بحية إلى ذمار فعند دخوله الباب تموت الحية)[٣] ، أما الإشارة الواضحة إلى سور المدينة تلك التي تعود إلى سنة (٨٩٥ هـ) اذ تشير المصادر التاريخية إلـى أن أهـل المدينة بنو سوراً عظيماً حولها بتوجيه ودعـم مـن الإمـام محمـد بـن علـي الـسراجي الوشلي(٨٨٠ – ٩١٠هـ / ١٤٧٦ – ١٥٠٥م)[٤] بيد أن السلطان الطاهري عامر بن عبـد الوهاب(٨٩٤-٩٢٣ هـ/ ١٤٨٩- ١٥١٧ م) حاصر المدينة بعد أن أخربت قواته جزءاً من السور وكان هدم السور أحد أهم بنود الصلح التي اشترطها السلطان الطاهري علـى أهلهـا حتى يمنحهم الأمان فكان ذلك[٥]. ولعل إشارة ابن المجاور تفيدنا كثيرا فـي تحقيـق الـشرط الصحي لوجود المناخ الذي لا تعيش به العقارب والحيات. أما إذا مـا نظرنـا إلـى الجانـب الاقتصادي المتمثل في عاملين أساسيين الزراعي والتجاري فإن مدينة ذمار تقع علـى سـهل خصيب يعرف بوادي الجنات بالإضافة إلى وجود كميات وفيرة من المياه الجوفية التي ينـال ماؤها باليد بحسب إشارة الهمداني[٦] ، كما أن موقعهـا الاسـتراتيجي فـي توسـطها بـين المرتفعات الشمالية والوسطى جعلها محط للقوافل التجارية وأكسبها خصوصية عبر التاريخ، يدل على ذلك السوق المتخصص بأنواع من السلع والمهن الحرفية في المدينـة والمنـشآت التي تيسر عملية التبادل التجاري من سماسر وحمامات ومساجد متقاربة كل ذلك من شأنه أن يحدث انتعاشاً اقتصادياً في المدينة، ويؤكد وجود كثافة سكانية فيها.

لوحة (١): النسيج المعماري لمدينة ذمار

مكونات المدينة :

تتكون المدينة من ثلاثة أحياء[٧] رئيسية، بالإضافة إلى منطقة القاع (قاع اليهود) ومنطقة السوق المتوسطة لتلك الأحياء[٨] ، وأحياء المدينة هي: حي الحوطة: ويقع في الناحية الجنوبية الشرقية من المدينة وشرقي السوق القديم، ولعله أقدم أحياء المدينة لوجود الجامع الكبير وأقدم المنشآت الأثرية سواءً الدينية أو المدنية فيه. حي المحل: ويمثل الجهة الشمالية من المكون القديم للمدينة. حي الجراجيش: وهو المنطقة الجنوبية الغربية للمدينة. منطقة القاع: وهي المنطقة الواقعة في الطرف الشرقي من المكون القديم للمدينة – يمكن اعتبارها ضمن حي الحوطة – ويمكن عدها وحدة سكنية مستقلة بذاتها لما تحمله من خصائص معمارية تختلف عن باقي الأحياء، من حيث التخطيط والطابع الخاص للمنازل[٩]. منطقة السوق: وهي المنطقة التي تتوسط الأحياء الثلاثة

بنسيجها المتميز عن بقية المدينة ويعد المدخل الشرقي للمدرسة الشمسية حـــدها الغربـــي. وتحتوي على أســواق تخصصيــة تعرف بأســماء البــضائع أو الحــرف المتداولــة فيهــا ويتضمنها ويحيط بها عدد من السماسر، وتشغل المقبرة الجزء الشمالي الغربي من المدينة.

لوحة (٢) : مكونات مدينة ذمار القديمة

المنشـــآت الدينيـــة:

المســاجـــدِ:

يعد المسجد أول لبنة في المدينة الإسلامية، بل يراعى في تأسيس المدن الإســلامية توسط الجامع للمدينة.بدءاً من تأسيس أول مدينة إسلامية بدأت معالمها بعد تــشييد مــسجد الرسول. ومدينة ذمار الإسلامية ليست بعيدا عن ذلك بل أن تاريخ اختطاطها مــرتبط ببنــاء المسجد الكبير والذي يرجع تأسيسه إلى السنوات العشر الأولى من القرن الأول الهجري فــي حياة الرسول الكريم، ومع توسع المدينة زاد بناء المساجد فيها تبعا لذلك، ومن أهمها: مسجد الحسين بن سلامة، أمير زبيــد(ت: ٤٠٣هـــ)[١٠] ، ومــسجد الإمــام يحيــى بــن حمــزة (ت: ٧٤٩هـــ)[١١]، ومسجد الإمام المتوكل علــى الله المطهــر بــن محمــد بــن ســليمان (ت: ٨٧٩ هـــ)[١٢]، والمدرسة الشمسية والتي تعد من أهم المعالم الأثرية الإسلامية بالمدينة

والتي لا تزال عامرة بطلاب العلم، ومسجد قبة داديه[١٣] ، ومسجد قبة ضريح الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ت: ١٠٥٠ هـ)، ومسجد الأمير سنبل بن عبد الله، ومسجد الأسد بن إبراهيم بن أبي الهيجاء الكردي[١٤] ، ومسجد الويس، ومسجد الرضوان والذي بناه إسماعيل بن يحيى الصديق(ت: ١٢٠٩هـ)[١٥]،ومسجد لقمان والذي بناه محمد بن قاسم لقمان(ت: ١١٣٣هـ)[١٦]، ومسجد الربوع والذي بناه احمد بن مهدي الشبيبي(ت:١١٥٧هـ)[١٧]، ومسجد عبيلة، ومسجد الناصر، ومسجد الشيخ، ومسجد فرح وغيرها. وهذه المساجد تعددت أنواعها وطرزها، ومن خلال هذا البحث سنعرض بإيجاز لنموذج واحد من كل طراز.

الطراز الأول :

يتمثل في الجامع الكبير بمدينة ذمار، ويتكون من صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة أعمقها رواق القبلة، وهذا الطراز ينتمي إلى طراز المساجد الجامعة والتي تم بناؤها على نمط مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، ومنها جامع صنعاء الكبير وجامع الجند وجامع شبام كوكبان وجامع إب وجامع جبلة وجامع الأشاعر في زبيد، وهو طراز انتشر في جميع المدن الإسلامية[١٨].

الجامع الكبير:

يعد أحد أقدم المساجد التي بنيت في صدر الإسلام، وهو أقدم اثر إسلامي في مدينة ذمار، بني في السنوات العشر الأولى من القرن الأول الهجري في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، في حي الحوطة بعد الجامع الكبير بصنعاء[١٩] ، كان عند تأسيسه عبارة عن قاعة مستطيلة صغيرة وهي المعروفة حاليا بمصلى دحية[٢٠] تقع في مقدمة الجناح الغربي، ومع مرور الزمن حدثت للجامع عدة تجديدات كونت في معظمها أشكال لمساجد مستقلة مما أسفر عن تخطيط معقد وطرز معمارية وزخرفية متباينة[٢١].

لوحة: (٣) الجامع الكبير بذمار

لا يعرف بدقة بداية توسعة وتجديد الجامع ولعل الاتفاق قائم على أن الزيادات التي في مقدم الجامع تنسب للزيدي، وهو القاسم بن الحسين الزيدي نائب الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني (٣٨٩-٣٩٢هـ)، وربما كانت من الأعمال التي قام بها الحسين بن سلامة في القرن الرابع الهجري لما عرف عنه من قيامه بالعديد من الأعمال الخيرية وتجديد المساجد كما هو معروف تاريخيا[٢٢] ، كذلك التجديد في عهد طغتكين بن أيوب (٥٧٧-٥٩٣ هـ/ ١١٨٣-١١٩٧م) الذي استولى على ذمار سنة (٥٨٣هـ) شمل توسيع رواق المقدم على حد قول شيحة[٢٣] ، على ان أهم التجديدات التي شملت الجامع هي تلك التي تشمل إضافة الجناح الشرقي والزيادة الغربية والمئذنة والتي تمت في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم(ت:) وعلى يد ابن أخيه الأمير محمد بن الحسن بن القاسم (ت: ١٠٦١هـ/١٦٥٢م)[٢٤] كما كان مدون في الجدار الجنوبي للزيادة الغربية. وفي الشريط الكتابي الذي يكتنف كتلة محراب الجناح الشرقي من الجانبين ونصها بعد البسملة (أمر بعمارة هذه المقصورة وإنشاء هذه الزيادة والتوسيع مولانا السيد الأفضل العلامة ناظم

أمر الأمة الأمجد الهمام ملك الإسلام عز الدين محمد بن الحسين بن أمير المؤمنين المنـــصور بالله القاسم بن محمد المتقدم ذكره في الطراز من الجامع الغربي عاملـــه الله بالحـــسنى فـــي الدنيا والآخرة (وكان) التجصيص في شهر شعبان سنة سبع وخمسين وألف)[٢٥]. آخر تجديد للجامع حدث عام ١٩٩٠م، بعد زلزال ١٩٨٢م الذي غير الكثير من معالمه الأصلية.[٢٦]

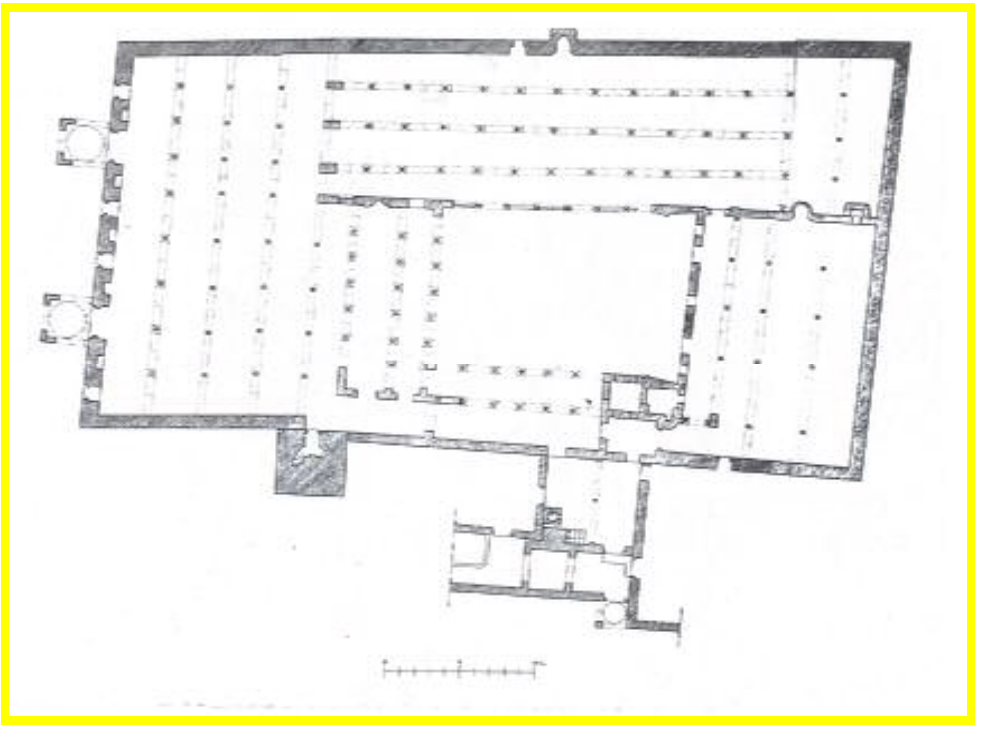

شكل :(١) مسقط أفقي للجامع الكبير بذمار – عن بربارة فنستر

تميز الجامع الكبير بذمار بمنبره الخشبي[٢٧] الذي يعد أحد أسانيد الفـــن الإســـلامي الخشبية، بل يعد ثاني أقدم منبر في العالم الإسلامي[٢٨] ، وشِحّ بزخارف تنتمـــي إلـــى طـــرز سامرا الثالث والرابع، وتكمن أهميته في قلة بل ندرة ما وصلنا من معلومـــات عـــن المنـــابر الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري سواء في طرق صناعتها أو زخارفها[٢٩]. يرجح أنه من أعمال الحسين بن سلامة مولى بني زياد الذين تبنوا الطرز الآثارية المعماريـــة والزخرفيـــة

العباسية في عهدهم[٣٠]. كما كان سقف الجامع مغطى بمصندقات خشبية عليها زخارف إسلامية ملونة تشبه مصندقات الجامع الكبير بصنعاء.

لوحة : (٤) ما تبقى من منبر الجامع الكبير بذمار

وفي الوقت الحاضر لا يزال الجامع محتفظا بتخطيطه القديم والمكون من أربعة أروقة يتوسطها صحن، كما أن المئذنة لم يشملها التجديد الأخير وبقيت محتفظة بعناصرها المعمارية والزخرفة، وقد أعيد استخدام أحجار الجامع القديمة في عملية البناء والتي يغلب عليها أحجار الحبش السوداء، وأعيد القليل من الأعمدة السابقة، أما العناصر الزخرفية في الداخل والمتمثلة بالنقوش الكتابية والعناصر الفنية الهندسية والنباتية وكذلك المصندقات الخشبية فقد أزيلت بالكامل عند التجديد الأخير.

الطـراز الثانـــي :

عبارة عن بيت صلاة صغير المساحة يحيط به أو يتبعه صرح أو أكثر، وهذا الطــراز الذي يعرف باسم المساجد الصغرى[٣١] البعيدة من المسجد الجامع، وكان يقتصر اســتخدامها على أداء فروض الصلوات الخمس اليومية فقط، واستخدم بعضها في تدريس الطلبة[٣٢].

وتتميز هذه المساجد بأنها تبنى بأحجار عادية(حبش – كلس) وسقوفها مسطحة محمولة على أعمدة أو دعامات أو عقود، وقد ظل هذا الطراز مستمراً إلى فترة الوجود العثماني في اليمن وإلى الوقت الحالي. وانتشر هذا الطراز في عموم البلاد اليمنية وفي ذمار نجد العديد من هذه النماذج منها مسجد الحسين بن سلامه، ومسجد الإمام يحيى بن حمزة، ومسجد الإمام المتوكل على الله المطهر (٨٠١هـ ٨٧٩هـ ١٤٣٦م-١٤٧٤م).

مسجد الإمام يحيى بن حمزة (عماد الدين) :

المـوقـــع: يقع في الجزء الجنوبي الغربي لمدينة ذمار القديمة في حي الحوطة، جنوب غرب الجامع الكبير، ويطل المسجد بواجهته الشمالية على سوق الحوطة، ويحيط به من الجنوب والشرق منازل سكنية، أما من الناحية الغربية فتحيط به بعض ملحقاته كالبئر والمرناع، بالإضافة إلى منزل سكني.

المنشـــئ: يعرف هذا المسجد باسم مسجد عماد الدين[٣٢] ، نسبة إلى الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه[٣٣] ، والمدفون في ضريحه الواقع جوار مسجده، يعد الإمام يحيى بن حمزة من كبار أئمة اليمن وأبرز علماء المذهب الزيدي[٣٤] ، ولد بصنعاء سنة (٦٦٩هـ/١٢٧٠م)، وتلقى علومه الدينية والمعرفية في مدينة صعدة وحوث، شُهد له بالذكاء والاجتهاد[٣٥] ، ودعا لنفسه بالإمامة من صعدة عام ٧٢٩هجرية، واستقر آخر أيامه في مدينة ذمار ولزم حصن هران مفرغا نفسه للتأليف ونشر العلوم وله العديد من الكتب والمصنفات[٣٦] ، كانت وفاته في٢٩ رمضان عام (٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، بحصن هران ونقل جثمانه إلى جوار مسجده في مدينة ذمار[٣٧]. ويعد مسجد وضريح الإمام يحيى بن حمزة من المعالم الأثرية الإسلامية المهمة بمدينة ذمار، وله مكانه خاصة لدى عوام الناس، ومازال يتوافد على ضريحه الزوار إلى الوقت الحاضر.

الوصــف المعمــاري:

يتكون المسجد من بنية للصلاة يكتنفها صرح من الناحية الجنوبية، ومطاهير مكشوفة وأخرى مسقوفة، بالإضافة إلى ضريح الإمام يحيى بن حمزة، وحمامات حديثة تقــع جنــوب المسجد، وتشغل هذه الوحدات المعمارية مساحة مستطيلة غير منتظمة الأبعاد يبلغ اكبر طول فيها من الشمال إلى الجنوب (٣٥م)، واكبر عرض من الشرق إلى الغرب (٣٠م)، بالإضــافة إلى ما سبق ألحق بالمسجد بئر مع ملحقاته تقع في الجزء الغربي من المسجد وتمثل وحــدة معمارية مستقلة عن المسجد وتشغل مساحة مستطيلة تبلغ أبعادها (٢٢،٦٠ × ٧،٣٦م).

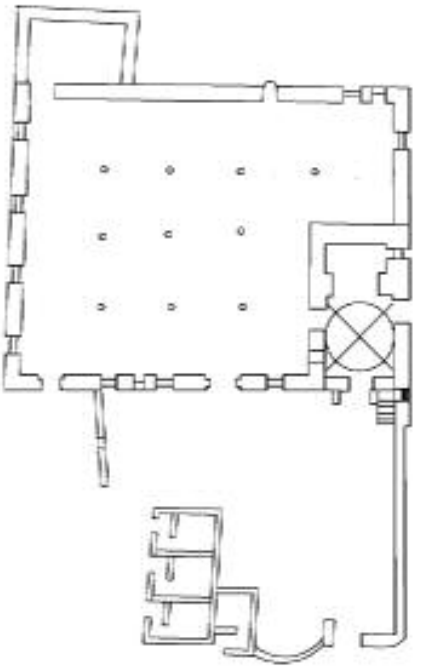

شكل : (٢) مسقط (أولي) لمسجد عماد الدين

يتم الدخول إلى المسجد عبر مدخلين الأول في الواجهة الشمالية للمسجد وهو المدخل الرئيسي، والثاني في الواجهة الغربية للمسجد.

البنيــة: عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل تبلغ أبعادها (١٧،٧٥م طول × ١٣،٩٢م عرض)[٣٨] ، بنيت جدرانها بأحجار الحبش السوداء المهندمة، وتطل البنية على الخارج

بواجهتها الشمالية التي تتميز بوجود كتلة المحراب فيها، وقد زينت هذه الواجهة بعدد من النوافذ المصمتة يعلو كل منها عقد يختلف في شكله ونوع الزخرفة المنفذة عليه، أما الواجهة الغربية للبنية فلا يظهر منها سوى الجزء الأعلى، بسبب بناء المطاهير الملاصقة لها. أما الواجهة الجنوبية للبنية فتطل على الصرح والمطاهير المكشوفة، ويفتح فيها المدخل الرئيسي للبنية وهو عبارة عن مدخل بسيط يقع داخل حنية معقودة بعقد نصف دائري، يغلق عليه باب خشبي مكون من مصرع واحد خالٍ من أي زخارف، ويتوج هذا المدخل عقد نصف دائري ويفتح عن يمين ويسار المدخل عدد من النوافذ.

أما مساحة البنية من الداخل فقد قسمت إلى أربعة أساكيب بواسطة ثلاث بوائك تسير عقودها النصف دائرية موازية لجدار القبلة، ويحمل هذه العقود عدد من الأعمدة الدائرية. يشغل الجزء الشرقي من جدار القبلة محراب مستطيل الشكل، مليء بالزخارف الإسلامية سواء النباتية أو الهندسية والكتابية، ويظهر من خلال موقع المحراب أن المسجد قد تعرض لزيادة في مساحة البنية في فترة متأخرة.

الضريح: يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من مسجده وملاصقا له، وهو عبارة عن غرفة مربعة يعلوها قبة تقوم على أربع حنايا ركنية مضلعة، تزين جدران الضريح زخارف نباتية وأشكال هندسية وكتابية، ويتوسط الضريح تابوت خشبي خاص بالإمام يحيى بن حمزة، يتكون من ثلاثة مستويات يعلوها جوسق، وزين جوانب المستويات الثلاثة بزخارف نباتية وهندسية وكتابية.

الطراز الثالث :

يتمثل هذا الطراز في أن تخطيطه ينتمي إلى المساجد التي بنيت أثناء الوجود العثماني والذي تميزت بتغطيتها بقبة مركزية، مثل: قبة البكيرية بصنعاء، وفي مدينة ذمار نموذجان من هذا الطراز وهما مسجد قبة داديه والذي بني في بداية القرن الحادي عشر الهجري، ومسجد وقبة الإمام الحسين بن القاسم والذي بني في منتصف القرن الحادي عشر الهجري.

مسجـد قبة داديه:

يقع مسجد قبة داديه في منطقة التقاء الأحياء الرئيسية لمدينة ذمار، أي وسط المدينة القديمة، وتنتمي إلى طراز المساجد ذات القبة المركزية، التـي شـيدت فـي فتـرة الوجـود العثماني، مثل قبة البكيرية وقبة المرادية وقبة طلحة بمدينة صـنعاء[٣٩] ، وجميعهـا تحمـل تأثيرات عثمانية امتزجت بطرز محلية. والمسجد عبارة عن مـساحة مربعـة (١١×١١م) تعلوه قبة تقوم على حنايا ركنية، ويتقدمها صرح مبلط بالأحجار، وقـد اسـتخدمت أحجـار الحبش في بناء جدران القبة، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن هذه القبة يعود تاريخ بنائها إلى النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر ميلادي، وذلك من خـلال تحليـل العناصر المعمارية والزخرفية وكذلك من خلال التخطيط العام للقبة. جديرا بالذكر أن منـشئ مسجد قبة داديه لا يعرف عنه سوى أنه أحد أمراء الأتراك الذين أتوا إلى اليمن[٤٠]، ولم تشر المصادر التاريخية إلى هذه الشخصية، ولا توجد أي نصوص تأسيسية بداخل القبة تشير إلى صاحبها، وقد تم تجديد القبة في سنة ١٣٥١هـ وذلك كما يشير نص كتابي على بدن القبـة من الخارج في الجهة الجنوبية نصه "كان الفراغ من عمل هذه القبة سنة ١٣٥١هـ عمـل أحمد قحطان ومحمد دشيله وحسين رداعي"[٤١].

أما عن المئذنة فيرجع تاريخ بنائها إلى سنة ١٣٧٤هـ، وتقع في الجانب الغربي من الصرح جنوب القبة. وللقبة مقشامة يوجد بها قناطر ما تزال بحالة جيدة.

لوحة : (٥) مسجد قبة داديه

الطراز الرابع :

يتمثل هذا النوع في وظيفته والذي يعود إلى طراز المدارس الإسلامية وان كان تخطيطه لا يتبع تخطيط المدارس الإسلامية المعروفة، ومن هذا الطراز المدرسة الشمسية ومسجد الإمام يحيى بن حمزة، ومسجد الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان[٤٢].

المدرسة الشمسية: سميت بهذا الاسم نسبة إلى الأمير شمس الدين(٩١٨-٩٦٣هـ /١٤٣١-١٤٩٦م)[٤٣]، واسم الشمسية أطلق على العديد من المدارس باليمن - الشمسية بمدينة إب نسبة إلى الأمير شمس الدين ابوبكر بن فيروز احد الأمراء التابعين للسلطان الرسولي المظفر[٤٤] ، وأخرى في زبيد بنتها الدار شمسي ابنة عمر بن على بن رسول عرفت بالغضينية نسبة لمجددها احمد عبد الله الغضين سنة ٩٤١ هـ ١٥٣٤م[٤٥].

المنشـــىء: الإمام المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين (٨٧٧-٩٦٥هـ/١٤٧٠-١٥٥٨م)، كما أنشأء ثلاثة مساجد أخرى في كوكبان وثلاء وصنعاء[٤٦]، دعا لنفسه بالإمامة في حصن الظفير بحجة، ولم يستجب له إلا قلة، انتهزفرصة النزاع بين الجراكسة والطاهريين،وساند الجراكسة ضد الطاهريين الذين سقطت دولتهم سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) علي يد الجراكسة،بعدها خرج لمناجزة الجراكسة سنة (٩٣٢هـ/١٥٢٦م)، ودانت له مدينتا صعده وصنعاء وما بينهما وفتح حصن التعكر وقلعة القاهرة بتعز وحراز واستولى على مناطق كثيرة[٤٧]. عرف عنه القيام بتجديد العديد من المنشآت الدينية. أصاب مرحلة حكمه الوهن نتيجة خلافه مع ولده المطهر على الحكم والذي انتهى بتنازله عن معظم ما كان واقعاً تحت حكمه، مستأثرا لنفسه بالقليل من المناطق منها كوكبان الذي عاش فيها قبل انتقاله إلى ظفير حجة حتى وافته المنية هناك[٤٨].

المـــوقع: تقع الشمسية وسط مدينة ذمار في حي الجراجيش، إلى الشمال منها يقع سوق الربوع، ومن الجنوب حي الجراجيش وشرقا سوق المجن والى الغرب مكتب الأوقاف بالمدينة[٤٩].

الوصف المعماري: يماثل تخطيطها تخطيط المسجد، وهو عبارة عن بيت للصلاة مستطيل الشكل يتقدمه من الجهة الجنوبية فناء مكشوف، محاط من الجهات الشرقية والجنوبية والغربية

ببيوت الطلبة التي كونت بمجموعها سوراً للمدرسة، كما يتخلل نفس الجهات السابقة الذكر مداخل بالإضافة إلى مدخلين صغيرين في الجهة الشمالية، وإلى يمين المدخل الشرقي تقع المئذنة، كما الحق بها المطاهير والحمامات، وهذا النمط من التخطيط ساد معظم المنشآت الدينية العامة، إذ توجد مدارس بنيت على طراز مساجد(٥٠).

استعمل في بنائها حجر الحبش السوداء بالإضافة إلى الآجر الذي استخدم في بناء بيوت الطلبة، كما استخدم الآجر في بنا الجزء العلوي من المئذنة، واستخدم القضاض كملاط لتغطية بيت الصلاة من الخارج، والمطاهير الشمالية والجنوبية، وجدران الفناء المكشوف، وفي وقت لاحق استخدمت النورة والجص في الطلاء الداخلي لبيت الصلاة، كما استخدمت الأخشاب في سقف بيت الصلاة بالإضافة إلى استخدامها في نوافذ وأبواب المدرسة (الخشب المستخدم هو الطنب في السقف أو الأبواب).

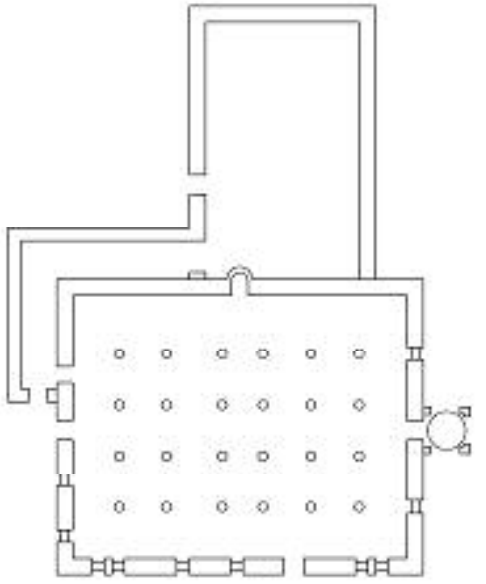

شكل : (٣) مسقط للمدرسة الشمسية

بيت الصلاة : تعد الوحدة المعمارية الرئيسة في تخطيط وتكوين المدرسة الشمسية، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة أبعادها الخارجية (٢٢-١٧م) أما الداخلية (٢٠،٢٥- ١٥ م)،

مكونة من خمسة اساكيب موازية لجدار القبلة ترتكز على أعمدتها الحجرية الرشيقة عقود مدببة تدبيبا خفيفا ويبلغ قطر الواحد منها (٣٢سم)، توشح الجدار الداخلي بشريط كتابي نفذ بالجص على مهاد من الزخارف النباتية، تتضمن آيات قرآنية وأدعية وألقاب وثناء على آل البيت والنص التأسيسي الذي ينتهي بأسماء منفذي هذا العمل، يمثل بجملته لوحة زخرفية إسلامية تعكس مهارة وتذوقاً فنياً . يتوسط جدار القبلة المحراب، بارتفاع (٢،٤١م) وعرض (١،١٠م) وبعمق (١،٣٠م) مكون من مستويين الأول عمودان مدمجان من سمت الجدار يحملان عقد مدبب والثاني عقد على شكل حدوة الفرس،ينتهي العقدان بتاجين توشحا بزخارف هندسية، ويعلو حنية المحراب عقد زخرفي مفصص موشح بزخارف نباتية وهندسية متنوعة. يغطي بيت الصلاة سقف مسطح محمول بواسطة البوائك مباشرة مكون من كتل خشبية مستطيلة تقع متعامدة مع جدار القبلة عددها (١٠٠) كتلة خشبية (بواقع عشرون خشبة في كل اسكوب).

لوحة : (٦) محراب المدرسة الشمسية

شكل : (٤) بيت الصلاة المدرسة الشمسية– عن زكريا محمد

المطاهير: يوجد في المدرسة نوعان من المطاهير،الأولى: مسقوفة وتقع في الجزء الشمالي من بيت الصلاة وهي عبارة عن مساحة مستطيلة، والنوع الثاني مكشوفة وتقع في الجزء الجنوبي من الصرح.

المئذنة: من أهم العناصر المعمارية في المدرسة الشمسية وتقع في الجزء الشرقي من بيت الصلاة، وتتبع في طراز بنائها طراز بناء المآذن اليمنية[٥١] ، إذ تشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها عند القاعدة(٤،٨٠متر)، استخدم في بنائها أحجار الحبش، وتنتهي القاعدة من أعلى بشرفات مسننة، ويعلو القاعدة بدن متعدد الأضلاع، تعلوه شرفة تحمل زخارف هندسية بواسطة أحجار الآجر، ويعلو هذه الشرفة بدن آخر مكون من جزئين، الأول اسطواني والثاني مثمن، وتنتهي المئذنة بقبة نصف كروية، جديرا بالذكر أن هناك خلاف حول من قام ببناء هذه المئذنة[٥٢].

منازل الطلاب: ألحقت بالمدرسة الشمسية منازل خاصة بالطلاب الوافدين من المناطق الأخرى، وكان من جملة الطلاب الوافدين الذين درسوا في المدرسة الشمسية وسكنوا في منازلها شاعر اليمن الكبير وأديبها عبد الله البردوني.

الطراز الخامس :

بالإضافة الى الطرز السابقة، يوجد طراز من المساجد يمكن تصنيفه حسب الوظيفة، وهي التي استخدمت كضريح، ومنها مسجد قبة الإمام الحسين بن القاسم.

مسجد قبة ضريح الحسين بن القاسم: تعد القباب الضريحية من العمائر التي اعتنى المسلمون بتشييدها، وخصصت لدفن الخلفاء والملوك وأهل الفضل والصلاح. وكانت تبنى على شكل مربع أو مثمن تعلوه قبة أو عدة قباب كما في مصر واليمن، أو على شكل برج مخروطي كما في العراق، وقد تبنى الأضرحة مستقلة عن أي بناء أو ملحقه بمبانٍ أخرى[٥٣].

والقباب في اليمن عاصرت الطرز الإسلامية وتأثرت بها، سواء في الأساليب المعمارية والتنوع في مناطق الانتقال أو تعدد أنواع الزخارف التي نفذت فيها. وفي ذمار شيدت العديد من قباب الأضرحة منها ما هو قائم مثل قبة ضريح يحي بن حمزة وقبة دادية والقبة التي نحن بصدد وصفها وما هو مندرس مثل قبة ضريح الحسن بن القاسم في ضوران آنس.

المـــوقـــع: تقع قبة ضريح الحسين بن القاسم غربي الجامع الكبير.

المنشـــئ: الأمير الحسين بن القاسم بن محمد، كان مولده يوم الأحد ١٤/ربيع الآخر سنة ٩٩٩هـ، عالم محقق في الأصول والمنطق والعلوم العربية، ومن أهم مؤلفاته (غاية السؤل في علم الأصول) وقد أعجب به كثير من المحققين[٥٤] ، له اسهامات في كثير من العلوم وله شعر حسن، قاد بعض أتباع والده أثناء صراعه مع القوات العثمانية[٥٥] ، ووولاه أخوه الإمام المؤيد بالله بعد وفاة أخيه الحسن، تعز ونواحيها مسندا اليه القيادة العسكرية فيها ،اشتغل أخر حياته بالحديث من كتب السنة، وافته المنية بمدينة ذمار ليلة الجمعة ٢ ربيع الآخر سنة ١٠٥٠هـ[٥٦].

لوحة : (٧) قبة الحسين بن القاسم

التخطيط :

القبة عبارة عن بناء مربع طول ضلعه من الخارج (١٠×١٠م)، لها مدخلان بارزان أحدهما في منتصف الضلع الشرقي والآخر في منتصف الضلع الجنوبي، في منتصف الجهة

الشمالية يظهر بروز كتلة المحراب، تعلو المساحة المربعة قبة نصف كروية، استخدم في مناطق انتقالها الحنايا الركنية لتحويل المربع إلى مثمن، يعلو البدن المثمن بدن دائري يمثل رقبة القبة. استخدمت أحجار الحبش (البازلت) في بناء كتلة القبة المربعة، ثم أكمل البناء بالآجر وغطي بطبقة من الجص و القضاض.

ملحق بالقبة المطاهير والبركة وتقعان إلى الركن الجنوبي الشرقي من القبة. أما الحمامات الحديثة فتبدو ملاصقة للركن الجنوبي الغربي من القبة ويُدخل إليها عن طريق الفناء الجنوبي.

وصف القبة من الخارج: لعل الواجهة الجنوبية تعد مثالا لوصف القبة والتي يتصدرها وينصفها مدخل بارز أو تذكاري[٥٧] يتم الصعود إليه بواسطة درجتين ترتفعا عن مستوى أرضية الفناء المبلط بالحجارة السوداء، يتكون المدخل من دعامتين يعلوهما عقد أمامي من مستويين الأول عقد ذو مركزين أما الثاني فعقد ذو تسعة فصوص، يتفرع من دعامتي العقد الأمامي عقدان شرقي وغربي يستندان إلى الجدار الجنوبي للقبة على جلسات لأحجار تبرز قليلا عن سمت الجدار، يعلو العقود الثلاثة في المدخل البارز قبة ضحلة، وعلى جانبي المدخل البارز نافذتان معقودتان ومصمتتان. تتوج هذه الواجهة من أعلى شرفات مسننة أسفل هذه الشرفات توجد حلية زخرفية هندسية تشبه إلى حد ما المثلثات المقلوبة، تدور هذه الحلية الزخرفية على القبة بكاملها من الخارج بما في ذلك المداخل البارزة، أسفل الشرفات المسننة في المداخل البارزة تغيرت الحلية الزخرفية إلى أشكال هندسية لمعينات في المدخل الشرقي وزخرفة الزجزاج في المدخل الجنوبي. أما مدخل القبة في الجدار الجنوبي فيغلق عليه باب خشبي مكون من مصراعين زين بدنهما بزخارف هندسية قوامها أشكال مستطيلات. وتتماثل الواجهة الشرقية مع الواجهة الجنوبية من حيث مكوناتها المعمارية والزخرفية، فيما عدا النافذة المفتوحة في الجهة الشمالية من الجدار الشرقي. وهناك اختلاف في طريقة عمل عقود المدخل الشرقي والتي يبدو أنها مجددة. ولعل ما يميز الجهة الشمالية بروز المحراب عن سمت الجدار بحوالي (٣٢سم) وبشكل مستطيل أبعاده (٣،١٠ × ١،٥٠م). أما الجهة الغربية فقد فتحت بها نافذتان.

وصف القبة من الداخل: يتصدر المحراب الجدار الشمالي للقبة، وهو عبارة عن كتلة مستطيله تتوسطها الحنية بارتفاع (٢،٤٨م) وعرض(٠،٨٤م)وعمق (٠،٩٦م)، زينت من

خلال الجامات بزخارف هندسية قوامها أطباق نجمية وأشكال المربعات والمعينات والمثلثات بالإضافة إلى زخرفة الميمات، يعلوها شريط كتابي بخط النسخ داخل إطار من زخارف الأرابسك[٥٨] ، نصه: (يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)[٥٩] ، يتوج الحنية طاقية محارية الشكل تستند على مهاد من زخارف الأرابسك ، ويعلو طاقية المحراب عقد مدبب تدبيباً خفيفاً مكون من حطتين، أعلاه شريط كتابي، ويكتنف الحنية عمودان مضافان يعلوهما بدن آخر زين بدنهما بزخارف الأرابسك ويرتكز عليهما عقد مماثل لسابقيه. ويحف بالمحراب شريطا كتابيا بخط النسخ تتخلله جامات زخرفية.

توشحت القبة بشريط كتابي بخط النسخ يدور حول مربع القبة، يبدأ هذا الشريط من الزاوية الشمالية الشرقية باتجاه المحراب، تضمن ترجمة لصاحب القبة وربما أنه يحتوي على النص التأسيسي لعمارتها، ولكنه تعرض لتلف شديد مما جعل قراءته متعذرة، ويمكن قراءة أجزاء منه وعلى النحو الآتي: (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذه القبة الفاضلة..... أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأشل بن القاسم بن الإمام الداعي إلى الله يوسف بن الإمام المنصور بالله يحيى بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق المبين يحيى بن الحافظ الحسين بن الإمام نجم آل رسول الله القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وصلى الله وسلم على محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين).

الجدار الغربي : تكتنف هذا الجدار نافذتان تتوسطهما خزانه تغلق بباب خشبي مكون من مصراع واحد، زين بدنه بأشكال هندسية قوامها أربعة مستطيلات : المستطيلان الافقيان العلوي والسفلي يتخللهما قوس نصف دائري والآخران في المنتصف بوضع رأسي، نفذت عليهما زخارف نباتية متنوعة تعلوها دخلة صماء يتوجها عقد بسبعة فصوص، تضم بداخلها ثلاثة أشرطه كتابية.

الجدار الجنوبي: يتوسطه المدخل الذي يعلوه دخلة صماء مماثله لتلك الموجودة على الجدار الغربي يتخللها أربعة أشرطة كتابية بخط النسخ.

الجدار الشرقي: يتوسطه المدخل، وفي الجهة الشمالية من الجدار تقع نافذة يكتنفها إطار خشبي توشح بزخارف متنوعة بطريقة التفريغ، تعلوهما دخلة صماء معقودة بعقد خماسي الفصوص.

الحنايا الركنية: استخدمت أربع حنايا لتحويل مربع القبة إلى مثمن، يتوج كل منها عقد مفصص، تتزين طاقية كل حنية بشكل بخارية تنتهي من الأسفل بقاعدة ويكتنف كل حنية من الجانبين شكل المحارة ، تغطي القاعة المربعة بقبة مرتفعة تضم زخارف تدور حول سمتها، ويدور حول رقبتها شريط كتابي نفذ بخط النسخ يتضمن آية الكرسي وأبيات شعرية تتخلله ثمان نوافذ معقودة معشقة بالزجاج الملون، يتوسط كل نافذتين شكل البخاريات، تزين سمت القبة بدائرة صغيرة تضم بداخلها وريدة ثمانية الفصوص يدور حولها إطاران، الداخلي زخرف بالنصوص الكتابية، أما الخارجي فبزخارف هندسية لمعينات صغيرة متجاورة.

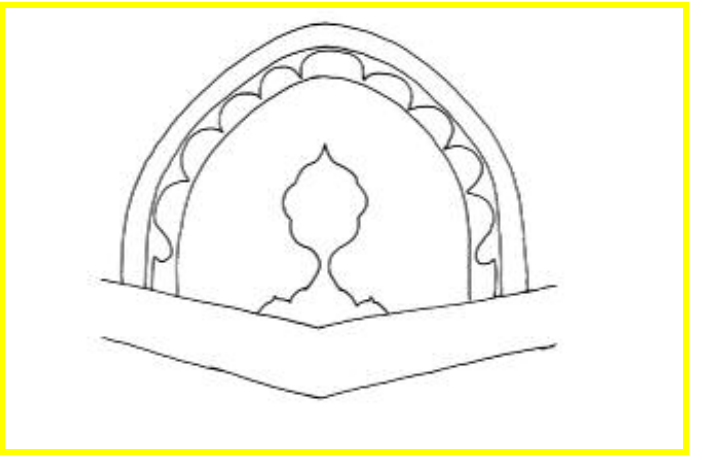

شكل : (٥) تفريغ لإحدى الحنايا الركنية في مسجد قبة الحسين بن القاسم

التركيبة الخشبية (**التابوت**): يرجع ظهور التراكيب الخشبية في اليمن الى مطلع القرن (٧ هـ/١٣م) [٦٠] ، وارتبطت بقبور الائمة الزيديين ، وتتميز مدينة ذماربوجود النماذج المختلفة للتوابيت.

يقع تابوت الحسين بن القاسم في الزاوية الجنوبية الشرقية من القبة محجوب بواسطة ألواح من الألمنيوم يدخل إليه عبر باب، ويتكون من أربعة مستويات :

المستوى الأول :

مستطيل الشكل توشحت جهاته الأربع بزخارف كتابية بارزة بخط النسخ تتضمن في الواجهة الشمالية اسم المتوفى ونسبه وتاريخ وفاته ونصه " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ضريح أمير المؤمنين المنصور بالله أبي محمد الحسين بن القاسم" ينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن ربيع الآخر سنة خمسين وألف " وأما بقية الجوانب فقد تضمنت كتاباتها بعض الآيات القرآنية وأبيات من الشعر ودعاء للمتوفي.

المستوى الثاني :

ويتكون من مستطيل يعلو المستوى الأول ويرتد إلى الداخل ، ويزين واجهات جوانبه الطويلة تسع حشوات مستطيلة، بينما يزين الجوانب القصيرة ثلاث حشوات مستطيلة الوسطى منها كشباك ينتهي أعلاها بعقد مفصص(٦١).استخدم النجار خشب الخرط في زخرفة الحشوة الوسطى في الجوانب الطويلة المتشابهه في زخارفها والتي تتألف من عناصر مختلفة من الزخرفة العربية الأرابسك. تنوعت حشوات الجوانب بين زخارف هندسية تتمثل في الأشكال السداسية التي تقطعها خطوط من عدة اتجاهات مشكلة ما يشبه الطبق النجمي، وشكل بخاريتين الجزء الأوسط منهما وشح بزخرفة الأطباق النجمي (٦٢).

المستوى الثالث :

يتميز باتخاذه الشكل المقبي المضلع الذي يتكون من أربعة أضلاع، ويمثل الجزء العلوي من المستوى الثاني، زينت جوانبه الطويلة بزخارف كتابية.أما جوانبه القصيرة الشرقية والغربية فقد وشحت بزخارف مفرغة تتمثل في الأوراق المسننة والزهور المركبة وهي تذكرنا بالعناصر الزخرفية النباتية التي شاعت في الفن العثماني.

المستوى الرابع :

ويتكون من مربع يقطع المستوى الثالث من منتصفه ويزين واجهته زخارف كتابية مفرغة تتضمن نص الشهادتين، ويتوج واجهات هذا المربع صف من الشرفات الصغيرة تتخذ هيئة الورقة الثلاثية،وينتهي المستوى الرابع بقمة مخروطية تقوم على قاعدة مثمنة قصيرة تعلوها أخرى أكثر ارتفاعاً يتوجها هلال بداخله شكل نجمي، ويفتح في أضلاع المثمن السفلي

نوافذ ثلاثية صغيرة مغشاة بزخارف نباتية مفرغة وكأن الفنان هنا يحاكي أشكال القباب بمناطق انتقالها والنوافذ الصغيرة التي تفتح في رقابها ويتوج المثمن العلوي صف الشرفات الصغيرة.

كما توجد بجانب هذه التركيبة الخشبية بجوار الجدار قبر آخر، يعلوه في الجدار الجنوبي شاهد قبر يتخذ شكل هرمي، وهو مصنوع من حجر البلق، وهذا الشاهد خاص بالإمام الحسين بن القاسم يذكر فيه اسمه وألقابه وتاريخ وفاته، بالإضافة إلى شاهد آخر مثبت في الجدار الشرقي للمسجد، وهو مستطيل الشكل ومحتواه نفس محتويات الشاهد السابق.

مصلى العيدين:

مصلى العيدين احد مكونات المدينة الإسلامية. وفي مدينة ذمار يقع مصلى العيدين الحالي في الجزء الشمالي الشرقي من مدينة، ويبعد عن مركز المدينة (السوق) وعن الجامع الكبير بمسافة (٣كم) تقريبا[٦٣]. والمصلى عبارة عن مساحة مكشوفة مستطيلة الشكل أضلاعها غير منتظمة الأبعاد، ويقع المحراب في الجدار الشمالي، وقد خصصت مؤخرة المصلى للنساء، وقد تعرض هذا المصلى لعدد من الإضافات والتجديدات مؤخرا، بالإضافة إلى وجود مصلى حديث يقع جنوب مدينة ذمار وذلك بعد ازدياد الكثافة السكانية في المدينة كما تستخدم بعض المساجد كمصلى للعيدين.

المقـــــبرة:

تعد المقبرة من المنشآت الجنائزية، حظيت بعناية الحضارات القديمة، أما في الدولة الإسلامية فان الاهتمام بها جزء من التقرب إلى الله ،فيتم اختيار أماكنها بعناية، وتوقف عليها العديد من المصالح. ومقبرة ذمار تقع في الجزء الشمالي الغربي من المدينة القديمة وتشغل مساحة غير منتظمة الأبعاد، تتصل بحارات حي المحل وتحتوي على عدد كبير من المقابر القديمة التي تعد ذاكرة المدينة[٦٤] ، بالإضافة إلى عدد من المقابر الحديثة بعد التوسع العمراني، وقد وردت عدد من الإشارات التاريخية لأسماء مقابر قديمة في مدينة ذمار منها مقبرة طه[٦٥] ومقبرة ماجل الطريقين[٦٦].

المنشـــآت المدنيـــة :

تنقسم المنشآت المدنية إلى ثلاثة أقسام هي السكنية والتجارية والمائية ويمكن ان نلحق بها الحمامات العامة والتي يعدها بعضهم ضمن المنشآت الصحية والتي تنضوي تحت منشآت الرعاية الاجتماعية[٦٧].

المنشـــآت السكنيـــة:

المنـــــازل :

ذمـــــار كغـيرها من المدن اليمنية التاريخية تحتوي على منازل مميزة من الناحيتين المعمارية والتاريخية وهي غالبا مـــبنيـــة مـــن مـــادة الحجر الحبش في الأدوار السفلى ومادة الآجر أو اللبن في الأدوار العليا يتراوح عدد طوابقها من طابق إلى أربعة طوابق، معظمها تحتوي على فناء مكشوف في أدوارها الأخيرة وهذه الخصوصية قلما توجد في منازل مدينة صنعاء القديمة وهناك عدد كبير مـــــن المنازل المميزة في المدينة موزعة في الأحياء الرئيسية الثلاثة (الحوطة، والمحل، والجراجيش) ورغم التوسع العمراني الكبير الذي شهدته مدينة ذمار وتزايد المباني الحديثة داخل الأحياء القديمة، إلا أنها ما زالت تحتفظ بملامحها الأصلية ذات الخصوصية[٦٨] .

شكل :(٦) مسقط أفقي لأحد المنازل في مدينة ذمار

التخطيط:

تتكون معظم المنازل من عدة طوابق يتميز كل طابق عن الآخر بمواده الإنشائية او التخطيط الداخلي وكذلك الواجهات الخارجية تبعا للوظيفة التي يؤديها ومتطلباتها الإنشائية والزخرفية وهي كالاتي:

الأساسات: قبل البدء في عملية البناء لابد من الحفر في باطن الأرض لتثبيت أساسات المنزل و يتفاوت عمق الحفر من منزل إلى آخر فالبعض يبلغ العمق ١،٥ متر، وبعرض ٥٠ سم تقريباً، حيث يتم إنزال احجار ذات احجام كبيرة غير مهندمة إلى الحفر المعدة مسبقاً وتوضع الحجارة جنباً إلى جنب في صف واحد، وتغطى بقية الفراغات باحجار صغيرة (أحجار الدبش) وهي بقايا الحجارة الكبيرة[٦٩] ثم يغطى هذا الصف بكمية معينة من التراب الممزوج بالماء لتماسك الحجارة وتستمر عملية بناء الصفوف واحد فوق الآخر حتى يصل البناء إلى مستوى الأرض، وبعد ذلك يبنى فوقه من ثلاثة إلى أربعة صفوف لتكون بمثابة قاعدة متينة للمنزل يعتمد عليها لبناء الطوابق الأخرى.

الطابق الأرضي:

يكون غالباً في المنازل الكبيرة والتي تتكون من عدة طوابق، وتخطيط هذا الطابق عبارة عن عدد من الغرف الواسعة المرتبة في صفين بينهما حجرة متسعة تنتهي بسلم صاعد إلى الأدوار العليا، حيث تستخدم هذه الغرف كمخازن لحفظ الحبوب وعلف الماشية والأخشاب المستخدمة في الوقود، وبعض الغرف بمثابة إسطبلات لإيواء الحيوانات (الأبقار – الخراف – الدواب.....)، أيضا يوجد بهذا الطابق مطاحن الحبوب[٧٠] ، كما يحتوي على غرفة صغيرة الحجم تقع أسفل الحمامات العلوية تتساقط إليها المخلفات البشرية ويصب فوقها دائماً مادة الرماد[٧١] ، وتحتوي بعض المنازل على بئر صغيرة. وفي المنازل التي تطل على الأسواق توجد دكاكين صغيرة الحجم تفتح في الطابق الأرضي من المنزل.

يتم الوصول إلى الطوابق العلوية بواسطة الدرج (سلم)، والتي تبنى بالأحجار، وتدور حول القطب المبني بالأحجار أيضا، والقطب عبارة عن دعامة مركزية مربعة أو مستطيلة مبنية من الحجر ترتفع مع البناء من الأساس حتى سطح الدار عبر دورات متتالية [٧٢].

الطابق الأول:

يرتبط بالطابق الأرضي، وتوجد به غرفة تسمى المحكمة وهي عبارة عن غرفة صغيرة الحجم يصعد إليها بدرج مستقل من الطابق الأرضي، وتكون مغلقة من جميع الجهات عدا الباب وبعض الفتحات صغيرة الحجم، وعادة ما توجد في المنازل الكبيرة التي يتولى أصحابها حل النزاعات بين الناس، كما يوجد به غرفة الديوان المخصص لاستقبال الضيوف في المناسبات الاجتماعية مثل: (الزواج – الولادة – الختان – وغيرها)، كذلك يحتوي على العديد من الغرف التي تستخدم للمعيشة اليومية، وتفتح جميع هذه الغرف بأبوابها على ما يسمى بالحجرة، وتفتح هذه الغرف على الخارج بعدد من النوافذ.

الطابق الثاني:

يتم الوصول إليه عبر سلم صاعد يؤدي إلى حجرة تتوسط الغرف المخصصة لسكن أصحاب المنزل، وغرف المعيشة. وتخطيطه الداخلي شبيه بتخطيط الطابق الأول من حيث وجود الغرف أو النوافذ الأكبر حجماً والأكثر عدداً من الطابق الأول.

الطابق الثالث:

يتشابه في تخطيطه مع الطابق الثاني وتخصص غُرفه أيضا لأفراد العائلة، حيث تفرد للعزاب أو المتزوجين، وفي المنازل التي بها أكثر من ثلاثة طوابق، يستخدم الطابق الثالث للراحة والاستقبال والمقيل، وتكون النوافذ فيه أكبر حجماً من الأدوار السفلية، ومساحة الغرف متفاوتة بين المربعة والمستطيلة.

المفرج (الطيرمانة – المنظر):

تميزت المباني في مدينة ذمار بوجود غرفة صغيرة تسمى (المفرج) وتسمى أيضاً بالطيرمانة أو المنظر، وهي عبارة عن غرفة صغيرة تأخذ الشكل المربع وأحيانا المستطيل، وتعلو معظم البيوت كما في بيوت صنعاء القديمة، وتعد بمثابة استراحة لرب البيت. إذ توجد بها النوافذ الكبيرة التي من خلالها يستطيع المرء مشاهدة أروع المناظر سواءً للمعمار في المنازل المجاورة أو المساحات الخضراء والبساتين الموجودة بالأسفل.ويستخدم أيضا للمقيل والراحة لصاحب المنزل ويستقبل فيه الأصدقاء الأقارب والشخصيات الاجتماعية الكبيرة .

ذروات المنازل:

تبنى في نهاية الطابق الأخير، وهي عبارة عن جدار يحيط بسقف المنزل، الغرض من بنائه هو ستر النساء، وحماية الأطفال من السقوط، وكذا إضفاء طابع الخصوصية للمنزل، ويستخدم سطح المنزل لمتطلبات مختلفة فهو بمثابة الفناء (الحوش). وتعتد الذروة هي المكمل للمنزل والتي توحي بنهاية جميله أبدع فيها المعمار اليمني، لذا نجد تنوع في الأشكال الزخرفية لنهايات المنازل، وتعد زخرفه أشكال النوافذ المعقودة والمصمتة، والتي توجد بينها مشربيات من الآجر، من أكثر النماذج شيوعاً خاصة في المنازل الكبيرة الحجم ذات الطوابق المتعددة.

واجهات المنازل:

تعد واجهات المنازل من المميزات الرئيسة للمنازل في مدينة ذمار، والتي لا تختلف كثيرا عن واجهات منازل مدينة صنعاء بكل ما تحمله من زخارف ومداخل ونوافذ وقمريات ومشربيات صنعت منها لوحة جميلة ورائعة، مع وجود بعض الخصائص الفنية والزخرفية في واجهات المنزل الذماري.

لوحة : (٨) أحد المنازل في مدينة ذمار

المـــداخـــل:

تميزت ببساطتها، واغلبها عبارة عن فتحة معقودة بعقد نصف دائري والبعض منها يعلوه عتب حجري أو خشبي، وتميزت بعض المنازل بوجود كتابات تعلو فتحة المدخل، بالإضافة إلى وجود عدد من الفتحات الصغيرة تعلو فتحة المدخل للتهوية، ويغلق عليها أبواب خشبية، بعضهاعليها كتابات قرآنية أو دعائية أو أدبية، والبعض الآخر نصوص تأسيسية.

النـــوافـــذ:

النوافذ في الطابق السفلي تكاد تكون معدومة باستثناء الفتحات الصغيرة للتهوية، أما الطوابق العليا نجد أن النوافذ تزداد اتساعا وعددا كلما ارتفع مستوى البناء، وتتركز هذه النوافذ في غرف النوم والتي غالبا ما تكون في الجهة الجنوبية وتصغر أو تنعدم في الجهة الشمالية بسبب البرودة. تتخذ النوافذ الشكل المستطيل ويغلق عليها مصراعين من الخشب، وفي الطوابق العلوية يكتنف النافذة فتحتان صغيرتان[٧٣]، اغلبها محلاه بزخارف اكسبتها خصوصية في زخرفة المنزل الذماري[٧٤] ، ويعلو تلك النوافذ عقود جصية نصف دائرية تعرف بالقمريات، معشقة بالزجاج الملون، لتوفير الإضاءة إضافة إلى كونها عنصراً جماليا، وتتخذ القمريات أشكال مختلفة في تصميمها وعناصرها الزخرفية.

المشربيات:

احد العناصر المعمارية الزخرفية تنفذ من الخشب أو الآجر، تتعدد أغراضها فهي الى جانب كونها ساترا للنساء عند الرد على من يطرق على باب المنزل تعد مصدرا للتهوية فضلا عن كونها عنصرا جماليا مميزا، وتتخذ المشربيات أشكالا مختلفة في تصميمها وعناصرها الزخرفية.

الـــرِّيش[٧٥]:

الريشة هي عنصر بنائي معماري عبارة عن ممر مسقوف يقوم بين شوارع وحارات المدينة، وهي من العناصر المعمارية المميزة لمدينة ذمار، وتمثل نقاط تواصل لنسيجها العمراني، ويكثر وجودها في حي الجراجيش، وتعد احد المؤشرات لنمو المدينة عبر التاريخ.

لوحة : (٩) نموذج للريش في مدينة ذمار

المنشآت التجارية:

الســـــوق: يعد السوق القديم احد عناصـــر المدينة القديمة، ويقع في مركزها[٧٦].ويتكون من عدة دكاكين تجارية مكونة من طابق واحد تتراوح ارتفاعاتها بين(٢،٥– ٣،٥ م). معظم الدكاكين بنيت من الحجر واستخدم الطين والجص والقضاض كمادة رابطة، بعض الدكاكين فقدت أهميتها في الوقت الراهن، وأجري لبعضها تعديلات طمست معها الطراز الإنشائي القديم، والقائم منها على الطراز القديم بحاجة إلى ترميم. ويتكون السوق من عدة أسواق متخصصة سواء منها السلعية أو المهنية وهي كالاتي:

أولا: أسواق بيع السلع: يتضمن العديد من الأسواق التي تختص ببيع سلعة معينة، يسمى السوق باسم السلعة التي يباع فيها، ومن تلك الأسواق سوق الحب في الجزء الغربي من السوق الرئيسي[٧٧] ، وسوق القشر يختص ببيع متطلبات إعداد القهوة مثل: القشر (قشور حبة البن) والزنجبيل والقرفة، وسوق اللقمة، وسوق السمن، وسوق البز (القماش) الذي تشكل ألوان

وأشكال معروضاته لوحة فنية تغري المستهلك، وسوق المعطارة، وسوق العلف، وسوق الحطب، وسوق السلاح[٧٨] ، وسوق المجن، وغيرها.

ثانيا: الأسواق الحرفية: تعد الأسواق الحرفية من أهم الأسواق التي توفر الأدوات المهنية ذات الطابع التراثي، مثل أدوات البناء وأدوات الزراعة وأدوات النجارة والأثاث المنزلي .... الخ، ومن هذه الأسواق: سوق الحدادة في الجزء الشرقي من المساحة الكلية للسوق، وسوق السلب (الحبال)، وسوق الجنابي، وسوق المنقالة : يختص ببيع وإنتاج المصنوعات الجلدية مثل الدلاء والأحذية وغيرها.

ثالثا: الأسواق الأسبوعية:

سوق الربوع :ـ وهو عبارة عن سوق أسبوعي يقام كل أربعاء، حيث يتجمع الباعة في مساحة خالية محاطة بالأبنية السكنية والتجارية عدا الجهة الشمالية، التي من خلالها يتم الدخول إلي السوق، يبدأ العمل فيه صباح الأربعاء وينتهي وقت الظهيرة، ويتوقف السوق بعد ذلك حتى الأربعاء التالي، وهكذا، وفي الوقت الحاضر صار سوق يومي نتيجة لزيادة عدد سكان المدينة، مع وجود تميز وزيادة ملحوظة في حركة السوق وعدد مرتاديه في يوم الأربعاء.

السمـــاســـر:

تعد السماسر من المنشآت المهمة التي يجب توفرها في المدن كي يتمكن التجار والمسافرون من الإقامة وتخزين بضائعهم فيها ، وفي مدينة ذمار نجد عدد من السماسر بأنواعها تحيط بالأسواق. بالإضافة الى السماسر التي تقع خارج المدينة، ومن أهم السماسر بالمدينة: (سماسر الأوقاف – سمسرة قرابش – سمسرة الزبيدي – سمسرة ساوي – سمسرة علوي – سمسرة حاذق – سمسرة سلامة).

وتتكون معظم هذه السماسر من طابق واحد، وبعضها يتعدى اكثر من طابق[٧٩] ، بحسب الوظيفة التي تقوم بها السمسرة[٨٠] ،ولايزال عدد منها قائم إلى الوقت الراهن ، واندثر بعضها، ومع التطور العمراني للمدينة لم تعد تستخدم للغرض الذي انشئت لاجله ، واستخدمت اغلبها لاغراض مختلفة منها(معاصر، محلات اومخازن تجارية ...الخ).

المنشـــآت المائيـــة:

تعددت المنشآت المائية بحسب الأغراض التي أنشئت لأجلها بين الآبار والأسبلة والقناطر والقنوات والبرك والأحواض[٨١] ، والتي نجد معظمها ملحقة بالمساجد في مدينة ذمار.

الأسبلـــة:

من المنشآت الإسلامية المتصلة باستخدام الماء وشربه[٨٢] ، فقد جرت العادة عند المسلمين على إقامتها داخل المدن لسقي المارة من باب التقرب إلى الله، أما من حيث موقع السبيل فله ثلاثة أنواع الأول: الملحق بمنشآة أخرى كالمسجد أو المدرسة والثاني: السبيل المستقل والثالث: الملحق بكتّاب، وقد تميزت الأسبلة في اليمن عموما ببساطة التخطيط المعماري[٨٣] ، وفي مدينة ذمار وجدت العديد من الأسبلة التي تنتمي إلى النوعين الأول والثاني، واغلبها من النوع الأول الملحق بالمساجد[٨٤] ، يتم تزويدها بالماء من الآبار الملحقة بالمساجد بواسطة قناة، وهي متماثلة إلى حد كبير بتخطيطها المعماري المكون من مساحة مربعة طول ضلعها يقدر بحوالي (٣متر)، بنيت من الأحجار السوداء (المهندمة وغير المهندمة)، تكونت مساحة السبيل بواسطة أربعة عقود مصمتة بجدران ترتد أحيانا إلى الداخل بمقدار (٥-٧سم) تقريبا، تتخللها ثلاثة شبابيك في ثلاث جهات والرابعة تتحد عادة بجدار المسجد، تستخدم الشبابيك لاغتراف الماء من الخزان الداخلي الموجود في أرضية السبيل المغطاة بالقضاض الذي يمنع تسريب المياه لقلة مساميته وخاصيته في المحافظة على برودة الماء[٨٥]، يتم تحويل المساحة المربعة إلى مثمنة بواسطة أربع مناطق انتقال وهي عبارة عن عتبات في الأركان تعلوها قبة نصف كروية مبنية من الأحجار السوداء الصغيرة تنتهي في مركزها بحجر على شكل هلال، وتعلو تلك الشبابيك نقوش كتابية على الأحجار منها مأثورات دينية وعبارات دعائية والنص التأسيسي للبناء وأحيانا توقيع الأسطى الذي قام بالبناء من تلك العبارات (بسم الله، ما شاء الله، سبيل مستمر غفر الله لفاعله). ألحقت بهذه الأسبلة أحواض أبعادها (٣×٢،٥ متر) تقريبا وبأعماق تصل إلى متر تقريبا لشرب الحيوانات المارة، وغالبا ما يتم الصعود إلى تلك الأسبلة بواسطة درج، وفيما يلي استعراض لنموذج منها.

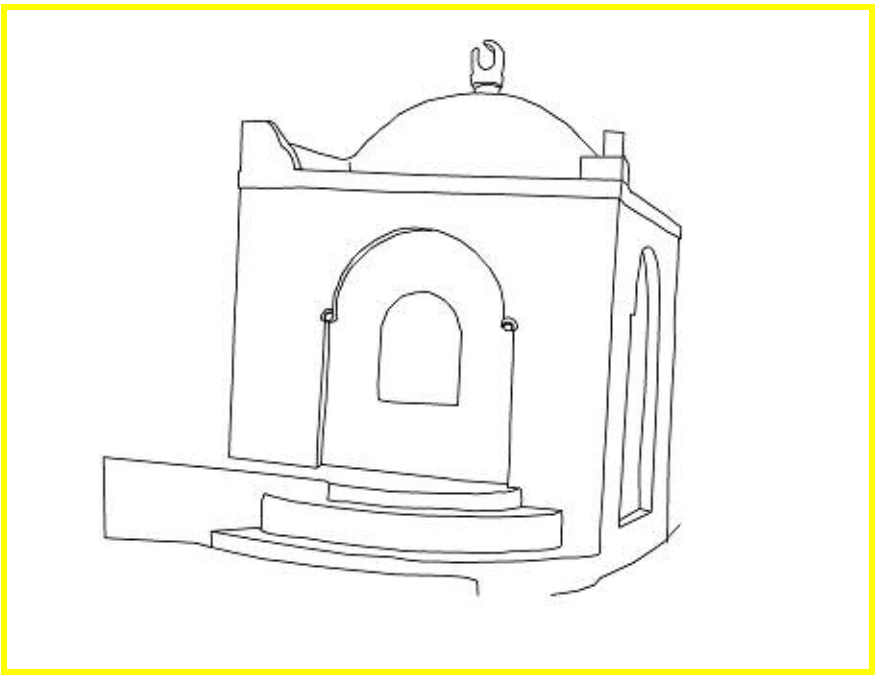

شكل : (٧) نموذج للسبيل

سبيل مسجد الربوع: من الأسبلة الملحقة بمنشاة، يقع السبيل في الجهة الغربية من مسجد الربوع بجوار المطاهير والبئر، ويطل على الشارع المؤدي إلى سوق الربوع من خلال ثلاث واجهات هي الشمالية والجنوبية والغربية، يتميز بصغر حجم قبته، حليت عقود شبابيكه الثلاثة بالحجارة البيضاء، يستخدم المارة الشباك الجنوبي – الشباكين الغربي والشمالي مغلقين – ظهرت نقوش على جدران السبيل الثلاثة أعلى الشبابيك بالنحت البارز وكما يلي :

الواجهة الغربية:

- السطر الأول : بسم الله الرحمن الرحيم.
- السطر الثاني : عمل الأسطى ضيف الله ... محمد تاريخه شهر صفر ١٣٤٥هجرية.

الواجهتان الجنوبية والشمالية: (سبيل مستمر غفر الله لفاعله).

سبيل خارج إطار المسجد:

هناك عدد من الأسبلة تبنى مستقلة عن أي منشاة أخرى، ومنها الأسبلة التي تقام في الأسواق أو على الطرقات، بالإضافة إلى الأسبلة المقامة في مداخل المقبرة، وسوف نتطرق لأسبلة السوق والتي تتشابه مع الأسبلة الملحقة بالمساجد من ناحية الوظيفة إلا أنها تختلف عنها في الحجم والمساحة والموقع ويمكن إيجاز مميزاتها في الآتي:

- تبنى في الأماكن أو المساحات الفارغة في الأسواق، وأحيانا تبنى في مداخل الأسواق ومخارجها، وتكون أحيانا ملاصقة لجدران الدكاكين.
- تخطيطها بسيط جدا، إذ تتكون من مساحة مربعة لا يزيد طول ظلعه عن مترين، وذلك لضيق المساحة التي تقام فيها، الأمر الذي ينعكس على قلة العناصر المعمارية، وصغر فتحات النوافذ، وغياب الأحواض التي تتقدم أسبلة المساجد.
- يتم تزويدها بالمياه يدويا.

أما أسبلة المقبرة فتتشابه مع النوعين السابقين، إذ تتشابه مع أسبلة المساجد في كون مساحتها كبيرة، وتتشابه مع أسبلة السوق في تزويدها بالمياه يدويا.

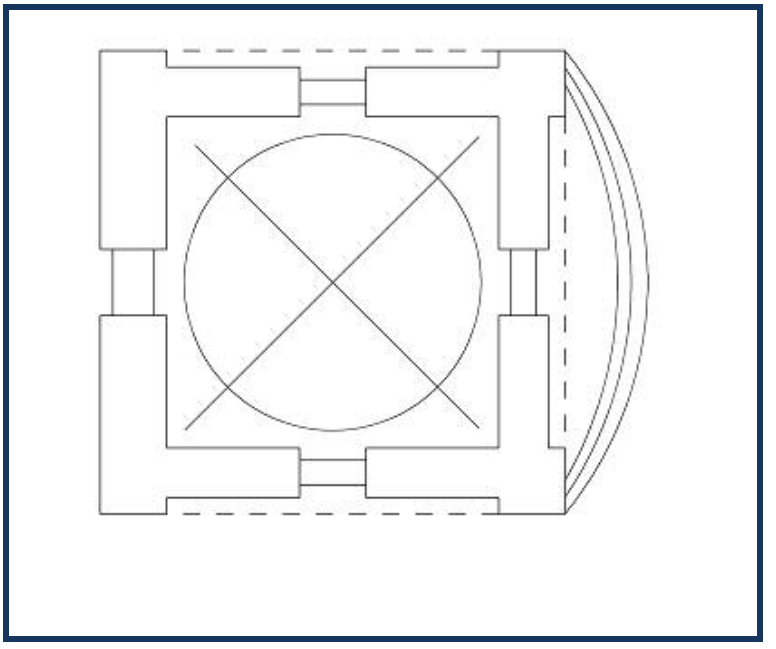

شكل : (٨) مسقط لأحد الأسبلة في مدينة ذمار

الآبـــــار:

اعتمدت مدينة ذمار اعتماد رئيسياً على المياه الجوفية عبر مختلف العصور، خصوصا في غياب مصادر المياه كالأنهار أو السدود، ولعل ما لفت انتباه الهمداني في مدينة ذمار أن مياه آبارها تنال باليد، وفي الوقت الراهن تشتهر مدينة ذمار بنقاء وعذوبة مائها. ويلحق بالآبار المرانع، والقناطر.

الوصف المعماري للآبار:ـ

عبارة عن حفرة عميقة، يصل عمقها إلى ٢٠مترا، يتم بناء جزء منها بالاحجار، وأحيانا يتم بناءها بالكامل، وتنتهي بفوهة البئر (حائط مبني من الحجر يدور حول فتحة البئر باستثناء الجزء المقابل للمرناع، ويثبت في ذلك الجدار المكرة الخاصة بسحب الماء من أسفل البئر.

١- المرناع : ويعرف بالمدرج، وهو عبارة عن منحدر يسير لمسافة تتساوى مع عمق البئر، وتكون نهايته مع خروج الدلو الممتلئ بالماء والذي يصب في الحوض .

٢- القناطر: عبارة عن سلسلة من العقود، وأحيانا تتكون من عقد فقط تحمل هذه العقود ساقية (مجرى مياه)، وظيفتها نقل المياه من البئر إلى أماكن الاحتياج، وتعد قناطر مسجد قبة داديه من أجمل الأمثلة للقناطر، والتي تتكون من مجموعة من العقود، مازالت قائمة إلى الوقت الحاضر، إلا انه تم الاستغناء عنها بعد أن أزيلت المطاهير القديمة للمسجد.

الحمامات العامة :ـ ويمكن تقسيمها إلى قسمين :ـ

الأول:- الحمامات الموجودة في منطقة السوق القديم -الحمام الكبير والصغير- والحمامان متجاوران إلا أنهما مستقلان في مداخليهما، يقعان في حي الجراجيش، تم بناؤهما في فترة الوجود العثماني، يتكون كل منهما من مجموعة غرف متفاوتة الأحجام والمساحة، تغطيها قباب بها فتحات معشقة بالزجاج تسمح بمرور الضوء، كل غرفة تحمل مسمى معين حسب وظيفتها، كغرفة الخلع التي تختص بخلع الملابس، وتوجد فيها (دكة) حجرية مرتفعة مخصصة لجلوس مسئول الحمام، تليها غرفة (الكياس) أو التصفية

وتوجد فيها أحواض المياه الساخنة، وتتصل بغرفة الخزانة والتي تعد أهم الغرف لأنها أكثر الغرف سخونة، ويتم الدخول إليها أولا للاسترخاء والتدليك.

الثاني:- يقع في منطقة قاع اليهود وهو الآن مهدم بسبب عدم الاستخدام، ولم يبق منه سوى بعض العناصر المعمارية (القبة)، وهو يختلف عن النوع الأول بصغر حجمه وموقعه بين المباني السكنية .

وبعد هذه الإلمامة القصيرة عن أبرز المعالم الآثارية الإسلامية التي تزخر بها مدينة ذمار، لا بد من التنويه إلى أن هناك كم كبير مما تحويه هذه المدينة من آثار إسلامية، لا زال بحاجة إلى كثير من الاهتمام والعناية، خاصة من قبل الدارسين، إذ إن تناول مثل هذه الآثار بالدراسة والبحث، من شأنه أن يضيء جوانب من التاريخ اليمني لمَّا يكشف عنها الغطاء بعد، خاصة إذا ما عرفنا مقدار ما كان لذمار من حضور قوي، في كثير من حوادث التاريخ اليمني.

وفي نهاية هذا البحث لا يسع الباحث إلا أن يتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأخ الأستاذ صلاح الكوماني الذي لم يبخل في تزويد الباحث بما احتاج إليه من صور ومخططات لبعض المنشآت التي شملها البحث.

المـــراجـــع :

١. ت. ج. ويلكنسن، ك. ايدينز، م. غيبسن: آثار المرتفعات اليمنية تسلسل زمني تمهيدي، دراسات في الآثار اليمنية، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء، ٢٠٠١، ص ٩٧-١٨٥.

٢. ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر لابن المجاور، الطبعة الثانية، اعتنى بتصحيحها: اوسكر لوففرين، منشورات المدينة ، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٩٠، ١٩١. ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، تح/ عبد الواحد وافي بيروت(د .ت)، ص ٤٢٣-٤٣٥.

٣. ابن المجاور : تاريخ المستبصر، ص١٩٠..

٤. هو الإمام المنصور مجمد بن علي السراجي الوشلي، ولد سنة ٨٤٥ هجرية وكانت وفاته في سجن عامر بن عبد الوهاب سنة ٩١٠هجرية. الشوكاني، محمد بن علي : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق: حسين عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر، الجزء الثاني، بيروت ،١٩٩٨م، ص١٠٤، الوجيه ،عبد السلام عباس:، أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط١، عمان الأردن' ١٩٩٠م.ص٦٩٦.

٥. ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي: بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦ميلادية، ص١٩٠، ١٩١.

٦. الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٠م،ص٢٠٦.

٧. الحي: عرف هذا المصطلح في اليمن وفي بعض الدول العربية، كما يعرف في أخرى بالبلوك، وقديما عرف بالخطط.

٨. كان كل حي منفصل عن الآخر ولكنها اتصلت ببعضها في الوقت الحاضر بعد أن كثر العمران واتسع نطاقه وأنشأت أحياء جديدة في جميع الجهات. الأكوع، إسماعيل بن علي: المدارس الإسلامية في اليمن، منشورات جامعة صنعاء، ١٩٨٠م.ص٣٧٠.

٩. تسمية (القاع) أطلقت على التجمعات السكنية لليهود بالمدن اليمنية.

١٠. عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن أبي الحسن، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، المكتبة اليمنية، صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.ص٦٧.

١١. يقع هذا المسجد في الجزء الجنوبي الشرقي للمدينة القديمة، في حي الحوطة غربي الجامع الكبير بذمار.

١٢. يقع المسجد جوار مسجد وقبة الإمام الحسين ابن القاسم وهما الاثنان يقعان غرب الجامع الكبير بمدينة ذمار، في حي الحوطة.

١٣. من عمارة بعض أمراء الأتراك، ولها أوقاف جليلة في بلاد خبان،الحجري، محمد بن علي : مجموع بلدان وقبائلها، تحقيق: إسماعيل بن علي الاكوع، الجزء الأول، مكتبة الإرشاد، صنعاء ،٢٠٠٤م، ص٣٤٤.

١٤. الأسد بن إبراهيم بن أبي الهيجاء الكردي هو والد فاطمة بنت الأسد زوجة الإمام صلاح الدين ومن محاسنها عمارة مسجد الأبهر بصنعاء. الحجري، مجموع بلدان اليمن، (ج١، ص٣٤٤).

١٥. يقع هذا المسجد في أعلى الجراجيش في ذمار وسماه مسجد الرضوان ولكنه يسمى الآن مسجد الجديد وانتهى من عمارته في سنة ١٢٠٩هـ قبيل وفاته. حيدره، شرف الدين الحسن بن الحسين(ت١١٧٠-١٢٢١هـ)، مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء ذمار ومن قرأ فيها وحقق من أهل الأمصار، تحقيق: عبد الله بن عبد الله الحوثي، الطبعة الأولى، دار الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. ص٢٦٥.

١٦. يقع هذا المسجد في حي الجراجيش وكان تاريخ بنائه في عام ١١٢٧هـ. الاكوع، إسماعيل بن على الاكوع: - هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج٣، بيروت ،١٩٩٥م، ص١١٨٠.

١٧. تولى القضاء في ذمار للإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم مدة طويلة وتولى القضاء في اليمن السافل. حيدره، مطلع الأقمار، ص١٤٧.

١٨. خليفة، ربيع حامد، مساجد مدينة صنعاء في فترة الوجود العثماني الأول ١٥٣٨م ١٦٣٥م، مكتبة النهضة، جامعة القاهرة.ص٢٧.

١٩. الرازي، احمد بن عبد الله: تاريخ صنعاء، ط٣، تحقيق: حسين العمري، دار الفكر المعاصر، دار الفكر دمشق، ١٩٨٩، ص١٣٩. يكتنف تاريخ بناء الجامع الكبير بذمار الكثير من الغموض فلم يورد الحسن الهمداني اي ذكر لجامع ذمار، في الوقت الذي ذكر فيه بان معاذ بن جبل بنى مسجداً في نقيل صيد وهو في طريقه إلى الجند، الهمداني، الاكليل، ج ٨، ص١٣٢، ومأذكره يعد اشاره ربما يُهتدى من خلالها. وقد ناقش ذلك كلا من : بربارة فنستر والتي خلصت بالقول إلى ان بناء جامع ذمار يرجع إلى الصحابي الجليل معاذ بن جبل الذي بنى جامع الجند في السنة الثامنة للهجرة Finster Barbara: Die Grosse Moschee von dammar، Archaologische Berichte aus dem Yemen III، ١٩٨٦، p١١٧.؛ شيحة، مصطفى عبد الله، مدخل إلى العمارة والفنون في الجمهورية اليمنية، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٥٢والذي لم يصل إلى راي واضح في هذا الصدد. وتأسيسا على ما ذكره الرازي وما خلصت اليه بربارة وإشارة الهمداني يكون بناء مسجد في ذمار من باب أولى قبل بناء مسجد نقيل صيد. وعليه يمكن أن نخلص بأن بناء الجامع الكبير بذمار واقع بين سنتي ٦-٨هجرية على الارجح.

٢٠. يتردد كثيرا القول بان المسجد من بناء الصحابي دحية الكلبي،. شيحة:، مدخل إلى العمارة والفنون، ص٥٢.
.

٢١. شيحة، مدخل إلى العمارة والفنون ص٥٢-٥٧.

٢٢. عمارة، المفيد، ص٦٩

٢٣. شيحة، مدخل إلى العمارة والفنون، ص٧٥.

٢٤. خليفة،، ربيع حامد: منبر خشبي نادر، الإكليل، ع ، ص ١٠٥-١١٠. بربارة فنستر : المصدر السابق ،ص١٢٥-١٢٩.

٢٥. شيحة، مدخل إلى العمارة والفنون، ص٥٢-٥٧. خليفة، ربيع حامد : الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص٧٣-٧٤.

٢٦. التجديد الأخير أزال جميع آثار المسجد القديم ولم يتبقى سوى تخطيطه الذي تعدل قليلاً.

٢٧. المنبر حاليا في المتحف الإقليمي لمحافظة ذمار في حالة رثه يحتاج إلى ترميم، علما بان كثير من أجزائه قد فقدت وخاصة الطرز القديمة.

٢٨. الأول منبر جامع القيروان بتونس للمزيد انظر: خليفة،، ربيع حامد: منبر خشبي نادر، ص ص ١٠٥-١١٠

٢٩. بربارة فنستر :،ص١٢٥-١٢٩،غيلان حمود غيلان: الأخشاب المزخرفة باليمن (٢٦٥-٥٣٢هـ/٨٧٨-١١٣٧م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٦م، ص ٤٩

٣٠. غيلان : الأخشاب، ص ٥٢.

٣١. خليفة، مساجد صنعاء، ص٢٨.

٣٢. من المساجد التي كان يدرس بها مسجد الإمام يحيى بن حمزة ومسجد المتوكل عل الله الإمام المطهر بن محمد بن سليمان.

٣٣. عماد الدين كنية تطلق على من كان اسمه يحي، وهي ثقافة شائعة في بعض المناطق مثل ذمار وصنعاء وصعده اذ يطلقون بعض الكنى تخصيصا على بعض الاسماء ، فعماد الين لمن كان اسمه يحي، وعز الدين لمن كان اسمه محمد وجمال الدين لاسم علي وتختصر الى العماد والعزي والجمالي.

٣٤. الشوكاني، البدر الطالع، (ج٢/ ١٨٤، ١٨٥).

٣٥. الأكوع، إسماعيل : هجر العلم،(١/ ٥٠١).

٣٦. الشوكاني، البدر الطالع، (ج٢/ ١٨٤). الوجيه، أعلام المؤلفين، ص١١٢٤. الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات اليمني، صنعاء. ص٥٦٤.

٣٧. الشوكاني، البدر الطالع، (ج٢/ ١٨٥).

٣٨. الوجيه، أعلام المؤلفين، ص١١٢٤. الحبشي، مصادر الفكر، ص٥٦٤.

٣٩. يشغل الجزء الجنوبي الشرقي من مساحة البنية ضريح الامام يحيى بن حمزة.

٤٠. خليفة، مسجد الأمير سنبل وقبة داديه، ص٥٤.

٤١. الحجري، مجموع بلدان اليمن، (ج١/).

٤٢. خليفة، مسجد الامير، ص٥٥.

٤٣. هناك العديد من الإشارات التاريخية تذكر انه كان يتم التدريس في مسجد الإمام يحيى بن حمزة، وكذلك مسجد الإمام المطهر. الأكوع، المدارس الإسلامية، ص٣٨٨.

٤٤. بن شرف الدين ،عيسى بن لطف الله بن المطهر: روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتوح (مخطوط) وزارة الإعلام والثقافة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م،ص١٢.

٤٥. (١) الأكوع، المدارس الإسلامية، ص١٤١.

٤٦. (١) الحضرمي، عبد الرحمن : مدينة زبيد في التاريخ، الإكليل، يناير ١٩٨٠م،ص١٠٤. اليماني عبد الواسع بن على الواسعي : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ط٢، ١٩٩٠م ص٢١٨.

٤٧. الأكوع ، المدارس الإسلامية، ص٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٥.

٤٨. الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، ص١١٤٣.

٤٩. الأكوع : المدارس، الاسلامية، ص٣٦١

٥٠. البهنسي، صلاح احمد، المسجد (المدرسة)الشمسي بذمار (٩٤٧هـ/١٥٤٠م)، مجلة الإكليل العدد(٢٧)، وزارة الثقافة، صنعاء، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.ص٨١.

٥١. جار الله، عبد الرحمن حسن : المسجد المدرسة دراسة الفروق الإنشائية –رؤية جديدة، الاكليل،ع٢،٢٠٠٢م،ص٧٤.

٥٢. البهنسي، المسجد الشمسي، ص٨٢.

٥٣. البهنسي، المسجد الشمسي، ص٨٣.

٥٤. الحداد، عبد الله عبد السلام: مقدمة في الآثار الاسلامية، دار الشوكاني للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى، صنعاء، ٢٠٠٣م ، ص٢٦.

٥٥. أشاد الإمام الشوكاني بالحسين بن القاسم واثنى على مؤلفاته. الشوكاني، البدر الطالع، (ج١/١٥٤، ١٥٥)

٥٦. خاض والده الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد العديد من الحروب ضد العثمانيين، حتى تمكن ابنه الإمام المؤيد بالله من إخراجهم عام ١٠٤٥هجرية، وذلك بمساعدة اخوانه الحسن صاحب ضوران والحسين موضوع الدراسة، للمزيد عن تلك الحروب انظر، الشوكاني، البدر الطالع، (ج١/١٤٣، ١٥٤)

٥٧. الأكوع، هجر العلم، (ج٢/١٠٧٢).

٥٨. الحداد، مقدمة في الآثار الإسلامية، ص١٣٨، ١٣٩.

٥٩. الأرابسيك :هي الزخرفة على هيئة حليات نباتيه متشابكة ومتكررة بانتظام ، ليس لها بداية ولا نهاية وتعرف بعدة أسماء منها التوريق العربي ، التزويق العربي ، الرقش العربي..

٦٠. القران الكريم، سورة الحج، الاية (٧٧).

٦١. خليفة، ربيع: الفنون الزخرفية اليمنية، ص٩٨

٦٢. خليفة : الفنون الزخرفية اليمنية، ص ٩٦.

٦٣. خليفة: الفنون الزخرفية اليمنية، ص١١٦.

٦٤. كان المصلى القديم للمدينة يقع جنوب المقبرة وشمال المدرسة الشمسية، إلا انه أزيل في فترة متأخرة.

٦٥. غالب، ياسين : دراسة أولية لمدينة ذمار ومكوناتها،(بحث مقبول للنشر) ص٢٠.

٦٦. حيدرة، مطلع الأقمار، ص٥٣.

٦٧. حيدرة، مطلع الأقمار، ص١٨٩.

٦٨. الحداد، مقدمة في الاثار الاسلامية، ص٤٣، ٥٠.

٦٩. غالب ياسين، دراسة أولية لمدينة ذمار، ص١٧.

٧٠. تسمى بالمفهوم المحلي (أحجار الجعم).

٧١. المطاحن: عبارة عن قطعتين حجريتين دائريتي الشكل توضع إحداهما فوق الأخرى وفي مركز القطعة العليا يوجد فتحة لدخول الحبوب منها وللقطعة العليا أيضا ممسك من الخشب لعملية التحريك الدائري باليد، أما القطعة السفلى مثبته في مكان مرتفع من الأرض وبها ساقية صغيرة لخروج الدقيق.

٧٢. الرماد: وهو بقايا الأخشاب المحترقة والتي تصبح شبيهه بالتراب ذات اللون الرمادي لكي تكتم الرائحة الكريهة الناتجة من تجمع المخلفات لذلك فهي مقفلة من جميع الاتجاهات عدا وجود فتحة صغيره من الجهة الخلفية للمنزل يتم التنظيف من خلالها وغالباً ما كانت توجد هذه الغرفة في الجهة الشمالية من الطابق الأرضي.

٧٣. شيحة، مدخل الى العمارة والفنون، ص٥٧.

٧٤. تعرف بالشواقيص .

٧٥. غالب، ياسين: دراسة اولية لمدينة ذمار، ص١٤

٧٦. تعرف في المصطلح المعماري الأثري بالساباط، الحداد، مقدمة في الآثار الإسلامية، ص١٣٥.

٧٧. يتوسط السوق الأحياء الثلاثة الرئيسية لمدينة ذمار، ويشغل مساحة تقدر بنحو(٣٠،٠٠٠) متر مربع تقريبا، ويعد من ابرز المعالم الرئيسية التي تميزت به مدينة ذمار لما له من دور حضاري واقتصادي اثر في ازدهار المدينة عبر مختلف العصور، والسوق يضم عدداً من الأسواق الفرعية تختلف مسمياتها حسب وظيفة كل سوق منها ونوع الصناعات التي ينتجها، وبعض من تلك الأسواق مسقوف والبعض الآخر مكشوف، ويتميز سوق مدينة ذمار بضيق شوارعه وعدم استقامتها وتبليطها.

٧٨. عبارة عن أزقة ضيقة تحتوي علي مخازن كبيرة لخزن الحبوب وبيعها على، وتم عرضها في أوعية حديدية كبيرة متجاورة يوضع علي كل واحد نوع من أنواع الحبوب.

٧٩. سوق السلاح :- ويحتوي هذا السوق علي دكاكين ضيقة مرتفعة عن الأرض بعدة درجات .

٨٠. رغم العدد الكبير للسماسر في مدينة ذمار إلا أن تخطيطها بسيط عبارة عن مساحة مستطيلة يقوم سقفها بواسطة بائكة أو بائكتين من العقود، والتي تحملها عدد من الأعمدة والدعامات، ويوجد في داخلها مطبخ صغير وحمام، بالإضافة إلى إنها تستقطع جزء منها بواسطة الخشب(مسطبة) لإقامة التجار والمسافرين.

٨١. خصصت بعض السماسر لإقامة المسافرين فقط مع أدواتهم وإغراضهم، والبعض الآخر كانت تستخدم لإقامة التجار وفي الوقت نفسه يقوم التجار بعرض بضائعهم فيها، واقتصر دور بعض السماسر على تخزين البضائع فقط..

٨٢. الحداد، مقدمة في الآثار الإسلامية، ص٧٤..

٨٣. نويصر، حسني محمد: العمارة الاسلامية في عصر الايوبيين والمماليك، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٦٨..

٨٤. الحداد، مقدمة في الاثار الاسلامية، ص٧٦.

٨٥. منها: سبيل الجامع الكبير، سبيل مسجد عماد الدين، سبيل مسجد الاميرسنبل، سبيل مسجد الطعام، سبيل مسجد لقمان، سبيل مسجد الصلاحي، سبيل مسجد القحيف، سبيل مسجد الناصر. سبيل مسجد الجلاني، سبيل مسجد الربوع...الخ

٨٦. الارياني،مطهر: مادة قضاض، الموسوعة اليمنية ،ج٢، موسسة العفيف، صنعاء، ١٩٩٢م، ص ٧٧٠.

تاريـــــخ ذمـــــار

ذمـــار و أبـــرز قبائلـــها و مراكزهـــا الحـــضارية في التـــاريخ القديم

د/ أحمـــــد صالـــح العبـــادي

ذمـار في الإســـلام حتـى أواخـر القـرن الثالـث الهجـري

أ.د . عادل محيي الدين الألوسي

الحيـاة الـسياسية والعلميـة في ذمـار في عهـد الـدويلات المستقلة بحكم اليمن من سنة ٢٢٥ ـ ٩٢٣ هـ/ ٨٤٠ ـ ١٥١٧م

د. محمـد أحمـد طاهـــر الحاج

مدينة ملحظ ((ذمار الصغرى)) مركز حكم ولاية الـيمن في عهـــــد الـــــوالي العثمـــــاني بهـــــرام باشـــــا (٩٧٨ـ ٩٨٣هـ /١٥٧٠ـ ١٥٧٥م)

أحمـــد صـــالح عبدربه المصري

ذمار في التاريخ الحديث أحوالها السياسية و الاجتماعيـة و العلمية

أ.د صـــادق ياســـين الحلـــو

ذمـــار و ابـــرز قبائلهـــا
و مراكزها الحضارية في التاريخ القديم

د/ أحمـــد صالـــح العبـــادي*

تسميـة ذمـــار

ذمار بفتح أوله و ثانيه و الراء المهملة مكسورة ، اسم مبني و هي مدينة معروفـــة باليمن ، و قيل (ذمار) اسم لـــ (صنعاء) ، و صنعاء كلمة حبشية بمعنى(حصين وثيق) أطلقها الأحباش على (صنعاء) عندما رأوها عند قدومهم إلى اليمن مع (أبرهة) و (أرياط)[١].

ويذكر (ياقوت الحموي)[٢] أن (ذمار) مسماة بذمار بن يحيى بن يحصب بن دهمـــان بن سعيد بن عدي بن مالك بن سدد بن حمير بن سبأ ، و ذمار قرية جامعة بها زروع و آبار قريبة ينال ماؤها باليد و يسكنها بطون من حمير[٣] .

و قد فسر لنا (ابن منظور)[٤] معنى كلمة (ذمار) بقوله : و الذمار ذمار الرجـــل ، و هو كل ما يلزمه حفظه و حياطته و حمايته و الدفاع عنه وإن ضيعه لزمه اللوم ... و يقـــال الذمار ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه لأنهم قالوا حامي الذمار، كما قـــالوا حـــامي الحقيقة و سمي ذماراً لأنه يجب على أهله التذمر له و سميت حقيقة لأنه يحق علـــى أهلهـــا الدفاع عنها .. و ذمار نسبة إلى ذمار بن دهمان أحد أقيال حمير[٥] .

((و هي المدينة الفيحاء ، و اليتيمة العصماء ، ذات الوجـــه البهـــي ، و الهـــواء النقي، جميلة المنظر ، حسنة المخبر ، صافية الأديم ، نزهة عذبة المياه ، من أمهات الـــيمن التي تلحق بالعاصمة صنعاء ... و كانت مملكة باذخة ، و غرّة شامخة ، كما جاء في المسند : لمن ملك ذمار ؟ لحمير الأخيار ....الخ ، أطلقت على قطر اليمن كاملاً ، كمـــا أنهـــا همـــزة وصل بين مشرق اليمن و مغربه و شماله و جنوبه ، فهي أشبه ما تكون في قلب الـــيمن ، و

---

* أستاذ التاريخ القديم المساعد –نائب عميد كلية الآداب للشؤون الأكاديمية–جامعة ذمار.

تبعد عن صنعاء جنوباً بثلاث مراحل لطاف ، و تقع في فضاء واسع ، عامر بالسكان ، آهلة بالعلم و العرفان و موئل للأدباء و ذي اللسن ، و لايزال فيها علماء و حملة أقلام ، ورواة شعر و قراء ومحدثون ، و تجار أبرار))[٦] .

و يذكر الهمداني[٧] ((..وأولاد يحصب بن دهمان: بولس و جهران و ذمار ، وبه سميت ذمار))

أما القول بأن (ذمار) سميت بذلك الاسم نسبة إلى الملك (ذمار علي) ففيه شيء من الصحة و لكن هناك عدد من الملوك السبئيين و الحميريين الذي حملوا ذلك الاسم ، نذكر منهم: في العهد السبئي :

١. ذمار علي وتر يهنعم (ذمار علي ينف)
٢. ذمار علي بيّن
٣. ذمار علي ذرح
٤. ذمار علي يهبر (يهبأر) في العهد الحميري / عهد ذي ريدان[٨] .

فإلى أي من أولئك الملوك يمكننا أن ننسب تسمية مدينة (ذمار) ؟

يبدو للباحث أن مدينة (ذمار) سميت بذلك نسبة إلى المكرب السبئي (ذمار على وتر يهنعم) لاسيما أن بعض الدراسات قد توصلت إلى أنه أقدم ملوك سبأ و ذي ريدان المعروفين، و أن ارض الكيان السبئي كانت في زمانه تشمل كل الهضبة الغربية تقريباً، بدليل أن أرض قبيلة (مقرى) الواقعة غرب مدينة (ذمار) كانت تابعةً له ، و أن سبأ كانت تهيمن دون منازع على كل الهضبة الغربية[٩] ، بضمنها (ذمار) الحالية و ما حولها ، و قد أرجع بعض المؤرخين مدة حكم المكرب السبئي (ذمار على وتر يهنعم) أو (ذمار علي ينف) إلى حوالي (٦٨٠) ق . م[١٠].

و قد ورد اسم (ذمار) في النقوش السبئيه و الحميرية بـ (ذمار / ذمري) ، على سبيل المثال (Ja:٥٧٦) و (Ja:٥٧٧) التي ذكرت مدينتي (ذمار) و (هرّان) في أكثر من موضع ، أثناء الصراع السبئي ــ الحميري ، الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً .

موقع مدينة (ذمار) القديمة

تقع مدينة (ذمار) إلى الجنوب من العاصمة اليمنية (صنعاء) بمسافة (١٠٠)كم تقريباً، وقد شيدت في الجانب الشمالى الشرقي من قاع (بلسان) في وادي الجنات" على ما اعتقد" الذي يمتد طولياً من الغرب إلى الشرق في ذات اتجاه مجرى المياه للوادي المعروف في الوقت الحالى بـ (وادي الجناة)[١١] .

و إلى الشمال من مدينة (ذمار) يقع حصن (هِرّان) الأثري الذي يبعد عنها بمسافة (١)كم تقريباً ، و إلى الجنوب تقع قرية (ذمار القرن) على بعد (٤)كم تقريباً (شكل/١،٢)، و إلى الشرق تقع قرية (الملة) و إلى الشمال قرية (يفع) التي تنسب إليها عشيرة (يهفرع) المنتسبة إلى قبيلة (مقرى) (مهقرم)[١٢] .

و سنأتى على ذكر هذه المدن و القرى و القبائل لاحقاً و قد توصلت بعض الدراسات، من خلال تحليل المعطيات النقشية و الأثرية و الإخبارية ، أن قرية (ذمار القرن) الحالية ، التي أصبحت شبه متصلة بمدينة (ذمار) الحالية من جهة الجنوب ،هي ذاتها (ذمار) القديمة ، لاسيما أنها تقع في مكان مرتفع حصين الأمر الذي يتفق مع التحصينات الدفاعية الحميرية ، إذ كان الحميريون (الريدانيون) يحرصون على تشييد مدنهم و قلاعهم و حصونهم على الأماكن المرتفعة و الوعرة صعبة المنال بالنسبة للأعداء ، و هو الأمر الذي لا يتفق مع موقع مدينة (ذمار) الحالية التي شيدت مبانيها في قاع منبسط تماماً[١٣] .

ويعتقد الباحث أن ذلك يحمل شيئاً من الصواب ، و أن مدينة ذمار الحالية تم تشييدها في عهد الإسلام و أنها كانت أرضاً زراعية لـ(ذمار) القديمة منذ العصر الحميري على الأقل.

وقد ورد ذكر(ذمار القرن) لدى المؤرخ الآثاري (الهمداني)[١٤] ، الذي أوضح الفرق بينها وبين (ذمار المخدر) بقوله (.. و ذمار القرن قرية قديمة خراب و أما ذمار المخدر فغيرها..) .

و(ذمار المخدر) بفتح الميم و سكون الخاء المعجمة و آخره راء، هي اليوم خرابُ' يبابُ' تقع إلى الشمال الغربي من مدينة (ذمار) الحالية بمسافة (٤) أميال تقريباً و فيها هي و(ذمار القرن) آثار حميرية[١٥] ، و يبدو أنها كانت أحد المواقع الحميرية أما (ذمار القرن) فقد قامت إحدى الدراسات الأثرية التي أجريت على الموقع ، بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام[١٦] :

١. القسم الشرقي : و هو أكبر الأقسام مساحة و يكاد يكون خالياً من المباني المستحدثة و تتوسطه (بركة) مياه محفورة في الصخر و مغطاة بطبقة من القضاض، و تنتشر على سطح هذا القسم مباني مندرسة شيدت بأحجار كبيرة الحجم و غير مهندمة ، كما تنتشر به قطع الفخار التي تعود إلى ما قبل الإسلام ، و تتضح بصورة جلية آثار السور القديم الباقية على حافة الجبل و بخاصة في الناحية الجنوبية الشرقية ، و كان يتم الدخول إلى ذلك القسم من مدخل عبر بوابتين إحداهما شرقية و هي الرئيسة و ما تزال بقايا أحد جدرانها الجانبية ماثلة للعيان ، و البوابة الأخرى جنوبية و يمكن مشاهدة آثارها على السور و يدل حجمها الصغير على أنها كانت بوابة فرعية ، و كان لهذا القسم طريق رئيس عبر (النقيل) الذي يوصل إلى الموقع، و ما يزال بصورة سليمة في الناحية الشرقية ، و هو ممر يصعد بصورة متعرجة من أسفل الجبل حتى يصل إلى البوابة الرئيسة في الناحية الشرقية ، و يوجد به برج للحراسة (محفد) تم تشييده مستقلاً عن جدار السور و على مقربة من البوابة الرئيسة و قد شيد بشكلٍ مربع بحيث يشرف على الناحيتين الشرقية و الشمالية ، كما توجد به مقبرتان صخريتان متجاورتان[١٧] .

٢. القسم الغربي : و هو أكثر الأقسام وعورة و يعد محصّناً طبيعياً فالمنحدرات تحيط به من النواحي : الشمالية و الجنوبية و الغربية ، و تتميز المباني الموجودة به بطابع إسلامي، و قد استعملت في بنائها الأحجار الأثرية التي كانت مبنية بها المباني القديمة ، و يوجد به سور شيد فوق أساس السور القديم ، و كما هو الحال بالنسبة للمباني فقد تم تشييده من الأحجار الأثرية للمباني القديمة ، و توجد به عدد من الأبراج الدائرية الشكل وبكل برج عدد من الفتحات (المز اغل) التي كانت تستعمل لرمي السهام و غير ذلك من وسائل الدفاع ، و تقع البوابة الرئيسية للسور في الناحية الشمالية و يتقدمها برج متصل بالسور يحجب الرؤية عن القادمين إلى القرية ، و به خزانان (بركتان) لحجز المياه محفورتان في الصخر ، و خارج السور يوجد (مأجل) خزان آخر محفور في الصخر و يسمى (مأجل الدنان)[١٨] .

٣. القسم الأوسط : و يتألف من مساحة منبسطة من الأراضي تنتهي بانحدارات شديدة في نواحيها الشمالية و الغربية ، و أقل من ذلك في الناحية الشرقية ، أما الناحية الجنوبية فتتصل بالجبل ، و توجد به عدد من المباني من أهمها مبنى تم تشييده فوق أساس

مبنى حميري قديم، وبه خزان مياه (مأجل) لتجميع المياه محفور في الصخر ، وبه آثار لسور قديم شيد بأحجار مهندمة و بأسلوب البناء المتدرج ، و ذلك بهدف التحصين الإضافي للناحية الشمالية[١٩] .

من ذلك نجد أن موقع (ذمار القرن) هو ذاته موقع مدينة (ذمار) القديمة ، و أنه كان أحد المواقع الحميرية (الريدانية) المهمة ، وذلك يتضح من خلال التحصينات الكبيرة التي أحيط بها الموقع ، و هو الأمر الذي يتفق مع الأيدلوجية الحميرية (الريدانية) الدفاعية و التحصينية المتبعة في المدن و المواقع الحميرية الأخرى[٢٠] و ذلك مما يجعلنا نفترض إن تشييد مدينة (ذمار) القديمة قد تم زمن الحميريين و ليس قبل ذلك .

و بالقرب من (ذمار القرن) إلى الشمال منها بمسافة كيلو متر واحد تقريباً تقع مدينة (هرّان) ، و حصنها الأثري السالف الذكر ، التي ورد ذكرها لدى (الهمداني الصفة ، ص ١٥٢) أثناء حديثه عن ميزاب اليمن الشرقي (.. و هّران بسواد ذمار ..) ، و بها حصن ما يزال يؤدي مهمته و هو جبل بركاني مع سواده و كانت به قرى عامرة و قصوراً عالية ،و كانت تقطنه قبيلة (جُنب) التي كان لها دور تاريخي بارز حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، ثم توالت عليها المحن فانتقلت إلى مغرب عنس ، و في (هّران) آثار حميرية[٢١] .

مخاليف (ذمار) و أبرز قبائلها :

تحدث (الهمداني) عن مخاليف ذمار و فصّل فيها و ذلك أثناء حديثه عن (ذمار) إذ قال: ((.. ورأس مخاليفها بلد عَنْس و ساكنه اليوم بعض قبائل عَنْس بن مذحج ، و يقال إنه منسوب لعنس بن زيد بن سدد بن زُرعة بن سبأ الأصغر ، و هو مخلاف نفيس كثير الخير عتيق الخيل كثير الأعناب و المزارع و المآثر..))[٢٢]

و يذكر (الهمداني)[٢٣] أن بلاد عنس تتوسط حمير و من بطون عنس : يسران و ضبيان و لبؤة و مداقة و نشران و تبين و أذنه ، و قد فصّل في نسب عنس و أولاده ، إذ قال((.. و أما أولاد عنس بن مذحج لصلبه : فجشم رهط الأسود بن كعب المتنبي ، و سعد الأكبر و سعد الأصغر و عمرو و عامر و معاوية و مالك و عتيل و شهاب و عزيز و يام و القِريّة و عُينيل دخيل و هو من همدان ..))[٢٤] .

بينـــــون :

يذكر المؤرخون أن بينون ضمن مخلاف (عنس) وأنها ضمن مآثر بـــلاد عـــنس[٢٥]،و تقع شمال شرق (ذمار)[٢٦] في مديرية (الحداء) ، وقد تغنى الشعراء بقـــصر بينـــون إذ قـــال الشاعر :

أبعـــد بينـــون لأعـــينُ و لا أثر و بعد سلحين يبنى الناس بنيانا[٢٧]

و قصر بينون من أبرز قصور(اليمن) القديمة و أشهرها(شـــكل/٣) ، و قـــد اســـتدل بعض الباحثين من خلال تحليلهم للمعطيات النقشية و الأثرية لاسيما نقش من (بينون) مؤرخ بحوإلى (٣٠٥)م من عهد الملك الحميري (شـــمر يهـــرعش) (ملـــك ســـبأ و ذي ريـــدان و حضرموت و يمنت) ، بأن القصر الملكي (بينون) كان يتألف من خمسة طوابق (أســـقف) و قاعتين ، و يحيط بالقصر عدد من المحافد (الأبراج ــ نوبات الحراسة) التي شيدت من ثلاثة طوابق ، كما اشتمل القصر على البساتين المحيطة به فضلاً عن (خزّانين) (بئرين) للماء ربما كانت تستعمل لحفظ مياه الشرب، و تدل الآثار على بقايا لعدد من خزّانات المياه المنتشرة في منحدرات جبل (بينون)[٢٨].

ويبدو أن مدينة (بينون) كانت تحتل أهمية خاصة بين المدن الحميرية منذ عهد الملـــك (ياسر يهصدق) (ملك سبأ و ذي ريدان) الذي يرجع بعض المؤرخين حكمه إلى حوالي(٧٠) أو(٨٠ ميلادية[٢٩] ،لاسيما أن (بينون) تقع ضمن قبيلة (شداد) (الحداء) المحاربة ،ويـــستدل بعض الباحثين من خلال الدراسات النقشية ، أن مدينة (بينون) تعرضت للتـــدمير مـــن قبـــل الجيش السبئي آنذاك ، الأمر الذي يؤكد أهمية المدينة و تدعيمها بمحافـــد (أبـــراج) جديـــدة تتناسب وحجم التهديدات السبئية التي كانت تواجهها المدينة[٣٠] .

وتعد مدينة (بينون) اقرب المدن الحميرية إلى العاصمة السبئية[٣١] (مأرب) ، و مـــن المحتمل أنها كانت مركز تجمع لقوات قبيلة (شداد) و حلفائها إذ يحـــدثنا الـــنقش (Ja:٦٤٤) عن هجوم شنه (الحيعثت بن سمهسمع) ومعه قبيلته (شددم) (شداد) ، على قصر (ســـلحين) في (مأرب) ، غير أن قبيلة (غيمان) تمكنت من صدهم و دحرهم ، ثم هاجمتهم فـــي منطقـــة (كومنن)[٣٢] ، أي (كومان) أحد القرى في مديرية (الحداء)[٣٣] .

ومن المحتمل أن هجوم قوات (شداد) على مأرب ، قد ألّب عليها ملوك (ســـبأ) الـــذين أوغزوا لقبيلة غيمان القريبة من قبيلة (شداد)بطردها من (مأرب) و ملاحقتها حتى أراضـــيها

في (كومان) ، و يبدو أن التحصينات الدفاعية التي أمر ببنائها الملك (ياسر يهصدق) ، كانت نتيجة لتلك المواجهات العسكرية بين السبئيين و الحميريين[٣٤] .

ومما تقدم نجد أن مدينة (بينون) كانت تحتل أهمية كبيرة في استراتيجية الدولة الحميرية لوقوعها ضمن أراضي قبيلة (شداد) المقاتلة التي عُرفت بشدة مراسها ، و كون (بينون) تقع على خط المواجهة مع (سبأ)، لذلك اهتم ملوك حمير ببنائها و تحصينها[٣٥] و يذكر المؤرخون ، أن (أسعد الكامل) (بن ملكيكرب يهأمن) (٣٨٥ــ٤٢٠)م موحد اليمن، أقام في قصر ريدان بـ (ظفار) العاصمة الحميرية و في قصر (بينون) ، و ربما كانت تعد (بينون) على حد رأي فريق من المؤرخين ، العاصمة الحميرية الثانية إلى جانب (ظفار)[٣٦].

و يبدو أن الحميريين كانوا يتخذونها عاصمة لهم ثانية لاسيما عند اشتداد الصراع بينهم و بين السبئيين، و ربما كانت أيضاً مدينة للخلوة والاستراحة بعيداً عن مشاغل العاصمة (ظفار) وهمومها ، و قد وجدت البعثات الأثرية في (بينون) عدداً من اللقى الأثرية ، غير أن أهم الآثار الموجودة بها ، بقايا القصر الذي كان يعد أروع مبنى في المدينة ، و المعبد الذي يقع أسفل القصر الملكي الذي لم يبق من جدرانه سوى جدار واحد و نفقين أحدهما مسدود و الآخر مفتوح(شكل٤،٥) ، و قد وجد الباحثون صعوبة في تحديد زمن هذين النفقين[٣٧] .

ألهان و مقرى :

ورد ذكر هذا المخلاف لدى (الهمداني ، الصفة ، ص ٢٠٨) ((مخلاف ألهان و مقرى هو مخلاف واسع ينسب إليه غربي حقل جهران مثل ذي خشران و معبر ، و ألهان في ذاتها بلد واسع و مجمعها الجبّ جب ألهان و يسكنها ألهان بن مالك أخو همدان و بطون من حمير و قراها تكثر ، و مقرى يسكنها آل مقرى بن سميع ...)) و جبل ألهان في شمال (آنس) في عزلة (حمير) يعرف بخصوبة تربته و وفرة سكانه[٣٨].

و في نسب مقرى يذكر (الهمداني)[٣٩] ، :((فأولد سميع بن الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث : مُقرى زنة مُعطى ، وهو عبد الله بن سميع ..)) و كانت ديار قبيلة (مُقرى) إلى الغرب من (ذمار) و إلى الجنوب من (ألهان) ، و هي ضمن أراضي (حمير) ، و قد جاء ذكرها في النقش (RY:٥٩١) و صاحب النقش هو (ألهان بن يهفرع) من قبيلة (مقرى) ،و

قد وصفوا بني يهفرع في النقوش الحميرية بأقيال (مقرى) و هو ما نجده في النقش (CiH; ٥٦٩) ، و في نقش آخر من (مصنعة مارية) غرب (ذمار)[٣٩] .

و تمتد أراضي مقرى و ألهان على شكل قوس نصف دائري أو شبه منحرف يبدأ من غرب (ذمار القرن) و يمتد نحو (سمعان /مصنعة مارية) مروراً بضوران آنس و ينتهي بـ(ضاف) أسفل نقيل يسلح ، و يعدان (قاعي جهران و ذمار) الجزء المهم في هذه القبيلة ، نظراً لما يختزناه من مياه جوفية كثيرة و أراضي زراعية خصبة ، و يمكن القول أنها تشمل منطقتين : الأولى معسج (سائلة معسج) التي تتألف من وادي غرب مدينة (ذمار) ، و تضم في مجموعها قرى تشكل ــ حالياً ــ في أعمالها مركزاً من مديرية (عنس) مثل : دفينة و خرار و مارية و ميفع و خرابة المقادشة و مروحان ، و المنطقة الثانية : (آنس)
و هي بلد واسع يقع إلى الجنوب الغربي من (صنعاء) ، و كانت بلاد (آنس) قديماً تعرف بمخلاف (ألهان و مقرى)[٤٠] .

و بنو مقرى قبيلة من حملة العلم يسكنون (عُتمه) إلى الغرب من (ذمار)[٤١] .

سمعان (مصنعة مارية):

تقع مصنعة مارية إلى الغرب من مدينة (ذمار) الحالية ، و يقال لها (مصنعة أسعد)[٤٢] أي مصنعة (أسعد الكامل)(أسعد أبو كرب) التبع اليماني المعروف السالف الذكر ، و تقع على قمة هضبة مرتفعة محصنة طبيعياً و تحيط بها أراضي زراعية خصبة ، وتبلغ مساحتها حوالى (١٥-٢٠) هكتار ، وقد أكدت البعثات الأثرية بأن موقع مصنعة مارية يعد مدينة متكاملة العناصر ، إذ تتناثر في خرائبها آثار متنوعه ترجع إلى عصور متباينة[٤٣] .

ولكن العصر الحميري يعد الأكثر بروزاً ووضوحاً في آثار مدينة سمعان ، إذ إن الموقع يشمل أساسات لمباني شيدت بأحجار مهندمة بدقة كبيرة و مهارة عالية و إتقان كبير و بما يتناسب مع الأهمية السياسية و الحضارية للمدينة في العصر الحميري[٤٤] .

وقد توصلت بعض الدراسات النقشية من خلال دراستها لأحد أقدم النقوش التي عثر عليها في جدران قرية مارية ، إلى أنه يرجع إلى عهد الملك الحميري (شمر يهحمد) ملك سبأ و ذي ريدان الذي حكم المناطق الحميرية في النصف الأول من القرن(الثالث) الميلادي و الذي واجه الحميريون في عهده هجمات قوية و متكررة من قبل قوات ملوك سبأ لاسيما (أيل

شرح يحضب الثاني) و أخيه (يأزل بين) ملكي سبأ و ذي ريدان ، فضلاً عن ذلك تنتشر على جدران قرية(مارية) المجاورة للمصنعة نقوش متعددة بعضها يرجع إلى منتصف القرن (الرابع) الميلادي ، و من خلال المعلومات التي أوردتها تلك النقوش ، اتضح أن مدينة (سمعان/ مصنعة مارية) كانت تابعة لقبيلة مقرى[٤٥]،ويتضح من خلال الدراسات النقشية أن المدينة شهدت إزدهاراً منذ عهد الملك الحميري (شمر يهحمد) ، من أبرز معالمه شق و رصف (مناقل / طرق) جبلية متعددة من أجل ربط المدينة بما حولها من المناطق لاسيما الغربية ذات الطبيعة الجبلية الوعرة ، و يبدو أن ذلك قد تم في عهد الملك (ثاران يهنعم) في مطلع القرن (الرابع) الميلادي[٤٦] .

وقد توصلت بعض الدراسات إلى أن (مقرى و ألهان) هما فرعان لقبيلة سبئية رئيسة هي(بكيل) ، التي تعد أحد الأفرع(الثلاثة) للمجموعة القبلية (سمعي) التي كانت تقطن الهضبة الغربية لبلاد العرب الجنوبية ، و قد كان لها دور بارز أثناء الصراع السبئي الحميري[٤٧] .

مهـــأنف :

قبيلة (مهأنف) (آنس) من القبائل المعروفة التي ورد اسمها في عدد من النقوش ، منها النقش (Ja:٥٧٦/٦,٧) الذي يتحدث عن الصراع الدائر بين الملك الحميري (شمر يهحمد) (شمر ذو ريدان) و الملك السبئي (أيل شرح يحضب) الذي شن هجوماً على قبيلة (مهأنف) ، و إنه هو و جيشه قتل و سبى و غنم غنائم حققت له الرضا، ثم عادوا من أراضي (مهأنف) و صعدوا نقيل (ذي يلرن)[٤٨] إذ اقتحموا بلدة (تعرمان) و قتلوا كثيراً من أعدائهم و سبوا و أسروا كل رجالها و نسائها و أطفالها ، ثم توجهوا نحو مدينة (نعض)[٤٩]، ثم توجه الملك (أيل شرح يحضب) مرّة أخرى من مدينة (نعض) على رأس قواته إلى أراضي قبيلة (مهأنفم /مهأنف) وكانت قواته تتألف من المشاة و الفرسان ، و سيطروا على مدينتي (عثى) و(عثر)[٥٠] ، و أسروا وغنموا منها كثيراً ، ثم تركوها واتجهوا نحو مدينة(مذرحم)،(مذرح) و هي مدينة عشيرة (مذرح / مذرحم) فحاربها و حارب قبيلة (مهأنف) التي فرت إلى مدينة (ضفو/ ضاف) فاقتحمها و غنم منها غنائم كثيرة ، ثم غادرها إلى مدينة (يكلا ، يكلئ) [٥١] حيث وجد بعض زعماء (ريدان) و بعض كتائب (حمير) فالتحم

بهم و هزمهم في منطقة (مرحض/ مرحضان) ثم تعقبهم حتى (يكلا) ، ثم عادت قوات (أيل شرح) إلى مدينة نعض حيث معسكرها الدائم[٥٢] .

ويبدو أن تلك الصدامات التي دارت بين (شمر يهحمد) و (أيل شرح يحضب) قد حدثت في المنطقة الممتدة من (نقيل يسلح) شمالاً إلى مدينة (ذمار) و بخاصة في منطقتى (آنس / مهأنف) و (الحداء / شداد) بضمنها (قاع جهران) التابع لقبيلة (مهأنف)[٥٣] .

أوضاع ذمار و القبائل المحيطة بها أثناء الصراع السبئي ـ الحميري :

مما لاشك فيه إن (ذمار) و القبائل المحيطة بها ، كانت خاضعة للنفوذ السبئي و ذلك قبل نشوء الكيان الحميري الريداني في (ظفار) (منكث) شمال شرق مدينة (يريم) الحالية، عام (١١٥) ق . م .

و قد أخذ بنو (ذي ريدان)[٥٤] (الحميريون) يوسعون نفوذهم على حساب السبئيين شيئاَ فشيئاً لاسيما باتجاه الشمال حتى أصبحت (أرض حمير) التي ترددت في النقوش ، تمتد شمالاً حتى شمال قاع جهران لتضم أراضي القبائل القاطنة هناك مثل : (مهأنف) (قاع جهران / آنس) و (مهقر / غرب ذمار) و (شداد ، شدادم / الحداء) و كافة المناطق الواقعة إلى الجنوب من نقيل يسلح[٥٥] و يمكن القول إن الحميريين كانوا قد تمكنوا من الاستيلاء على الهضبة و على المناطق الجنوبية من اليمن الممتدة على البحر الأحمر[٥٦] بضمنها (ذمار) و ما حولها .

و يظهر أن التوسع الريداني / الحميري في أراضي (سبأ) قد أدى إلى التصادم بين الكيانين السبئي و الحميري لاسيما إن ملوك حمير من الريدانيين قد حملوا لقب (ملك سبأ و ذي ريدان) الأمر الذي زاد الوضع تعقيداً و تؤكد النقوش التي بين أيدينا إن (ذمار) و القبائل المحيطة بها ، كانت جزءاً من الصراع المحتدم بين السبئيين و الحميريين ، وهو صراع على اللقب الملكي المزدوج المعروف بـ (ملك سبأ و ذي ريدان) .

و يتألف ذلك اللقب على ما يبدو من جزئين : الأول قديم و معروف و هو (ملك سبأ) الذي يرجع إلى ما قبل الميلاد ، أما الثاني و هو (ذو ريدان) فهو لقب زعماء (حمير / الريدانيون) ، و نجده في النقوش السبئية ، إذ كان يطلقه ملوك سبأ على خصومهم من (بني ذي ريدان) (الحميريين) الذين يحملون اللقب المزدوج ذاته (ملك سبأ و ذي ريدان)[٥٧] .

ويتضح لنا ذلك بصورة جلية في حالة الملك الحميري (ذمار علي يهبر) ملك سبأ و ذي ريدان ، المعاصر لـ (وهب آل يحوز) و (سعد شمس أسرع) و ابنه (مرثد يهحمد) ملوك سبأ ، و كذلك الحال بالنسبة لـ (شمر يهحمد) ملك سبأ و ذي ريدان الحميري ، الذي وصف في نقوش خصومه السبئيين بـ (شمر ذي ريدان)[٥٨] .

من ذلك نجد إن حمل اللقب الملكي المزدوج لدى الجانبين السبئي و الحميري ، مع تبادل عدم الاعتراف من كل جانب للآخر بشرعية حمله ذلك اللقب ، أدى إلى عدم اعتراف كلا الفريقين بالآخر . فالسبئيون يصفون الملك الحميري بأنه (ذو ريدان) و الحميريون يصفون الملك السبئي بأنه (ملك سبأ)[٥٩] فحسب .

وفي مرحلة لاحقة ، لابد أنها جاءت بعد حروب بين (سبأ) و(حمير) ، أدت إلى انكماش (سبأ) و فقدانها كل الأراضي الواقعة إلى الجنوب من نقيل يسلح ، بلغ النفوذ(الحميري / الريداني) أقصى امتداد له باتجاه الشمال فأصبحت الأراضي الواقعة جنوب نقيل يسلح بضمنها (ذمار) و قبائلها تعرف في النقوش بأرض حمير[٦٠] * .

و ببلوغ الحميريين أنحاء (ضفو / ضاف) شمال قاع جهران أصبحوا يسيطرون على رقعة كبيرة من الهضبة الواقعة جنوب الكيان السبئي مباشرة ، و يجاورون من هناك مناطق (ولدعم / القتبانيين) و(ردمان) و (خولان) و(مضحى) التي استولت عليها حمير بعد الملك (شعر أوتر) الذي لا يبعد زمن حكمه عن عام(٣٠) ق.م[٦١] ، فضلاً عن الأراضي التي كان الحميريون قد سيطروا عليها من قبل ، و هي التي تطل على البحر و بخاصة (المعافر / الحجرية) التي كانت تعد الحبل السرّي الذي كان يربط (حمير) بمصادر التجارة من خلال الموانئ و الاتصال ببلاد (عزانيا) (الحبشة) التي كانت إلى ما قبل التدخل الحبشي في شئون اليمن ، جزءاً أكثر اندماجاً في النظام التجاري الدولي من خلال الدولة الحميرية .[٦٢]

ذمار و القبائل المحيطة بها أثناء الصراع بين (شمر يهحمد)** ملك حمير و (الشرح يحضب) ملك سبأ:

لمعرفة أحوال ذمار و دورها أثناء الصراع السبئي ـ الحميري لاسيما في عهد الملكين السبئي (أيل شرح يحضب) و الحميري(شمر يهحمد) لابد لنا من العودة إلى النقوش التي دونت أنباء الصراع بين الملكين المذكورين و من ثم معرفة دور قبائل(ذمار) و

أوضاعها في ذلك الصراع ، و أول النقوش التي ينبغي العودة إليها ، نقش (بيت ضبعان/ إرياني/ ٤٠)[٦٣]

الذي جاء فيه : ((هذا هو القيل شرحعتث يأمن الذرانحي من (بني ذرانح) أسياد القصر (أحرم) و أقيال قبيلة (ذمار) المرابعين لتحالف (قشم) ــ وهو يعلن إنه قد ــ بنى و أسس و أعاد و جدد و أنجز و زين مصنعتهم المسماة (تعرمان)بكل دورها ، و محافدها و سورها صهريجها ، وذلك بعد أن دمرها و أتلفها(أيل شرح يحضب) ملك(سبأ) أثناء الحرب التي كانت قائمة بين ملوك (سبأ)و(بني ذي ريدان) و جيوشهما ، في وقت سابق لهذا اليوم ، وقد أكملوا وتوجوا البناء الحجري المهندم في مدة شهرين اثنين أثناء مدة التحكيم بين المتحاربين وقد أنجزوا هذا العمل بمباركة وعون الآلهة (عثتر الشارق) و(ليل)و (سميدع) و(ذات بعدان)وإلههم الخاص (عثتر عزيز ذي جأوب) سيد المعبد (ذي طرر) و أله أمطارهم (ريمان) و (شمسهم) كما تم ذلك بعون سيدهم (شمر يهحمد) ملك سبأ وذي ريدان و بعون و قوة قبيلتهم (ذمار)حلفاء قشم)).

ونجد أن الملكين (أيل شرح يحضب) و (شمر يهحمد) تلقبا معاً بلقب (ملك سبأ وذي ريدان) ، وعاشا متصارعين صراعاً عنيفاً بل كان يهدف كل منهما إلى القضاء على الآخر والسيطرة على أملاكه ،ويبدو أنهما كانا متكافئين من حيث القوة و المكانة.[٦٤]

والقيل (شرحعتث يأمن الذرانحي)من أسرة (بني ذرانح) التي ورد ذكرها في نقوش أخرى على سبيل المثال (Ja: ٦٢٩ / ٤٠) ومن هذه الأسرة يكون أقيال قبيلة (ذمار) (ذمري)[٦٥] ، وقد ورد نسب أسرة (بني ذرانح) لدى (الهمداني)[٦٦] : ((فأولد بينون المتبوع بن منياف شهران و ذرانح و أعرب ينَكف بني بينون : ثلاثة نفر... و أولد ذو ذرانح بن بينون : هَكِر و يَهْكر و يهكار ، بني ذي ذرانح ثلاثة نفر...)) .

أما القصر (أحرم) فلا يُعرف مكانه ، غير إن بعض الدارسين يرون أنه ربما يكون بالقرب من مدينة (رداع) حيث يوجد هناك جبل يعرف باسم (احرم) ، لاسيما أنه لا يبعد كثيراً عن سياق النقش و موطن أصحابه[٦٧] .

و فيما يتصل بـ (المرابعين لتحالف قشم) الواردة في النقش فيبدو أنها أتت من (المرابعة) و هي ضرب من التحالفات القبلية التي كانت سائدة بين القبائل ، و أما (قشم) فاسم لتحالف قبلي أوسع يدخل ضمنه (بنو ذرانح) و قبيلتهم (ذمار)[٦٨] .

وبشأن مصنعتهم (تعرمن / تعرمان) فهي (بيت ضبعان) ، إذ كانت موقع عسكري متقدم ، أحرز به الملك (شمر يهحمد) توغلاً في مناطق نفوذ الملك السبئي (أيل شرح يحضب) ،و تجاوز به سلسلة الجبال التي تعد التحصين الأول لمدينة (صنعاء) للمتقدم نحوها من ناحية الجنوب ، و قد حرص (شمر يهحمد) و أنصاره من بني ذرانح على إعادة تعمير ذلك الموقع العسكري ، كما حرصوا على التمسك به استعداداً لاستئناف القتال ؛ لأن الهدنة التي كانت بين الطرفين المتحاربين ، لم تكن إلاّ فرصة لالتقاط الأنفاس و إعادة ترتيب الصفوف و المواقع ، لذلك بادر القيل (شرحعثت يأمن الذرانحي) إلى إعادة بناء (التعارم) وتحصينها بشكل يدل على الاستعداد للحرب ولما يحتمل أن تتعرض له من الحصار[٦٩] .

ويبدو أن (مصنعة التعارم) قد تعرضت بعد ذلك للدمار الشامل ، وذلك ما نستنتجه من نقوش ملك (سبأ) (أيل شرح يحضب) ذاته التي تدل على أن الحرب قد استؤنفت بين الجانبين، بسبب نكث العهود و الإخلال بشروط الهدنة التي كانت مبرمة بينهما[٧٠] .

ونجد أن كلمة (ذمار) (ذمر) وردت في النقش مرتين ، ويرجح الأستاذ (مطهر الإرياني)[٧١] إن المراد بها (ذمار) المدينة الحالية المعروفة[٧٢] ، وإن هذا الاسم (ذمار) كان يشمل المدينة مع التجمع السكاني المجاور لها أو المحيط بها الذي يعرف الآن باسم (عنس مشرقها ومغربها) و (الحداء وشداد) ، وربما قاع جهران أيضاً[٧٣] .

ولمعرفة وجهة النظر السبئية في ذلك الصراع ومن ثم معرفة أوضاع (ذمار)والقبائل المحيطة بها لابد لنا من العودة إلى النقوش السبئيه وبخاصة النقشين (Ja:٥٧٦) و(Ja:٥٧٧) اللذين صورا سير أحداث ذلك الصراع.

و لنبتدئ بالنقش (Ja: ٥٧٦) الذي دون انتصار ملكي (سبأ) (أيل شرح يحضب) و أخيه (يأزل بين) ابني (فرع ينهب) ، على القبائل الحميرية ، و الملك (شمر يهحمد) ،إذ يخبرنا النقش المذكور،أنه بينما كان الملك السبئي (أيل شرح يحضب) مع جنوده في معسكره بين (مأرب) و (صنعاء) ، أرسل (شمر ذي ريدان) الملك الحميري كتائب من حمير إلى الأرض المحيطة بمدينة (باسن / بوسان)[٧٤] لتقوية دفاعاته هناك ضد (سبأ) ، فاتجه (أيل شرح يحضب) بسرعة على رأس جيشه نحو المدينة المذكورة و اقتحمها و أسرو غنم هو و جيشه منها ، ثم توجه نحو (درجعن / درجعان) فلم يجد بها أحد يحاربه ؛ لأن جيش الحميريين كان قد انسحب منها ، فاتجه (أيل شرح) من هناك إلى أرض (مهأنف/ مهأنفم)

التي أرسل إليها قوات سريعة غزتها و أسرت و غنمت منها غنائم كثيرة ، ثم اجتازت (منقلن يلرن / يلران)[٧٥] قاصدة (تعرمن ، تعرمان)[٧٦] فاقتحمها و أسرت أهلها ثم عادت محملة بالغنائم إلى مدينة (نعض)[٧٧] ، وعاد (أيل شرح يحصب) مرة أخرى فخرج من مدينة (نعض) على رأس جيشه ، لغزو القسم الشرقي من أرض (قشمم / قشم)[٧٨] ، ثم عاد إلى معسكره في مدينة (نعض)[٧٩] .

كما خرج (أيل شرح يحضب) على رأس جيشه المتألف من المشاة و الفرسان من مدينة (نعض) و غزى أرض (مهأنف / مهأنفم) في قاع جهران و استولى على مدينتي (عثى /عثر) و غنم منها غنائم كثيرة ، تم اتجه نحو قبيلة (مذرحم /مذارح) و حاربها هي و قبيلة (مهأنف) التي فرت إلى مدينة (ضاف / ضفو)[٨٠] ، واستولى عليها وغنم منها غنائم كثيرة ، ثم توجه إلى مدينة (يكلاء/ يكلئ)[٨١] ، حيث وجد بعض زعماء (ريدان) وكتائب (حمير) فاشتبك معهم و هزمهم في (مرحضن) (مرحضان) وتعقب فلولهم حتى بلغ (يكلاء /يكلئ) ثم عاد إلى مدينة (نعض) معسكره الدائم .[٨٢]

انتهز الحميريون فرصة انسحاب قوات (أيل شرح يحضب) إلى (نعض) ، وفاوضوا زعماء (يكلا / يكلئ) واتفقوا معهم على الانتقام من السبئيين ومهاجمة وادي(سرنجرم /سرنجر) فأسرع الملك (أيل شرح)نحو (يكلأ) ، فبلغه أن زعماءها لم يكونوا على وفاق مع حمير وإنما دفعوهم عنهم ، فعاد الملك (أيل شرح)إلى (نعض) ثم غادرها إلى (صنعاء)[٨٣] .

وعندما كان الملك (أيل شرح) في (صنعاء)علم بأن (شمر ذي ريدان) أرسل (رسلاً) إلى ملك (أكسوم) (عذبت /عذبة) طالباً منه مساعدته في حرب ملك (سبأ) (أيل شرح يحضب)، لذلك قرر الأخير العودة من (صنعاء) ومباغتة (شمر ذي ريدان)ومن معه من قبائل (ردمان) و(مضحى)[٨٤] ، و في ذات الوقت أرسل (أيل شرح) رسلاً إلى ملك (أكسوم) (عذبة)[٨٥].

و قد هاجمت قوات (أيل شرح) سهل (حرور) و (أرصم /أرص) و (درجعان / دار جاعان) و تغلبت عليهم و أسرت و غنمت ، ثم سار(أيل شرح) مع الجيش حتى منطقتي (قريب) و (قرس / قريس) وردم آبارهم ، ثم بعد ذلك اتجه (أيل شرح) نحو أرض (يهبشر) و (مقرى) و (شدادم / شداد) و أخذ منهم أسرى و غنائم ، ثم اتجه نحو بيت (رأس) ، فاستولى عليها مع حصونها و أبراجها و استولى على مدينة (راسو) ،ثم توجه بعد ذلك نحو بيت

(سنفرم / سنفر) ، ثم نحو مدينة (ظلم) التي وجه إليها قوات كبيرة من المشاة بقيادة كبار ضباطه و تم الاستيلاء عليها ، و تم دحر قوات (شمر ذي ريدان)[٨٦] .

وجمع (شمر ذي ريدان) جيشه و مساعديه من قبائل (حمير) و (ردمان) و(مضحى) لصد جيش (أيل شرح يحضب) و عسكر بهم في السهل الواقع بين (هرّان) و (ذمار / ذمار القرن) (أي في موقع مدينة ذمار الحالية) ، و قد رأى ملك (سبأ) (أيل شرح يحضب) أن يباغت قوات الحميريين المتجمعة في ذلك السهل ، فسار على رأس جيش يتألف من (ألف و خمسمائة) جندي و (أربعين) فارساً و عدد من الأقيال ، و التقى بـ (شمر ذي ريدان) و معه (ستة عشر ألف) جمل و من معه من قبائل (حمير) و(ردمان) و(مضحى)[٨٧]

و من الواضح أن هذه القبائل كان لها دور بارز في القتال[٨٨] ضد السبئيين، غير أن (أيل شرح يحصب) باغت جموع الحميريين ، وفر بعض الريدانيين إلى وسط مدينة (ذمار / ذمار القرن) ، وبذلك مُني الجانب الحميري بهزيمة أجبرته على الانسحاب إلى وراء أبواب مدينة (ذمار) (ذمار القرن) الحالية، وقد ذهب قسم من جيش (أيل شرح يحضب) لمطاردة (شمر ذي ريدان) الذي تحصن في (ذمار القرن) ، بينما ذهب القسم الآخر من الجيش ممن أصابهم التعب و الإرهاق جراء المعارك العنيفة بين الجانبين إلى معسكرهم في (انحرم / انحر) و (طريدم / طريد)[٨٩] و في نهاية النقش (Ja:٥٧٦) عبارة ناقصة ، ولم يتسنَ لنا معرفة ما حدث بعد ذلك بسبب التلف الذي أصاب نهاية النقش ، غير أن العبارة الناقصة التي في نهاية النقش المذكور أتت بقيتها في النقش (Ja: ٥٧٧) الذي يبدو أنه يكمل أحداث النقش السابق إلاّ إن هذا النقش أيضاً قد أصاب مقدمته التلف فلم يتسنَ معرفة بدايته ، إذ تبدأ الأنباء الواردة به بـ : و قتل فرسه المسمى (وحاض) ، ثم توجهوا إلى مدينة (زخنم /زخم) و ألحقوا بحاميتها من كتائب (حمير) و(مضحى) و(ردمان) ،خسائر فادحة و حصلوا منها على غنائم أسعدتهم و نالت الرضا و الإعجاب لدى الملك السبئي (أيل شرح يحضب) ، وبعد ذلك توجه الملك (أيل شرح يحضب) و معه نخبة من جنوده إلى (ترزنن /ترزن)[٩٠] .

من ذلك نجد أن النقش يشير بوضوح إلى أن (شمر ذي ريدان) الملك الحميري قد قُتل فرسه (وحاض) مما يدل على الهزيمة التي مني بها الجيش الحميري في (ذمار) ، بل إن الجيش السبئي قام بملاحقة الحاميات الحميرية حتى مدينة (زخنم /زخم)[٩١] وهزموا حاميتها من قبائل (حمير) و(ردمان) و(مضحى) المساعدة للجيش الحميري[٩٢].

و يبدو أن الملك السبئي (أيل شرح يحضب) قد اكتفى بالنصر الأخير على خصومه الحميريين ، فعاد إلى قاعدته (ربما نعض) في حين ذهب قسم من جيشه إلى مدينة (ترزنن / ترزن) للاستراحة بعد القتال العنيف الذي أرهقهم[٩٣] .

يتضح لنا مما سبق أن النقشين (Ja : ٥٧٧) و (Ja : ٥٧٦) متصلان ، و يمكن اعتبارهما نصاً رسمياً واحداً لأحداث مرحلة كاملة ، إذ إن بقية أخبار الصراع بين (سبأ و حمير) التي أوردها النقش (Ja : ٥٧٦) زمن الملك الحميري (شمر يهحمد) ، أتت في (الثلاثة) السطور الأولى من النقش (Ja : ٥٧٧)[٩٤] .

وهكذا نجد أن الجولة الأخيرة التي قام بها الملك السبئي (أيل شرح يحضب) بجيشه (الخميس) و معه الأقيال على أراضي (حمير) و(ردمان) و(مضحى) ، قد امتدت هذه المرّة لتصل المعارك إلى قلب قاع جهران و إلى (مقرى) الواقعة غربي مدينة (ذمار) ، بل إن القوات السبئيه بلغت بعد ذلك مدينة (هِران) شمال مدينة (ذمار) و كذالك طالت مدينة (ذمار / ذمار القرن) ذاتها ، إذ حدثت أول مواجهة معروفة بين الملكين الحميري (شمر يهحمد) و السبئي (أيل شرح يحضب) ، و على الرغم من الدور البارز التي أبدته قبائل (حمير) و (مضحى) و(ردمان) في القتال مع الجيش الحميري ، إلاّ إن الجانب الحميري و ملكه (شمر يهحمد) مُني بهزيمة أجبرته على التراجع إلى ما وراء أبواب مدينة (ذمار) التي احتمى بأسوارها[٩٥] .

أما فيما يتصل بما ورد في النقشين من أسماء أصقاع و مدن هاجمها أو اقترب منها السبئيون ،فمعظمها لم يتيسر التعرف عليها ؛ لأنها أما زالت من الوجود تماماً ولم تعد معروفة ، أو حلت محلها قرى أخرى ، أو لم يتم التعرف بعد على آثارها إن كانت لها آثار باقية[٩٦] و أما الأسماء التي أمكن التعرف عليها فقد تم تحديدها لاسيما إن بعضها ما يزال يحمل الاسم ذاته إلى اليوم على يد السبئيين ، لم يعد أمامه من حل سوى الارتماء في أحضان (الحبشة)*** ، إذ تمكن من إقناع ابن نجاشي الحبشة (جرمة/ جرمت) بمساعدته في حروبه ضد خصمه ملك (سبأ) (أيل شرح) ، فأمده (جرمة / جرمت) بكتائب حبشية محاربة قوّت مركزه إلى حد كبير، كما جاءته إمدادات من قبائل (سهرة) في ساحل تهامة ، فأخذ يتحرش بالسبئيين ، مما دفع ملكهم (أيل شرح يحضب) إلى السير إليه و مقابلته على رأس قوة تتألف من (ألف) محارب و (ستة و عشرون) فارساً ، فاصطدم مع قوات (شمر يهحمد) و الأحباش

و ألحق بهم هزيمة نكراء ، ثم عاد إلى (صنعو / صنعاء) هو و جيشه و معه الأقيال حاملين معهم أسرى و غنائم و أموال طائلة[٩٧] .

استمر الصراع بين (سبأ) و(حمير) في المناطق الشرقية الواقعة على مشارف مدينة (ذمار) الحالية ، بعد (شمر يهحمد) مباشرة ، زمن الملك الحميري (كرب أيل يفع) (كرب أيل ذي ريدان) الذي يعتقد(V. Wissmann)[٩٨] أنه تولى الحكم في حوالي (٢٢٠/٢٢٢) ميلادية.

وردت أنباء ذلك الصراع في النقش الموسوم (Ja : ٥٧٨) الذي يخبرنا أن (حقل حرمة) الواقع على مشارف مدينة (ذمار) الحالية إلى الشرق منها ، قد شهد معركة عنيفة بين الجانبين[٩٩] ، امتدت هذه المعركة فيما بين جبل (أساي / اللسي)[١٠٠] و (قرنهن / قرن)[١٠١] إلى الشرق من مدينة (ذمار) الحالية ، وبين (هكريم /هكر)[١٠٢] في الشرق الجنوبي من مدينة (ذمار) الحالية، و كان من نتائج هذه المعركة إن (كرب أيل يفع) طلب الصلح ، كما يذكر النقش (Ja:٥٧٨/٢٢)

و يبدو من خلال النقش المذكور أن الملكين (أيل شرح يحضب) و أخاه (يازل بين) ملكي (سبأ) استمرا في هجومهم على الحميريين حتى مدينة (هكر) التي فر إليها (كرب أيل) و (خميسه /جيشه) و تحصنوا بها حتى استسلموا[١٠٣] ،ويذكر النقش ذاته أن أحد مساعدي الملك الحميري (كرب أيل يفع) و هو (كرب عثت أسعد) قد أصيب بجراح[١٠٤] .

و لكن الأنباء السالفة التي أوردها النقش (Ja : ٥٧٨) عن موقعة (حقل حرمة) تبين وجهة النظر السبئيه فحسب ، و علينا أن نعود إلى النقوش الحميرية لمعرفة وجهة النظر الحميرية عن تلك الموقعة ، و موازنة آراء الجانبين و من ثم الوصول إلى الرأي الأقرب للصواب عن سير أحداث تلك المعركة ، و النقش الحميري الذي يوضح لنا وجهة النظر الحميرية عن سير أحداث الواقعة السالفة الذكر هو نقش (المعسال) (MAFRAY al-MikSaL٣) الذي اشتركا في فك رموزه (محمد عبد القادر بافقيه) و (كرستيان روبان)[١٠٥].

وصاحب النقش هو (لحيعت أوكن بن يعزز) قيل قبيلة ردمان و خولان ، و النقش على ما يبدو مكرس لوصف اشتراك هذا القيل في القتال إلى جانب الملك الحميري (كرب أيل يفع) و (خميسه / جيشه) ، ضد ملك (سبأ) (أيل شرح يحضب) و(خميسه / جيشه) ، و

يذكر النقش أن المعركة دارت في (حقل حرمة) منذ شروق الشمس حتى منتصف النهار ، ويذكر أنهم (أي الحميريين) عادوا بأسلاب ، و أنهم ألحقوا بالعدو (سبأ) خسائر بضمنها مقتل خيول و فرسان منهم:(يحمد بن مرثدم) قيل بكيل عمران و فرسه و (سعد ألو بن قدمن) و فرسه همدان ، و يبدو أنه كان مقتوي لـ (أيل شرح يحضب) ، فضلاً عن قتل و جرح و أسر فرسان و جنود راكبين وراجلين[١٠٦] .

و يذكر النقش ، أن ملك(سبأ) (أيل شرح يحضب) و (خميسه /جيشه) بعد تلك المعركة ، عاد لثلاث منازلات ، أنه انقلب على عقبيه منكسراً ، وأن (كرب أيل يفع) و (خميسه /جيشه) مكثوا بضعة أيام كما أرادوا ، ثم عادوا إلى مدينتهم (هكر) محملين بالغنائم و معهم أسرى و خيول ..الخ [١٠٧] .

ومن مقارنة هذا النقش الحميري مع النقشين السبئيين السابقين ، يظهر أن النقشيين السبئيين أحدث ،فهما يذكران أحداثاً جرت بعد معركة(حقل حرمة) أهمها محاصرة (هكر) التي عاد إليها (كرب أيل يفع) و أقياله و (خميسه /جيشه)[١٠٨] ، كما أن للقيل الحميري (الحيعثت نقشاً آخر من المعسال) (MAFRAY aL –MicsaL ٣/٣-٤) ، يذكر فيه أن (كرب أيل) وجهه بقيادة (ثلاثة) آلاف جندي من خميس حمير في حملة بلغت أرض (مهدهم)**** الواقعة في الأنحاء الغربية من (صنعاء) ، وربما في منطقة حضور (جبل النبي شعيب)[١٠٩] .

ويذكر القيل الذي تولي قيالة (ردمان) و (خولان)وهو (حظين أوكن)، معارك خاضها تحت قيادة (كرب أيل يفع) ضد (سبأ) ، وأنه أغار بدعم من أقيال و خميس حمير على (الرحبة)(رحبة صنعاء) واحرقوها ثم قاموا بمهمة دفاعية أسفل نقيل يسلح ، ثم زحفوا مرة أخرى نحو (الرحبة) و استباحوا بيت (سخيمم) *****و(نحيمم) .

مما تقدم يظهر لنا أن الحرب بين الجانبين (الحميري) و (السبئي) كانت سجالاً ، و لعل الوجود الحبشي فضلاً عن انشغال كل من (سبأ) و (حمير) بصراعات أخرى ، كان الحائل دون حسم مبكر للصراع بينهما[١١٠] .

كما يتضح لنا مما تقدم أن (ذمار) و القبائل المحيطة بها كانت تعد خطوطاً دفاعية للعاصمة الحميرية (ظفار) ، وإن تلك القبائل قاتلت و أبلت في القتال مع ملوك (حمير)لاسيما في زمن الملكين (شمر يهحمد) و خلفه (كرب أيل يفع) ، و كانت أراضي تلك القبائل مسرحاً

للحروب الدائرة بين السبئيين و الحميريين ، وقد كان لتلك الحروب أثرها الواضح على (ذمار) و القبائل المحيطة بها التي عانت من هجمات السبئيين المتتالية عليها ونهب ثرواتها و قتل و أسر أعداد غير قليلة من رجالها و سبي نسائها وردم آبارها و تدمير مزارعها وهو الأمر الذي أبرزته النقوش بصورة جلية . و مما لاشك فيه أن الجانب السبئي عانى من الأمر ذاته و لو بقدر قليل ، و تلك إحدى ثمار الحروب دائماً فهي تهلك الحرث و النسل .

ولم تعثر الدراسات النقشية المعروفة منذ عهد (نشأ كرب يهأمن) الثاني، آخر ملوك الجانب السبئي ، أو في النقوش الحميرية المعروفة ، على ما يشير إلى حدوث صدام بين (سبأ) و (حمير) في ذلك الوقت[١١١]

وقد يرجع ذلك إما إلى نقص الوثائق التاريخية المتصلة بتلك الحقبة ، و إما إلى شعور السبئيين و الحميريين بوجود خطر خارجي يهددهما جميعاً ، وهو الخطر الحبشي الذي أخذ يتدخل في شئون (اليمن) منذ منتصف القرن الرابع الميلادي[١١٢] .

دور ذمار و قبائلها في مقاومة الغزو الحبشي :

من المعروف أن الحبشة (أكسوم) كانت ترقب عن كثب ذلك الصراع الدائر في جنوب الجزيرة بين السبئيين و الحميريين بعين يقظة طامعة ، إذ كانت تسعى لإيجاد موطأ قدم لها على أرض (اليمن) بهدف السيطرة على طرق التجارة البرية و البحرية التي كانت تسيطر عليها اليمن ، لذلك رأت (الحبشة / أكسوم) أنه يتوجب عليها الإفادة من الصراع المحتدم بين ملوك (حمير) و(سبأ) ، و لم تتخذ الحبشة سياسة ثابتة إزاء ذلك الصراع ، فنجدها تآزر الحميريين تارة و تساند السبئيين ضد الحميريين تارة أخرى ، و ذلك بهدف إنهاك قوى الفريقين المتصارعين ، ليتسنى لها الولوج من خلال ذلك الصراع محققة أهدافها في السيطرة على (اليمن) بسهولة و يسر بعد أن تكون قد أنهكت و تشتت القوى المدافعة عنها .

وقد رأينا فيما سبق ، أثناء الصراع بين ملكي سبأ (أيل شرح يحضب) و أخيه (يأزل بين) و بين الملك الحميري (شمر يهحمد) ، أن الأخير بعد هزيمته أمام السبئيين وفقدانه لفرسه اضطر إلى الانسحاب إلى ما وراء أسوار مدينة (ذمار) و التحصن بها من هجمات السبئيين وتوقف عن مواصلة القتال ضدهم ، و أخذ (شمر يهحمد) من داخل أسوار مدينة

(ذمار) يعيد ترتيب أوضاعه العسكرية و تكوين تحالف قوي يشمل قبائل (ذمار) و غيرها من القبائل الموالية فضلاً عن قبائل ذي ريدان الحميرية .

ومن أجل تكوين تحالف قوي كفيل بتوجيه ضربة قاضية لملك (سبأ) (أيل شرح يحضب) و أخيه (يأزل بين) ، رأى الملك الحميري (شمر يهحمد) أنه يتوجب عليه الاستعانة بالخارج لاسيما مملكة (أكسوم / الحبشة) ، فأرسل إلى نجاشي الحبشة طالباً منه مد يد العون و المساعدة في حربه ضد خصومه السبئيين ، الذين كانوا يشنون الحملات العسكرية على القبائل التهامية (سهرتن/سهرة) الموالية للأحباش[١١٣] ، و قد استجاب له نجاشي الحبشة و أرسل حملة عسكرية يقودها ولده (جرمة/جرمت) تآزرها قبائل تهامة (سهرة/سهرتن) ، غير أن (أيل شرح يحضب) و أخاه تمكنا من محاربة تلك الحملة و القبائل التهامية المساندة لها ، وأنزلا بهم هزيمة ساحقة في وادي (سردد) عاد على إثرها ولد النجاشي (جرمة / جرمت) إلى بلاده، وتشتت شملهم و غنم منهم (أيل شرح يحضب) و جيشه غنائم كبيرة ، ثم عاد إلى (صنعاء) وهنا أتته قبائل تهامة (سهرة/سهرتن) معلنة الولاء و الطاعة محضرةً رهائن من أبنائها ليبقوا لدى ملك (سبأ) ضماناً و تاكيداً على صدق طاعتهم و ولائهم له[١١٤] ، و بذلك تمكن السبئيون من تشتيت شمل الحملة الحبشية و القبائل التهامية الموالية لها في وادي (سردد)قبل أن تصل إلى الملك الحميري (شمر يهحمد) لتنظم إلى تحالفه في (ذمار) .

وفي زمن الملك الحميري (كرب أيل يفع) الذي خلف (شمر يهحمد) ، أرسل نجاشي الحبشة حملة عسكرية بقيادة ولده ومعه (ذو معافر) و أحزاب الأحباش ، و قد تمكنت الحملة من الوصول إلى العاصمة الحميرية (ظفار)[١١٥] .

ويبدو أن الأحباش كانوا قد استغلوا انشغال الحميريين بحروبهم التي كانوا يخوضونها في منطقة خبان ووادي بنا و المناطق الأخرى الواقعة إلى الشرق من العاصمة الحميرية (ظفار)، فهاجموا الحاضرة الحميرية من ناحية الغرب و الشمال الغربي[١١٦] .

و فيما بعد زمن الملك الحميري (ياسر يهنعم) ، قام ملكا الحبشة (دتوس) و (رقرنس) ومعهم (ذو معافر) و (خميس/جيش) الحبشة بشن هجوم على أرض حمير ، فتصدى لهم القيل (حظين أوكن) الذي كان حينئذ قيلاً لقبيلة (مهأنفم/مهأنف)[١١٧] إذ صدرت أوامر الملك (ياسر يهنعم) إلى (حظين أوكن)و شعب مقري وشعب مهأنف و يحصب****** وشعب (ألهان) و كل شعوب (بهيل) و أقيال تلك الشعوب بوجوب مقاتلة الأحباش و أعوانهم

من (البعابعة) أي (الأذناب) في المرتفعات الغربية من (ذمار) ، و مطاردتهم و هزيمتهم و أخذ السبايا و الرهائن منهم من الرجال و النساء ، و بعد ذلك واصلت قوات الملك (ياسر يهنعم) الهجوم على الأحباش و أعوانهم غرباً حتى (ريمان)و (جبال) و(وصاب) ، وقد مني الأعداء الأحباش و أتباعهم بخسائر فادحة [١١٨] .

وفي عهد الملك (شمر يهرعش) (ملك سبأ و ذي ريدان و حضرموت و يمنت) استمرت الحملات العسكرية على قبائل تهامة (سهرتن /سهرة) و (عك) الموالية للأحباش ، ومما لاشك فيه أن قبائل ذمار لاسيما (مهأنف) و (مقري) و (ألهان) و (شداد) ، كانت ضمن حملات الملك (شمر يهرعش) التي كان يرسلها من وقت إلى آخر إلى ساحل تهامة لتأديب تلك القبائل التي استمرت في مد يد العون و المساعدة للغزاة الأحباش[١١٩] .

و في حوالي (٣٠٠) ميلادية أو بعد ذلك بقليل ، لحقت باللقب الرسمي لملوك (سبأ و ذي ريدان) إضافة جديدة هي (حضرموت و يمنت)، و أول ملك حمل اللقب الجديد (ملك سبأ و ذو ريدان و حضرموت و يمنت) هو الملك (شمر يهرعش) بن (ياسر يهنعم)[١٢٠] ، و في عهده لم يفكر الأحباش بغزو (اليمن) إذ كانت البلاد في عهده موحدة قوية مهابة الجانب .

و تذكر المصادر أن الأحباش استولوا على (اليمن) فيما بعد في حوالي سنة (٣٤٠) ميلادية و دام حكمهم لها حتى سنة (٣٧٥) ميلادية ، إذ ثار عليهم الملك الحميري (ملكيكرب يهأمن) و أخرجهم من البلاد[١٢١] .

و مما لاشك فيه أن (ذمار) و القبائل المحيطة بها ، قد نعمت بالهدؤ و الأمن و الاستقرار في عهد الملك الحميري (أبو كرب أسعد) (أسعد الكامل) موحد اليمن القديم الذي حمل لقب (ملك سبأ و ذي ريدان و حضرموت و يمنت و أعرابهم في الطود و التهائم) و ذلك خلال المدة (٣٨٥ ــ ٤٢٠) ميلادية[١٢٢] .

و قد سبق أن ذكرنا أثناء الحديث عن (بينون) ، أن (أسعد الكامل) كان يقيم حيناً في قصر (ريدان) في العاصمة الحميرية (ظفار) ، و حيناً بمدينة (بينون) بمديرية (الحداء) محافظة (ذمار) ، و إنها كانت العاصمة الحميرية الثانية . وفي عام (٥٢٥)م تعرضت (اليمن) للغزو الحبشي الثاني ورزحت (اليمن) بضمنها (ذمار)تحت نير الاحتلال الحبشي الذي دمر آثار اليمن إذ يذكر تقرير البعثة الأثرية الهولندية عام ١٩٩٨م أن مدينة (بينون) في مديرية الحداء/ ذمار/ قد دمرت بفعل ذلك الغزو.[١٢٣] الذي استمر حتى عام (٥٧٥)م وهو

العام الذي خلصت فيه (اليمن) من وطأة الاحتلال الحبشي لتدخل في ربقة احتلال جديد هو الاحتلال الفارسي الذي بسط نفوذه على مناطق (اليمن) بضمنها (ذمار)،ولم تتخلص (اليمن) من سيطرة الفرس إلا بمجيء الإسلام ودخول آخر ولاة الفرس على اليمن (باذان) في الدين الإسلامي عام (٦٢٨)م[١٢٤] .. إذ اعتنقت (اليمن) بضمنها (ذمار) الإسلام وبرز من (ذمار) رجال كان لهم دور بارز في الحركة العلمية والأدبية، وكانت المدرسة الشمسية بـ (ذمار) إحدى المراكز العلمية والحضارية في عهد الإسلام.

شكل رقم (١) مدينة ذمار القرن

شكل رقم (٢) مدينة ذمار القرن

شكل رقم (٣) قصر بينون

شكل رقم (٤) نفق (بينون) المفتوح

شكل رقم (٥) نفق (بينون) المغلق

الهـــوامش

١. البكري ، أبي عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت : ٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع ، حققه و ضبطه، مصطفى السقا ، ط (٣) عالم الكتب ، بيـروت ، ١٤٠٣هـــ ، ج٢ ، ص ٦١٤؛ الحموي ، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي ، (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيـروت (؟) ج٣، ص ٧.

٢. معجم البلدان ، ج٥، ، ص ٦٩.

٣. المرجع نفسه ، ج٣، ص ٧.

٤. محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيـروت (؟) ، ص ٣١٢-٣١٣

٥. الحوإلى محمد بن علي الاكوع بن الحسين ، (المحقق) ، كتاب الإكليل ، لأبي الحسن بـن احمـد بـن يعقـوب الهمداني ، (ت٣٥٠هـ) ، بيروت ،ط (٣) ، ١٩٨١ ، ج١، ص٤١١، هـ (٢)

٦. المرجع نفسه ، ص ٤١١، هـ (٢) .

٧. أبي محمد الحسن ، بن احمد بن يعقوب ، (ت٣٥٠هـ) ، الإكليل ، (تح) ، محمد بن علي الاكـوع الحـوإلى ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٨٠، ج ٢ ، ص ١٩٠.

٨. ينظر : بأفقيه ، محمد عبد القادر ، توحيد اليمن القديم المعهد الفرنسي للآثار و العلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ٢٠٠٧، ص ١٠٣ .

٩. المرجع نفسه ، ص ١٠٣ــ ١٠٤.

١٠. علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٠،ج٢، ص ٣١١.

١١. الرازحي ، خلدون هزاع ، ذمار القرن موقع مدينة ذمار القديمة ، صـنعاء الحـضارة و التـاريخ ، صـنعاء ،٢٠٠٥، مجلد (١) ، ص١٢٠.

١٢. المرجع نفسه ، ص ١٠٢.

١٣. المرجع نفسه ، ص ١٢٤،١٢٥.

١٤. الحسن بن احمد بن يعقوب (ت ــ ٣٥٠/هـ) صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الاكـوع الحـوإلى ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٩٩٠، ص ٢٠٧.

١٥. المرجع نفسه ، ص ٢٠٧، هـ (٣)

١٦. الرازحي ، ذمار القرن ، ص ١٢٩ـــ ١٣٣.

١٧. لمعرفة المزيد من التفاصيل ينظر : المرجع السابق ، ص ١٢٩ـــ١٣٠.

١٨. نفسه، ص ١٣٢،١٣١.

١٩. الرازحي ، ذمار القرن ، ص ١٣٢ـــ١٣٤.

٢٠. نفسه، ص ١٣٢.

٢١. الحوإلى ، محمد بن علي الاكوع (المحقق) ، صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص ١٥٢، هـــ (٧) ، ينظـر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥، ص ٣٩٦.

٢٢. الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٦.
٢٣. الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٥٠/هـ) ، الإكليل ، تحقيق ، محمد بن علي الاكوع الحوإلى ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠، ج٢، ص ١٣٣،١٦٤.
٢٤. الهمداني ، الإكليل ، ج٢ ، ص ١٦٤.
٢٥. الهمداني ، الصفة ، ص ٢٠٦، قارن : الهمداني ، الإكليل ، ج٢، ص ١٦٤.
٢٦. الاكوع ، (المحقق) ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٥، هـ (٣) .
٢٧. أبن خرداذبه ، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠/هـ) ، المسالك و الممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد (لا . ت) ، ص ١٤٥.
٢٨. أحمد ، مهيوب غالب ، إشكالية ظهور بعض المدن الحميرية (ظفار ـ بينون ـ سمعان) ، مجلة سبأ ، جامعة عدن ، العدد (١٣) ، ديسمبر (٢٠٠٤)م ، ص٢١.
٢٩. ينظر: أحمد ، إشكالية ظهور بعض المدن ..) ، ص ٢١. *Wissmann ,V , Himyar ancient history , Lemuseon , (?) , ١٨٨١,... p.٤٥٠*
٣٠. أحمد ، إشكالية ظهور بعض المدن الحميرية ، ص ٢١.
٣١. المرجع نفسه ، ص ٢٢ .
٣٢. علي ، جواد ، المفصل ، ج٢ ، ص ٤٧٧ ؛ أحمد ، المصدر السابق ، ص ٢٢،٢٣.
٣٣. أحمد ، المرجع السابق ، ص ٢٣.
٣٤. المرجع نفسه ، ص ٢٣.
٣٥. المرجع نفسه ، ص ٢٣.
٣٦. ينظر : علي ، جواد ، المفصل ، ج٢، ص ٥٧٢ ؛ أحمد ،المرجع السابق ، ص ١٩.
٣٧. أحمد ، المرجع السابق ، ص ٢٠.
٣٨. الحوالى (المحقق) صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٢، هـ (٣)
٣٩. الهمداني ، الاكليل ، ج٢ ، ص ٢٣٧، هـ (٨٧٥) .
٤٠. الإكليل ، ج٢ ،ص٢٣٧
٤١. بافقيه ، توحيد اليمن القديم ،ص٩٣-٩٤
٤٢. أحمد ، مهيوب غالب ، مقرى ألهان القبيلة ، مجلة سبأ ،جامعة عدن ، العدد (١٤-١٥) ،٢٠٠٧ ،ص٧٩-٨٠
٤٣. الهمداني ، الإكليل ، ج٢ ، ص٢٣٧ ، هـ (٨٧٥) .
٤٤. أحمد ،إشكالية ظهور بعض المدن الحميرية ،ص٢٣
٤٥. أحمد ، إشكالية ظهور بعض المدن الحميرية ، ٢٥ص
٤٦. المرجع نفسه ،ص ٢٥ـ ٢٦.
٤٧. نفسه ،ص ٢٦.
٤٨. أحمد ، مقرى ـ ألهان القبيلة ،٢٠٠٧،ص ٩٠.
٤٩. لعله نقيل يسلح المعروف اليوم الواقع شمال قاع جهران.

٥٠. (نعض) قرية تقع على سفح جبل كنن على بعد نحو من (أربعين) كيلو متر جنوبي (صنعاء) و قد ذكرها في عدد من النقوش : الارياني ، مطهر علي ، نقوش مسندية و تعليقات ، مركز الدراسات و البحوث اليمنية ، صنعاء ، ط (٢) ١٩٩٠، ص ١٥٢.

٥١. (عشى و عثر) لم يتم العثور عليهما في المصادر ، و يبدو انهما من المدن التى اندثرت و لم يعد لهما اثر باقي او تغيرت اسمائها و ربما تكون (عاثين) الواقعة الى الجنوب الغربي من قرية (ضاف) الواقعة اسفل نقيل يسلح شمال غرب قاع جهران .

٥٢. (يكلئ) : ورد ذكرها لدى (الهمداني ، الصفة ص١٥٢) "..ومخلاف جرة ويكلى وجيرة وجهران وهران بسواد ذمار" وأثناء حديثه عن حصون اليمن ذكر إن بها حصن يكلى ".. ويكلى وهكر ..."، الهمداني، الصفة، ص٢١٦. ويذكر الحوالي (المحقق، صفة جزيرة العرب، ص٢١٦)، هـ (٤)، أن يكلى من عداد بلاد الحداء.

٥٣. *Wissmann ,V , Himyar ancient history , Lemuseon P* ٦١

٥٤. ينظر : الارياني ، نقوش مسندية ، ص ٢٣٦، *Wissmann ,V , Himyar ancient history , Lemuseon , P* ٦١

٥٥. تسمية بنو ذي ريدان او الريدانيون التى وسم بها الحميريون نسبة الى القصر الملكي (قصر ريدان) الذي تم بناؤه في العاصمة الحميرية (ظفار) منكث٠

٥٦. ينظر : (*Ja :* ٥٧٦) بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص ١٢٩ .

٥٧. علي ، جواد ، المفصل ، ج٢ ، ص ٥٢٠.

٥٨. بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص ٢٩.

٥٩. ينظر : النقش (*Ja :* ٥٧٦/٣)

٦٠. ينظر بافقيه ، توحيد اليمن القديم، ص٢٦٩، ينظر : *Wissmann ,V , Himyar ancient history , Lemuseon , P* ٤٧٨

٦١. المصدر السابق ، ص ١٣١.

- و يبدو للباحث أن فقدان (سبأ) لأراضيها الواقعة جنوب نقيل يسلح ، ليس بسبب الحروب التى دارت بينها و بين حمير فحسب ، بل أن (سبأ) كانت تخوض حروب مع بعض القوى الأخرى التي برزت بصورة أصبحت تهدد (سبأ) و مصالحها مثل (اوسان) و (قتبان)

و (حضرموت) ، مما أدى إلى انشغال سبأ و إنهاك قواها فتخلت عن تلك الأراضي مؤقتاً لـ (حمير) التى استغلت ظروف (سبأ) ،

و عندما فرغت (سبأ) من حروبها مع القوى الأخرى ، عادت لمحاولة استعادة تلك الأراضي من براثن (حمير) .

٦٢. علي ،جواد ،المفصل ، ج٢، ص٤١٧

٦٣. بافقيه ، المرجع السابق ، ص٢٦٦

** (شمر يهحمد) الملك الحميري الذي يعتقد (*V . Wissmann*) انه (شمر يهرعش) الثاني ،

٦٤. (*E:*٤٠) الارياني ،نقوش مسندية ص٢٥٣ــ ٢٥٤

٦٥. الارياني ، نقوش مسندية ، ص٢٥٥

٦٦. نفسه ،ص٢٧٢، قارن ص٦٥

٦٧. الاكليل ، ج٢ ، ص١٠٥ ــ١٠٧

٦٨. الإرياني ، نقوش مسندية ، ص ٢٧٢.

٦٩. نفسه، ص ٢٧٣.

٧٠. نفسه ، ص٢٧٣ــ ٢٧٧

٧١. نفسه ، ص٢٧٧

٧٢. نفسه ، ص٢٧٣

٧٣. سبق القول إن (نمار القرن) الحالية هي ذاتها (نمار)القديمة ،لأن مدينة (نمار)الحالية تم بناؤها في العصر الإسلامي .

٧٤. ينظر :الإرياني ، المرجع السابق ، ص٢٧٣

٧٥. (بوسان) : وهي الأهجر من بلاد (عنس) الواقعة في الشمال الشرقي من (نمار) ، و هي قرية آهلة بالسكان ، ينظر: الهمداني ، الإكليل ، ج٢ ص١٠٧هـ (٤١٨) ، الهمداني ، الصفة ، ص١٨٠، هـ (٤) .

٧٦. – يرى بعض الدارسين أن المراد بها قرية (يكار) الواقعة في حازة قاع جهران الشرقية بالقرب من نقيل يسلح، تواجهها من الغرب قرية (ضاف / ضفو) التي ذكرها (الشرح يحضب) في حروبه ، ينظر الإرياني ، نقوش مسندية ، ص ٢٦٤، و (يكار) ورد ذكرها لدى (الهمداني ، الصفة ، ص ٢٢٠) ، (يكار ، يكران) شرقي قاع جهران و ذكر ان لها حصن .

٧٧. (تعرمن / تعرمان) : سبق القول بأنها (بيت ضبعان) وفقاً لرأي بعض الدارسين .

٧٨. (نعض) : سبق القول إنها قرية تقع على سفح جبل كنن على بعد (أربعين) كيلو متر جنوبي صنعاء ، و كانت (نعض) المدينة الجرتية التى تعد القاعدة التى ينطلق منها السبئيون عند هجومهم على المناطق الجنوبية (الحميرية) و بخاصة ارض (مهأنف) ، ينظر : بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص ٢٧١.

٧٩. (قشم /قشمم) تحالف قبلي يدخل بضمنه (بنو ذرانح) و قبيلتهم (نمار) ، سبق ذكرها .

٨٠. ينظر النقش (٨–٥٧٦/٦ :*Ja*) ، *Wissmann , Himyar ancient history , P* ٦٩.

٨١. (ضاف ، ضفو) قرية تقع شمال غرب قاع جهران ، و قد ذكر (الهمداني ، الصفة ، ص ٢٢٠) إنها ضاف أسفل نقيل يسلح و ما تزال آثارها ماثلة للعيان من قرى قاع جهران .

٨٢. (يكلاء / يكلئ) :ورد ذكرها لدى (الهمداني ، الصفة ، ص١٥٢)أثناء حديثه عن مخلاف (ذي جرّة) ، وهو ما يعرف اليوم ب (بلاد سنحان وبلاد الروس)، نسبة إلى ذي جرت بن يكلئ بن مالك بن الحارث ... بن كهلان بن حمير ، ونسبة إلى يكلئ ثنية يكلى الفاصلة بين عنس وهذه الأوطان وقد عثر بها على نقوش مسندية بها أسم قبيلة ذي جرت ، ينظر: الهمداني ، الصفة ، ص١٥٢ هـ (٧) *Wissmann , Himyar ancient history , P* ٦٩

٨٣. (٩–٥٧٦/٨ :*Ja*) ،ينظر : علي ، جواد، المفصل ، ج٢ ،ص٤٣٤ ــ٤٣٥ .

٨٤. (١٠/٥٧٦ :*Ja*) ،ينظر : علي ، جواد ، المفصل ، ج٢ ،ص ٤٣٥ .

٨٥. (ردمان) : وردت لدى (الهمداني ، الصفة ، ص ١٧٩،١٨٥،١٨٦) ، و كانت مقاطعة كبيرة ، وقد تبددت فيما بعد فمنها إلى السوادية (زوف) قديماً و منها ما اندمج في (سارع) ، ومنها ما يحتفظ باسمه (ردمان) التى وردت في نقوش المسند ، و (ردمان) عنس الواقعة شرقي مدينة (نمار) التى تسمى (قاع الديلمي) لانه قتل فيها ابو الفتوح الديلمي زمن الملك الكامل على بن محمد الصليحي ، الهمداني ، الصفة ، ص١٨٥، هـ (١) .

و كانت تمتد إلى شرق (رداع) إلى حدود ارض (قتبان) ، أما قلب (ردمان) فهو المنطقة التـى تعـرف اليـوم بـ (المعسال) و هو سهل تحيط به المرتفعات من كل الأنحاء و الى جنوبه ينتصب جبل شحرار ، و هو جبل يطلق على مدينة (وعلان) القديمة حاضرة بني (معاهر) وذو خولان اقيال قبيلة (ردمان) لمزيد من المعلومات عـن (ردمـان) ، ينظر بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص ١٥٤ـ ١٥٨.

أما (مضحى) البيضاء الحالية فكانت تقع الى الجنوب منها و كانت (حصي) حاضرتها : بافقيـه ، توحيـد الـيمن القديم، ص ١٥٥، ينظر : بافقيه ، محمد عبد القادر ، أنماريهامن قيلاً و ملكاً و أحوال عصره مجلة ريدان ، العـدد (السابع)،٢٠٠١، ص ٥٣

٨٦. (*Ja : ٥٧٦/١١*) .

٨٧. ينظر : (*Ja : ٥٧٦/١١*) ، قارن :علي ، جواد المفصل ،ج٢، ص ٤٣٥ .؛ *Wissmann , Himyar ancient history , P* ٦٩

٨٨. (*Ja : ٥٧٦/١٥-٦١*) ، *Wissmann , Himyar ancient history , P* ٦٩

٨٩. بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص ٢٧٢.

٩٠. ينظر : *Wissmann , Himyar ancient history , P:* ٦٩ ؛ علـي ، جـواد المفـصل ،ج٢، ص ٤٣٦ ؛ بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص ٢٧٢.

٩١. ينظر : *Wissmann , Himyar ancient history , P:* ٧١ ، (*Ja : ٥٧٧/١*) ،.

٩٢. (زخنم /زخم) : ربما تكون (رخمه) بفتح الراء و الخاء المعجمه ثم ميم و هاء : بلدة و حصن فـي الـشرق الشمالى من مدينة (ذمار)و هي من ضواحيها ، لاسيما أنها توجد بها آثار حميرية ، ينظر : الهمداني ، الصفة ، ص ١٥٢، هـ (٥) و لا يستبعد أن تكون (زخم) المعروفه اليوم و الواقعة بمخلاف (صباح) إلى الغرب من مدينة (رداع) الحالية.

٩٣. (*Ja : ٥٧٧/١*) .

٩٤. علي ، جواد المفصل ،ج٢، ص ٤٣٦ ،٧١ *Wissmann , Himyar ancient history , P:*

٩٥. ينظر : بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص ٢٧٢.

٩٦. ينظر : بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص ٢٧٢ـ ٢٧٣.

٩٧. المرجع نفسه ، ص ٢٧٢.

*** كانت الحبشة قد بدأت تتدخل في شئون (اليمن) ، مستفيدةً من الصراع الداخلي بين مختلـف القـوى ، و كـان الاحباش يغيرون سياستهم في (العربية و الجنوبية) (اليمن) تبعاً للأحوال المتغيرة ، فنراهم تارةً مـع الحميـريين و تارةً مع السبئيين ، فكانت سياستهم قلقة غير مستقرة تبعاً للأحوال المضطربة التى كانت تتحكم بـ (اليمن) آنذاك ، ينظر : علي ، جواد المفصل ،ج٢، ص ٤٤٠ـ ٤٤١.

٩٨. علي ، جواد ، المرجع السابق ، ج٢،ص ٤٣٧.

٩٩. علي ، جواد ، المرجع السابق ، ج٢،ص ٤٣٧.

١٠٠. *Himyar ancient history , P :* ٤٧٨ ,

١٠١. ينظر : بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص ٢٧٣.

١٠٢. (اساي) كما وردت في النقش (*Ja : ٥٧٨/٢٢*) ، وجاء ذكرها لـدى (الهمـداني ، الـصفة ، ص ٢٠٦) : (...و أسي ما بين اسبيل و ذمار اكمة سوداء تسمىّ حَمَّة ، بها جـرف يـسمى حَمـام سـليمان ، و النـاس

يستشفون به من الاوصاب و الجَرب و غير ذلك ..) و المراد بها (اللسي) الحالية ، وهي أكمة كبيرة بركانية في جوانبها فجوات أحدثها تفاعل معدن الكبريت الموجود بها ، و الحمام لا يزال معروف باسمه ووصفه ، و الجرف بمعنى (الكهف) و هذا الجرف لا يسع الاّ انساناً واحداً فيدخله و معه جرّة ماء و سرعان ما ينش بالعرق و تحمي الجرّة فيغتسل و يستحم : الهمداني ، الصفة ، ص ٢٠٧، هـ (١) .

١٠٣. (قرنهن / قرن) : ورد ذكرها لدى (الهمداني ، الصفة ،ص٢٤٨) اثناء حديثة عن نبات اليمن : (.. و ردمان و قرن و نجدها مثل رداع ، واسبيل و كومان و الحداء ...) و تطلق لفظة (قرن) على الجبل او المكان المرتفع ، وهي منتشرة في مناطق متعددة من اليمن ، ينظر : الهمداني ، الصفة ، ص ١٥٢، ١٥٧، ٢٠٧، ٢١٧.

١٠٤. (هكريم / هكر) : (هكر) أحد محافد اليمن المشهورة و هو معقل حصين ، و قد تهدم ، ينظر : الهمداني ، الاكليل ، ج٢ ، ص ١٠٧ ، هـ (٤٢٠) .

١٠٥. ينظر : (*Ja* : ٥٧٨/٢٧-٣٢) ، بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص ٢٧٣ ؛ *Wissmann , Himyar ancient history , P:* ٤٧٨

١٠٦. (*Ja* : ٥٧٨/٣٣-/٣٤)

١٠٧. ينظر : بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص ٢٧٤.

١٠٨. بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص ٢٧٤.

١٠٩. بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص٢٧٤-٢٧٥

١١٠. نفسه ، ص٢٧٥

**** ربما تكون (بئر مهدم) التي ذكرها (الهمداني، الاكليل ، ج٢، ص٣٥٥)

١١١. نفسه ، ص٢٧٥

***** ورد ذكر (آل سخيم)لدى (الهمداني ، الاكليل ، ج٢،ص ٢٥٧) ، و يبدو ان (سخيم) و (نحيم) من القبائل التى اندثرت و لم يعد لها ذكر .

١١٢. ينظر : بافقيه، المرجع السابق ، ص٢٧٦

١١٣. ينظر ، بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص٢٧٦

١١٤. ينظر : هومل ، فرتز، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية ، ضمن كتاب التاريخ العربي القديم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (؟) ص١٠٨

١١٥. لمعرفة الحملات العسكرية التي شنها الملك السبئي (أيل شرح يحضب) و أخيه (يازل بين) ضد الحبشة و القبائل التهامية (سهرة/ سهرتن) الموالية لها ينظر : (*Ja:*٥٧٤) ، (*Ja:*٥٧٥) ؛ علي ، جواد ، المفصل ، ج٢ ،ص٤٢٦-٤٢٨

١١٦. ينظر : علي ، جواد ، المفصل ، ج٢ ، ص٤٢٧-٤٣٧،٤٢٨ ؛ بافقيه ، توحيد اليمن القديم ، ص٢٧٨-٢٧٩

١١٧. بافقيه ،توحيد اليمن القديم ، ص٢٧٩

١١٨. أحمد ، مقرى- الهان القبيلة ، مجلة سبأ ،ص٨٨

١١٩. بافقيه ، المرجع السابق ، ص٢٧٩

****** يحصب : بالصاد المهملة ، وهو ما يسمى اليوم بلاد (يريم) ، إلى الغرب من مدينة يريم الحالية ، ينظر : الهمداني ، أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ، (ت٣٥٠/هـ) ، الاكليل ، (تح) ، محمد بن علي الاكوع الحوالى ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء (؟) ، ج١٠ ، ص٤٦-هـ(٣)، ج٢، ص١٩٠، هـ (٧١٥)

١٢٠. أحمد ، مقرى ، احمد ، مقرى – القبيلة – ،ص٨٨-٨٩ ؛ بافقيه ، المرجع السابق ، ص٢٧٩-٢٨٠

١٢١. ينظر : علي ، جواد ، المفصل ، ج٢ ، ص٥٤٢ وما بعدها .

١٢٢. علي ، جواد ، المرجع السابق ، ص ٥٣٢ـــ ٥٣٣.

١٢٣. المرجع نفسه ، ص ٥٦٩.

١٢٤. ينظر : المرجع نفسه ، ص ٥٧١.

١٢٥. أحمد، إشكالية ظهور بعض المدن الحميرية، ص٢٠.

١٢٦. ينظر: الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد، تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية والأولى، مكتبة الإحسان، ط(٦)، صنعاء،٢٠٠٦م، ص٢٦-٢٧، ص٦٤-٦٥.

ذمـــار في الإسـلام
حتى أواخر القرن الثالث الهجري

أ. د. عادل محيي الدين الآلوسي*

نطاق البحث

يتناول هذا البحث ذمار في اليمن مكاناً والقرون الثلاثة الأولى من الهجرة النبوية زماناً، من السنة السابعة للهجرة، حيث لامس الإسلام لأول مرة قلوب اليمنيين وأفئدتهم فتناغمت أهواؤهم وتطلعاتهم مع مبادئه السمحاء فدخلوا فيه رغبةً لارهبةً. ذلك أنه بعد أن كاتب النبي (صلى الله علية وسلم) أهل اليمن، أسلم بأذان والي اليمن من قبل كسرى الفرس(١).

كما كاتب بعض مخاليف اليمن من أقيال(٢) حمير و الإذواء ولاسيما المثامنه منهم.(٣) وبعد الهجرة المباركة توافدت بعوث همدان وخولان والنخع وكنده والصدف وبهراء وعذراء وجهينة وصدَاء وقراد وغيرها من مخاليف اليمن على رسول الله (صلى الله علية وسلم). ودخل أهل اليمن في دين الله أفواجا أفواجاً في مواكب متسلسلة وجماعات متتابعة ويشهد لهم بذلك قول النبي (صلى الله علية وسلم) ((الله اكبر جاء نصر الله و الفتح و أتاكم أهل اليمن ارق أفئدة و الين قلوباً، الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية و الفخر و الخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة و الوقار في أهل الغنم))(٤).

وفي الرواية إن سورة النصر بآياتها الثلاثة(٥) نزلت في أهل اليمن الذين تسابقوا في الأسلمة من غير حرب ولا قتال إلا ما ندر(٦).

وبعث النبي الكريم (صلى الله علية وسلم) إلى اليمن مبعوثين من أكابر الصحابة هما: الإمام علي بن أبي طالب إلى صنعاء ومخاليفها وذمار منها، ومعاذ بن جبل الأنصاري إلى

---

* أستاذ التاريخ الإسلامي– قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة ذمار

الجند ومخاليفه و تعز منها للدعوة إلى الدين الجديد، فاستجابوا وأصبح اليمنيون من أعظم مؤيدي الإسلام في الحرب والسلم أيام رسول الله وخلفائه الراشدين[٧].

وخلال القرنين الأول والثاني وردحاً من القرن الثالث الهجري، حظيت بلاد اليمن بوحدة جغرافية وباستقرار سياسي نسبي ظل خلالها اليمن يدين بالولاء لسلطة الخلافة الإسلامية إلا أنه مع بداية القرن الثالث الهجري ظهرت بوادر التململ والخروج عن هذه السلطة لعدة أسباب ربما كان بعدُ اليمن عن حاضرة الدولة بغداد واحداً منها تمخضت هذه التحركات عن قيام مايعرف بالدويلات المستقلة التي تقاسمت حكم اليمن من سنة ٢٠٤-٩٢٣هـ/ ٨١٩ -١٥١٧م، بعدها صارت في اليمن سلطتان هما: العثمانيون الذين امتدت سيطرتهم على المناطق الساحلية من جيزان شمالاً إلى عدن والشحر جنوباً، والأئمة الزيدية الذين امتد نفوذهم إلى جميع جهات الهضبة اليمنية ومنها ذمار، خاض خلالها اليمنيون نضالاً دؤوباً للتخلص من الاحتلال البريطاني والتسلط الأمامي تتوج بقيام النظام الجمهوري في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ الذي حقق لليمن أعظم إنجاز تاريخي ألا وهو قيام الوحدة اليمنية المباركة في ٢٢ مايو ١٩٩٠. [٨].

حري بي أن الفت نظر قارئي الكريم إلى أنه وخلال بحثي وعبر هذه العصور التاريخية التي امتدت طوال القرون الثلاثة الأولى من الهجرة النبوية، لم يرد اسم ذمار إلا ما ندر، و إذا ما ذكرت كانت تدخل ضمن أعمال صنعاء ، ذلك انه في عصر ما قبل الإسلام وعهد رسول الله (صلى الله علية و سلم) كانت اليمن تضم ثلاثة مخاليف هي: الجند وهو أعظم المخاليف الثلاثة[٩].

ومخلاف صنعاء وهو أوسطها ومن أعمالها ذمار ثم مخلاف حضرموت وهو أدناها[١٠] ذكر ابن الديبع[١١]: إن رسول الله قد توفي و عماله على اليمن ثلاثة : أبان بن سعيد ابن العاص على صنعاء وأعمالها و معاذ بن جبل الأنصاري على الجند ومخاليفها وزياد بن لبيد البياضي على حضرموت و أعمالها، وقيل إنه (صلى الله علية وسلم) استعمل المهاجر ابن أبي أميه المخزومي على كنده بحضرموت فمرض في المدينة ولم يطق الذهاب إلى حضرموت، فكتب (صلى الله علية وسلم) إلى زياد بن لبيد ليقوم على عمل المهاجر.

وفي عهد الخلافة الراشدة (١١-٤٠هـ) انقسم اليمن إداريا إلى قسمين صنعاء ومخاليفها، فكانت صنعاء العاصمة الإدارية لمخاليف ومناطق صنعاء وتضم بالتسميات الحالية

إضافة إلى صنعاء عاصمة ولاية اليمن، ذمار والبيضاء ومنها رداع ومأرب والجوف وعمران والمحويت وحجة وصعدة ونجران إلى تخوم الطائف ومنتهى حد الأيمن وغالبية قبائلها هي: همدان (حاشد و بكيل ويام) و مذحج وقظاعة[١٢].

وكانت مدينة الجند العاصمة الإدارية لقسم واسع من اليمن يشمل بالتسميات الحالية محافظات ومناطق: تعز وإب ولحج وعدن والضالع وتهامة وأبين وشبوه وحضرموت والمهرة وظفار عمان[١٣] ففي خلافة الإمام علي بن أبي طالب كان عبد الله بن العباس بن عبد المطلب واليا لصنعاء ومخاليفها ومنها ذمار، وسعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري واليا للجند ومخاليفها وتعز منها[١٤].

ثم أصبح اليمن ولاية واحدة عاصمتها صنعاء منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ) فقد استعمل على اليمن عثمان بن عفان الثقفي مدة ثم عزله بأخية عتبه بن أبي سفيان وجمع له ولاية المخلافين صنعاء والجند[١٥]. وظل اليمن ولاية واحدة أيام بني العباس، فقد استعمل أبو العباس السفاح على اليمن والحجاز عمه داود بن علي العباسي الذي بدوره استعمل على اليمن عمر بن عبد المجيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوى، وكان أول من قدم اليمن نائبا لبني العباس فأقام بصنعاء شهراً ومات، فبعث السفاح محمد بن يزيد الحارثي إلى صنعاء وبعث أخاه إلى عدن[١٦] فكانت صنعاء عاصمة ولاية اليمن ومقر الولاة في العصر العباسي حتى خلافة المأمون (١٩٨ ــ ٢١٨هـ) عندما قلد المأمون في سنة ٢٠٣هـ محمد بن زياد الأعمال التهامية واختط مدينة زبيد سنة ٢٠٤هـ وسيطر على حضرموت وديار كندة والشحر وأصبح بمقام الملوك وأعلن تأسيس دولته شبه المستقلة في اليمن وقد امتدت قرابة القرنين[١٧].

وفي الراوية إن المأمون تعرف على ابن زياد هذا أول مرة عندما قدم عليه بين مائة رجل من ولد عبد الله بن زياد وهمَ المأمون بقتلهم لولا كلام قاله ابن زياد أعجب المأمون وعفا عنهم جميعاً[١٨].

وجدير بالذكر أن اليمن شهدت أحداثاً أثرت على ولايتها وتبعيتها للحكم العباسي، ففي سنة ٢٠٠هـ دخل اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد الطالبي داعياً فيها للعلويين إلا أنه أساء السيرة وقتل العديد من الناس حتى أن بعض المصادر تسمية بالجزار، وتعد حركته آخر الحركات العلوية المعادية للخلافة قبل مجيء محمد بن علي بن عيسى بن

ماهان مرسلاً من قبل المأمون العباسي [١٩]، دخلت بعدها اليمن في مايعرف بعهد الدويلات المستقلة التي شهد ظهورها القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ممثلة في ثلاث قوى سياسية تنازعت حكم اليمن هي: الزيادية في تهامة، واليعفرية في صنعاء، والزيدية في صعدة[٢٠].

ذمار في التاريخ:

ذمار هذه المدينة اليمنية العريقة التي قُدر لي أن اتفيأ ظلالها الوارف واستنشق من هوائها العليل واشرب من مائها العذب و أتعرف على أهلها الطيبين مدة تقارب العقد والنصف من السنين. وصفها احد أبنائها الأوفياء بأنها: المدينة الفيحاء واليتيمة العصماء، ذات الوجه البهي والهواء النقي، جميلة المنظر، حسنة المخبر، صافية الأديم نزهة عذبة المياه، وتعد من أمهات اليمن التي تلحق بالعاصمة، سميت بذمار بن دهمان احد أقيال حمير، أطلقت على اليمن كاملا، كما أنها همزة وصل بين مشرق اليمن و مغربه و شماله و جنوبه فهي أشبه ما تكون بقلب اليمن، تبعد عن صنعاء جنوبا بثلاث مراحل متقاربة ومرحلتين للمجد[٢١]، أي ما يساوي بالقياس ثمانية و تسعين كيلو متراً وهو الأصح[٢٢].

تقع ذمار في فضاء واسع، عامرة بالسكان، أهلة بالعلم والعرفان، موئل الأدباء وذوي الألسن وما يزال فيها علماء وحمله أقلام ورواة وقراء ومحدثون وتجار إبرار:

بلاد بها حل الشباب سمائي و أول ارض مس جلدي ترابها[٢٣]

وصفها ألعبيدي العراقي بقوله: ((ذمار بفتح الذال لاسوى، مدينة فيحاء باهيه المحيا، منبعُ الفضلاء ومعدن العلماء والأتقياء، مدينة العلم والحكم والحميرية ومملكة اليمن الخضراء كما جاء في المسانيد ....))[٢٤].

وذكرها البخاري و ياقوت الحموي وآخرون بكسر الذال وربما هي كذلك عندهم وفي زمانهم إلا أن الشائع أن تنطق بذال وميم مفتوحتين بوزن سحاب وقطام و حذام وهو ما درج على نطقه بها أهل اليمن و مازالوا[٢٥]. حاول صاحب معجم البلدان تصريف كلمة ذمار لغويا بقوله: الذمار ما وراء الرجل مما يحق عليه إن يحميه فيقال فلان حامي الذمار، مثل نزال بمعنى انزل، وكذلك ذمار أي أحفظ ذمارك[٢٦] وهي إحدى حواضر اليمن التي تعتز بها الأجيال ويفتخر به الملوك التبابعة[٢٧] من أبناء سبأ وحمير، تذكر الى جانب معين وصرواح ومأرب

وظفار .... ولا أدل على ذلك من أنها منسوبة إلى احد أقيال حمير .... عامرة بالسكان والعلم والزراعة وحولها آثار حميرية ما زالت مطمورة[٢٨].

تقع ذمار إلى جنوب حصن هران الأثري[٢٩] يحدها من الشمال قضاء أَنس وقاع جهران[٣٠] والحداء ومن الجنوب قضاء يريم ومن الغرب عتمه ومن الشرق رداع وجبل اللسي الغني بالكبريت الذي يعدُ أجود أنواع الكبريت في اليمن واستخدمه الذماريون في تصنيع بارود البنادق إلى عهد قريب[٣١] على مسافة حوالي عشرين كيلو مترا، و بالقرب من مدينة ذمار وعلى بعد عشرة كيلو مترات شرقاً تقع مدينة المواهب التي بناها المهدي محمد بن احمد سنة (١١٣٠هـ /١٧١٨م) وضمنها حصن عظيم على غيول وآبار و ارض زراعية واسعة، وبعد إن أمضى ثماني سنوات في مدينة الخضراء جوار رداع هجرها بعد مرض آلم به فانتقل إلى المواهب سنة ١١١١هـ/١٧٠٠م ومعه الأمراء والقادة واتخذها عاصمة له ودامت عشرين عاما حتى توفي وبها قبره[٣٢].

وتاريخ ذمار يمتد إلى عصور ما قبل التاريخ وبالتحديد العصر الهولوسيتي الأوسط كما أكدت على ذلك الدراسات التاريخية والأثرية، ولاسيما ما قامت به البعثة الايطالية ١٩٨٣ــ ١٩٨٦م والبعثة الأمريكية مؤخراً، و يتردد ذكرها في النقوش القديمة و يكتب اسمها (هجرن /ذمر) أي مدينة ذمار[٣٣]، ويعتقد أنها تأسست عام ١٥ــ٣٥م ويرجح أنها في مراحلها الأولى كانت عبارة عن قرى متناثرة ولم ترق إلى مدينة إلا في عهد الدولة الحميرية، وكان موقعها هران آنذاك وانتقلت إلى موقعها الحالي بظهور الإسلام و بناء الجامع الكبير فيها[٣٤].

وممن تحدث عن ذمار طويلا المؤرخ القاضي الحجري اليماني[٣٥] بقوله: ذمار بوزن قطام بلاد واسعة جامعة لعدة مناطق بها زروع وأبار .... ويسكنها بطون من حمير وأنفار من الأبناء[٣٦] وأرضها كبريتيه حتى قيل أنها لا توجد فيها حيه أو عقرب أضف إلى ذلك كونها بلد جبلي شديد البرودة وترتفع عن مستوى سطح البحر ثمانية آلاف قدم أو ما يعادل حوالي ٢٧٠٠م[٣٧].

وقال عنها الهمداني الذي عاش في القرن الثالث الهجري/العاشر الميلادي إن رأس مخاليف ذمار بلد عنس وساكنيه آنذاك بعض قبائل عنس بن مذحج .... و ما بين ذمار وجبل

(أسبيل) أكمة سوداء تسمى حمة بها جرف يسمى حمام سليمان الذي يستشفى الناس فيه من الاوصاب والجرب وغيرها.

ويستطرد الهمداني في ذكر حدود وتوابع ذمار من جهاتها الأربع[٣٨] ويعلق الحجري اليماني على ما ذكره الهمداني بقوله: وفيما حكاه الهمداني من مخلاف ذمار ما هو خارج عنه اليوم (زمن المؤلف) مثل بينون من بلاد الحدا أو سربة و صنعة أفيق من ناحية جهران ونحو ذلك[٣٩].

دور ذمار الحضاري :

تعد ذمار مركزاً ثقافياً وتجارياً يؤمها العلماء و التجار وقيل أنها اسم لصنعاء وكل اليمن، جاء في كتاب معجم ما استعجم[٤٠]: أنه وجد في أساس الكعبة لما هدمتها قريش في الجاهلية، حجر مكتوب عليه بالمسند: لمن ملُكُ ذمار؟ لحمير الأخيار، لمن ملُكُ ذمار؟ للحبشة الأشرار، لمن ملُكُ ذمار؟ لفارس الأحرار، لمن ملك ذمار؟ لقريش التجار .....وبقراءة متأنية للنص المذكور يتبين لنا أنه يشير إلى ما لذمار من أهمية تاريخية وحضارية لأنه ذكرها ويقصد بها صنعاء وكل اليمن، كما يدل على ان اليمنيين ولاسيما الذماريين منهم، قاموا باستثمارات تجارية في مكة وأقاموا مصالح عامه للناس من ذلك البئر الذي حفره ميمون الحضرمي وكان قصي (أي قصي بن كلاب) ينقل الماء منها لسقى الحجيج قبل حفر بئر زمزم[٤١]، كما إن اليمنيين لم يكونوا عبئاً على مجتمع قريش وإنما كانوا أداة إعمار وبناء وتحضير وتمدين، فقد ذُكران حاطب بن بلتعه وهو يمني: هو أول من اتخذ باباً في مكة وبعده اتخذ المكيون الأبواب لمساكنهم، و إن تجار قريش قد ملكوا أملاكا باليمن وبعض هذه الأملاك والتجارات كانت مع أهل مدينة ذمار[٤٢].

وفي بيوت ذمار ومساجدها كانت تعقد حلقات الدرس و العبادة والزهد ومجالس المناظرة التي تقام عادة في المساجد الصغيرة التي تختص بقوم أو محلة، وفي بعض المنازل في صنعاء وصعدة وذمار، من ذلك ان احمد بن الحسين القارئ أقام كثيرا من مناظراته في المساجد والمنازل على حد سواء في صنعاء وذمار وعدن[٤٣]، وقدم إلى ذمار أبو زيد المروزي فاتاه العلماء من صنعاء والجند و عدن وسائر أنحاء اليمن، و كان أبو عبد الله

الحسن بن احمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) الذي جمع بين مذهبي النحو البصري والكوفي آخر من دخل اليمن واستقر في ذمار وجمع ديوان الهمداني وعربه أي عرف به[٤٤].

وكان لأهل ذمار دراية كافية بمعرفة الجواهر وعلم الكيمياء وعلم النجوم والمنطق وهو ما أشار إليه ابن المجاور[٤٥]، وهذا يعني ان ذمار كانت من المراكز العلمية التي تميزت بتنوع علومها وعلمائها إلى جانب علومها الإنسانية التاريخية واللغوية والحديث والفقه والشريعة[٤٦].

وعلى ذكر العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين والقراء، أنجبت ذمار عدداً لا باس به منهم، فإليها ينسب ربيعة بن الحسن الحافظ المحدث الرحال اللغوي أبو نزار الحضرمي الصنعاني الذماري الشافعي، الذي ولد في شبام حضرموت وتوفى سنة٦٠٩هـ/١٢١٢م[٤٧]، والمحدث أبو هشام عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري صاحب المسند، وقد سمع على سفيان الثوري واخذ عنه الإمام ابن حنبل والإمام البخاري و ابن المفيد وغيرهم ممن دخل اليمن[٤٨] والقارئ مروان أبو عبد الملك الذماري ويلقب بمزنة زاهد دمشق قرأ القران على زيد بن واقد ويحي بن الحارث وولي قضاء دمشق، و كذلك ينسب إليها أخوه المحدث عبد الله بن الحارث[٤٩] الذي روى عنه محمد بن حسان الاسدي وسليمان بن عبد الرحمن ونمران ابن عتبه الذماري، وقد روى عن أم الدر داء، وروى عنه ابن أخيه رباح بن الوليد ألذماري وقيل الوليد بن رباح الذماري[٥٠] وممن ينسب إلى ذمار، وهب بن منبه الذي كان عارفاً بكتب الأولين وأخبار الأمم الماضية حتى شبه بكعب الأحبار، وهو تابعي من الأبناء الذمارين لقي عشرة من الصحابة وسمع عنهم ومنهم: جابر بن عبد الله وابن عباس وابن عمرو بن العاص وأبو سعيد وأبو هريرة والنعمان بن بشير وصحب ابن عباس ثلاث عشرة سنة وروى عنه عمرو بن دينار والمغيرة بن شعبه، رحل كثيراً إلى مكة وناظر علماءها وتولى القضاء في اليمن وله مصنف ((ترجمة تذكرة الملوك من حمير وأخبارهم و قصصهم و قبورهم وأشعارهم ويقع في مجلد واحد)) توفي وهب في صنعاء سنة ١١٤هـ وعمره ثمانون سنة وقبره معروف يزار بالعرضي الأعلى خارج باب اليمن، وله ولدان كلاهما راوية، و أفاض عنه أبي سمره في طبقاته و الهمداني والجندي و تاريخ البخاري[٥١])

وتعد ذمار من المدن التي دخلها الإسلام مبكراً ولا أدل على ذلك من ان معاذ ابن جبل بنى فيها مسجدا يأتي في القدم بعد الجامع الكبير بصنعاء وقبيل بناء جامع الجند، وهذا

يعني ان مسجد ذمار بني قبل السنة العاشرة في عهد رسول الله (ص)، ثم بعد ذلك توسع هذا المسجد الذي يتوسط مدينة ذمار ليكون المسجد الجامع[٥٢] الذي تحول إلى مدرسة مشهورة استقبلت الطلاب و العلماء الذين قصدوها للتزود من مناهل علمائها و أهل ذمار مشهورون بالاهتمام بالعلم[٥٣] وهنا لابد إن نذكر ما للمساجد من دور في نشر الدعوة و تعاليم الشريعة الإسلامية، فقد تحولت هذه المساجد ومنها مساجد ذمار الى مدارس لتعليم علوم الدين وخير مثال قريب هو المدرسة الشمسية[٥٤] التي بناها الإمام شرف الدين يحي بن شمس الدين بن احمد يحي المرتضى المعروف بالمهدي عام ٩٤٧هـ وصفها البردوني الشاعر، بأنها تشبه جامعة الزيتونة وجامعة القيروان والأزهر الشريف حيث كانت تقام فيها الدروس في مختلف العلوم الشرعية و العربية وكذلك المناظرات العلمية والأدب، فكانت قلعة شامخة في جبين الزمن وقد بلغ عدد المجتهدين فيها في فترة من الفترات سبعين مجتهدا فضلا عن بقية العلماء[٥٦]، وصف احد الشعراء ذمار بقوله:

عرج ركابك عن ذمار فإنها دار تذل بها الأسود و تخضع
ما بين حوطتها و بين محلها بدر يغيب و ألف بدر يسطع[٥٧]

واستطراداً للبحث نذكر من مساجد ذمار غير المسجد الجامع مسجد الإمام يحي بن حمزة الحسني المتوفى سنة ٧٤٧هـ وقبره بجوار مسجده ومسجد الإمام المطهر بن محمد بن سلمان المتوفى سنة ٨٧٩ وقبره أيضا بجوار مسجده وبالقرب منه مشهد الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ت ١٠٥٠هـ) ومسجد الحسين بن سلامة صاحب زبيد، ومسجد الأمير سنبل بن عبد الله (ت ١٤٢هـ) وأرخ له بقوله: يارب ابني لي عندك بيتاً في الجنة، ومسجد الأسد أبن أبي إبراهيم الهيجاء الكردي، وهو والد فاطمة بنت الأسد زوجة الإمام صلاح الدين وأم ولده على بن صلاح ومن محاسن هذه المرأة الصالحة عمارة مسجد الإبهر بصنعاء، و مسجد قبة دادية وهو من عمارة بعض الأمراء الأتراك، ومسجد الويس ومسجد السيد صلاح ومسجد دريب[٥٨]. وأضيفت الآن مساجد كثيرة منها: مسجد الجيلاني ومسجد احمد الصديق، ومسجد التوفيق ومسجد بير خابوط ومسجد التوحيد ومسجد السعيد، بناه بنو هايل سعيد انعم(أصحاب الأيادي البيضاء) الذين شيدوا مثيلاً له في معظم محافظات اليمن جزآهم الله.

وقد أحصيت مساجد ذمار قبل عام ١٩٦٢ بـــ٢٩ مسجداً ثم وصل عددها بعد ذلك الى ١٢٩ مسجدا[٥٩].

ولذمار خلفية تجارية فهي في الأساس كانت سوق ملحظة الذي هو الآن سوق الربوع ويؤكد هذه الخلفية واقع ذمار الحالي بما فيها من أسواق وسماسر وقياصر وخانات ووسطيات وركنيات[٦٠] وذمار نقطة اتصال بين المدن الرئيسية لتوسطها بين ريمه و رداع وعتمه وآنس والبيضاء ويريم وصنعاء والسوادية وغيرها، يمر بها طريق اليمن التجاري قديماً وحديثاً الذي يربط جنوب اليمن بشماله، فضلاً عن إنتاجها الحيواني والزراعي مثل الحبوب والفواكه والخضروات وتربية المواشي وخاصة الخيول الأصيلة[٦١].

ومن خلال البحث وجدت ان ذمار لا تذكر إلا في أوقات الحروب والمنازعات بين مخاليف اليمن، ذلك أنها تشكل عقده يصعب اجتيازها، وصفت بباب صنعاء وبقلب اليمن[٦٢]وفي العرف العسكري ان السيطرة على ذمار وحصنها هران ونقيل يسلح يعني تهديد صنعاء والعكس صحيح فيمن يريد التقدم جنوباً وصولاً الى إب وتعز وعدن، نذكر على سبيل المثال لا الحصر أنه بعد أن استتب الأمر للداعية الزيدي الأول الهادي يحيى بن الحسين[٦٣] على صنعاء، سار إلى ذمار ومعه والي صنعاء من قبل العباسيين أبو العتاهية عبد الله بن بشر بن طريف في ربيع سنة ٢٨٨هـــ، وبعد وصوله إلى ذمار بعث عماله إلى مخاليفها، وطاف الأمام الهادي بالبعض الآخر مثل مخلاف عنس واستخلف على ذمار إبراهيم بن جعفر الفطيمي، وانحدر جنوباً إلى منكث[٦٤]، وولي عليها عبد الله الحسين الفطيمي ثم تقدم إلى موكل التي أقام فيها مسجده الذي مازال قائماً حتى اليوم[٦٥].

ولما دانت ذمار لسيطرة علي بن الفضل[٦٦] سنة ٢٩٣هـــ شأنها شأن كثير من مناطق اليمن التي أظهرت الطاعة له خوفاً من بطشه، سارع الامام الهادي إلى ارسال ابنه أبي القاسم محمد المرتضى إلى ذمار ومخاليفها، إلا أنه سرعان ما عادت ثانية لسلطة ابن الفضل الذي قصدها بجيش كبير مما اضطر ابن الإمام إلى تركها ملتحقاً بأبيه الهادي في صنعاء[٦٧]، لم يرق هذا الحال أهل ذمار الذين أظهروا مناوءتهم لابن الفضل ودعوته، فوقفوا إلى جانب احمد ابن الروية المذحجي[٦٨] الذي كان الهادي قد أرسله إلى ذمار لمحاربة القرامطة، وفي مقابل ذلك قام علي بن الفضل بإرسال أحد قادته ويدعى ذو الطوق اليافعي[٦٩] الذي أحكم الحصار على ذمار مما دفع بابن الروية إلى الفرار إلى رداع[٧٠] فتبعه ذو الطوق

اليافعي وقتله في (ثاة) التي تبعد عن رداع ساعتين في الشمال الشرقي منها بعد قتال مرير، استبيح فيه البلد ولاذ ضعفة الناس والنساء والأطفال إلى مسجدها الجامع وذلك سنة ٢٩٣هـ[٧١].

وقبائل ذمار ولاسيما قبيلة الجُنب مشهود لها بالشجاعة والبسالة و مقاومة الغزاة والطامعين فقد وقف الأيوبيون أمام أسوارها وحصونها طويلا[٧٢] وذمار وعبر تاريخها الطويل القديم والإسلامي، كانت البعد الاستراتيجي لملوك وحكام وائمه اليمن، لجأ إليها مكارب اليمن الحميريين بعد تدمير حاضرتهم مأرب على يد الغزاة الرومان[٧٣] واحتمى بذمار شمر ذي ريدان الحميري بعد أن قهرته قوة الشرح يخضب آخر ملوك السبئيين[٧٤] ولطالما احتمى بها ألائمه الزيدية من كان منهم في صعدة وصنعاء والجند وجبله[٧٥]، فبعد موت السلطان سبأ بن احمد الصليحي، تغلب على ذمار وبلادها وما يتبعها– رداع والحداء ويريم وخولان وسنحان مما كان يعرف ببلاد جُنب – مشايخها وهم سلاطين جُنب وبذلك قامت في ذمار إمارة سلاطين جنب ولم يحفظ لنا التاريخ عن هؤلاء إلا أسماء وشخصيات[٧٦] فقد عُرف من تاريخ الإمام احمد بن سليمان، أنه كان يعتمد على سلاطين جنب في مصالحة ومطاولة السلطان حاتم بن احمد الهمداني، ونجدهم يصارعون توران شاه ويجبرونه على عقد الصلح معهم ثم يبرزون في ميادين القتال مع طغتكين بن أيوب الذي حاول التقدم الى صنعاء ولم يصلها إلا بعد سنتين بسبب مقاومة أهل ذمار له[٧٧].

وعرف من هؤلاء السلاطين الذماريين، السلطان عبد الله بن يحيى الجبني والشيخ زيد ابن عمرو اليعري الذي سار مع السلطان علي بن حاتم الى تعز لمحاربة عبد النبي بن علي بن مهدي[٧٨]. ولقد ازدادت أهمية ذمار وسطع اسمها في ظل قيام دول اليمن المستقلة وهو ما سنذكره لاحقاً.

المصادر والمراجع والتعليقات:

١. الطبري : محمد بن جرير (٣١٠هـ) تاريخ الأمم و الملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف المصرية ١٩٦٨ ، ص١٧ وما بعدها .

٢. المخلاف في التاريخ مصطلح يطلق على وحدة إدارية قد تكون مقاطعة أو إقليما أو محافظة بمصطلح اليوم و قد يتألف المخلاف من عدد من المقاطعات تصغر أو تكبر و للمخلاف مركز يضم الدواوين الرئيسية التي تنظم امور الإقليم و على رأس الجميع القيل أو كبير المخلاف و في نقش ابرهه (١١١٥٤) الخليفة ينوب عن الملك في إدارة المخلاف ـــ الموسوعة اليمنية ، مؤسسة العفيف الثقافية ، المجلد الرابع سنة ٢٠٠٣ص٢٥٦٦ ـــ ٢٥٦٨ .

٣. هم : ذو ثعلبان و ذو خليل و ذو سحر و ذو جدن و ذو صرواح و ذو مقار و ذو حزعز و ذو عثفلان ـــ تاريخ الجزيرة العربية في العصور الوسطى د/ نعمان محمود جبران و د/ روضه سحيم آل ثاني ، مؤسسة حمادة بالأردن ط١ سنة ١٩٩٩م هامش ٨

٤. البخاري : أبي عبدا لله محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري ، مؤسسة الحرمين ، الرياض ط٢ سنة ١٩٩٩ ص٧٤٤ ،رقم ٤٣٨٨ أيضا أبي سمرة الجعدي (٥٨٦هـ) تحقيق أيمن فؤاد ، دار القلم ، بيروت ، ص٥.

٥. ((أذا جاء نصر الله و الفتح و رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك و استغفره انه كان توابا))

٦. اليمن عبر التاريخ : احمد شرف الدين ،ط١ سنة١٩٦٣ ،ص ١٦٧ .

٧. المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٧ وما بعدها.

٨. ثلا تاريخها و أثارها ، د/ عبد الرحمن حسن جار الله ، وزارة الثقافة ، صنعاء سنة ٢٠٠٤ ، ص ٢٨، وص٢٩، أيضاً الموسوعة اليمنية ج١ طبعة سنة ١٩٩٢ ص١٧٢ ومابعدها واستكمالاً للبحث نذكر هذه الدول المستقلة:

- الزيادية ٢٠٤-٤٠٩ هـ/٨١٩-١٠١٩م
- اليعفرية الحواليون، ٢٣٢-٣٨٧هـ/٨٤٧-٩٩٧م.
- الزيدية الأول ٢٨٤-٤٤٤هـ/٨٩٧-١٠٥٢م
- النجاحية ٤٠٣-٥٥٥هـ/١٠١٣-١١٦١م
- الصليحية ٤٣٩-٥٣٢هـ/١٠٤٨-١١٣٨م
- الزريعية ٤٧٠-٥٦٩هـ/١٠٧٨-١١٧٤م
- الحاتمية ٤٤٩-٥٦٩هـ/١١٥١-١١٧٤م
- المهدية ٥٥٣-٥٦٩هـ/١١٥٩-١١٧٤م
- الأيوبية ٥٦٩-٦٢٦هـ/١١٧٤-١١٢٩م
- الزيدية الثانية ٥٣٢-٩٨٠هـ/ ١١٣٨-١٥٨٥م
- الرسولية ٦٢٦-٨٣٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م

- الطاهرية ٨٥٨-٩٢٣هـ/١٤٥٥-١٥١٧م . – اعتمدت في هذه القائمة على كتاب الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة – للدكتور محمد عبده السروري، صنعاء، وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ في عدة صفحات وكذا الموسوعة اليمنية ج١، طبعة ١٩٩٢ ص١٧٢ ومابعدها، أيضاً كتاب تاريخ الجزيرة العربية– مرجع سابق ص٤٣ ومابعدها ومراجع أخرى.

٩. الجند أول مدن اليمن و هي من ارض السكا سك و قد اشتهر منها علماء وفقها مثل ابن حمزة صاحب المسند و عبد الرحمن ابن عبد الله قارئ المسانيد و آخرين ـــ الهمداني ـــ أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب . و يعرف بابن الحائك (٣٥٠ أو ٣٦٠هـــ) ، الإكليل ، تحقيق محمد بن على الاكوع الحوالي / مطبعة الكاتب العربي ط١ ، سنة ١٩٧٩ بدمشق جـــ٨ ص ٥٧ أيضا تاريخ اليمن المفيد في تاريخ صنعاء و زبيد ، نجم الدين عمارة ابن على اليمني (٥٥٩هـــ) ، تحقيق محمد بن على الاكوع ، لجنة البيان العربي سنة ١٩٦٧ ،ص ٤٤ و ما بعدها .

١٠. اليمن عبر التاريخ مرجع سابق ص ١٦٧ .

١١. ابن الديبع : أبو ألضيا عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيد سنة ٩٤٣هـــ ، قرة العيون بإخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن على الاكوع الحوالي ، السلفية ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٧١ ، أيضا في بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تحقيق يوسف شلحد ، صنعاء ١٩٨٣، ص٣٧ .

١٢. قرة العيون ، مصدر سابق ، ص٧١

١٣. المصدر السابق نفسه، هامش ص٨٥ .

١٤. الجرافي اليمني ، عبد الله بن عبد الكريم ، المقتطف في تاريخ اليمن ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي و شركاؤه ، و على نفقة الإمام احمد بن يحيى حميد الدين القاهرة ص ٤٥ .

١٥. قرة العيون / مصدر سابق ، هامش ص ٩١ .

١٦. المصدر السابق نفسه ، ص ١١٨ و ما بعدها ، أيضا الدور اليمني في العصر العباسي ، لمحمد حسين الفرح ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ص ١٥٩ .

١٧. تاريخ الجزيرة العربية ، مرجع سابق ،ص ٤٣ و ما بعدها .

١٨. في تاريخ اليمن المفيد لابن عمارة ان ابن زياد قال للمأمون : ما اكذب الناس يا أمير المؤمنين لأنهم يزعمون انك حليم كثير العفو متورع عن سفك الدماء بغير حق ، فان كنت تقتلنا على ذنوبنا فانا لم نخرج يدا عن الطاعة و لم نفارق في بيعتك رأي الجماعة وأن كنت تقتلنا على جناية بني أمية فيكم فالله يقول (و لا تزر وازرة وزر أخرى) فاطر :١٨ فاستحسن المأمون قوله و عفى عنهم ، تاريخ اليمن مصدر سابق ، ص ٢٤: ٣٦ .

١٩. بغية المستفيد ، مصدر سابق ، ص ٤٦ ، أيضا قرة العيون ، مصدر سابق ، ص١٤٧، ايضاً العصر العباسي الأول للدكتور عبد العزيز الدوري، ط٢ سنة ١٩٨٨، ص١٥٩ ومابعدها.

٢٠. ثلا تاريخها و آثارها ، مرجع سابق ، ص ٢٩ و أيضا الإكليل / مصدر سابق ، ص ٣٢٩ .

٢١. الحجري اليماني : القاضي محمد بن احمد ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق إسماعيل بن على الاكوع ، دار الحكمة اليمنية ، وزارة الثقافة و الإعلام ، صنعاء ط١ سنة ١٩٨٤ـــ ١٩٩٦ ، ص ٣٤١.

٢٢. د / عبد الرحمن شجاع ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث و الرابع الهجريين ، وزارة الثقافة ٢٠٤م ص ٣٥.

٢٣. الإكليل ، مصدر سابق ، ط١ ، هامش ، ص ٤١١ ، صفة جزيرة العرب ، مصدر سابق ، ط هامش ص ١٠٠.

٢٤. ألعبيدي العراقي ، اليمن الخضراء مهد الحضارة ، تحقيق محمد بن على الاكوع الحوالي ، وزارة الثقافة و السياحة ، صنعاء ،٢٠٠٤م ، ص ٧٢ .

٢٥. صفة جزيرة العرب ، مصدر سابق ، ط ص ١٠٠. أيضا مجموع بلدان ، مصدر سابق ،ط ص ٣٤١ و الحياة العلمية ، مرجع سابق ،ص٣٥ ، أيضا تاريخ اليمن المسمى فرحة الهموم و الحزن في حوادث و تاريخ اليمن ، لعبد الواسع بن يحيى الواسعي ، دار اليمن الكبرى ، صنعاء ،١٩٩١ ص ٦٠.

٢٦. ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، جـ ٣ ،ص ٧.

٢٧. لقب أطلق على ملوك حمير مثل قياصرة عند الروم و أكاسره عند الفرس و فراعنة عند المصريين القدامى ، وقيل سموا تبابعة لان الأخر يتبع الأول ، وقيل أنه لقب يطلق على كل من يملك اليمن و الشحر و حضرموت ، وتبابعة اليمن سبعون تبعاً فتبع الاكبر هو شمر يهرعش و تبع الأوسط هو أبو كرب اسعد الكامل و تبع الاقرن هو ذمار علي يهبر ـــ يراجع بحثي (قول على قول في اسعد الكامل) ، مهرجان اسعد الكامل الاول في ذمار ٢٠٠٧م ، كذلك تاريخ ابن خلدون (العبر و ديوان المبتدأ و الخبر .... القسم الاول م٢ ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ٩٤ ، ايضاً ملحمة الملك الحميري،اسعد الكامل لبينوتروفسكي ، ترجمة د/ شاهر جمال آغا ، وزارة الثقافة و الاعلام ، صنعاء / ط١ ، سنة ١٩٨٤م ط٧ ، و ما بعدها ، كذلك الموسوعة اليمنية ، جـ ٤ ، ص ٦٢٥) .

٢٨. كتاب هذه هي اليمن ، لعبد الله احمد ثور ، مطبعة المدني ، صنعاء ١٩٦٩ ، ص ٤٠٨.

٢٩. مجموع بلدان ... مصدر سابق ، جـ٤ ص ٧٥١ ،وسماه الحزرجي في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، طبعة مصر ١٩١٤جـ ١ ص ١٨ و جـ ٢ ص ٦٧ـــ ٦٨ ، باسم هزان يقع شمال ذمار بينها و بين معبر مركز جهران .

٣٠. أنس بوزن فعل بلد واسع في الجنوب الغربي من صنعاء الى مسافة يومين نحو ٦٠كم قاعدته ضوران و تضم أنس في الوقت الحاضر تسعة مخاليف و منها جهران و مركزها (معبر) ، مجموع بلدان ط ص ٢١و ص٢٨:٢٩ ، مهرجان اسعد الكامل في ذمار سنة ٢٠٧م ، كذلك تاريخ ابن خلدون ((العبر و ديوان المبتداء و الخبر .....)) القسم الأول م٢ ، بيروت ،ص ٩٤ ، أيضا ملحمة الملك الحميري اسعد الكامل لبنيوتروفسكي ، ترجمة د / شاهر اغا ، وزارة الثقافة و الإعلام ، صنعاء ،ط ١ سنة ١٩٨٤ ، ص ٧١ و ما بعدها ، كذلك الموسوعة اليمنية ، جـ ٤ ، ص ٦٢ .

٣١. اليمن الخضراء ، مصدر سابق ، ص ٨٨ ، و ايضاً الموسوعة اليمنية ، جـ ٤ ، ص ٢٤٩١ .

٣٢. الموسوعة اليمنية ، مرجع سابق ، جـ ٤ ص ٢٨٩٠ ، أيضا اول رحلة فرنسية الى العربية السعيدة لجان دي لاروك ، ترجمة منير عربش ، وزارة الثقافة ، صنعاء ٢٠٠٤م ص ١٣٤ـــ ١٥١ .

٣٣. مدينة ذمار ، رسالة ماجستير لعبدالله أحمد ناصر الجرفي، غير منشورة، سنة ٢٠٠٤ كلية الآداب بذمار ، ص١١ ، و أيضا الموسوعة اليمنية ، جـ ٢ حرف (ث ـ ز) .

٣٤. المرجع السابق نفسه ، ص١١ .

٣٥. مجموع بلدان اليمن و قراها ، مرجع سابق ،جـ ١ و تذكرها في الصفحات ٣٤١ـــ ٣٥٠ وأخرى .

٣٦. هم بقية الجيش الفارسي الذين قدموا مع الملك سيف بن ذي يزن الحميري و سموا بذلك لأنهم تأهلوا من نساء اليمن و رزقوا أولاداً و صار أولادهم و أولاد أولادهم يدعون بالأبناء لأنهم من أولئك الفرس و الأبناء و نبغ منهم رجال عظام ـــ صفة جزيرة العرب ، مصدر سابق ... هامش ص ١٠١ .

٣٧. مجموع بلدان اليمن .... مصدر سابق، جـــ ١ ، ص ٣٤٤ .

٣٨. صفة جزيرة العرب ، مصدر سابق ، ص ٢٠٧ .

٣٩. مجموع بلدان اليمن .... مصدر سابق، جـــ ١ ، ص ٣٤٣ ـــ ٣٤٤ .

٤٠. البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (٤٨٧هـــ) ، معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، لجنة التأليف و الترجمة بالقاهرة ١٩٤٧ جـــ ٢ ، ص ٦١٤ـــ ٦١٥ ، أيضا معجم البلدان ـــ مصدر سابق ـــ جـــ ٣ ، ص٧ نقلا عن ابن دريد .

٤١. ابن هشام : عبد الملك بن هشام الحميري المعا فري ، السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤوف ، دار الجيل ، بيروت ١٤١١هـــ جـــ١ ص ١٤٧

٤٢. دور اليمنيين في بناء الدولة العربية الإسلامية في صدر الإسلام ، لعلي مسعد ، رسالة ماجستير اشرف عليها الباحث ـــ جامعة ذمار ٢٠٠٤م ،ص ٤١ـــ ٤٢ .

٤٣. الحياة العلمية في اليمن ق٣ـــ٤ هـــ ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .

٤٤. القفطي ، أنباء الرواة على أنباء النحاه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ط١ ، ١٩٥٠ جـــ ١ ص ٢٨٤ و كذلك السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللفيويني و أيضا أبو الفضل ، مطيعة عيسى الحلبي بالقاهرة ط ،ص ٤٩٨ نقلا عن د/ الشجاع ، الحياة العلمية ص ٨١ و ما بعدها

٤٥. ابن المجاور ، يوسف بن يعقوب الشيباني (٦٩٠هـــ) ، صفة بلاد اليمن و مكة و بعض الحجاز (المسمى تاريخ المستبصر) تصحيح اوسكار لونفرين ، طبعة بريل ١٩٥١ ليدن جـــ٢ ص ١٩١ ـــ ١٩٢ أيضا الحياة الفكرية في اليمن في ق٧هـــ ، رسالة غير منشورة اشرف عليها الباحث و هي لحسين صالح العنسي ، جامعة ذمار ٢٠٠٤ ص ٥٩ وما بعدها .

٤٦. رسالة الماجستير ، لحسين العنسي ، ص٦٠ .

٤٧. الموسوعة اليمنية ، مرجع سابق ، جـــ ٢ حرف (ث ـ ز) أيضا مجموع بلدان ، مصدر سابق جـــ١ ص ٣٤٥.

٤٨. صفة جزيرة العرب ، مصدر سابق ، ط هامش ص١٠١.

٤٩. دوحة الأفكار ، مصدر سابق ، المقدمة .

٥٠. ابن سعد في طبقاته ٣٥٣/٥ وابن أبي حاتم في الجرح و التعديل ٢٤/٤ وابن الجوزي في المنتظم ١٤٠/٧ـــ ١٤٢ و ابن الأثير في الكامل ٣٤٠/٣ و الذهبي في سير إعلام النبلاء ٥٤٤/٤ و ٥٥٧ و ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢٢٦/٣ و الرازي في تاريخ مدينة صنعاء ٥٧ و بامخرمة في قلادة النحر ٦٢٢/١ـــ٦٢٣

٥١. معجم البلدان ، مصدر سابق ، جـــ٣ ، ص٧ .

٥٢. قرة العيون ، مصدر سابق ، ص٣٤.

٥٣. مجموع بلدان ، مصدر سابق، جـ ١ ،ص ٣٤١ ، أيضا الحياة العلمية ، مرجع سابق ص٣٥ـــ٣٦ .

٥٤. الحياة العلمية للدكتور الشجاع ، ص ٣٥ ، ايضاً الموسوعة اليمنية ، مرجع سابق ، جـــ ٤ ،ص٢٦٣.

٥٥. مدينة ذمار ، رسالة ماجستير ، ص١١٣ و بعدها .
٥٦. دوحة الأفكار ، مصدر سابق ، المقدمة .
٥٧. المصدر السابق نفسه، المقدمة.
٥٨. مجموع بلدان اليمن ، مصدر سابق ، جـــ١ ص ٣٤٤ـــ٣٤٥
٥٩. مدينة ذمار ، رسالة ماجستير ، ص ٣٧ .
٦٠. المرجع السابق نفسه، ص٣٧.
٦١. مجموع بلدان اليمن ، مصدر سابق ، ط ص ٣٤٦ و ما بعدها ، أيضا هذه هي اليمن ، مرجع سابق ، ص ٤١٠.
٦٢. الإكليل ، مصدر سابق، جـــ ١، ص ٤١١ .
٦٣. هو الامام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويكنى أبا الحسين ويلقب بالهادي إلى الحق، كان اماماً عالماً متضلعاً بسائر الفنون وهو أول من أسس الامامة ودعى إلى مذهب زيد بن علي، ولد في جبل الرس بالمدينة المنورة سنة ٢٤٥هـ تنقل بين الحجاز والعراق وفارس وخرج الى اليمن سنة ٢٨٠هـ ثم غادرها وعاد إليها ثانية سنة ٢٨٤، وفي اليمن خاض صراعاً مريراً ضد أعدائه وفي مقدمتهم القرامطة الاسماعيلية أتباع علي بن الفضل الخنفري، وقد وافى الاجل المحتوم الامام الهادي سنة ٢٩٨ عن عمر ناهز الثلاث والخمسين ودفن في صعدة وقبره ما زال هناك – قرة العيون مصدر سابق، هامش ص١٦٨-١٧٩.
٦٤. قرية عامرة في الجنوب الغربي من يريم خربها علي بن الفضل مع جامعها الذي بناه الامام الهادي سنة ٢٨٨ هـ – المقحفي، ابراهيم أ؛مد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء ٢٠٠٢ ص٦٣٧.
٦٥. المصدر السابق نفسه، ص٦٣٧ ومابعدها.
٦٦. هو علي بن الفضل الخنفري من أهالي خنفر في مقاطعة يافع السفلي وتبعد عن أبين نحو خمسة عشر ميلاً- قرة العيون ص١٩٠- لقبه ابن سمره بالجدني نسبة إلى ذي جدن علقمة الذي يرقى نسبة إلى سبأ الأصغر- طبقات فقهاء اليمن ص٧٥- وقال عنه الخزرجي: هو خنفري النسب من ولد خنفر بن سبأ بن زرعة بن سبأ الأصغر- العسجد المسبوك ص٣٨- وهو وصديقه أبو الحسن بن فرج ابن حوشب الملقب بمنصور اليمن اقتسما اليمن أواخر القرن الثالث الهجري – قلادة النحر، مصدر سابق، مجلد ٣ ص١٣٨٠-١٣٨٥.
٦٧. قرة العيون ص١٧٩، أيضاً بغية المستفيد، ص١٧٩ ومابعدها، المقتطف في تاريخ اليمن ص٦٠.
٦٨. هو أبو العشيرة أحمد بن محمد بن الروية المذحجي وهو الذي أحل على الدعام حينما أدخل صنعاء أيام أبي يعفر الموالي، ثم ناصر الامام الهادي، شغل حوادث تاريخ اليمن وقتاً غير قصير، قتل في (ثاة) برداع التي لجأ إليها من ذمار،- قرة العيون....-، هامش ص٢٠٠-٢٠١.
٦٩. هو من يافع واحد قواد علي بن الفضل المحنكين الذي كان يقود الجحافل ويحرز الانتصارات، قتل على يد الأمير عبد الله بن يحيى أبي الغارات المجيدي سنة ٢٩٩هـ – قرة العيون هامش ص٢٠٠.
٧٠. رداع من أجمل أراضي مدن اليمن النجدية من حيث الموقع والمناخ، تقع في قلب وادي رحب، فيها ثمانية عشر جاهاً أروعها وأشهرها بناء العامرية الذي ينسب إلى السلطان صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب بن عامر، قال العلامة عبد الرحمن الأنسى في حقها:

أسند الطرف مرسلات السماع أن خير البقاع بلدة رداع.

٧١. قرة العيون– مصدر سابق هامش ص٢٠١.

٧٢. الشماخي : القاضي عبد النبي بن عبد الوهاب المجاهد الشماخي ، اليمن الإنساني و الحضارة ، الدار الحديثة للطباعة (دار الهناء) سنة ١٩٧٣ ، ص ١١٩.

٧٣. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د/ جواد على ، بغداد ١٩٥٠ ــ ١٩٥٩ ، جـ ٢ ، ص٣٨٦ ، ايضاً تاريخ العرب المطول فيليب حتي ، جـ ١ ، ص ٥٦ ، ومحاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د/ صالح احمد العلمي ، بغداد ١٩٥٩ ، جـ ١ ، ص ٢٦ ما بعدها .

٧٤. صفة جزيرة العرب ، مصدر سابق ، ص ٢٠٦ وما بعدها ، ايضاً كتاب اليمن عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص٥٣.

٧٥. المرجع السابق نفسه ، ص ١١٩ و ما بعدها .

٧٦. اليمن الإنسان و الحضارة ، مصدر سابق ، ص ١١٩.

٧٧. با مخرمه : تاريخ ثغر عدن ، الترجمة رقم ١٣٧ ص ١١ ـــ١٠٤ و قد عَرفَ بطغتكين بأنه حكم اليمن نيابة عن أخيه صلاح الدين سلطان مصر و بلاد الشام بعد وفاه توران شاه و اضطراب الأمن في اليمن فتمكن من بسط نفوذه على معظم مناطق اليمن و اتخذ من تعز مقراً لحكمه الذي دام ستة عشر عاماً .

٧٨. اليمن الإنسان و الحضارة ، مرجع سابق ، ص ١١٩ و ما بعدها.

الحياة السياسية والعلمية في ذمار
في عهد الدويلات المستقلة بحكم اليمن
من سنة ٢٢٥ ـ ٩٢٣ هـ/ ٨٤٠ ـ ١٥١٧م

د. محمد أحمد طاهر الحاج*

القسم الأول: الحياة السياسية

تمهيد:

استهل القرن الثالث الهجري / القرن التاسع الميلادي واليمن بأكمله في أمرٍ مريج، تتنازعه النظريات ، والاتجاهات ، وقد تحدد من أول هذا القرن الاتجاه الذي أبداه اليمنيون في الاستقلال عن الدولة المركزية في بغداد ، فنشأت فيه عدة دول وإمارات استقلت عن الخلافة العباسية ، مثل: دولة بني زياد (٢٠٣ – ٤٠٩ هـ) ودولة بني يعفر (٢٢٥ – ٣٩٧ هـ) ، وفي آخر القرن الثالث الهجري جاء إلى اليمن دعاة الباطنية ، والزيدية ، ونظراً لاختلاف المذاهب بين تلك الإمارات والدعاة فقد نشأ صراع مذهبي وسياسي بين تلك القوى ، من أجل السيطرة على البلاد ، ونشر مذاهبها ، وفي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ظهرت الدولة الصليحية التي سيطرت على مقاليد الحكم في اليمن، وأذابت كل القوى الموجودة على الساحة اليمنية، وبسقوطها عادت حالة التمزق إلى اليمن، وبرزت قوى استقلت بأجزاء من البلاد مثل: دولة بني حاتم (الهمدانيون) في صنعاء، ودولة بني مهدي، ودولة الزيدية الثانية، وبسبب الفوضى والصراع بين تلك القوى فقد استنجد أحد أشراف الزيدية بصلاح الدين الأيوبي، الذي أرسل حملة سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م إلى اليمن، ونتيجة ذلك دخلت اليمن تحت النفوذ الأيوبي حتى سنة

* أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد – قسم التاريخ – كلية الآداب ــ جامعة ذمار

٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، تلى ذلك قيام دولة بني رسول التي استمرت حتى سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م، بعدها قامت دولة بني طاهر حتى سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، ومن خلا ل هذا الموجز سنقوم بعرض مختصر لأوضاع ذمار وكيف تجاذبتها تلك القوى والمؤثرات.

ذمار في عهد الدولة اليعفرية ٢٢٥ – ٣٩٧ هـ / ٨٤٠ـ ١٠٠٦م

تُعد الدولة اليعفرية[١] من الدويلات التي حكمت اليمن في العصر الإسلامي ، وإن كان حكمهم قد اقتصر على المنطقة الشمالية من اليمن ، إلا أن حكمهم أحياناً كان يمتد ليشمل المناطق الجنوبية من اليمن ، ثم يتقلص مرة أخرى وهكذا[٢] ، ولم تحدثنا المصادر اليمنية بشيء من التفصيل حول نشاطهم في ذمار ، عدا ما ذكرته بعضها في أثناء صراع الحواليين مع علي بن الفضل[٣] إذ ذكرت أن الحواليين بزعامة أسعد بن أبي يعفر الحوالي كانوا بعساكرهم في ذمار متحصنين في هِرَّان[٤] سنة ٢٩٣ هـ/ ٩٠٦م ، مما يعني أنها كانت واقعة تحت سيطرتهم [٥].

وعلى الرغم من سيطرة ابن الفضل على ذمار وكثير من مناطق اليمن ، إلا أن كثيراً منها لم تدخل في طاعته عن رغبة منها ، وإنما خوفاً من بطشه بهم ، لذلك سارع مذهبه بالأفول والتدهور عقب وفاته سنة ٣٠٣ هـ /٩١٥م ، فقد أقدم الحواليون سنة ٣٠٤هـ / ٩١٦م، ومعهم كثير من القوى على إحراق عاصمة الإسماعيلية المُذيخرة[٦] ، وتتبعوا من بقي منهم في كل مكان، وكانت ذمار ومخاليفها من أكثر المناطق استجابةً، ومناصرة للحواليين، فقد سار أسعد بن أبي يعفر إلى جنوب ذمار، وكتب إلى مخاليفها، وأهلها، فأجابوه، أي أن ذمار كانت لها اليد الطولى في محاربة ابن الفضل ومذهبه الإسماعيلي [٧].

دعاة الإسماعيلية في اليمن وسيطرتهم على ذمار

عرفت الدعوة الإسماعيلية طريقها إلى اليمن عن طريق الداعيتين الحسن بن حوشب الذي عرف بـ(منصور اليمن) ، وعلي بن الفضل الخنفري ، الذي أرسلهما محمد الحبيب – إمام الإسماعيلية – بسلمية [٨] ، إلى اليمن لنشر الدعوة فيها[٩] ، وبعد سيطرة ابن الفضل على كثير من المناطق اليمنية سار من الجَنَد[١٠] بعد استيلائه عليها حتى وصل مدينة منكث[١١] ، فدخلها ، ثم توجه نحو مدينة ذمار ، فلما علم الحواليون بذلك فرت عساكرهم إلى

حصن هران ، وتحصنوا به ، وأما ابن الفضل فقد أرسل أولاً: إلى عامل هران واسمه عيسى بن معان اليافعي ، وعرض عليه التسليم والدخول في مذهبه ، فأجابه اليافعي لذلك ، ودخل ابن الفضل ذمار دون قتال ، ثم واصل زحفه نحو صنعاء لقتال الحوالبين [١٢].

الصراع على ذمار بين الزيدية والإسماعيلية

لم يكن الصراع بين الزيدية والإسماعيلية على ذمار فحسب ، بل شهدت اليمن حالة من الفوضى والقتال في أواخر القرن الثالث الهجري نتيجة لوجود قوى حاولت كل منها فرض سيطرتها ومذهبها بالقوة، لا سيما الزيدية والإسماعيلية (الباطنية) والدويلات السنية (بنو زياد – بنو يعفر) . وبالنسبة لمدينة ذمار نرى أنها شهدت كغيرها من المدن اليمنية صراعاً مذهبياً وسياسياً بين الزيدية والإسماعيلية ، فقد أصبحت ذمار منذ سنة ٢٩٣ هـ/٩٠٦م، تابعة لعلي بن الفضل القرمطي ، لذلك سارع الإمام الزيدي يحيى بن الحسين[١٣] بإرسال ابنه محمد المرتضى إلى ذمار الذي استطاع أن ينتزعها من عمال ابن الفضل ، وأعاد ترتيب الأمور فيها ، وبعث عماله إلى مخاليفها ، فلما علم ابن الفضل قصده بجيوش كثيرة لا قبل له بها ، فتركها ابن الإمام وعاد إلى صنعاء ، وعادت المدينة إلى حوزة ابن الفضل مرةً أخرى[١٤].

إلا أن الإمام الزيدي يحيى بن الحسين لم يتخلَ عن ذمار بهذه السهولة ، فأرسل سنة ٢٩٤ هـ/ ٩٠٧م، أحمد بن الروية المذحجي إلى ذمار لمحاربة القرامطة فيها ، وفي المقابل قام ابن الفضل بإرسال أحد قادته ويدعى ذا الطوق اليافعي ، الذي أحكم الحصار على المدينة فأخلاها ابن الروية ، وفر إلى رداع[١٥] ، فتبعه ذو الطوق اليافعي حتى قتله هنالك[١٦] ، وبمقتل ابن الروية تحول الصراع السياسي بين الزيدية والإسماعيلية نحو المناطق الشمالية ، إلا أن تلك الفتن والحروب خفت حدتها بموت الهادي يحيى بن الحسين سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠م، ودخل أبناء الهادي في صراع مع ابن الفضل ، إلا أنها لم تمتد إلى ذمار، وبعد خمس سنوات توفي ابن الفضل مسموماً سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥م[١٧].

ذمار في عهد الدولة الزيدية الأولى ٢٨٤ – ٥٣٢ هـ / ٨٩٧ـ ١١٣٧م

دخلت الزيدية اليمن بدخول الداعية الأول إليها الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم في خروجه الثاني سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م [١٨] ، حيث دخل اليمن بدعوة من بني فطيمة إحدى قبائل خولان صعدة ، وملكوه أرضهم ، وبالتالي فإنه ما إن استقر بصعدة حتى بعث عماله إلى المناطق المجاورة لها لجمع الخراج لزيادة موارد الدولة الناشئة [١٩] ، وبعد أن استتب له الأمر في صنعاء سار الهادي يحيى بن الحسين إلى ذمار ، وبعد وصوله إليها بعث عماله إلى مخاليفها ، وطاف الإمام بالبعض الآخر كمخلاف عنس [٢٠] ووعظهم [٢١] ، واستخلف على ذمار إبراهيم بن جعفر الفطيمي ، ثم واصل سيره حتى وصل منكث ، وولى عليها عبد الله بن الحسين الفطيمي ، وواصل سيره حتى وصل موكل [٢٢] ، التي بنا فيها مسجده الذي ما يزال حتى اليوم [٢٣].

إن دخول مدينة ذمار ومخاليفها تحت النفوذ الزيدي راجع أساساً إلى أن مذهب التشيع وحب آل البيت كان موجوداً وعميق الجذور في أوساطهم منذ دخولهم الإسلام ومناصرتهم للإمام علي بن أبي طالب [٢٤].

ففي عهد الإمام الزيدي يوسف الداعي [٢٥] اهتم بمدينة ذمار ، حيث نزل إليها قادماً من صنعاء وذلك في رجب سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١م وأقام فيها مدة ، ثم سار إلى بلاد عنس وناصرته الكثير من قبائلها [٢٦] ، وحينما انتقلت الإمامة الزيدية إلى القاسم بن علي العياني [٢٧] أرسل إلى واليه على صنعاء القاسم بن الحسين الزيدي سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩م يأمره بالتوجه إلى ذمار فسار الزيدي إليها ، وولى عليها عمالاً من قبل الإمام ، ودخلت ذمار تحت طاعته [٢٨].

ومع بداية القرن الخامس الهجري تجدد النشاط الزيدي مرةً أخرى في ذمار، وذلك حينما دعا الإمام أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن النفس الزكية [٢٩] إلى الإمامة، وفي نفس السنة سار إلى مدينة ذمار، ولماً وصل إليها أمر بعمارة حصن هران، وبعث عماله إلى مخاليفها[٣٠].

وفي عهد الإمام الناصر أبي الفتح الديلمي [٣١] الذي دعا ببلاد الديلم، انتقل إلى اليمن ودعا بها، فلما وصل صعدة سنة ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م، خرج في العام الثاني من وصوله إلى عَلب [٣٢] وفيها استدعى قبائل عنس من ذمار، فأقبل رؤساؤهم ومعهم مائة فارس، وبايعوه وناصروه، وسار إلى ذمار، حتى قضى على دعوته علي بن محمد الصليحي سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م، وبمقتله تقلص نفوذ الزيدية، ولم تظهر دولتهم إلاَّ بعد سقوط الدولة الصليحية سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م [٣٣] .

ذمار في عهد الدولة الصليحية ٤٣٩ ـ ٥٣٢ هـ / ١٠٤٧ ـ ١١٣٧م

تُعد الدولة الصليحية [٣٤] من الدويلات التي استطاعت توحيد اليمن، وقد تزامنت دعوة الصليحي مع الإمام الزيدي أبي الفتح الديلمي الذي مد نفوذه إلى ذمار، وحينما أدرك الصليحي مدى خطورة الزيدية على دولته الناشئة، أعد جيشاً للقضاء على نفوذ هم في ذمار، وحينما أدرك الإمام الزيدي أبو الفتح الديلمي عدم قدرته على مواجهة الصليحي هرب منها، فتبعه الصليحي حتى التقى الطرفان في نجد الجاح [٣٥] سنة ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م وأسفرت المعركة عن قتل الإمام الزيدي وسبعين رجلاً من أصحابه[٣٦].

وفي عهد المكرم أحمد بن علي الصليحي ، عادت ذمار مرةً أخرى لمعارضة الدولة الصليحية، وأبدت رغبتها في الاستقلال عنها، وتزعمت تلك المعارضة قبائل جُنب [٣٧] القاطنة بهران، فأرسل المكرم قائده إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي، الذي دخل في حرب شديدة وعنيفة مع تلك القبائل، ويُستدل على ذلك ما ذكره الهمداني في كتابه [الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن] من أن قائد المكرم أرسل إليه كتاباً يُخبره فيه بما أنجزه من معارك مع قبائل هران بذمار، وأنها جاءت نتيجة حروب سجال بينه وبين تلك القبائل، حتى أخضعها[٣٨].

ذمار في عهد الدولة الزيدية الثانية ٥٣٢ ـ ٩٨٠هـ / ١١٣٧ ـ ١٥٧٢م

إن سقوط الدولة الصليحية سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م أدى بطبيعة الحال إلى قيام دويلات صغيرة استطاعت كل واحدة منها أن تبسط سيطرتها على عددٍ من المناطق، ومنها الزيدية التي ظهرت على الساحة السياسية مكونةً دولتها الثانية على يد الإمام أحمد بن سليمان [٣٩] الذي دعا في مَدر [٤٠]، وأجابته الكثير من قبائل المنطقة الشمالية [٤١].

وبعد ثلاثة عشر عاماً من ظهور الزيدية على مسرح الأحداث، استطاعت مد نفوذها إلى صنعاء سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠م، وانتزعتها من بني حاتم، وبالتالي تطلع الإمام الزيدي إلى مد نفوذه إلى ذمار ، التي سيطر عليها هي الأخرى سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨م، وسلم له زيد بن عمر ــ أحد مشايخ قبيلة جنب ــ حصن أشيح [٤٢]، وبعد استقرار الإمام بذمار ولى عليهم ابنه المطهر، فسار فيهم سيرة حسنة، حتى خالفت عليه أهل مُقرى [٤٣]، فأعد الإمام جيشاً وسار إلى ذمار، وأخضع تلك المناطق المخالفة له[٤٤].

إلاَّ أن الزيدية تقلصّ نفوذها في ذمار بعد وفاة الإمام أحمد بن سليمان سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧١م، وسيطر عليها سلاطين جنب حتى دخول الأيوبيين اليمن سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤م [٤٥]

ولم تظهر الزيدية على الساحة السياسية قوةً فعالة إلاَّ بعد حوالي ربع قرن من الزمن، وذلك بدعوة الإمام عبد الله بن حمزة [٤٦] الذي ناصرته الزيدية في كثير من مناطق اليمن[٤٧]، ودخل الإمام في صراع مرير مع القوات الأيوبية ، حتى بسط نفوذه على كثير من المناطق التي بحوزة الأيوبيين، ومنها ذمار التي دخلها سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٩م، واستولى على الخزانة التي فيها، إلاَّ أن القوات الأيوبية استعادتها منه في السنة نفسها [٤٨]، مما جعل الإمام الزيدي يحول دائرة الصراع مع الأيوبيين إلى صنعاء وما جاورها، حتى تتسنى له الفرصة لمد نفوذه إلى ذمار التي سيطر عليها مرةً أخرى سنة ٦١١ هـ / ١٢١٣ م [٤٩].

وحينما دعا الإمام أحمد بن الحسين [٥٠] استولى على ذمار سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م بمساعدة بعض أمراء بني رسول [٥١] ، وفي عهد الإمام إبراهيم بن تاج الدين [٥٢] الذي دعا سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١م أمر الأشراف آل سليمان بن موسى الحمزي القاطنين في جهران[٥٣] على المسير إلى ذمار سنة ٦٧١ هـ /١٢٧٢م ودخلوها قهراً ، بيد أن المظفر الرسولي [٥٤] سارع بالطلوع من اليمن الأسفل وانتزعها من أيدي الزيدية [٥٥]، فحاول الإمام بعد ثلاث سنوات السيطرة على ذمار، إذ سار إليها سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥م بقواته، وحينما وصل مَعْبر[٥٦] تقدم إلى أفق [٥٧] ، وفيها تمت المواجهة بينه وبين بني رسول، حيث أسروه، وسلموه للمظفر الرسولي ، الذي اعتقله في تَعِز [٥٨] حتى توفي [٥٩].

وحينما قام الإمام يحيى بن حمزة الحسني [٦٠]، بالدعوة للإمامة اهتم بذمار ، واستقر في حصن هران حتى توفي فيه سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦م مخلفاً وراءه كثيراً من المؤلفات العلمية في شتى المجالات [٦١]. ومن الأئمة الذين مدوا نفوذهم إلى ذمار ، الإمام علي بن محمد [٦٢] عن طريق مصاهرته للأكراد القاطنيين فيها ، إذ زوج ولده الناصر صلاح الدين محمد [٦٣] بابنة الأمير الأسد بن إبراهيم الكردي ، فسهل له الأكراد دخول مدينة ذمار ، والسيطرة عليها دون قتال سنة ٧٥٢ هـ / ١٣٥١م، وأبقى ابنه الناصر صلاح الدين محمد عليها، الذي مد نفوذه حتى عتمه [٦٤] ، وما إليها من بلاد ذمار [٦٥] ، وبعد وفاة الناصر صلاح الدين ، قام ولده علي بن صلاح [٦٦] ببسط سيطرته على ذمار ومخاليفها ، وحارب الطاهريين نواب بني رسول في رداع ، وأذعنت له كثير من المناطق [٦٧] ، ويظهر ذلك من وصول المشايخ من بني طاهر من رداع إليه سنة ٨٠٤ هـ / ١٤٠١م الذين قدموا له الاعتذار عما بدر منهم ، وكان آنذاك بذمار [٦٨].

وبعد وفاة الإمام علي بن صلاح استطاع الإمام الناصر بن محمد بن الناصر [٦٩] السيطرة على ذمار ، حيث استقر بحصن هران ، ودانت له المدينة ومخاليفها ، حتى تملك أكثر بلاد بني طاهر [٧٠] ، وكان الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان [٧١] من الأئمة الذين بسطوا سيطرتهم على ذمار حتى توفي فيها سنة ٨٧٩ هـ / ١٤٤٧م، ودفن في مسجده الذي بناه والمعروف باسمه [٧٢]، ومشهده شرقيه [٧٣].

ومع ابتداء المائة التاسعة من الهجرة أصبح نفوذ الدولة الطاهرية محصوراً من رداع جنوب ذمار إلى عدن ، وتعز ، بينما سيطر الإمام الزيدي محمد بن الناصر [٧٤] على صنعاء ومخاليفها ، وكانت ذمار آنذاك من مخاليف صنعاء أي أن الزيدية كانت حدودها مشتملة على ذمار [٧٥].

ذمار في عهد دولة بني حاتم الهمدانيين ٤٩٢ ـ ٥٦٩ هـ/ ١٠٩٩ـ ١١٧٣م

لسنا بصدد دراسة دولة بني حاتم [٧٦] ، إلا أننا نشير هنا إلى أن دولة بني حاتم التي حكمت في صنعاء من سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩م حتى سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م، قد مدت سيطرتها على ذمار، وبالتالي كان من الطبيعي أن تدخل في صراع مع الزيدية على صنعاء

وذمار ، وكان لقبيلة جنب الساكنة بهران دور كبير في ذلك الصراع، فقد سيطر الإمام الزيدي أحمد بن سليمان على صنعاء سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠م، بمساعدة قبيلة جنب، التي كان لها الدور الأكبر في الوقوف أمام قبيلة همدان المناصرة لبني حاتم [٧٧].

إلاَّ أن بني حاتم استعادوا صنعاء مرةً أخرى من أيدي الزيدية سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥١م، فاستقر رأي الإمام الزيدي على المسير إلى ذمار لطلب المساعدة من قبيلة جنب، لما اشتهرت بفرسانها، وصلابتها، فلما علم السلطان حاتم بن أحمد بذلك، عجل المسير إلى ذمار قبل الإمام، واستمال إليه نحو تسعمائة فارس، حيث التقى الطرفان في معركة عند موضع يُقال له (القليس) بذمار، أسفرت عن هزيمة الزيدية، وتنحيها عن ذمار [٧٨]، ولم تذكر المصادر عن استقرار بني حاتم في ذمار، إذ اكتفوا بسيطرتهم على صنعاء، فيما عدا حصن أشيح من بلاد آنس، الذي سيطرت عليه الزيدية سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨م، إلى جانب مدينة ذمار [٧٩].

ذمار في عهد دولة بني مهدي ٥٥٤ ـ ٥٦٩ هـ/ ١١٥٩م ـ ١١٧٣م

لم تمدنا المصادر اليمنية بأية معلومات حول نشاط دولة بني مهدي [٨٠] بذمار، عدا ما ذكرته بعضها من أن أحد مشايخ جنب ويدعى زيد بن عمر اليَعبُري سار مع السلطان علي بن حاتم إلى تعز لمحاربة عبد النبي بن مهدي، وقد جاءت هذه المناصرة من لدن قبائل جنب بذمار للسلطان علي بن حاتم الذي وصلها، ومكث بها أياماً قبل الالتقاء بجيش ابن مهدي[٨١].

ذمار في عهد الدولة الأيوبية سنة ٥٦٩ – ٦٢٦ هـ/ ١١٧٣م ـ ١٢٢٩م

كانت اليمن قبل مجيء الأيوبيين [٨٢] مفككة إلى وحدات سياسية متناحرة فيما بينها ، وبالتالي استطاعت الحملة الأيوبية التي أرسلها صلاح الدين الأيوبي إلى اليمن سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤ م أن تسيطر على اليمن بأكمله ، وتذيب كل الدويلات القائمة آنذاك تحت سيطرتها[٨٣].

قبيلة جُنب ورَخمة تتصدى للغزو الأيوبي على ذمار

مع أن المصادر اليمنية أجمعت على سقوط معظم مناطق اليمن تحت سيطرة الأيوبيين، إلا أنها أيضا اتفقت على تلك التضحية والبسالة التي أبداها أبناء ذمار في التصدي لتلك الحملة ، ففي سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م توجهت القوات الأيوبية لبسط سيطرتها على ذمار ، وإخضاع سلاطين جنب المتمركزة قواهم بحصن هران ، فلما قاربوا المدينة استنجدوا بقبيلة رخمة [٨٤] القريبة منهم ، ودارت رُحى معركة شديدة تكبدت فيها القوات الأيوبية خسائر فادحة ، فاضطر قائد الحملة إلى عقد صلح معهم، والتوجه نحو صنعاء [٨٥].

وبعد قرابة ربع قرن على تلك المعركة عاود الأيوبيون الكرة للسيطرة على ذمار ، حيث توجه إليها سيف الإسلام طغتكين بن أيوب [٨٦] سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م ، ودخلها دون قتال، واستعمل عليها مظفر الدين قايماز نائباً له ، فجمع الشيخ زيد بن عمر الجُنبي جموعاً كبيرة من جنب، وعنس وقصد المدينة، فأخذوها، ونهبوها ، فعاد السلطان الأيوبي مرة أخرى من اليمن الأسفل على رأس جيش كبير ، وأخرج قبائل جنب منها ، وقتل منهم جموعاً كثيرة، ومنذ ذلك الحين أصبحت ذمار تابعة لبني أيوب ، سوى بعض السنوات التي تخللتها فترة صراع مع الزيدية [٨٧].

الصراع على ذمار بين الزيدية والأيوبيين

إن المتتبع لأوضاع الأيوبيين في اليمن يجد أن الزيدية دخلت معهم في صراع مرير، لا سيما في المنطقة الشمالية ، إلا أن نشوة الانتصار التي كانت تحرزها قواهم على الأيوبيين كانت تجعلهم يمدون سيطرتهم جنوبا إلى ذمار ، ففي سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٩ م استطاعت قوى الزيدية انتزاع ذمار من أيدي القوات الأيوبية بعد قتال شديد ، وأسرت الكثير من قواهم، مما جعل السلطان الأيوبي المعز إسماعيل [٨٨] يتوجه من اليمن الأسفل على رأس حملة كبيرة، فلما قارب مدينة ذمار تقهقرت قوات الزيدية شمالا ، واستعادتها القوات الأيوبية في السنة نفسها [٨٩].

وتقلّص الصراع شمالا نحو صنعاء وما جاورها حتى سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤م، التي قرر الإمام الزيدي عبد الله بن حمزة على إثرها بسط سيطرته على ذمار ، وكان ذلك

ناتجا عن كراهية كثير من القبائل القاطنة بها لحكم بني أيوب ، ومراسلتهم للإمام لنصرتهم ، فاستجاب لدعوتهم، وتوجه بقواته صوب المدينة ، فلما قاربها فرت القوات الأيوبية إلى حصن هران وتحصنوا فيه ، وقسم آخر منهم فر إلى ذي حولان [٩٠] ، فحاصرهم الإمام حتى استسلموا ، ودخل المدينة، حيث لبث فيها خمسة عشر يوما، ثم عاد إلى صنعاء [٩١].

إلا أن القوات الأيوبية استعادت نشاطها في اليمن بوصول حملة من مصر بزعامة الملك المسعود [٩٢]، وأتابكه جمال الدين فليت سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م التي استعادت كثيراً من المناطق اليمنية من أيدي الزيدية، ومنها ذمار التي استولى عليها جمال الدين فليت في السنة نفسها ، وعادت ذمار إلى حوزة الأيوبيين، ومكث فيها أياما لإصلاح أمورها [٩٣].

ذمار في عهد الدولة الرسولية من سنة ٦٢٦ – ٨٥٨ هـ/ ١٢٢٩ ـ ١٤٥٤م

قامت دولة بني رسول[٩٤] على أنقاض الدولة الأيوبية ، وكان المظفر يوسف الرسولي أول من اهتم بمدينة ذمار ، حينما أرسل حملة سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩م ، إلى مخلاف ذمار ، فأخذ براش العرش[٩٥] ، وحصن الربعة[٩٦] قهرا بالسيف ، وفي سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥م أرسل حملة أخرى إلى ذمار بقيادة علم الدين سنجر الشعبي لإخضاع المدينة، وقبض الواجبات منها [٩٧].

وفي عهد المؤيد داوود بن يوسف الرسولي [٩٨] أرسل ولده الملك الظافر إلى ذمار سنة ٧٠٠ هـ /١٣٠٠م ، ولم يبق فيها كثيرا إذ غادرها مرة أخرى إلى صنعاء[٩٩] ، ويبدو أن عدم استقرار بني رسول في ذمار كان ناتجاً عن ضعف موقفهم فيها ، وتحيز كثير من القبائل المحيطة بها إلى جانب الزيدية ، يتضح ذلك من تكرار إرسال المؤيد الرسولي ولده الظافر إلى ذمار ، ففي سنة ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥م سار الظافر إلى ذمار، ومنها سار لإخضاع بعض المناطق التي أعلنت خروجها عن طاعة بني رسول[١٠٠].

ومع ذلك فإن مدينة ذمار لم تذعن بالخضوع والطاعة للمؤيد ، ويظهر ذلك من وثوب الأكراد على عامله فيها ، وقتلوه سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩م ، فأرسل المؤيد عسكرا بقيادة الأمير شجاع الدين عمر بن القاضي لإخضاعها ، فلما علم الأكراد هربوا إلى وادي الحار[١٠١]، ومنهم من هرب إلى حصن هران ، إلا أن عساكر بني رسول سيطروا على

المدينة[١٠٢] ، وعاود المؤيد الرسولي حملاته على ذمار ، فأرسل إليها حملة تعدادها مائتي فارس سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢م بزعامة أسد الدين محمد بن توران، هدفها القضاء على الأكراد المتحصنين في هران ، إلا أن الحملة فشلت في القضاء عليهم، مما عمد أسد الدين على عقد صلح معهم ، شريطة عدم دخولهم المدينة[١٠٣].

ومع أن أسد الدين مكث بالمدينة إلا أن السلطان المؤيد أمره سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٣م بالخروج منها والاستقرار على حصن هران ، وهناك نصّب عليه المنجنيقات وضربوه حتى استسلم الأكراد ، وأخرجوهم من الحصن إلى المدينة تحت خدمة السلطان [١٠٤]، إلا أن المدينة خرجت عن طاعة بني رسول بعد وفاة المؤيد داود الرسولي ، وتولية ابنه المجاهد علي بن داوود [١٠٥] ، ويتضح ذلك من خلال تلك الحملة الجرارة التي أعدها المجاهد على ذمار سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٨م، والمكونة من أحد عشر ألف راجلاً وأربعمائة فارساً ، ودخل المدينة قهرا كما أخذ حصن هران أيضا ، ثم ولى عليها زين الدين قراجا[١٠٦].

وبعد وفاة المجاهد الرسولي استفحل أمر الزيدية ، ونافسوا بني رسول على كثير من المناطق اليمنية ، ومنها ذمار ، وبالتالي دخلت الزيدية في صراع مرير مع بني رسول[١٠٧].

الصراع على ذمار بين الزيدية وبني رسول

ترجع بداية الصراع بين الزيدية وبني رسول على ذمار إلى سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢م حينما أرسل الإمام الزيدي أحمد بن الحسين حملة عسكرية بزعامة أحد المنشقين من أمراء بني رسول ، ويدعى أسد الدين محمد بن الحسن ، واستولى على المدينة[١٠٨] ، فلما علم السلطان المظفر أعد جيشاً آخر لاستعادة ذمار من أيدي الزيدية، فلما شارفوها فرت قواهم من المدينة متوجهة نحو سواد الحدا[١٠٩] ، وأرسلوا إلى الإمام كي يمدهم بجنود ، فأرسل إليهم مددا بزعامة شمس الدين أحمد بن عبد الله بن حمزة ، إلا أن ذلك المدد لم يجد نفعاً ، فأمر الإمام جنوده بالتقدم إلى يريم[١١٠]، وإريان [١١١] جنوب المدينة [١١٢].

إلا أن مدينة ذمار خرجت عن طاعة الرسوليين، وأذعنت الخضوع والطاعة للزيدية منذ عهد الإمام صلاح الدين محمد، الذي أعد جيشا كبيرا سنة ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦م، وسار

به لمناجزة قوات بني رسول بزعامة ابن حباجر بقاع الحقل جنوب ذمار ، وهُزمت قوات بني رسول، وسيطرت الزيدية على المدينة، ومخاليفها [١١٣].

ولم تكتف الزيدية بسيطرتها على المدينة ، فقد استكمل الإمام علي بن صلاح ما قام به والده وبسط سيطرته على كثير من المناطق، والقرى المحيطة بذمار ، إذ قام بإعداد جيش كان هو على رأسه، وسيطر على جهران ، ثم سار إلى حصن الربعة ، ثم إلى عنس ، ثم إلى الجرشة [١١٤] التي دمرها نتيجة إخراج عامله منها[١١٥].

ونظرا لخطورة الموقف واتساع النفوذ الزيدي نحو اليمن الأسفل ، فقد قام الناصر الرسولي [١١٦] بإعداد حملة سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥م لوقف زحف الزيدية جنوبا ، والتقى الطرفان على إثره بالصرم [١١٧] ، وانتهت المعركة بهزيمة الزيدية، وعادت قواتهم إلى ذمار[١١٨].

ذمار في عهد الدولة الطاهرية ٨٥٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٤٥٤ـ ١٥١٧م

تتبعنا أوضاع مدينة ذمار في عهد بني طاهر[١١٩]، وذلك من خلال صراعهم مع الزيدية من أجل السيطرة عليها، إذ تزعم الإمام الناصر بن محمد قوى الزيدية المناوئة لبني طاهر، وحشد قواته في سنة ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م، وانطلق من صنعاء متجهاً نحو ذمار ، فلما علم السلطان الظافر عامر بن طاهر خرج لمواجهة الزيدية، بيد أن خروجه لم يكن للحرب بل عقد صلحاً مع إمام الزيدية، ولم تذكر المصادر أية بنود لذلك الصلح، الذي أفرزه ضعف بني طاهر في مواجهة الإمام الزيدي، الذي عاد إلى صنعاء بعد عقد الصلح [١٢٠].

إلاَّ أن الإمام الزيدي قرر مهاجمة بلاد بني طاهر الواقعة إلى الجنوب من ذمار مهما كلفه الأمر، حيث أعد حملة سنة ٨٦٣ هـ/ ١٤٥٨م، ووقعت الحرب بينهما، وقُتل من أصحابه جماعة، فرجع الإمام الناصر بن محمد إلى ذمار، و قام بجمع قوى الزيدية المناصرة له، وهاجم رداع مرةً أخرى، فلما اقتربت قوى الزيدية منها خرج السلطان الظافر عامر بن طاهر لملاقاتهم، ووقعت الحرب بينهما، وقُتل فيها الكثير من الطرفين، وكان النصر حليف الزيدية، وهُزمت عساكر بني طاهر، وانتهبت خيامهم والكثير من معداتهم وخيولهم، وعادت قوى الزيدية إلى ذمار [١٢١].

وأمام ذلك الخطر الذي بات يهدد الدولة الطاهرية من جانب الزيدية، أعد السلطان الظافر عامر بن طاهر جيشاً جراراً في شهر رجب سنة ٨٦٥ هـ/ ١٤٦٠م، وسار إلى ذمار المتمركزة بها قوى الزيدية، وقاموا بضرب خيامهم خارج المدينة، فلما أحس الناصر عدم قدرته على المقاومة، خرج مع نسائه وأولاده إلى حصن (هران)، ودخلت القوات الطاهرية ذمار دون قتال،[١٢٢]، إلاَّ أن أوضاع المدينة لم تستقر، فقد سيطر عليها الإمام مرةً أخرى سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦١م، فقام السلطان الظافر بضرب الحصار عليها حتى استسلم أهلها، وهرب الإمام إلى حصن هران، وأبقى أهله وبعض عساكره فيه، واتجه نحو صنعاء، وأثناء سيره إليها لاقته بعض قبائل الحدا، مُبدين مناصرتهم له، وعرضوا عليه النزول في ضيافتهم، فلماَّ سار إليهم، اعتقلوه ، وسلموه للإمام المطهر بن محمد[١٢٣].

إلاَّ أن الصراع لم ينته بأسر الإمام الناصر بن محمد، فقد تزعم ابنه محمد بن الناصر قوى الزيدية الثائرة ضد بني طاهر، التي استطاعت في المحرم من سنة ٨٧٠ هـ/ ١٤٦٥م، إلحاق الهزيمة بجيش السلطان الظافر، حيث لقي مصرعه على أبواب صنعاء، وقُتل من عسكره خلق كُثر[١٢٤].

وبعد مقتل السلطان الطاهري، اضطربت أمور دولتهم، ولم يستطع أخوه المجاهد إرساء الأمور، وانقطع طمعهُ في السيطرة على صنعاء وذمار، وعمل بنظرة ثاقبة على إصلاح شأني تهامة ، واليمن الأسفل، فتملك ذمار الإمام المطهر بن محمد إلى أن توفي فيها سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م ، وقام ابنه عبد الله بالسيطرة على المدينة حتى سنة ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م وهي السنة التي قام فيها الملك المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر[١٢٥] بإعداد حملة على ذمار، نتج عنها إخراج ابن الإمام منها واستولى على المدينة قهراً بالسيف، وهرب منها ابن الإمام بأهله إلى صنعاء[١٢٦].

إلاَّ أن المدينة لم تُذعن للسلطات الطاهرية ، لا سيما بعد وفاة المنصور عبد الوهاب وقيام السلطان عامر بن عبد الوهاب[١٢٧] الذي دخل في صراع سياسي مع أبناء عمه على الحكم، لذلك قام الإمام الزيدي محمد بن علي السراجي [١٢٨] بتحريض أهل ذمار على بناية سور عظيم حول المدينة، فلماَّ علم السلطان الطاهري أعد حملةً سنة ٨٩٥هـ / ١٤٩٠م،

وسار إليها، وحاصرها حصاراً شديداً، حتى استسلم أهلها، وأمرهم بهدم ذلك السور ففعلوا، ودخلت المدينة تحت سيطرته، وجعل عليها عاملاً من قِبله[١٢٩].

وبعد خمس سنوات خرجت المدينة عن طاعة الدولة الطاهرية، فقد ذكر ابن الديبع أن السلطان الطاهري سار إلى ذمار بجيش لا يُحصى عدده، ودخلها ، وأخضعها لحكمه [١٣٠]، إلاَّ أن المدينة عادت للتمرد بمجرد خروج السلطان منها، ويظهر ذلك من خلال ما ذكره مؤرخ الدولة الطاهرية ابن الديبع بقوله: (ودخلها مولانا بجيش لا يُحصى)، وكان ذلك في سنوات متتالية وهي سنة ٩١٠، ٩١١، ٩١٢هـ، وهذا خير دليل على عدم رضوخ المدينة للسلطان الطاهري، وأماً عن عدد الجيش وكثرته، فهذا دليلنا إلى مدى قوة المدينة وبسالة أهلها في الدفاع عنها [١٣١].

ولم تكتف جيوش بني طاهر بالسيطرة على المدينة ، بل أمر السلطان عامر قواته بالتوجه إلى شرق المدينة لتخريب قرية رخمة، بدعوى أنها تغلبت على الواجبات السلطانية ، وكان على رأس تلك الحملة الأمير محمد علي القّملي [١٣٢]، وأصبحت المدينة والقرى المجاورة لها خاضعةً لدولة بني طاهر حتى سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م وهي السنة التي توجه فيها السلطان من ذمار إلى رداع، وقد ظهرت بوادر زوال دولته على يد الجراكسة الذين بعثهم السلطان قانصوه الغوري [١٣٣] من مصر لمطاردة البرتغاليين في جزيرة كمران [١٣٤] ، وحينما طلبوا منه المِيرة [١٣٥] ، منعها عنهم، فخرجوا لقتاله ، حتى لقي مصرعه على أيديهم سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، وبمقتله زالت دولة بني طاهر [١٣٦].

القسم الثاني : الحياة العلمية في ذمار

التعليم : تُعد ذمار من المدن التي رحل إليها العلماء ، إذ بنى فيها معاذ بن جبل مسجداً كان فيما بعد هو المسجد الجامع للمدينة، ومدرستها المشهورة ، وقد استقبلت العديد من طلبة العلم الذين قصدوها للتزود من مناهل علمائها ، وأهلها مشهورون بالعلم [١٣٧]، ومما لا شك فيه أن التعليم في ذمار كان لا يختلف عن مثيله في المدن اليمنية الأخرى ، فقد شكل القرآن الكريم وحفظه وتعلم آدابه عاملاً مشتركاً في العملية التعليمية في ذمار ، وغيرها من المدن ، بل وفي جميع الأمصار الإسلامية في العصر الإسلامي [١٣٨]، فكان نظام التعليم

في اليمن في العصر الإسلامي يمر بثلاث مراحل ، الكتاتيب (المِعْلامَة) ، ومرحلة دراسة العلوم الدينية واللغوية ، ومرحلة التفقه ، وكان ذلك النظام يسير على وتيرة واحدة في جميع مناطق اليمن ومنها ذمار ، وسنوضح ذلك باختصار كما يلي :

المرحلة الأولى : الدراسة في الكتاتيب (المِعْلامَة) ويتركز الاهتمام في هذه المرحلة على تعليم الصبية القراءة والكتابة ، وتحفيظهم القرآن الكريم ، وكانت تلك الكتاتيب منتشرة في المدينة بأكملها ، وفي القرى أيضا ، وكانت تلك الكتاتيب توجد بجوار المساجد مثل : مسجد الأسد ، ومسجد الأمير ، ومسجد عماد الدين ، ومسجد المطهر وغيرها [١٣٩]، وبعد استكمال هذه المرحلة التي تُستكمل بحفظ القرآن ينتقل من أراد الاستمرار في التعليم إلى المدارس المشهورة في المدينة كـ(المدرسة الشمسية) لتلقي العلوم الدينية واللغوية [١٤٠].

وكانت تبدأ مرحلة الدراسة في الكتاتيب في سن الخامسة من العمر ، وليست هناك مُدة محددة لبقاء الصبي في المِعْلامَة ، إذ تعتمد مُدة بقائه على مدى قدرته على حفظ القرآن في سنتين أو أكثر ، وعادة ما تبدأ تلك المرحلة باستخدام الألواح الخشبية وحفظ قصار الصور[١٤١].

المرحلة الثانية: وتبدأ هذه المرحلة بانتقال الطالب إلى المسجد أو المدرسة ، وهي مرحلة التفقه في العلوم ، ويدرس الطالب في هذه المرحلة العلوم الدينية واللغوية على أساتذة متفقهين ، ومن أهم المدارس العلمية بذمار المدرسة الشمسية [١٤٢].

المرحلة الثالثة : وفي هذه المرحلة يبدأ الطالب على بمواصلة دراسته للعلوم اللغوية والدينية حتى التفقه بها ، وفي هذه المرحلة يتجه الطالب إلى التدريب على المناظرات العلمية ويسعى في هذه المرحلة إلى الالتقاء بالعلماء والأخذ عنهم أينما كانوا ، وفي هذه المرحلة تظهر الشروح والاختصارات ، والتعليقات على الكتب أو بعض المسائل ، وكانت تلك المجالس التي تقوم على أساس المناظرات الطلابية كثيرة الانعقاد في مدينة ذمار [١٤٣].

<u>مراكز التعليم في المدينة وينقسم إلى قسمين: المساجد ، المدارس</u>

أولا المساجد: تعد المساجد من أهم وأقدم مراكز التعليم في المدينة ، وقد استخدم المسجد في ذمار كغيره من المدن الأخرى في اليمن ، بل وفي العالم الإسلامي لتعليم القرآن

والدين ، ذلك أن فكرة تخصيص أماكن للتدريس خارج المسجد لم تظهر إلا في مراحل متأخرة، وبالنسبة لمدينة ذمار فقد احتل الجامع الكبير بالمدينة الذي يقع حاليا بحارة (الحوطة) الدرجة الأولى ، إذ كانت حلقة العلم تعقد في أركان المسجد ، وتخصص كل حلقة بتدريس أحد العلوم الإسلامية ، والفقهية ، واللغوية ، مثله مثل الجامع الكبير بصنعاء ، والجند بتعز ، وجامع الأشاعر بزبيد ، وكانت ذمار إذ ذاك مشحونةً بعلماء الفقه ، والفرائض[١٤٤]، فكان العلامة على بن أحمد بن على بن الحسين بن محمد الحسنى من العلماء المحققين للنحو والفقه ، والحديث ، وتصدر للتدريس بجامع مدينة ذمار [١٤٥].

ويبدو أن الجامع الكبير احتل مكانة كبيرة في اليمن وذلك من خلال تلك المناظرات العلمية التي كانت تقام بين العلماء، فمثلاً كان مطرف بن شهاب يقوم بعمل مناظرات علمية في جامع ذمار [١٤٦]، وذكر الأكوع أنها جرت مناظرة بينه وبين العالم إبراهيم بن منصور البشاري [١٤٧] الذماري، ونهد بن الصباح في مسائل الإعراض [١٤٨]، كما أن الجامع شهد نوعاً من حلقات العلم الطارئة ، وذلك حينما قدم إلى ذمار أبو زيد المروزي ، وروى فيها صحيح البخاري، أتاه كثير من العلماء من صنعاء، والجند، وعدن، وسائر أنحاء اليمن [١٤٩]، كما أن مثل تلك المناظرات العلمية كانت تقام في منازل علماء ذمار أنفسهم [١٥٠]

ثانياً المدارس : الواقع أن تطور نظام أماكن التدريس من المسجد إلى إيجاد أماكن خاصة بها وهي المدرسة ، هو نظام استحدثه الأيوبيون أثناء دخولهم اليمن سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م ، وأنشؤوا باليمن العديد من المدارس[١٥١] ، وإذا كان المسجد يعتمد في أغلبه على المجهود الذاتي لرجالات الدين ، فإن المدارس اعتمد التعليم فيها على توجيه من الدولة ، لذلك اتجهت الدولة لبناء المدارس وأشرفت على عملية التعليم فيها ، فبنو أيوب هم الذين استحدثوا ذلك النظام ، وكان الغرض منه نشر المذهب السني في اليمن[١٥٢].

مجالس التعليم: بالنسبة لمجالس التدريس في المسجد فقد وجدت له عدة مسميات ، منها : (حلقات علم) ، أو (مجلس سماع) ، أو (مجلس تدريس) ، ويأخذ شكل دائري حول الأستاذ المكمل للدائرة ، إلا أن هناك فرق بين تلك المجالس من حيث نوعية العلم الذي يدرس بها ، وعدد الطلاب وغيرها ، فحلقة العلم : هي عبارة عن جلسة علمية تظم مجموعة فقهاء يتم فيها مناقشة العلوم العلمية أو الدينية . وأما حلقة التدريس : فهي التي تظم مجموعة من

الطلاب أمام أستاذهم الذي يجلس على كرسي أو على الأرض ساناداً ظهره على جدار المسجد، وهذه المجالس عادة ما تعقد بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء [١٥٣].

طرق التدريس: هناك العديد من الطرق التي كانت مستخدمة لأخذ العلم في ذمار وغيرها من المدن اليمنية ، لعل من أهمها وأبرزها ، السماع ، القراءة ، الحفظ ، الإملاء ، المناظرة.

١- طريقة السماع : وهي أول طريقة تعليمية ، وكانت تستخدم سواء في الكتاتيب (المعْلامة) ، أو المسجد ، أو المدرسة ، حيث إن الطالب يسمع نطق الحروف والكلمات ، ثم ينطقها بعد أستاذه كما سمعها منه ، ثم أصبحت كلمة (سماع) بعد ذلك مصطلحا يطلق على من يسمع الحديث ويقرؤه، فقد سمع أبو محمد عبد الله بن علي الزرقاني في ذمار صحيح البخاري على أبي زيد المروزي [١٥٤].

٢- طريقة القراءة: وهي التي يأمر الأستاذ الطالب بقراءة ما سمعه منه، حتى يتسنى له مراقبة النطق السليم للكلمات، وقد يقوم الطالب بقراءة الكتاب عدة مرات[١٥٥].

٣- طريقة الحفظ: تُعد من أهم الطرق في عملية تحصيل العلم في المدينة وغيرها، لا سيما حفظ القرآن والأحاديث، إذ كان الطالب يقوم بحفظ القرآن منذ السنوات الأولى لدخوله المعْلامة [١٥٦].

٤- طريقة الكتابة والإملاء: وهي من طرق التعليم المهمة ، إذ كان الطالب يتعلم طريقة الكتابة والإملاء منذ دخوله المعْلامة ، ثم يستمر في ممارسة الكتابة بشكل أوسع في المدرسة أو المسجد [١٥٧].

حركة التأليف في ذمار: شهدت اليمن ومنها ذمار حركة التأليف منذ منتصف القرن الثالث الهجري ، وقد تزامنت مع حركة التصنيف في العالم الإسلامي بشكل عام ، وخاصة في العلوم الدينية ، واللغوية ، وكتابة التاريخ ، وغير ذلك [١٥٨]، ومع أن المصادر اليمنية لم تذكر بشيء من التفصيل عن علماء ذمار في العصر الإسلامي، إلاَّ أننا استطعنا من خلال كتب التراجم أن نستعرض بعض منهم كالتالي:

عبد القادر بن محمد بن حسين الهراني[١٥٩] الذماري[١٦٠] عمرو بن منصور بن جبر العنسي العباصري[١٦١] الذماري، وكان من أعلام المائة السابعة [١٦٢]

الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم:ولد سنة هـ ، واشتغل بالمعارف العلمية وهو صبى ، فأخذ في جميع أنواعها على أكابر علماء الديار اليمنية ، وتبحر في جميع العلوم ، وفاق أقرانه ، وصنف التصانيف الحافلة في جميع الفنون ، جمع الله له بين العلم والعمل ، والقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى توفي سنة هـ بمدينة ذمار ودفن فيها[١٦٣]، ومن أهم مصنفاته: (الانتصار) [١٦٤] في فروع الفقه ثمانية عشر مجلداً، وفي الكلام (الشامل) [١٦٥] ثمانية أجزاء، وفي أصول الفقه (الحاوي) [١٦٦]، وفي النحو (الأزهار الصافية شرح الكافية) [١٦٧] مجلدين، ومن مؤلفاته في الأصول (المعالم الدينية) [١٦٨]، قيل بلغت مصنفاته مائة كما قال ابن الإمام شرف الدين [١٦٩]:

لو عد تصنيفه والعمر منه أتى لكل يوم كما قالوا بكراس

الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان ، ولد سنة ٨٠١هـ ، وأخذ عن الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ، والفقيه يوسف بن أحمد ، وغيرهم ، توفي سنة ٨٧٩هـ بذمار ، وكان علامة كبيراً ، حافظاً ، محققاً [١٧٠] ، ومن أهم مصنفاته : كتاب (الإرشاد)[١٧١] ، وله : (أجوبة مسائل) ، و (رسائل في أحوال الأئمة)، و(عقد عقيان الحكم وسمط اللآلئ في آداب الحروب والشيم)[١٧٢] ، و(محجة الأمان إلى معرفة حجة الزمان) ، و(تتمة شرح البحر الزخار) [١٧٣] ، و(عقود العسجد في تعداد آل محمد) [١٧٤]

التعليقات والهوامش

(١) ينسب بنو يعفر إلى يعفر بن عبد الرحمن بن إبراهيم الحوالي ، اتخذوا مدينة شبام في أسفل جبل ذخار عاصمة لهم، وقد ضرب يعفر على المدينة سوراً كبيراً، وحاربه عمال بني العباس في اليمن أيام المعتصم والواثق والمتوكل، وسكن معظمهم صنعاء ، وكان لهم دور فاعل على الساحة اليمنية ، الشماحي ، عبد الله بن عبد الوهاب ، اليمن الإنسان والحضارة ، ص: ٩٤ ، الدار الحديثة للطباعة والنشر، الجرافي، عبد الله بن عبد الكريم، المقتطف من تاريخ اليمن، ص: ٥٦، ٥٧، ط / دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

(٢) الشماحي ، اليمن الإنسان والحضارة ، ص: ٩٥ ، الجرافي، المقتطف ، ص: ٥٦.

(٣) هو علي بن الفضل الخنفري ــ من أهالي خنفر بأبين عدن ــ أحد دعاة الإسماعيلية (الباطنية) في اليمن إلى جانب أبي الحسن بن فرج بن حوشب، وقد بلغ هذا المذهب أوج قوته، واتساعه أيام الدولة الصليحية، ولمزيد من التفاصيل حول شخصية علي بن الفضل وصراعه مع القوى الأخرى على الساحة اليمنية، ينظر: الخزرجي ، علي بن الحسن ، العسجد المسبوك ، ص : ٣٦، مخطوط طبع تحت إشراف وزارة الإعلام والثقافة، ط/ ٢، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م، الجنداري ، الجامع الوجيز مع دراسة الوضع السياسي للزيدية في النصف الأول من القرن السابع الهجري، دراسة وتحقيق، محمد أحمد طاهر، رسالة دكتوراه ، جامعة صنعاء، ٢٠٠٧م، ص: ١٨، ٢٤، ٣٢، ٣٨.

(٤) هِران: بكسر الهاء وتشديد الراء جبل بركاني شمال مدينة ذمار ، كانت به قرى عامرة ، وكانت تسكنه قبيلة جُنب التي كان لها صولات وجولات في التاريخ إلى نهاية القرن التاسع، حيث توالت عليها المحن فانتقلت إلى مغرب عنس الذي يُسمى اليوم مخلاف الجُنبي، المقحفي، إبراهيم أحمد ، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٦٧٧، دار الكلمة، صنعاء، ١٩٨٨م.

(٥) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، ج ١ ، ص: ١٩٦ ، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٨٦م، زبارة ، محمد بن محمد ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٣٨، مطبعة النصر الناصرية، تعز، ط/١، ١٣٧٥.

(٦) المُذيخرة: مدينة كبيرة أعلى جبل ثُومان بالعدين، اتخذها علي بن الفضل عاصمة له في القرن الثالث الهجري، المقحفي، إبراهيم أحمد ، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٥٧٨.

(٧) الكبسي ، محمد بن إسماعيل، اللطائف السنية ، ص: ٤٨، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء، ط /١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

(٨) سلمية: مدينة في سوريا، إليها ينتسب محمد الحبيب وابنه عبيد الله مؤسس السلالة الفاطمية، المنجد في اللغة والأعلام، ص: ٣٦٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٤م.

(٩) حسين خضري أحمد ، قيام الدولة الزيدية الأولى ، ص: ١١٣ ، مكتبة مدبولي ، ط / ١، ١٩٩٦م ، الويسي ، حسين بن علي، اليمن الكبرى ، ص: ٢٦٢، مطبعة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.

(١٠) الجَنَد : مدينة مشهورة بالشرق الشمالي من مدينة تعز بمسافة ٢٢كم، سُميت بجند بن شهران أحد بطون المعافر ، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ١٣٠.

(١١) منكث: قرية عامرة في الجنوب الغربي من يريم، أخربها علي بن الفضل مع جامعها الذي بناه الهادي يحيى بن الحسين سنة ٢٨٨هـ، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٦٣٧.

(١٢) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص: ١٩٦ ، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٣٨، الجرافي، المقتطف ، ص: ٦٠.

(١٣) هو أبو الحسين الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل،الهادوي، ولد بالمدينة سنة ٢٤٥هـ، خرج إلى اليمن مرتين الأولى سنة ٢٨٠هـ، والثانية سنة ٢٨٤هـ، توفي سنة ٢٩٨هـ، وعن تأسيس دولته وصراعه مع الدويلات الأخرى في اليمن. ينظر: سيرة الهادي يحيى بن الحسين/ ١٥، وما بعدها، الجامع الوجيز، تحقيق محمد طاهر، ص: ٢٠، ٢٤، ٢٥، الوجيه ، عبد السلام ، أعلام المؤلفين الزيدية ، مؤسسة الإمام زيد بن علي ، الأردن ، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(١٤) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص: ١٩٨ ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص: ٤٣، زبارة أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٤٠.

(١٥) رداع: مدينة كبيرة شرقي ذمار بمسافة ٥٣كم، وتعرف برداع العرش، المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ص: ٢٦٥.

(١٦) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص: ١٩٨ ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص: ٤٤ ، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٤١.

(١٧) الكبسي ، اللطائف السنية ، ص: ٤٤، يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص: ٢٠٨.

(١٨) سيرة الإمام الهادي ، ص: ٤١ ، الخزرجي ، علي بن الحسن ، العسجد المسبوك ، ص: ٣٥ ، المحلي ، حميد بن أحمد ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ص: ٣٧، تحقيق: المرتضى بن زيد المحطوري، مكتبة مركز بدر العلمي، صنعاء، ط/ ١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م.

(١٩) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ١، ص: ١٦٧، قيام الدولة الزيدية ، ص: ٥٨ ، ٦٦.

(٢٠) مخلاف عنس: رأس مخلايف ذمار وينسب إلى عنس بن زيد بن سدد بن زُرعة بن سبأ الأصغر، وهو مخلاف نفيس كثير الخير، واسع يضم عدداً من القرى مثل: هكر، ورخمة، واسبيل، وللتوسع في ذلك يراجع، الهمداني، صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد بن يعقوب ، الصفة، ص: ٢٠٦، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد صنعاء، ط/ ١، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م.

(٢١) زبارى ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٢٢.

(٢٢) موكل: بلدة أثرية في رداع بالشرق الجنوبي من ذمار بمسافة ٤٣كم، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ص: ٦٤٧.

(٢٣) قيام الدولة الزيدية ، ص: ٨٧ ، الويسي ، اليمن الكبرى ، ص: ٢٦١.

(٢٤) أبو غانم ، فضل علي أحمد، القبيلة والدولة في اليمن ، ص: ١٣١ ، دار المنار للطباعة والنشر، القاهرة، ط / ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، الشماحي ، اليمن الإنسان والحضارة ، ص: ٩٧.

(٢٥) هو الإمام يوسف بن الإمام المنصور يحيى بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين، دعا سنة ٣٨٦هـ بمدينة ريدة على مسافة مرحلتين شمالاً من صنعاء، ولمزيد من التفاصيل عن نشاطه ومؤلفاته، ينظر: زبارة، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٧١: ٧٤، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص: ٥٢ ، الجرافي ، المقتطف ، ص: ١٠٨.

(٢٦) زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٧٤.

(٢٧) هو الإمام المنصور بالله القاسم بن علي بن عبد الله العياني، نسبة إلى مدينة عيان الواقعة شمال صنعاء والمقبور بها، ولد سنة ٣١٠هـ ، ودعا للإمامة سنة ٣٨٨هـ ، وتوفي سنة ٣٩٣هـ ، ولمزيد من التفاصيل عن نشاطه ومؤلفاته ، ينظر: زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٧٥: ٨٢، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص: ٥٣، الجرافي ، المقتطف ، ص: ١٠٩، الوجيه ، أعلام المؤلفين الزيدية ، ص : ٧٧٣.

(٢٨)المحلي، الحدائق الوردية، ج ٢، ص: ١١٤، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٧٧.

(٢٩) هو الإمام الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين ، دعا سنة ٤١٨هـ بعد وصوله من الحجاز، وتوفي سنة ٤٣٣هـ ، ولمزيد من التفاصيل عن نشاطه السياسي ومؤلفاته ، ينظر: المحلي، الحدائق الوردية، ج ٢، ص: ١٧٠: ١٨٦، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٨٧: ٩٠، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص: ٦١ ، الوجيه ، أعلام المؤلفين الزيدية ، ص : ٣٢٣.

(٣٠) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ١، ص: ٢٤٤، الكبسي، اللطائف السنية، ص: ٦١، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١،ص: ٨٧.

(٣١) هو الإمام أبو الفتح الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد الديلمي ، دعا في بلاد الديلم سنة ٤٣٠هـ، ثم قدم إلى اليمن ، فلما وصل صعدة بث دعوته في اليمن ، حتى قُتل على يد علي الصليحي بنجد الجاح بذمار سنة ٤٤٤هـ ، ولمزيد من التفاصيل عن نشاطه ومؤلفاته ، ينظر: المحلي، الحدائق الوردية، ج ٢، ص: ١٨٧: ١٩٤، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٩٠: ٩٣، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص: ٦٥ ، الجرافي ، المقتطف ، ص: ١١١، الوجيه ، أعلام المؤلفين الزيدية ، ص : ٧٤٩.

(٣٢) حمراء عَلب: قرية بالسفح الجنوبي من جبل نقم، على بعد ١٠كم من صنعاء، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية،ص: ٤٥٧.

(٣٣)يحيى بن الحسين، غاية الأماني ج ١، ص: ٢٤٧، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١، ص: ٩٢.

(٣٤) تأسست الدولة الصليحية على يد الداعي علي بن محمد الصليحي الذي استطاع أن يوحد الأراضي اليمنية ، حتى شملت دولته الحجاز ومكة ، وقد استفاد الصليحي من الحالة السياسية التي كانت تعاني منها اليمن مع بداية القرن الخامس الهجري فاستطاع القضاء على كل القوى الموجودة على الساحة ، وامتد حكم الصليحي من سنة ٤٣٩ – ٤٥٩ هـ ، ثم خلفه في الحكم ابنه المكرم أحمد بن علي إلى سنة ٤٨٤ هـ ، ثم السيدة أروى بنت أحمد التي حكمت حتى سنة ٥٣٢ هـ ، وبوفاتها كانت نهاية دولتهم . ينظر : الهمداني ، حسين فضل الله، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، ص : ٦٢، دار الطباعة والنشر، دمشق، بلا ، الخزرجي ، العسجد ، ص : ٥٦، وما بعدها ، السروري ، الحياة السياسية ، ص: ٢٨ وما بعدها ، الجرافي ، المقتطف ، ص : ٦٤ .

(٣٥) نجد الجاح : قريب من جهة رداع ، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٩٣.

(٣٦) الهمداني، الصليحيون والحركة الفاطمية ، ص: ٨٣ ، يحيى بن الحسين، غاية الأماني ج ١، ص: ٢٥٠، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٩٣.

(٣٧) جُنب: قبيلة عتيدة كانت لها صولات وجولات في التاريخ، وكانت مساكنها بهران ذمار وسواده، ولعلها انتقلت إلى مغارب ذمار وهو ما يعرف بمخلاف الجُنبي، وجنب حي من مذحج وهم ولد يزيد بن حرب ، وسموا بذلك لأنهم جانبوا أخاهم يزيد بن مزيد وحالفوا سعد العشيرة، وحكم سلاطينها حتى قضى على نفوذهم الأيوبيون سنة ٥٨٢هـ، ينظر: الشماحي ، اليمن الإنسان والحضارة ، ص: ١١٩، الويسي ، اليمن الكبرى ، ص: ١١٦.

(٣٨) الهمداني، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص: ١١٣ــ ١١٧.

(٣٩) هو الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر، ولده بهجرة حوث سنة ٥٠٠هـ ، حيث اقتبس كثيراً من أنواع العلوم حتى عُرف بغزارة العلم، والشجاعة، والفصاحة، ودعا للإمامة سنة ٥٣٢هـ ، توفي سنة ٥٦٦هـ، ولمزيد من التفاصيل عن صراع الإمام مع بني حاتم والباطنية ، ينظر: المحلي، الحدائق الوردية ج٢ ، ص: ٢٣٧، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٩٥: ١٠٧، الجنداري ، الجامع الوجيز، تحقيق ، محمد طاهر ، ص: ٢٧، الموسوعة اليمنية ، ج ١، ص: ٤٥١، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط/ ١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢.

(٤٠) مَدر: مدينة أثرية في أرحب شمالي صنعاء ، المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ص: ٥٧٤.

(٤١) الجنداري، أحمد بن عبد الله، الجامع الوجيز، ص: ١٦٠، تحقيق ودراسة، محمد أحمد طاهر الحاج، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، ٢٠٠٧م، الكبسي، محمد بن إسماعيل ، النفحات المسكية، (خ)، ج ٢، ص: ٣١٤، مخطوط مصور من مكتبة عبد السلام الوجيه، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٩٧.

(٤٢) أشيح: بفتح أوله ، حصن شهير بالمناعة والعزة ، وموقعه في بني سويد من بلاد آنس ، ويعرف الآن بحصن ظفار ، وهو في الشمال الغربي من ضوران بمسافة ٣٠كم ، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٣٤.

(٤٣) مُقرى: من مخلاف ذمار، الهمداني، الحسن بن أحمد ، الصفة، ص: ٢٠٨.

(٤٤) المطاع، أحمد بن محمد، تاريخ اليمن الإسلامي من سنة ٢٠٤ – ١٠٠٦ هـ، ص: ٣٣٩، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، منشورات المدينة، بيروت، ط/ ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م، يحيي بن الحسين، غاية الأماني ج ١، ص: ٣١٢، ٣١٣، السروري، محمد عبده، الحياة السياسية في اليمن في عهد الدويلات المستقلة، ص: ١٧٤، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م.

(٤٥) المحلي، الحدائق الوردية ج ٢، ص: ٢١٩، الزحيف، محمد بن علي بن يونس ، مآثر الأبرار، ج ٢، ص: ٧٤٨، تحقيق: عبد السلام الوجيه، خالد قاسم، مؤسسة الإمام زيد بن علي، الأردن، ط/١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص: ١١٩.

(٤٦) هو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة ، ولد سنة سنة ٥٦١هـ بجبل عيشان من ظاهر بلاد همدان ، وفي سنة ٥٨٣هـ كانت دعوته الأولى ببلاد الجوف ، إلاَّ أن بني أيوب أخمدوا تلك الدعوة ، فقام مرةً أخرى بأمر الدعوة سنة ٥٩٣هـ ، وكانت له معارك شديدة معهم حتى توفي سنة ٦١٢هـ ، ولمزيد من التفاصيل حوله نشاطه السياسي ، ينظر: الجنداري، الجامع الوجيز، تحقيق ودراسة، محمد طاهر ، ص: ٦٤، وما بعدها ، ، زبارة، أئمة اليمن ج ، ١ ، ص : ١١٤: ١٤١، ابن الديبع ، عبد الرحمن بن علي ، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، ص: ٢٨٠، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط/ ٢، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م ، الخزرجي، العسجد ، ص : ١٦٧.

(٤٧) المحلي، الحدائق الوردية ج ٢، ص: ٢١٩، يحيي بن الحسين، غاية الأماني ج ١، ص: ٣٣٠، الكبسي، الطائف السنية، ص: ٩٩، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ١١٠.

(٤٨) ابن حاتم، بدر الدين محمد بن حاتم ، السمط الغالي الثمن، ص: ٥٩، تحيق: د. ركس سمث، طبع لندن، طبعة بريل ١٩٦٧م، المحلي، الحدائق الوردية ج ٢، ص: ٢٩٧، يحيى بن الحسين، أنباء الزمن (خ) ص: ١١٨، مخطوط مصور، دار المخطوطات، صنعاء، رقم(١٠٩) ، غاية الأماني ج ١، ص: ٣٤٨، محمد عبد العال، الأيوبيون في اليمن، ص: ١٦٨، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م، السروري، محمد عبده، الحياة السياسية، ص: ٣٠٩.

(٤٩) ابن حاتم، السمط ، ص: ١٥٥، ١٥٦، المحلي، الحدائق الوردية ج ٢، ص: ٢١٩، يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، (خ)، ص: ١٤٥، غاية الأماني ج ١، ص: ٤٠٠.

(٥٠) هو الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد ، ولد سنة ٦١٢هـ بهجرة كومة من بلاد الظاهر، ودعا للإمامة بحصن ثلا سنة ٦٤٦هـ ، فأجابته كثير من القبائل، ومال إليه الأشراف بنو حمزة ، دخل في صراع مع بني رسول حتى استشهد على أيدي الأشراف بمساعدة المظفر الرسولي سنة ٦٥٦هـ، ولمزيد من التفاصيل حول ذلك ، ينظر: الجنداري، الجامع الوجيز ، تحقيق: محمد طاهر ، ص: ١٢٠، الخزرجي، العسجد ، ص: ٢٠٣، زبارة، أئمة اليمن ، ج ١، ص : ١٥٢: ١٧٢.

(٥١) يحيى بن الحسين، غاية الأماني ج ١، ص: ٤٣٠، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص: ١٢٩.

(٥٢) هو الإمام إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن بدر الدين ، دعا زبارة، أئمة اليمن ، ج ١، ص : ١٥٢: ١٧٢للإمامة سنة ٦٧٠هـ من حصن ظفار الظاهر ، وبايعه كثير من علماء عصره ، خرج من صنعاء سنة ٧٦٤هـ إلى ذمار وعندما وصل معبر كانت قوات بني رسول له بالمرصاد ، وتم أسره وسلموه للمظفر الرسولي الذي اعتقله حتى توفي سنة ٦٨٣هـ ، زبارة، أئمة اليمن ، ج ١، ص : ١٩٠: ١٩٣، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص : ١٤٢، الجرافي ، المقتطف ، ص: ١٢٤.

(٥٣) جهران: حقل واسع جنوب صنعاء بمسافة ٦٦كم ، وهو منسوب إلى جهران بن يحصب بن دهمان ، المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ص : ١٨٤.

(٥٤) هو السلطان المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول قام بعد مقتل والده سنة ٦٤٧هـ ، وكان آنذاك في بلاد المهجم من بلاد تهامة ، واستطاع المظفر إخماد جميع الحركات الثائرة على دولته الناشئة ، وكان حازم الرأي قوي الحركة ، وكانت بينه وبين أئمة الزيدية حروب كثيرة ، واستمر المظفر في حكم اليمن حتى سنة ٦٩٤هـ ، الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ج ١ ، ص: ٩٢ وما بعدها ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص : ١٣٠، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٢٠٦ ، الجرافي ، المقتطف ، ص: ٧٨.

(٥٥) يحيى بن الحسين، غاية الأماني ج ١، ص: ٤٥٧، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص : ١٤٣.

(٥٦) مَعبر: مدينة بالجنوب من صنعاء بمسافة ٦٨كم في وسط قاع جهران ، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٦٠٩.

(٥٧) أفق: قرية في ناحية معبر، بالقرب من ذمار بمسافة ١٣كم، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٤١.

(٥٨) تعز: بفتح التاء وكسر العين ، مدينة مشهورة ، أول من مَدنها ومصرها الملك المظفر الرسولي سنة ٦٥٣هـ ، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٩١.

(٥٩) يحيى بن الحسين، غاية الأماني ج ١، ص: ٤٦١، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص : ١٤٣.

(٦٠) هو الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسني ، ولد في سنة ٦٦٩هـ بمدينة صنعاء ، دعا سنة ٧٣٠هـ ببلاد الظاهر ، وصعدة ، وكانت له وقائع بصنعاء مع الإسماعيلية ، ثم سار إلى حصن هران وعكف هناك على التأليف والتصنيف ونشر العلم حتى توفي به سنة ٧٤٩هـ. ينظر: زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ص: ٢٢٩، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص : ١٥٢، الجرافي ، المقتطف ، ص : ١٢٧.

(٦١) يحيى بن الحسين، غاية الأماني ج ١، ص: ٥١١، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص : ١٥٤.

(٦٢) هو الإمام المهدي علي بن محمد بن علي بن منصور بن يحيى بن منصور بن المفضل ، ولد سنة ٧٠٥هـ ، وكانت دعوته للإمامة سنة ٧٥٠هـ في حصن ثلا ، وتوفي سنة ٧٧٣هـ ، وعن نشاطه السياسي وأحواله. ينظر:

زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ص: ٢٤٩ وما بعدها ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص : ١٥٦، الجرافي ، المقتطف ، ص : ١٢٨

(٦٣) هو الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن علي بن محمد الحسني ، ولد سنة ٧٣٩هـ ، وبويع للإمامة سنة ٧٧٣هـ بعد وفاة والده ، وكان بينه وبين بني رسول حروب في المهجم من بلاد تهامة وغيرها ، توفي سنة ٧٩٣هـ ، وعن نشاطه السياسي ومؤلفاته. ينظر: زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ص: ٢٦٠ وما بعدها ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص : ١٥٧، الجرافي ، المقتطف ، ص : ١٢٩

(٦٤) عُتمة: بالغرب الجنوبي من ذمار بمسافة ٦٢كم، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٤٢٧.

(٦٥) يحيى بن الحسين، غاية الأماني ج ٢، ص: ٥١٥، ٥١٧ ،

(٦٦) هو الإمام المنصور علي بن صلاح الدين محمد بن علي بن محمد الحسني ، ولد سنة ٧٧٥هـ في مدينة ذمار ، بويع للإمامة بعد وفاة والده سنة ٧٩٣هـ ، و كانت له وقعات مع الأشراف بني حمزة ، والباطنية ، توفي سنة ٨٤٠ هـ ، وعن أحواله ومؤلفاته ينظر : زبارة ، أئمة اليمن ، ج : ١ ، ص : ٢٨٠ وما بعدها ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص : ١٥٨ ، الجرافي ، المقتطف ، ص : ١٢٩ .

(٦٧) يحيى بن الحسين، غاية الأماني ج ٢، ص: ٥٤٠ ، ٥٤١، زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ص: ٢٩١.

(٦٨) يحيى بن الحسين، غاية الأماني ج ٢، ص: ٥٥٩، زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ص: ٢٩١.

(٦٩) هو الإمام الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن المطهر بن يحيى ، دعا للإمامة سنة ٨٤٠ هـ ، وفتح كثيرا من بلاد اليمن وغزا بني طاهر واستولى على كثير من الحصون ، وفاته سنة ٨٦٧ هـ ، وعن أحواله ومؤلفاته ينظر : زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ص: ٣٢٢ ، الجرافي ، المقتطف ، ص : ١٣٢.

(٧٠) يحيى بن الحسين، غاية الأماني ج ٢، ص: ٥٧٥ ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص : ١٧٥.

(٧١) هو الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان بن محمد الذماري ، ولد سنة ٨٠١ هـ ، ودعا للإمامة في سنة ٨٤٠ هـ في بلاد الأهجر ، وبلاد حمير من مغارب صنعاء ، وكان بينه وبين الإمام الناصر بن محمد وقعة في قريس من ناحية جهران هزم على أثرها ، ووضعه الناصر بن محمد في السجن بحصن الربعة ، توفي سنة ٨٧٩ هـ، وعن أحواله ومؤلفاته ينظر : زبارة ، أئمة اليمن ، ج : ١ ، ص : ٣٢٦ وما بعدها ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص: ١٧٠ ، الجرافي ، المقتطف ، ص : ١٣١ .

(٧٢) يعرف هذا المسجد باسم مسجد المطهر ، ويقع في حارة الحوطة ، وقد قام الباحث بزيارته.

(٧٣) يحيى بن الحسين، غاية الأماني ج ٢، ص: ٦٠٦ ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص : ١٧٢.

(٧٤) هو الإمام المؤيد بالله محمد بن الناصر بن محمد قام بأمر الدعوة بعد القبض على والده سنة ٨٦٦هـ ، وفي أيامه غزا السلطان الطاهري عامر بن طاهر صنعاء مرتين ، واستطاع الإمام الزيدي في المرة الثانية قتل السلطان وتشتيت قواته سنة ٨٧٠هـ ، وامتدت أيامه حتى توفي سنة ٨٩٨هـ ، ينظر : الجرافي ، المقتطف ، ص : ١٣٣.

(٧٥) الكبسي ، اللطائف السنية ، ص : ١٩١.

(٧٦) حكم بنو حاتم في صنعاء من سنة ٤٩٢ – ٥٦٩ هـ ، تعاقب على هذه الدولة ثلاث أسر هي : آل الغشيم ، آل القبيب ، آل حاتم ، وقد دخل بنو حاتم في نزاع مع أئمة الزيدية على صنعاء وذمار ، حتى وصول الأيوبيين إلى اليمن سنة ٥٦٩ هـ وسقطت دولتهم على أيديهم . ينظر : الخزرجي ، العسجد ، ص : ٧١ ، الجرافي ، المقتطف ، ص : ٧١، السروري ، الحياة السياسية ، ص : ١٦٩ وما بعدها .

(٧٧) يحيى بن الحسين، غاية الأماني ج ١، ص: ٣٠٢.

(٧٨) يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، (خ)، ص: ١٠١، المطاع، تاريخ اليمن الإسلامي، ص: ٣٢٩، زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ص: ٩٩.

(٧٩) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ١، ص: ٣١٣، المطاع، تاريخ اليمن الإسلامي، ص: ٣٣٩، زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ص: ١٠٧.

(٨٠) قامت دولة بني مهدي على يد علي بن محمد الحميري الرعيني، وكان يسكن هو وأبوه قرية العنبرة بأسفل وادي زبيد، بدأ نشاطه السياسي سنة ٥٣٨هـ ، امتد حكم علي بن مهدي شهرين وأحد عشر يوماً، ، وتولى الحكم بعده ابنه مهدي بن علي، ثم عبد النبي بن مهدي، الذي كان له طموح في الاستيلاء على اليمن بأكمله، وامتدت دولتهم حتى سقطت في أيدي الأيوبيين سنة ٥٦٩هـ، الخزرجي، العسجد، (خ) ، ص: ١٢٩، ابن الديبع ، قرة العيون، ص: ٢٥٦، الفقي، عصام الدين عبد الرءوف، اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، ص: ١٩٨، دار الفكر العربي، ط/ ١، ١٩٨٢م.

(٨١) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ١، ص: ٣١٩، الكبسي، اللطائف السنية، ص: ٩٥، الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص: ١١٩.

(٨٢) ابتدأت الدولة الأيوبية في اليمن سنة ٥٦٩ هـ ؛ حينما أرسل صلاح الدين الأيوبي أخاه توران شاه إلى اليمن على رأس حملة قوامها ثلاثة آلف راجل ،وقد وصلت تلك الحملة إلى حرض ، وسيطرت على زبيد في أواخر شهر رمضان ، كما قام توران شاه بالسيطرة على تعز ، والجند ، ثم على عدن ، وذمار ، وصنعاء ، التي استولى عليها سنة ٥٧٠ هـ ، وسقطت جميع الدويلات اليمنية الحاكمة آنذاك ، وامتد حكم بني أيوب في اليمن حتى سنة ٦٢٦هـ، ينظر : محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص : ٦٨، وما بعدها ، دار المعرفة الجامعية للنشر ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م، الجرافي ، المقتطف ، ص : ٧٣ .

(٨٣) ابن حاتم ، السمط ، ص : ١٧ ، الخزرجي ، العسجد ، ص : ١٥٠.

(٨٤) رخمة: بفتح الراء والخاء، بلدة وحصن في الشرق الشمالي من مدينة ذمار بمسافة ٥كم، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٢٦٤، وهي مسقط رأس الباحث، ومن مواليدها سنة ١٩٧٠م.

(٨٥) ابن حاتم ، السمط ، ص : ١٨ ، الخزرجي ، العسجد ، ص : ١٥٠، يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ١، ص: ٣٢٤، أنباء الزمن ، ص: ١٠٨، الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص: ١١٩.

(٨٦) هو سيف الإسلام طغتكين بن أيوب بن شادي ، أرسله أخوه صلاح الدين إلى اليمن سنة ٥٧٩ هـ من أجل إعادة اليمن إلى حظيرة الدولة الأيوبية ، واستطاع سيف الإسلام أن يعيد كل المناطق التي خرجت عن طاعتهم ، ينظر : الجرافي ، المقتطف ، ص : ٧٥ ، محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص : ١١٧، السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص : ٢٨٢ وما بعدها .

(٨٧) ابن حاتم ، السمط ، ص : ٥٩ ، المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ص: ٢٩٧ ، يحيى بن الحسين، أنباء الزمن ، ص: ١١٨.

(٨٨) هو المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب ، ولي اليمن بعد مقتل والده سنة ٥٩٣ هـ ، ودخل في صراع مع الزيدية على حكم اليمن ، ونظرا لأن المعز كان غير مؤهلا للحكم فقد كادت اليمن أن تخرج من أيدي الأيوبيين ، فقتله الأكراد سنة ٥٩٨ هـ ، ينظر : الجرافي ، المقتطف ، ص : ٧٦ ، محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص : ١٤٩، السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص : ٣٠٠ وما بعدها .

(٨٩) ابن حاتم ، السمط ، ص : ٥٩ ، ٦٤ ، المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ص: ٢٩٧ ، يحيى بن الحسين، أنباء الزمن ، ص: ١١٩.

(٩٠) ذي حولان: قرية وحصن خارج مدينة ذمار بحوالي ٤كم، وما تزال تعرف بهذا الاسم حتى اليوم.

(٩١) ابن حاتم ، السمط ، ص : ١٥٥، يحيى بن الحسين، أنباء الزمن ، ص: ١٤٥.

(٩٢) هو الملك المسعود بن الملك الكامل بن الملك العادل الأيوبي ، أرسله والده على رأس حملة من مصر إلى اليمن سنة ٦١١ هـ ، ونظرا لصغر سنه فقد أرسل والده الأتابك جمال الدين فليت مدبرا لدولته ، ووصلت الحملة سنة ٦١٢ هـ إلى زبيد ، واستطاع المسعود أن يعيد المناطق التي سيطر عليها الإمام الزيدي عبد الله بن حمزة ، ثم عاد إلى مصر بعد أن أناب على حكم اليمن نور الدين عمر بن رسول ، إلا أن المنية وافته في مكة سنة ٦٢٦ هـ ، فاستقل علي بن رسول بحكم اليمن بعد سنتين من وفاة المسعود ، ينظر : الجرافي ، المقتطف ، ص : ٧٦ ، محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص : ٢٤٤، السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص : ٣٤٧ وما بعدها .

(٩٣) ابن حاتم ، السمط ، ص : ١٦٨، يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ١، ص: ٤٠٤، ابن الديبع ، قرة العيون ، ص : ٢٩٢ ، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ١٤١.

(٩٤) قامت دولة بني رسول على أنقاض الدولة الأيوبية، وكان بنو رسول في بداية أمرهم يحكمون في كثير من المناطق نوابا عن بني أيوب ، وحينما عاد الملك المسعود إلى مصر سنة ٦٢٦ هـ أناب عنه على حكم اليمن علي بن رسول ، إلا أنه توفي بمكة ، وظل علي بن رسول يحكم اليمن لمدة عامين تحت المضلة الأيوبية ، حتى تمكن من الاستقلال بحكم اليمن عن الأيوبيين سنة ٦٢٨ هـ ، ينظر : الخزرجي ، العسجد ، ص : ١٩٠، الجرافي ، المقتطف ، ص : ٧٧، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص: ١٢٦.

(٩٥) براش العرش : حصن بالجنوب من رداع بمسافة ٨كم ، المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ص : ٦٦.

(٩٦) الرَبعة : من قرى وادي الحار في ذمار ، المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ص : ٢٦١.

(٩٧) الخزرجي ، علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، ج ١ ، ص: ١٩٠ ، تصحيح وتنقيح: محمد بسيوني عسل، دار صادر، بيروت، يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ١، ص: ٤٤٨، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ١٩١ ، الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص: ١٢٦.

(٩٨) هو الملك المؤيد داود بن يوسف بن علي بن عمر بن رسول، تولى السلطنة سنة ٦٩٦هـ بعد موت أخيه الأشرف عمر بن يوسف، من مآثره المدرسة المؤيدية، واستمر في الملك حتى توفي في ذي الحجة سنة ٧٢١هـ، وكانت له وقائع مع الزيدية. ينظر: الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص: ٢٨١، الجرافي ، المقتطف ، ص : ٧٩، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص : ٢٠٧.

(٩٩) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص: ٣٢٨، ابن الديبع، قرة العيون، ص: ٣٤١.

(١٠٠) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص: ٣٦٧.

(١٠١) وادي الحار: عزلة من ناحية عنس، بالغرب من ذمار، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمني، ص: ١٤١.

(١٠٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص: ٣٨٧، ابن الديبع، قرة العيون، ص: ٣٤٧.

(١٠٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص: ٤٠١.

(١٠٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص: ٤٠٥ ، ٤٠٦.

(١٠٥) هو المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول، ولي السلطنة بعد أبيه في سنة ٧٢١هـ، وثار عليه ابن عمه الظاهر بن المنصور، فغلبه، وقبض عليه، واستقرت بلاد اليمن بيد الظاهر، وجعل تعز بيد المجاهد، ثم حاصره، فكاتب المجاهد الناصر صاحب مصر، فأرسل له عسكرا إلى أن استولى على البلاد اليمنية جميعا ، وبقي في الملك حتى توفي سنة ٧٦٤هـ. ينظر: الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص: ٣٣٤، الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ١، ص : ٤٤٤، الجرافي ، المقتطف ، ص : ٨٠.

(١٠٦) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص: ٦٧، ابن الديبع، قرة العيون، ص: ٣٦١.

(١٠٧) الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص: ١٢٧.

(١٠٨) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص: ١٠٠ ، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ١٦٣.

(١٠٩) الحدا : ناحية وقبيلة في الجنوب الشرقي من ذمار بمسافة ٣١كم ، وتنسب إلى الحدا بن مراد بن مالك وهو مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب ، المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ص : ١٥٨.

(١١٠) يريم : مدينة في قاع الحقل جنوبي ذمار بمسافة ٤٠كم ، المقفحي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ص : ٧١١.

(١١١) إريان : بلدة مشهورة تقع ضمن ناحية القفر بالجهة الغربية من يريم ، المقفحي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية،ص : ٢٥.

(١١٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص: ١٠١، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ١٦٣.

(١١٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص: ١٥٥، يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ٢، ص: ٥٢٦.

(١١٤) الجرشة: عُزلة من بلاد عنس وأعمال ذمار، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ١١٨.

(١١٥) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ٢، ص: ٥٤٠، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٢٨٢.

(١١٦) هو الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل ين الأفضل عباس بن المجاهد علي، قام بالسلطنة بعد والده سنة ثلاث وثمان مائة، وكان غير محمود السيرة، جائراً على الرعية، توفي سنة سبع وعشرين وثمان مائة بحصن الفص. ينظر: الخزري ، العسجد المسبوك ، ص: ٥١١، محمد عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص: ٢٢٧، الجرافي ، المقتطف ، ص: ٨١.

(١١٧) الصُرم : قرية في خُبان من بلاد يريم ، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٣٧٩.

(١١٨) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ٢، ص: ٥٦٤، زبارة ، أئمة اليمن ، ج ١ ، ص: ٢٩٨، تحقيق الجامع الوجيز ، محمد طاهر، ص : ٤٩٠.

(١١٩) قامت دولة بني طاهر سنة ٨٥٨هـ على أنقاض دولة بني رسول، وكان أول من استقل بملك اليمن من بني طاهر الأخوان علي بن طاهر بن تاج الدين الذي لُقب بالملك المجاهد، وعامر بن طاهر بن تاج الدين الذي لُقب بالملك الظافر، وقد ورث بنو طاهر بلاداً تسودها الفوضى والاضطرابات، وتمزقها الفتن الداخلية، الأمر الذي حتم على الأخوين المجاهد والظافر الاشتراك في حكم اليمن من باب الحفاظ على تماسك الدولة ، واستمرت دولتهم حتى سنة ٩٢٣هـ، ابن الديبع، قرة العيون، ص: ٤٠٦، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص: ١٢١، تحقيق: عبد الله الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ط/ ١٩٧٩م، الجرافي ، المقتطف ، ص : ٨٢، الموسوعة اليمنية، ج١، ص: ٤٩٨.

(١٢٠) ابن الديبع، قرة العيون، ص: ٤١٠، بغية المستفيد، ص: ١٢٩ ، يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، (خ)، ص: ٢٤٧.

(١٢١) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص: ١٣٠ ، يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، (خ)، ص: ٢٤٩.

(١٢٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص: ١٣١ ، يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، (خ)، ص: ٢٥٠.

(١٢٣) يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، (خ)، ص: ٢٥١، زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ص: ٣٢٥.

(١٢٤) ابن الديبع، قرة العيون، ص: ٤١٥، الزحيف، مآثر الأبرار، ج ٣، ص: ١٢٩٨.

(١٢٥) هو السلطان المنصور تاج الدين عبد الوهاب بن داود بن طاهر ، ولي الملك بعد وفاة عمه الملك المجاهد سنة ٨٨٣هـ ، وكانت له وقائع مع الزيدية ، توفي في جُبن سنة ٨٩٤هـ ، ينظر : ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص : ١٥٣ وما بعدها ، الجرافي ، المقتطف ، ص : ٨٣.

(١٢٦) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ٢، ص: ٦١٤، زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ص: ٣٤٩.

(١٢٧) هو السلطان الظافر عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر ، ولي الملك بعد وفاة والده سنة ٨٩٤هـ ، وكانت له وقائع مع الزيدية ، قُتل على أيدي الجراكسة المماليك حول مدينة صنعاء سنة ٩٢٣ هـ ، ينظر : ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص : ١٧٣ وما بعدها ، الجرافي ، المقتطف ، ص : ٨٣.

(١٢٨) هو محمد بن علي بن محمد بن علي، المعروف بـ(السراجي الوشلي)، كان شاعراً بليغاً، فصيحاً، دعا في قرية القابل من أعمال صنعاء بعد وفاة الإمام عز الدين، فأجابه أهل البلاد الشامية وبلاد الشرف والسودة، وملك بعض بلاد اليمن، وكانت له وقعتان مع عامر بن عبد الوهاب، أدت إلى هزيمته وأسره في شوال سنة ٩١٠هـ، وبقي في الأسر حتى توفي بعد ثلاث سنين. ينظر: الزحيف ، مآثر الأبرار ، ج ٣، ص : ١٢٦٩، الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ٢ ، ص : ٢١٣، الموسوعة اليمنية ١/ ٤٥٥.

(١٢٩) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ٢، ص: ٦١٧، ٦١٨، زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ص: ٣٥٤.

(١٣٠) ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، الفضل المزيد على بغية المستفيد، ص: ٢٨٥، تحقيق: يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ط/ ١٩٨٣.

(١٣١) ابن الديبع، عبد الرحمن، الفضل المزيد على بغية المستفيد، ص: ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٦.

(١٣٢) ابن الديبع، عبد الرحمن، الفضل المزيد على بغية المستفيد، ص: ٢٩٦، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٢٦٤.

(١٣٣) هو الملك الأشرف قانصوه الغوري ــ من ملوك الجراكسة الذين تولوا في مصر ــ ، ولي السلطنة سنة ٩٠٦هـ ، وكان عظيم الدهاء ، أرسل جنوده إلى اليمن لمطاردة البرتغاليين ، وعاثوا في اليمن فساداً ، فلما علموا بمقتل سلطانهم على يد سليم العثماني في وقعة مرج دابق سنة ٩٢٣هـ عادوا إلى مصر ، الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ٢ ، ص : ٥٥.

(١٣٤) كَمَران: جزيرة مشهورة في البحر الأحمر، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٥٤٠.

(١٣٥) الميرة : جمع مير ، الطعام الذي يدخره الإنسان ، المنجد في اللغة والأعلام ، ص : ٧٨١.

(١٣٦) ابن الديبع، عبد الرحمن، الفضل المزيد على بغية المستفيد، ص: ٣٥٨، الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص: ٨٤، زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ص: ٣٧٣.

(١٣٧) الشجاع ، عبد الرحمن ، الحياة العلمية في اليمن في القرن الثالث والرابع للهجرة ، ص: ٣٥، إصدار وزارة الثقافة، اليمن، ط / ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

(١٣٨) المشرقي، رياض علي سعيد، التعليم في اليمن في عصر الدولة الطاهرية، ص: ١١٩، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، اليمن، ط / ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

(١٣٩) مقابلة مع الشيخين : يحيى بن محمد المغربي ، أحمد بن عبد الله الحوثي.

(١٤٠) السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص: ٥٤٥، المشرقي، التعليم في اليمن، ص: ١٥٩.

(١٤١) السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص: ٥٤٥، المشرقي، التعليم في اليمن، ص: ١٥٩.

(١٤٢) صادق الحلو ، المدرسة الشمسية ، ص: ٨٥، مجلة كلية الآداب ، العدد الثالث ، ٢٠٠٧م.

(١٤٣) الشجاع ، عبد الرحمن ، الحياة العلمية، ص: ٧٨، السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص: ٥٤٨.

(١٤٤) الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع، ج ١، ص: ٣٦١ ، دار المعرفة، بيروت ، السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص: ٥٥٠، المشرقي، التعليم في اليمن، ص: ٢٣٢.

(١٤٥) الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع، ج ٢، ص: ١٥٩ .

(١٤٦) الشجاع ، عبد الرحمن ، الحياة العلمية، ص: ٧٣.

(١٤٧) البشاري: نسبة إلى قرية بشار من أعمال الحدا، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٧٩.

(١٤٨) الأكوع، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج ١، ص: ١٣٨، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط / ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

(١٤٩) الشجاع ، عبد الرحمن ، الحياة العلمية، ص: ٧٦.

(١٥٠) الشجاع ، عبد الرحمن ، الحياة العلمية، ص: ٥٧.

(١٥١) المشرقي، التعليم في اليمن، ص: ٢٣٩.

(١٥٢) السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص: ٥٥١.

(١٥٣) الشجاع ، عبد الرحمن ، الحياة العلمية، ص: ٧٣ ، السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص: ٥٥٢.

(١٥٤) الشجاع ، عبد الرحمن ، الحياة العلمية، ص: ٨١، السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص: ٥٥٤.

(١٥٥) الشجاع ، عبد الرحمن ، الحياة العلمية، ص: ٨٥، السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص: ٥٥٥.

(١٥٦) السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص: ٥٥٥.

(١٥٧) الشجاع ، عبد الرحمن ، الحياة العلمية، ص: ٨٤، السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص: ٥٥٥.

(١٥٨) السروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ، ص: ٥٨٢.

(١٥٩) الهراني: نسبة إلى جبل هران الواقع شمال المدينة.

(١٦٠) الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج ١، ص: ١١١.

(١٦١) العباصري: نسبة إلى قرية عباصر من قرى عنس وأعمال ذمار، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص:٤٢٢.

(١٦٢) الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن ج ١، ص: ٤٨٢ .

(١٦٣) الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع، ج ٢، ص: ٣٣٣.

(١٦٤) الانتصار الجامع لمذاهب الأمصار، موسوعة شاملة لأقوال مختلف المذاهب والعلماء في الفقه الإسلامي، (خ) وله نُسخ كثيرة، ويوجد من نُسخه بمكتبة الأوقاف، ينظر: ابن القاسم ، إبراهيم بن القاسم ، هامش طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٢٢٩، تحقيق: عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن، ط/ ١، ١٤٢١ هـ /٢٠٠١م.

(١٦٥) الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأصول المسائل الدينية، (خ) في أصول الدين أربعة مجلدات، ج٢ في المكتبة الغربية برقم (٨٨)، ونسخة بمركز بدر، وأخرى مصورة بمكتبة محمد بن عبد العظيم الهادي، وأخرى بمكتبة عبد الرحمن شايم من نفس النسخة. ينظر: هامش طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٢٢٨.

(١٦٦) الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية وتقرير القواعد السياسية، (خ) منه نسخة مصورة بمركز بدر خُطت سنة ٧١٠هـ. ينظر: هامش طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٢٢٩، أعلام المؤلفين الزيدية / ١١٢٧.

(١٦٧) ذكر الوجيه في هامش طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٢٣٠أنه يُذكر باسم الأنهار الصافية شرح الكافية، (خ) ج ١، ٢برقم (١، ٢) المكتبة الغربية بالجامع الكبير.

(١٦٨) المعالم الدينية في العقائد الإلهية (ط) بتحقيق: مختار محمد أحمد سنة ١٤١٢هـ. ينظر: هامش طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٢٢٨، أعلام المؤلفين الزيدية / ١١٣٠.

(١٦٩) ينظر: أئمة اليمن ١/ ٢٣٣، ولمزيد من التفصيل حول مصنفاته، ينظر: الجامع الوجيز، تحقيق: محمد أحمد طاهر، ص: ٤١٠، ٤١١، ٤١٢.

(١٧٠) ينظر: الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ٢ ، ٣١١، الزحيف ، مآثر الأبرار ، ج ٣ ، ص : ١١٢١ ، زبارة ، أئمة اليمن ، ج١ ، ص: ٣٢٦.

(١٧١) ينظر: الزحيف ، مآثر الأبرار ، ج ٣ ، ص : ١١٣٥ ، زبارة ، أئمة اليمن ، ج١ ، ص: ٣٢٦.

(١٧٢) منظومة في فنون الحرب ، مخطوط في المكتبة الغربية بصنعاء ، تحت رقم ١٨ ــ ١٥٠، ينظر : الوجيه ، أعلام المؤلفين الزيدية ، ص : ١٠٣٨.

(١٧٣) ينظر: الزحيف ، هامش مآثر الأبرار ، ج ٣ ، ص : ١١٢١ ، زبارة ، أئمة اليمن ، ج١ ، ص: ٣٢٦.

(١٧٤) مخطوط في المكتبة الغربية بصنعاء ، تحت رقم ١٤٩، أدب ، ينظر : الوجيه ، أعلام المؤلفين الزيدية ، ص : ١٠٣٨.

مدينة ملحظ "ذمار الصغرى"
مركز حكم ولاية اليمن
في عهد الوالي العثماني بهرام باشا
(٩٧٨- ٩٨٣هـ/ ١٥٧٠- ١٥٧٥م)

أ. أحمد صالح عبدربه المصري*

توطئـــة:-

شهدت مرحلة الحكم العثماني الأول لليمن ٩٤٥ – ١٠٤٥هـ / ١٥٣٨– ١٦٣٥م صراعاً سياسياً وعسكرياً بين السلطة العثمانية وأئمة الزيدية، إلا أن ذلك لم يكن السمة الغالبة لها، فقد تخللتها فترات هدوء نسبي، كما أن دور الولاة العثمانيين خلال تلك المرحلة لم يقتصر على النواحي العسكرية والسياسية فحسب، بل اهتموا بالجوانب الحضارية والاجتماعية وبمظاهر الحياة الدينية، فأقاموا المنشآت الخيرية العامة كبناء المساجد والمدارس والطرق والسدود، وأحيوا المناسبات الدينية مثل المولد النبوي الشريف، واهتموا بمحامل الحج، كل ذلك بهدف تخليد ذكرهم، وتنفيذاً لسياسة السلاطين الذين أوصوهم بضرورة مراعاة تلك الجوانب للتقرب من الأهالي ولتخفيف تذمرهم، ولتفويت فرصة إعلان الثورات.

وقد تولى حكم اليمن خلال تلك المرحلة اثنان وعشرون والياً عثمانياً، حظي العديد منهم باهتمام المؤرخين اليمنيين الذين دوّنوا سيرهم إما في مؤلفات تاريخية خاصة بهم، أو ضمن مؤلفات تناولت تاريخ اليمن خلال تلك المرحلة، فنقلت إلينا معلومات دقيقة عن أعمالهم ومنجزاتهم، خاصة تلك المؤلفات التاريخية التي أنحاز مؤلفوها إلى جانب العثمانيين، وعلى الرغم من المبالغة والهالة العظيمة التي أُحيطت بها أعمال الولاة فيها، إلا أن تلك المؤلفات ــ التي لا يزال الكثير منها مخطوطاً ــ تعد من أهم المصادر الأساسية في الدراسات التاريخية

* مدرس مساعد – قسم التاريخ– جامعة ذمار

سواء من النواحي السياسية أو الحضارية، وخاصة التي دونت أحداث الفترة التي عاصرها مؤلفوها، وذلك لتفرد الكثير منها بأخبار ومعلومات مفصلة دون غيرها من المصادر عن حوادث معينة، إما لقرب مؤلفيها من موقع الحدث أو تعمدهم إبراز هذه الحوادث لأي سبب من الأسباب، لذلك فإن مسألة تحقيقها يعد من القضايا المهمة، فإلى جانب ما توفره المخطوطات من مادة علمية، فإن عملية تحقيقها يأتي من باب الإسهام في نشر التراث.

ولعل خير مثال على ذلك مخطوطة (بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام)[١] للمؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي[٢] ، التي اعتنى فيها بتسجيل أحداث فترة مهمة من تاريخ الحكم العثماني لليمن وهي فترة حكم الوالي بهرام باشا[٣] (٩٧٨ ـ ٩٨٣هـ / ١٥٧٠ـ ١٥٧٥) فإلى جانب اهتمام المؤرخ بإبراز النواحي العسكرية في سيرة بهرام باشا، فإن الجوانب الحضارية في سيرة هذا الوالي قد حظيت بالجم الكبير من اهتمامه أيضا، إلا أن المعلومات التي ذكرها المؤرخ المطيب عن مدينة ملحظ التاريخية ربما كانت أهم ما ورد في المخطوطة، فلا تكاد تخلو ورقة من أوراقها إلا وفيها ذكر أو إشارة للمدينة.

وقد توقفت كثيراً عند تلك المعلومات وتُقتُ إلى معرفة المزيد عن المدينة، وما دفعني إلى ذلك هو غياب ذكرها في المعاجم الجغرافية اليمنية التي اطلعت عليها، و هذا الأمر حفزني؛ لإعداد هذا البحث بما توفر من معلومات عن المدينة سواء لدى المؤرخ المطيب، أو في ثنايا المخطوطات التاريخية المعاصرة لفترة الحكم العثماني الأول، أم لدى المؤرخين المتأخرين، لما يمثله ذلك من أهمية تاريخية وسياسية، وعمرانية لتاريخ مدينة ذمار خاصة، واليمن عامة في العهد العثماني الأول، إذ ليس من السهل بمكان أن تندثر مدينة، أو تمحى معالمها، ويغُفل ذكرها، خاصة وأنها قريبة العهد. ولا أدعي بأني تمكنت في هذا البحث من تقديم صورة متكاملة عن تاريخ مدينة ملحظ، فمازال الغموض يكتنف تاريخها، نظراً لقلة المعلومات المتوفرة عنها، التي مازال الكثير منها حسب اعتقادي في بطون المخطوطات التاريخية التي تناولت تاريخ اليمن في تلك الفترة، والتي لم يتسنى ليّ الإطلاع عليها، لذا فأني قمت بجميع ما أمكن جمعه من معلومات عن المدينة، وحاولت مناقشتها ومقارنتها ببعضها بهدف وضع تصور أولي عن تاريخ المدينة لتكون اللبنة الأولى لإعداد دراسة عميقة و متخصصة، للتعريف بهذه المدينة التاريخية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن معظم المؤرخين الذين ذكروا مدينة ملحظ هم ممن عاصروا فترة تأسيسها أو عاشوا بعد ذلك بفترة لا تتجاوز مائة عام، كما أن ذكرهم للمدينة جاء في سياق حديثهم عن سيرة بهرام على اعتبار أن تأسيسه للمدينة يعد من أعظم منجزاته، أو جاء ذكرها في سياق ذكرهم للأحداث التاريخية التي وقعت في عهده وكانت ملحظ ساحة لها.

وصول العثمانيون إلى اليمن

كان وصول العثمانيين إلى اليمن وفقاً للخطة التي تبنتها دولتهم، لمواصلة المسار الذي انتهجه المماليك في مواجهة خطر التوسعات البرتغالية في البحر الأحمر والمحيط الهندي، وقد وصلت أولى الحملات العسكرية العثمانية إلى السواحل اليمنية سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م بقيادة سليمان باشا الخادم[٤] ، ولم يقتصر الوجود العثماني على السواحل فقط، بل توغل في مناطق اليمن الداخلية لإخضاعها، ومثّلت حملة أويس باشا[٥] ٩٥٢هـ/ ١٥٤٦م أولى الحملات العسكرية لتحقيق ذلك.

عقب تلك الحملة دخل العثمانيون في صراع مرير مع أئمة الزيدية من آل شرف الدين، وتمكن الأمير المطهر بن شرف الدين[٦] من هزيمتهم، وحصر وجودهم في منطقة زبيد[٧] خلال الفترة ٩٦٣ـ٩٧٥هـ / ١٥٥٦ـ١٥٦٨م. الأمر الذي دفع الدولة العثمانية إلى إرسال حملة كبيرة بقيادة سنان باشا[٨] سنة ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م والذي استعاد السيطرة على معظم أقاليم بلاد اليمن، حيث أخضع في بداية حملته المناطق الوسطى والجنوبية حتى عدن، ثم تقدم إلى المناطق الشمالية، فسيطر على صنعاء، ووصل بحملته إلى معاقل الأمراء الزيديين في ثلا[٩] وكوكبان[١٠] ، وتوصل إلى عقد صلح مع الأمير المطهر منتصف ذي الحجة سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م[١١]. أصبحت بموجبه معظم المناطق الواقعة إلى الشمال من صنعاء تحت سلطة آل شرف الدين على أن تكون الخطبة والسكة باسم السلطان العثماني، في حين بقيت صنعاء وبعض المناطق الواقعة شمالها، ومعظم المناطق الواقعة جنوبها تحت الحكم العثماني المباشر، كما تضمنت بنود الصلح التزام المطهر بعدم مساعدة أخيه الأمير علي الذي كان متحصناً في حصن حب[١٢] والذي تمكن في السنة نفسها من فك الحصار، وإنزال الهزيمة بالعثمانيين في تلك الجهات، وفي الوقت نفسه وصل إلى اليمن الوالي بهرام باشا؛ بهدف تعزيز حملة سنان باشا، وكانت المهمة الرئيسة التي كُلف بها بعد وصوله إلى اليمن هي

الاستيلاء على حصن حب، والقضاء على الأمير علي بن الإمام شرف الدين[١٣] ، وقد شرع في تنفيذ مهمته، حيث بدأ بقتال القبائل الموالية للأمير علي في تلك الجهات، من ثم توجه لمحاصرة الحصن، واستولى عليه في رجب ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م[١٤].

استثمر بهرام باشا حالة الاستقرار السياسي الذي عاشته السلطة العثمانية في اليمن، نتيجة لحملة سنان باشا، وعقد الصلح مع الأمير المطهر بن شرف الدين من ناحية، وموت الأمير علي بن شرف الدين، والاستيلاء على حصن حب من ناحية ثانية، حيث استقر في منطقة ذمار[١٥] واتخذ منها مركزاً لحكمه، فأقام مخيمه خارج المدينة متبعاً بذلك نظاماً سار عليه قادة الحملات العثمانية حيث عملوا على اقامة المعسكرات (المخيمات) خارج المدن الرئيسة، واتخذوا منها مقراً مؤقتاً لحكمهم أثناء تحركاتهم، وتنقلاتهم في الأقاليم اليمنية[١٦].

وعمل على توطيد حكمه في المناطق التي سبق وأن بسط العثمانيون نفوذهم عليها، وتمكن من القضاء على التمردات القبلية التي اندلعت فيها[١٧]، كما شجعته تلك الظروف على القيام بتوسيع ممتلكات الدولة العثمانية في مناطق لم تخضع من قبل لسلطتها، حيث تركزت توسعاته العسكرية في مخلاف جعفر[١٨]، والمنطقة الواقعة جنوب غرب صنعاء إلى شمال غرب ذمار، حتى حدود تهامة وهي مناطق تتميز بخصوبتها الزراعية، وشدة وعُورتها [١٩].

كانت تلك هي الظروف السياسية التي جعلت بهرام باشا يتخذ من منطقة ذمار مركزاً لحكمه، ويختط بها مدينة ملحظ لتكون مقراً لإدارة أمور ولاية اليمن خلال فترة حكمه التي استمرت ست سنوات ٩٧٨-٩٨٣هـ/ ١٥٧٠-١٥٧٥م. فلعبت المدينة بذلك دوراً مهماً في النواحي السياسية، كما مثّل بناؤها نموذجاً للسياسة الإدارية التي اتبعها الولاة العثمانيون في إقامة المنشاءات العمرانية، والخدمية، والتجارية، والاقتصادية في اليمن.

وعلى الرغم من تناثر ذكر مدينة ملحظ في العديد من المصادر التاريخية، سواءً منها التي عاصرت الفترة التاريخية التي انشئت المدينة فيها، أم الفترات اللاحقة، خاصة عند الحديث عن فترة ولاية بهرام باشا ٩٧٨ــ ٩٨٣هـ/ ١٥٧٠ ــ١٥٨٣م، إلا أن تلك المصادر لم تورد معلومات متكاملة، ومُفصلة عن تاريخ المدينة منذ نشأتها، وهو ما جعل الغموض يكتنف تاريخها، ولعل محاولة تتبع ما ورد لدى المؤرخين من معلومات عنها والربط بينها ومقارنتها ربما يقدم تصور أولي عن تاريخ المدينة.

مدينة ملحظ عند المؤرخ المطيب

تعد مخطوطة "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام" للمؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي من أهم المصادر التاريخية التي وردت فيها معلومات دقيقة عن مدينة ملحظ كونها دونت سيرة بهرام باشا مؤسس المدينة.

الموقع والتأسيس والتسمية

لم يحدد المؤرخ المطيب موقع المدينة بشكل دقيق، وكلّ ما ذكره حول ذلك بأنها بُنيت خارج مدينة ذمار، مُبيناً أهمية اختيار موقعها لتوسطه "بين صنعاء وتعز وعدن وبعدان وزبيد و التهائم وما والاها إلى جازان". [٢٠] وهي أهم مناطق النفوذ العثماني بموجب صلح سنة(٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م) بين سنان باشا و الأمير المطهر. إلا إننا نستطيع تحديد موقعها من خلال الإشارات التي وردت عند المؤرخ في سياق حديثه عن أهم الأحداث التي وقعت فيها، فقد ذكر المؤرخ أن بهرام باشا أقام معسكره الأول قرب مدينة ذمار، ومن ثم نقل ركابه إلى مخيمه الجديد أي مدينة ملحظ، وعادةً ما كان العثمانيون يقيمون مخيماتهم قرب المدن، ولعل ما ورد عند المؤرخ المطيب عن أحداث فتنة الجند في ملحظ دليلاً، فقد ذكر خروج الأمير علي من قصر ملحظ إلى خارج مدينة ذمار حيث يشير النص بقوة إلى أن ملحظ قريبة جداً من ذمار، بل يوحي بأنها جزء من المدينة "فلما كان نصف الليل بعد ذلك اليوم، خرج الأمير علي بك من القصر من محروس مدينة ملحظ، إلى خارج مدينة ذمار، ونصب خيامه خارج المدينة" [٢١] ، كما أن المؤرخ في كثير من المواضع يتحدث عن مدينة ذمار وكأنها مقر بهرام دون الإشارة إلى ملحظ، ومن ذلك وصول رهينة الأمير عبدالرحمن بن المطهر "وصار الرهين المذكور مقيماً بذمار، تحت نظر مولانا المشمول بنظر العزيز القهار"[٢٢] فالمؤرخ يتحدث عن مدينة ذمار هنا على انها مقر الوالي، وكذلك الحال في حديثه عن وصول محمد آغا المتسلم من قبل السلطان "ولمّا وصل إلى بيت الفقيه [...] بلغه خبر ما جرى من العسكر من التعدي على حضرة مولانا بهرام باشا أعزه الله تعالى، فحينئذ بادر بالوصول إلى محروسة مدينة ذمار، وواجه حضرة مولانا الباشا أعزه الله تعالى"[٢٣] وهنا يتحدث عن مدينة ذمار مقر الوالي بهرام ولا يذكر مدينة ملحظ، ولا يختلف الأمر كثير في حديث المؤرخ عن خروج بهرام لاستقبال مصطفى باشا الوالي العثماني الجديد فقد أشار

إلى خروجه من مدينة ذمار "وفي رابع شهر ربيع الأخر(٢٤) منها [أي سنة ٩٨٣ هـ]، خرج مولانا الباشا بهرام نصره الله تعالى من مدينة ذمار، وصحبته المشايخ باجمعهم ، واليازجية والشاوشية، وخرج في تشييعه الأمراء والأغوات، والعساكر المنصورة"[٢٥]

أن كل ما ورد سابقاً يضعنا أمام احتمالين:

الأول أن المدينتان كانتا مقران دائمان لبهرام باشا لإدارة شئون الولاية، وأنه كان كثير التنقل بينهما، وهذا بدورة يدل على تقارب المدينتين جغرافياً.

الثاني : أن مدينة ملحظ قريبة جداً من مدينة ذمار أو تكاد تكون جزءاً منها وهو ما جعل المؤرخ يطلق على ملحظ أسم ذمار. بمعنى تسمية الخاص بالعام، والجزء بالكل، وهو الاحتمال الأكثر ترجيحاً. وفي كلا الحالتين فإن مدينة ملحظ كانت تقع في الجهة الجنوبية من مدينة ذمار وذلك وقف ما ورد لدى المؤرخ المطيب أو عند غيره من المؤرخين.

وذكر المؤرخ أن تأسيس المدينة كان في١٠ رمضان سنة ٩٧٨هـ / ٧ فبراير ١٥٧٠م بقوله "وفي العاشر من رمضان المبارك منها [يقصد سنة٩٧٨هـ] أختط مولانا أسعده الله تعالى مدينة ملحظ حرسها الله تعالى، وأمد أهلها من الخيرات بأوفر نصيب وحظ، ونقل ركابه السعيد من مخيمه الأول إلى المدينة، لازال الظفر حالاً ببقعتها المشهورة"[٢٦].

وكان المؤرخ قد ذكر أن بهرام دخل مدينة ذمار نهار الجمعة ١٥ شعبان سنة ٩٧٨هـ / ١٣ ديسمبر ١٥٧٠م[٢٧].وأنه اجتمع مع سنان باشا في ذمار، وأشار ـ أيضا ـ إلى أن بهرام باشا أقام مخيمه السلطاني بها، وذلك في سياق حديثه عن خروج الموبه[٢٨] على سلطة الدولة العثمانية في الوقت الذي كان فيه بهرام في ذمار، وأن بهرام جرد حملة عسكرية تمكنت من القضاء عليه وقطع مجموعة من رؤوس أنصاره وإيصالها إلى المخيم السلطاني في ذمار.[٢٩] ويُلاحظ من خلال ما ورد عند المؤرخ أن بهرام باشا لم يقم في معسكره الأول في ذمار سوى خمسة وعشرين يوماً فقط، وأنه أنتقل إلى ملحظ، وعلى الرغم من أن المؤرخ قد ذكر أن بهرام أنتقل إلى مدينة ملحظ، إلا أن ذلك لا يعني وجود المدينة بالفعل عند انتقاله، لأنه من غير المعقول أن تُبنى مدينة خلال خمسة وعشرين يوماً. وسنتناول هذه القضية في نهاية الدراسة.

وعلل المطيب تسميتها بملحظ بقوله " وكان في تسمية المدينة بالاسم المذكور تفاؤلاً بأن تكون ملحظاً للخير والبركة والنصر"[٣٠] ، مبيناً أيضاً أن عدد حروف أسمها قد وافق تاريخ

بنائها بقوله "وعدد حروف الاسم بالجمّل تاريخها، فكانت والله كذلك فطابق الاسم المقصود، وأجتمع في ربعها الخيرات والسعود، و رخصت بها الأسعار، وجلبت إليها البضائع من جميع الأقطار، حتى صارت محط أمن للوافدين، وملجأ خير للقاصدين، ومريحاً للغادين والرائحين، وفي تسميتها يُستنبط تاريخ اختطاطها من عدد حروفها"[٣١] ، وبحساب الجمّل نجد أن اسمها فعلاً يطابق تاريخ بناؤها ، لان حرف م = ٤٠ ، وحرف ل= ٣٠، وحرف ح = ٨، وحرف ظ = ٩٠٠ ومجموع هذه الحروف يساوي ٩٧٨، وهو نفس تاريخ بنائها [٣٢]. مؤكداً أن بهرام باشا قد فضل السكن في ملحظ بدلاً عن ذمار بقوله:

أشرق الكون واستطار سناهُ ** وغدا الليل البهيم نهارا
حّلت الشمسُ بُرجها فهو سعدُ ** شامل من دنى ومن قد توارى
لحظ الطرف ملحظ الخير دارا** فارتضاها لنزلهِ لا ذمارا[٣٣]

المنشآت العمرانية

ـ الجامع

أورد المؤرخ معلومات حول جامع ملحظ، وحدد تاريخ الانتهاء من تعميره بشعبان من سنة ٩٨٠ هـ / ديسمبر ١٥٧٢م، بقوله " وفي شعبان من السنة المذكورة، عمّر مولانا وفقه الله تعالى جامعاً بمدينة ملحظ، وأكده وأحكم عمارته وشيده، ووقفه ورتب فيه إماماً ومؤذناً ومقيماً، وأقام به جمعة في غرة رمضان منها (أي من السنة نفسها) وكان من المشاعر المحضورة، وأماكن الفضل المشهورة، ومحل إجابة الدعوات، ومهبط لأهل الصلاح والخيرات"[٣٤]. دون أن يذكر تاريخ تأسيسه، إلا أنه يمكن القول إن تأسيس الجامع كان في عام ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م وهو العام الذي أُختطت فيه المدينة على اعتباره من المرافق الرئيسة لتكوين المدينة وأن افتتاحه كان بعد مرور سنتين من استقرار بهرام في ملحظ.

و قد وصف المؤرخ المطيب جامع ملحظ بقوله:

زادها الجامع الكريم فخارا ** محكم الصنع لا تبارى شيارا
شاده صاحب السعادة قربى** لكريم جزاه عدناً قرارا
زاده الله رفعة واقتدارا ** وتعالى جلاله أن يبارى [٣٥]

القصر والمباني

ومن المنشآت العمرانية التي وردت عند المؤرخ قصر ملحظ، فقد ذكره في أكثر من مناسبة، فعلى سبيل المثال: ورد ذكر القصر عند حديث المؤرخ عن فتنة الدفتردار[٣٦] سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥م. بقوله "وصلت عروض الأمير علي بك بذمار، ومن معه من الأمراء والأغوات، تتضمن أن جماعة من العسكر المفسدين صاروا يسعون بالفساد، وينهبون في الطرقات[...] وأنهم قصدوا الأمير علي بك، والأمراء الذين معه إلى القصر [...] وحاصروهم من الصباح إلى المساء، [...] فلما كان نصف الليل بعد ذلك اليوم، خرج الأمير علي بك من القصر من محروس مدينة ملحظ، إلى خارج مدينة ذمار" [٣٧] وقدم المؤرخ المطيب وصفاً للمدينة وقصرها بقوله:

فعلت في الوجود قدراً وأدرت ** بالذي شاد قبل كسرى ودارا
كل قصرٍ بها ينير افتخارا ** أخجل البدرُ فأستجن سرارا
مثل دار النعيم بالحور و** الولدان أجرت في الدنا أنهارا
ما رأت ضرة لها العين أصلا ** بل ولا دونها تداني اقتدارا [٣٨]

أشار المؤرخ في تلك الأبيات إلى وجود القصور، والمباني الفخمة، وهذه المعلومات تشير إلى التطور العمراني في مدينة ملحظ في عهد بهرام باشا. وقد بالغ المؤرخ كثيرا في وصف مباني المدينة، فقد جعلها في مصاف القصور التي بناها ملوك الفرس، و يبقى السؤال هل شاهد المؤرخ تلك المباني بمعنى آخر هل زار المدينة، أم انه أعتمد على روايات من شاهدوا المدينة.

مدينة ملحظ مركز حكم ولاية اليمن

أصبحت مدينة ملحظ بعد أن استقر فيها بهرام باشا مركزاً لحكم ولاية اليمن، فقد أدار منها جميع شؤون الولاية خلال فترة حكمه. وقد أشار المطيب إلى أهمية المدينة، وأنها أصبحت جديرة بأن تصبح مقراً لوالي اليمن بقوله "وهي مدينة ... جديرة بأن تصير تحت المملكة العثمانية، ومقراً لباشا الجهات اليمانية"،[٣٩] ولعل ما ورد عند المؤرخ المطيب من معلومات عن الأحداث السياسية التي شهدتها مدينة ملحظ في عهد بهرام باشا يؤكد ذلك ومنها.

- **وصول الوفود**:

ذكر المؤرخ المطيب وصول العديد من وفادات مشائخ القبائل اليمنية إلى بهرام باشا، ومن تلك الوفادات وفادة الشيخ أحمد الحُجري شيخ منطقة الحُجرية " وفي جمادى الأولى من السنة المذكورة[٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م] قدم على مولانا نصره الله تعالى الأمير أحمد الحجري بمدينة ملحظ المعمورة، وكان قد طلبه قبل ذلك مولانا الوزير سنان، وتأخر عن الوصول إليه، غير مُظهر للعصيان عليه [...] فأقام بمدينة ملحظ شهرين، لم يعتره بها ضرر ولا شين، تحت نظر مولانا"(٤٠).

كما ذكر أيضاً وصول الشيخ أحمد النواري شيخ منطقة سماه إلى ملحظ، بعد أن سقط حصنه بأيدي العساكر العثمانيين، وطلب الأمان له ولأولاده " وفي شهر ربيع الأخر منه [٩٨٢هـ/١٥٨٤م]، بعد أن حصل على الشيخ احمد النواري صاحب حصن سماه غاية الضيق والشدة، من الحرب في تلك المدة، أجاب بالسمع والطاعة، وبرز على قدم الاستطاعة [...] إلى مدينة ملحظ فدخلها يوم الثلاثاء، وواجه مولانا صاحب السعادة في يومه ذلك، فقابله بالأمن والأمان [...] وكساه وولده وأصحابه، وأحسن إليهم غاية الإحسان".(٤١)

ـ تنفيذ العقوبات:

مثلما كانت ملحظ محطة لوصول الوفادات إلى بهرام، فإنها غدت ساحة تُنفذ فيها العقوبات ضد الجماعات والأفراد الخارجين على سلطة الدولة العثمانية كون هذا الإجراء ينفذ في مركز حكم الولاية، باعتبار أن تنفيذها يكون بهدف التشهير لردع الآخرين، ولأخذ العظة والعبرة، وأهم ما ذكره المؤرخ في هذا الخصوص هو معاقبة بهرام لمشائخ بني مطر(٤٢)بقوله "ثم في ثالث جمادى الأولى من السنة المذكورة، [٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م] أمر مولانا أعزه الله تعالى بالتجهيز على طائفة تدعى بني مطر، فمكنه الله تعالى منهم ونصر وقبض قلاعهم وكانت أربع قلاع [...] وأوثق خمسة من أشياخهم وأسر، فسلخت جلودهم وحشيت بالتبن والحشر،(٤٣) وجعل المذكورين عبره لمن اعتبر، و أركبوا تلك السلوخ المحشية ظهور الحمُر، وصيح عليهم بمدينة ملحظ يا من قد رأى، وحضر هذا جزاء من عصى مولانا السلطان وضر. أيد الله مولانا بالنصر والتمكين، وفتح له الفتح المبين"(٤٤).

ـ محمل الحج* :

اهتمت الدولة العثمانية بمحمل الحج، وأولت عملية تنظيمه عناية فائقة، وسخرت الإمكانات الاقتصادية والعسكرية للمحافظة على سلامة الحجاج، وكلفت ولاتها بذلك وحملتهم مسؤولية أي أخطاء، أو مشاكل قد تضر بالحجاج، و ربطت بقاء ولاتها في مناصبهم السياسية بمدى سلامة محامل حج ولاياتهم، وولاية اليمن إحدى الولايات العثمانية التي اهتم ولاتها بمحمل الحج[٤٥] ، وقد تميزت فترة ولاية بهرام باشا بانتظام تسيير محامل الحج طوال فترة إقامته في اليمن فقد رصد المؤرخ المطيب خروج و وصول ثلاثة محامل الحج من وإلى مدينة ملحظ من اصل خمسة محامل سيرها بهرام باشا طوال فترة إقامته في اليمن.

كان أول محمل رصده المؤرخ هو محمل سنة ٩٨٠هـ / ١٥٧٢م، حيث وصل إلى ملحظ بعد عودته من موسم الحج بإمرة الأمير محمد آغا "وفي هذه السنة كسا المحمل الشريف كسوة جديدة، منسوجة بأنواع من الإبريسم[٤٦] والذهب عديدة، فألبس المحمل السعيد ذلك الكساء الجديد، وفي السنة المذكورة طلع أمير الحج المذكور محمد أغا بالمحمل الشريف، بعد عودة من الحج، وكان طلوعه من مدينة زبيد إلى مدينة ملحظ بأمر مولانا أيده الله، فلم يزل الأغا محمد المذكور، يسير بالمحمل السعيد في السهل والوعر، يدبّر السفر بهِ في ذلك بألطف أمر، وصحبته الرتبة المعنية من أعيان العسكر[...] فدخل المحمل الشريف مدينة ملحظ، وكل واحد متعجب منه، وإليه بنظره يلحظ" [٤٧].

كما رصد خروج محمل الحج الثاني من ملحظ، سنة ٩٨١ هـ / ١٥٧٣م بإمرة الأمير محمد آغا "وفي هذه السنة نزل بالمحمل السعيد، بأمر مولانا من مدينة ملحظ إلى مدينة زبيد محمد آغا أمير الحج لقصد السفر به، فوصل به إلى المدينة المذكورة[يقصد ملحظ]، وقُرر على إمارة الحج فيها، فصار في تلك السنة على جاري عادته القديمة، وكان الأمير المذكور حسن السيرة، صافي السريرة[...] وأمنت السفارة بصحبته على أموالهم، ولم يخافوا ما يحذرونه من تشتيت أحوالهم، فأمن الناس به في ذلك السفر، حتى وصلوا إلى أوطانهم، وكانوا في سفرهم وكأنهم مقيمون بمكانهم"[٤٨].

وثالث محمل رصده المؤرخ المطيب كان محمل سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م بإمرة الأمير محمد قزلباش "وفي شهر شعبان المعظم منها، جهز مولانا أمير الحج بالمحمل الشريف السلطاني

من القطر اليماني، وهو الأمير الكبير الرئيس الشهير أمير اللواء الشريف محمد قزلباش ، نزل من مدينة ملحظ المعمور، إلى مدينة زبيد ومعه عصبة من العسكر المنصور، فوصل إليها وأقام بها إلى شهر شوال، هو ومن معه من صناديد الأبطال، فصار بعد ذلك بالحاج القاصد لبيت الله الحرام، صحبة المحمل الشريف على أحسن حال، وأكمل نظام مطمئنين غير خائفين على أمتعتهم وأموالهم "[٤٩].

إن رصد المؤرخ لهذه المحامل يشير إلى أن ملحظاً أصبحت مركزاً لتوافد حجاج اليمن ليسيروا مع المحمل إلى بيت الله الحرام، وهو من الشعائر الدينية التي حرص الولاة العثمانيون على إقامتها واستمرارها.

ـ النواحي العسكرية:

كانت ملحظ مقراً للجيش العثماني خلال فترة حكم بهرام باشا، حيث تطالعنا مخطوطة المؤرخ المطيب بأخبار خروج الحملات العسكرية من المدينة لإخضاع التمرد في المناطق المختلفة. ومن ذلك خروج حملة بقيادة الشيخ أحمد الحُجري لإخضاع مناطق الحُجرية بقوله "ثم نزل الأمير احمد المذكور من المدينة المذكورة [يقصد ملحظ] ثاني يوم من شهر رجب الحرام [سنة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م] ناشراً الرايات والأعلام[...] فخيم بجهات الحجرية، ثم قبضوا بسعد مولانا تلك البلاد، وحصل غاية القصد والمراد، وأذعن جميع أهلها بالطاعة والانقياد"[٥٠]

وورد في المخطوطة تفاصيل وقوع فتنة العسكر الأولى في مدينة ملحظ منتصف ذي القعدة سنة ٩٨٢هـ/ أواخر فبراير ١٥٧٤م، والتي عمل الدفتردار على إثارتها ــ وفق ما ورد عند المؤرخ ــ وذلك حين حرض العسكر على المطالبة بحقوقهم المالية من بهرام باشا "وظهر من الدفتردار المذكور لكافة العسكر العثماني، إني قد جئتكم بمرسوم شريف سلطاني ، محتوٍ على ما فيه لكم من الكفاية، بقبض ما تطيب به قلوبكم من العليق[٥١] والجراية[٥٢]، فاجتمع جمع العسكر العظيم [...] وطلبوا من مولانا المشمول بعين الرعاية والتوفيق، معلوم خمسة أعوام من العليق[...] وظهر منهم الخلاف العظيم، يرمون بالبنادق النيرانية المحرقة، يسلون سيوفهم عن إغمادها [...] حتى وصلوا إلى جامع ملحظ وهم كذلك رامون، ولمخالفة أمره أعزه الله تعالى قاصدون، وبدر منهم هذا الأمر الشديد، وتتابع عنهم الخلاف حتى فعل كل منهم ما يريد"[٥٣]

وورد عنده أيضاً أخبار فتنة العسكر الثانية في ملحظ في أوائل شهر ربيع آخر ٩٨٣هـ / يوليو ١٥٧٥م، وذلك حين قام العسكر بحصار علي بك نائب بهرام باشا في مدينة ملحظ وطلبوا منه التذاكر[٥٤] بالترقي." أن جماعة من العسكر المفسدين صاروا يسعون بالفساد، وينهبون في الطرقات[...] أنهم قصدوا الأمير علي بك، والأمراء الذين معه إلى القصر [...] ورموه بالبنادق، فقتل من أصحابه جماعة من البُنُدُق، بعد أن كسروا الأبواب، وحاصروهم من الصباح إلى المساء، وحبسوا أغا الجشاريان[٥٥] فائق أغا، وبعد ذلك وقع الاتفاق بينهم على أن الأمير علي بك يعطيهم تذاكر بالترقي، فأعطاهم ذلك بسبب؛ المداراة لهم ودفعاً لشرهم[...] فلما كان نصف الليل بعد ذلك اليوم، خرج الأمير علي بك من القصر من محروس مدينة ملحظ، إلى خارج مدينة ذمار، ونصب خيامه خارج المدينة فلما أصبح الصباح، وصل إليه الأمراء، والأغوات، وأعيان العسكر، وقالوا له ما السبب لخروجك من المدينة، فقال لهم السبب ما فعله العسكر بالأمس" [٥٦].

وكان أن بهرام باشا حين غادر ملحظ عقب صدور قرار عزله قد أمر نائبه علي بك بالبقاء في ملحظ لضبط البلاد والعسكر[٥٧].

كانت تلك هي أهم المعلومات التي وردت عند المؤرخ المطيب الزبيدي حول مدينة ملحظ. الجدير بالذكر أن المؤرخ المطيب قد عاصر فترة حكم بهرام باشا وكان كاتب سيرته، إلا انه لم يشير في كتابه إلى مرافقته لبهرام أو التقائه به، وفي الوقت نفسه لم يرد في كتابه ما يشير إلى قيامه بزيارة مدينة ذمار، ومن ثم مشاهدة مدينة ملحظ، ولم يبين مصدر معلوماته عن سيرة بهرام باشا ، فقد كان المطيب يعيش في مدينة زبيد، وعلى الرغم مما ذكره من وصف مباني ملحظ في أحدى قصائده إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة رؤيتها، خاصة وأن الوصف كان مبالغاً فيه كما يبدو، إذ أُوصل تلك المباني في ضخامتها إلى مصاف ما شيده ملوك فارس من قصور، وقد نجد له عذراً فيما كتبه فهو مؤلف سيرة والي عثماني، وكتاب السيّر غالباً ما يبالغون في وصف منجزات أصحابها ويحيطون أعمالهم بهالة من التعظيم.

ويبدو أن المطيب لم يؤلف كتابه إلا بعد رحيل بهرام باشا فقد دوّن أحداث أخر أيام بهرام في اليمن، أو بمعنى أصح دوّن أحداث أخر يوم لبهرام في زبيد، كما أن المؤرخ الرحالة الجابري الذي زار زبيد سنة ٩٩٦هـ / ١٥٨٨م والتقى بالمطيب وترجم له لم يذكر تأليف المطيب لكتاب بلوغ المرام، فقد ذكر أهم مصنفات المطيب ورسائله واستدراكاته اللغوية

والنحوية وغير ذلك، فمن غير المعقول أن يذكر كل تلك المؤلفات ويُغفل ذكر كتاب بلوغ المرام.

ومما سبق يمكن القول أن المؤرخ المطيب لم يزر مدينة ملحظ، فلو تسنى له ذلك لقدم وصفاً دقيقاً للمدينة من حيث موقعها، ومبانيها ، ولكل ما شاهده فيها ، فما قدمه من معلومات عنها كانت عامةً وإن كانت أكثر مما ورد عنها عند غيره من المؤرخين، إلا أنه أغفل بعض المعلومات المهمة عن المدينة والتي وردت عند كثير من المؤرخين ، مثل العملة الملحظية، والسوق، الحمامات، كما أن معلوماته عن المدينة لا ترقى إلى مستوى من شاهدها بعينه ووصفها، بالإضافة إلى أن ذكره لها جاء في سياق حديثه عن الأحداث التي دارت فيها خلال فترة حكم بهرام باشا، لذا يمكن القول إن المؤرخ المطيب أعتمد على الرواية الشفوية كمصدر للمعلومات عن المدينة ملحظ وكذلك الحال يبدو عن سيرة بهرام.

ملحظ عند المؤرخ عبدالله بن داعر (كان حياً إلى سنة ١٠٣٠هـ /١٦٢٠م)*.

قدمّ المؤرخ ابن داعر معلومات قيمة حول مدينة ملحظ، فهو المؤرخ الوحيد ــ حسب علمي ــ الذي بين بشكل واضح، ومنطقي مراحل تطورها، وتحولها من معسكر إلى مدينة، بقوله "وطال مقامه على ذلك [يقصد بهرام باشا] بظاهر ذمار، حتى صار ذلك المعسكر مدينة ذات دور، ودواوير وحمامات، وجامع يصلى فيه مدى الأيام والشهور، وطويت الخيام، واستغنى عنها في غالب الأمر بالمنازل والبيوت، واستطاب هنالك المقام، وسمى تلك المحلة ملحظاً، ونقش اسمها على السكة السلطانية في سلف من أيام إقامته هنالك ومضى"(٥٨).

إن ما أشار إليه المؤرخ ابن داعر يبين تطور مدينة ملحظ فهي في الأصل معسكر للجيش العثماني، فقد أشتهر العثمانيون بأنهم كانوا يفضلون البقاء في معسكرات خارج المدن، وبيّن أن طول بقاء بهرام في معسكر ملحظ هو ما حوله إلى مدينة. فقد استبدل الناس أو الجند الخيام بالبيوت، والدور والدواوير، ومن ثم تم بناء الجامع، وضرب العملة الملحظية. وقد حدد المؤرخ موقع المدينة بأنها كانت بظاهر ذمار، وهذا التحديد يبن مدى قرب ملحظ من ذمار، كما انفرد المؤرخ ابن داعر بذكر وجود حمامات في مدينة ملحظ، وهي معلومة لم ترد عند غير من المؤرخين. وإلى جانب ما قدمه المؤرخ ابن داعر من معلومات عن تسمية المدينة بملحظ كما ذكرنا سابقاً، فإنه أشار أن تسميتها كانت بعدد سنوات ابتداء حكم بهرام

باشا بقوله "وكانت مدة ولايته ست سنوات، إذ السنة التي تولى فيها ممالك اليمن هي سنة ثمان وسبعين وتسعمائة، لذلك سميت البقعة التي عسكر بها خارج ظاهر ذمار ملحظ حيث كان هذا الاسم جامعاً لعدد سنوات تاريخ ابتداء ولايته"[٥٩].

و المؤرخ ابن داعر حسب ما ذكر في مؤلفه وصل إلى اليمن سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م دون أن يذكر جهة قدومه، وقد عاش حتى سنة ١٠٣٠هـ / ١٦٢٠م ودوّن مؤلفه خلال هذه الفترة ، وما ذكره عن المدينة جاء في سياق حديثه عن فترة حكم بهرام باشا لليمن، ولم يذكر انه زار ملحظ، إلا أن معلوماته التي قدمها عن المدينة تأتي بعد مرور ما يقارب خمسين سنة على تأسيسها، وهذا الأمر يدل على أن المدينة ظلت باقية بنفس الاسم ولم يعتريها أي تغير سلبي بمعنى حدوث هجرة منها أو خراب أو ما إلى ذلك، لأن مثل هذا الأمر لم يكن سيغفله المؤرخ أبن داعر في حديثه عنها.

ملحظ عند المؤرخ عبد الصمد الموزعي (كان حياً إلى سنة ١٠٣١هـ/١٦٢١م).

ذكر المؤرخ عبد الصمد الموزعي مدينة ملحظ عند حديثه عن ولاية بهرام باشا، حيث أشار إلى موقع المدينة، وضرب العملة المعروفة بالملحظية، وبناء الجامع والعمارات، فقد حدد موقع المدينة بأنها تقع إلى الجنوب من مدينة ذمار بقوله "ثم طلع إلى اليمن الأعلى [يقصد بهرام باشا] وأحب السكون في ذمار، فأقام هناك، وكان مقامه نازحاً منها مما يلي اليمن الأسفل في محل يقال له ملحظ، فأقام هناك قريباً من خمس سنين"[٦٠] وتحديد موقع المدينة عند الموزعي لا يختلف مع ما ورد عند ابن داعر فهي بالقرب من ذمار من جهة الجنوب ، ولعل استخدام المؤلف لكلمة نازحاً لتحديد موقع إقامة المدينة دليلاً على مدى قرب الموقع من ذمار، وما يؤكد ما ذهبنا إليه من قرب المدينة ما ذكره المؤرخ نفسه بقوله "فصارت وكأنها مدينة مستقلة" فاستخدامه للجملة يوحي بأنها مدينة مستقلة، ربما أرد من وراء ذلك تمييزها عن ذمار لقرب المسافة بين المدينتين.

وأشار المؤرخ إلى ضرب العملة الملحظية بقوله "وضرب السكة المشهورة الباقية مع الناس المسماة بالملحظية"[٦١] والجدير بالذكر أن المؤرخ الموزعي دون هذه الأخبار بعد مرور ما يقارب خمسين عاماً على رحيل بهرام باشا من اليمن، والإشارة في قوله الباقية مع الناس تدل على أن تلك العملة كانت متداولة في عهد المؤرخ، ومما ورد عند المؤرخ ايضاً

ذكر بناء الجامع فقد أشار إلى ذلك بقوله "وأبتنى هناك جامعاً عظيماً، وهو باقٍ إلى الآن"[٦٢] فمن خلال النص السابق يتضح الأتي: أن الجامع الذي أتم بناءه بهرام باشا سنة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م ظل قائماً حتى عصر المؤرخ الموزعي أي بعد مرور خمسين عاماً، ليس هذا فحسب بل إن وصف المؤرخ له بكلمة عظيم دليل على المكانة التي ظل الجامع يحتلها في ذمار، بالنسبة إلى بقية الجوامع، كما أشار المؤرخ إلى التطور العمراني في مدينة ملحظ، وكيف أصبحت مدينة مستقلة بعد أن أقدم الأمراء والأكابر على ابتناء عمارات فيها بقوله "ومحل إقامته هناك عمارات ابتناها الأمراء والأكابر الذين كانوا معه فصارت وكأنها مدينة مستقلة ".[٦٣] كل ذلك يبين أن مدينة ملحظ حتى عهد المؤرخ الموزعي أي بعد مرور ما يقارب خمسين سنة ظلت باقية ولم تندثر أو يعتريها أي خراب أو دمار؛ بل أزدادت تطوراً وعمراناً.

ملحظ عند المؤرخ عيسى بن لطف الله (توفى سنة ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م).

ورد ذكر مدينة ملحظ عند المؤرخ عيسى بن لطف الله في حديثه عن أهم حوادث سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م فذكر اختطاط المدينة وموقعها وتسميتها بقوله "وفيها [أي في هذه السنة] اختط بهرام باشا المدينة التي خارج ذمار، وسماها ملحظ، واسمها بعدد تاريخ عمارتها"[٦٤]. والجدير بالإشارة أن المؤرخ عيسى اتفق مع المؤرخين المطيب وابن داعر حول سبب تسمية المدينة، حيث أكدوا أن تسمية المدينة كانت نسبة إلى تاريخ بنائها (وفق حساب الجمّل).

إلا أن أهم ما ورد عند المؤرخ عيسى حول المدينة ذكره لسوقها في حديثه عن فتنة الجند التي وقعت في ملحظ في عهد بهرام سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م، فقد أشار إلى قيام الجند بنهب سوق المدينة بقوله "تحزبت العساكر السلطانية على بهرام باشا، وعاثوا الأنام، ونهبوا سوق ملحظ، وكثر الخوف منهم"[٦٥]. وترجع أهمية هذه المعلومات إلى أنها تبين أن ملحظ قد اصبح لها سوق منفرد أو خاص، وهو بالتأكيد غير سوق ذمار، وهذه المعلومات لم ترد عند المؤرخ المطيب عند حديثه عن فتنة الجند.

ملحظ عند المؤرخ المطهر الجرموزي (توفى سنة ١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م).

ظل اسم ملحظ هو الاسم المتعارف عليه للمدينة التي بناها بهرام باشا، إلا أن المؤرخ المطهر الجرموزي يورد تسمية أخرى للمدينة، حيث أطلق عليها، أو بمعنى أصح وردت

عنده باسم "ذمار الصغرى"، فقد ذكر هذا الاسم في حديثه عمن تولى اليمن من الأمراء العثمانيين بقوله "ثم بهرام باشا ولي على صنعاء، وبقي في ذمار الصغرى، واقطع كبار العجم البلاد، فغلبوه عليها"[٦٦] أن ما قدمه المؤرخ الجرموزي من معلومات عن تسمية المدينة يعد منعطفاً مهما في تاريخها، فهي المرة الأولى التي تذكر بهذا الاسم، ولا نملك معلومات دقيقة حول سبب تغير التسمية لقلة المادة التاريخية حول مدينة ملحظ، إلا أن ثمة احتمالين لا ضير من ذكرهما، لإمكانية تعلق سبب تغير التسمية بأحدهما أو بكليهما:

الاحتمال الأول أن سبب تغير اسم ملحظ إلى ذمار الصغرى عند المؤرخ الجرموزي الذي عاش بعد مرور مائة عام على تأسيس المدينة ربما يرجع إلى أن ملحظ بعد رحيل بهرام باشا فقدت دورها السياسي، وهي الميزة التي ميزتها عن ذمار وأعطتها نوعاً من الاستقلالية هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية يبدو أن التوسع العمراني في مدينتي ذمار وملحظ بعد مرور مائة عام على تأسيسها قد جعل المدينتين أكثر تقارباً وربما تداخلت مبانيهما، لذلك بدأ الناس يطلقون عليها أسم ذمار؛ بمعنى طغيان الاسم العام على الخاص أو الكل على الجزء، وأن إضافة اسم الصغرى إلى اسم المدينة يأتي من باب التمييز لها، وهو نوع من المحافظة على الخصوصية أمام قوة الاسم العام أو الاسم الكل.

الاحتمال الثاني له علاقة بالجانب السياسي فتغير أسم المدينة كان بعد خروج العثمانيين من اليمن، وتولي الأئمة للحكم، وهذا ربما يوحي بأن ثقافة المنتصر ربما بدأت تطغى خلال تلك الفترة، حيث يعمل المنتصر على محي مآثر خصمه السياسي، وهو أمر ليس بغريب فالتاريخ يشهد على تحويل كنائس إلى مساجد وكذلك الحال تحويل مساجد إلى كنائس، وتغيير أسماء المدن، فلا يستبعد أن تغير أسم المدينة من ملحظ إلى ذمار يأتي في إطار هذه التغييرات السياسية.

ولعل تغيير التسمية يمكن تفسيره بأحد الاحتمالين أو بكليهما وهو ما ارجحه.

ملحظ عند المؤرخ محمد بن إسماعيل الكبسي (توفى سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م).

انفرد المؤرخ الكبسي بذكر معلومات حول مدينة ملحظ في كتابه اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، لم ترد عند غيره من المؤرخين وذلك بعد مرور ما يقارب من ٣١٥ سنة من تأسيس المدينة ، فهو المؤرخ الوحيد الذي حدد موقع سوق المدينة بشكل دقيق بقوله "سوق ملحظة قبلي قرن ذمار، وعدني مدينة ذمار"[٦٧] إلا أن النطاق الجغرافي الذي

حدد فيه المؤرخ موقع السوق، وكذلك المدينة بطبيعة الحال على اعتبار أن السوق هو جزء من تكوين المدينة كان أكثر أتساعاً مما ورد عن غيره من المؤرخين.

ولعل أهم ما ورد عند المؤرخ الكبسي بخصوص المدينة هو ذكره لخرابها بقوله "والمدينة حق ملحظة بجوار السوق وقد خربت"[٦٨] وعلى الرغم من أن المؤرخ لم يعط تفاصيل حول أسباب خرابها، ولا تاريخ هذا الخراب، إلا أنه كان أول مؤرخ ــ حسب علمي ــ يذكر ذلك دون غيره، وهذه المعلومات بحاجة إلى وقفة عندها لنقاش مدى دقتها . فقد وردت في حاشية الكتاب وليس في متنه، ولا ندري عن سبب كتابتها في الحاشية هل هي استدراك من المؤرخ لما ورد في المتن أم تعليق من المحقق؟ وأياً كان الحال فإن هذه المعلومات يكتنفها الغموض، فهي تتحدث عن خراب مدينة ملحظ، إلا أن ربط موقع المدينة بالسوق هو ما جعل المعلومة غير واضحة فأي سوق يقصد، هل سوق ملحظ؟ فإذا كان هو ما يعنيه، فالسؤال هنا كيف تخرب المدينة ويبقى سوقها قائماً، بل ويصبح معلماً قائماً لتحديد موقعها، فمن الطبيعي أن يخرب السوق مع المدينة بغض النظر عن أسباب ذلك التخريب، وفي هذه الحالة تصبح معلومات خراب المدينة في محل شك، ولكن يمكن القول أن الخراب كان جزئي وليس كلي وهذا كله في حال أن المقصود طبعاً بالسوق هو سوق مدينة ملحظ، أما إذا كان المقصود بالسوق هنا هو سوق ذمار الواقع جنوب المدينة ، فإن ذلك يعني أن مدينة ملحظ تقع جنوب ذمار مباشرة، وهذا الأمر يجعل تحديد موقع المدينة أكثر دقة في إطار النطاق الجغرافي الواسع الذي سبق وأن حدد فيه المؤرخ موقع سوق المدينة، ويتفق مع ما ورد عند بقية المؤرخين الذين حددوا موقع المدينة بالقرب من ذمار من جهة الجنوب.

الخاتمة:

رأينا فيما سبق كيف أن الظروف السياسية جعلت بهرام باشا يتخذ من منطقة ذمار مركزاً لحكمه خلال فترة ولايته التي استمرت خمس سنوات، وان اختيار هذا الموقع كان نتيجة للوضع السياسي الذي كانت تمر به السلطة العثمانية في اليمن، إذ قصد بهرام باشا الإقامة في مكان يتوسط مناطق النفوذ العثماني التي أقرها صلح سنة(٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م) بين السلطة العثمانية و المطهر بن شرف الدين، لذلك اختار منطقة ذمار لتحقق ذلك الغرض واختط بها مدينة ملحظ لتكون مقراً لإدارة أمور ولاية اليمن.

وقد أشار معظم المؤرخين إلى موقع المدينة في سياق حديثهم عنها، فهي على مقربة كبيرة من مدينة ذمار من جهة الجنوب، ولم يخرج على هذا الإجماع سوى المؤرخ الكبسي والذي عاش في فترة متأخرة من تأسيس المدينة، فهو لم يحدد موقع المدينة صراحة، بل أشار إلى أنها تقع بين مدينتي ذمار و ذمار القرن، فهو ادخل موقع المدينة في نطاق جغرافي أوسع، لذلك فإن ما ورد من معلومات عن موقع المدينة عند سابقيه من المؤرخين الذين عايشوا فترة تأسيسها وازدهارها هي الأكثر دقة مما ورد عنده، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن مدينة ملحظ تقع جنوب مدينة ذمار.

أما ما يتعلق بتأسيس المدينة فيبدو أنها حالة متطورة للمعسكرات التي كان ينشئها الولاة العثمانيون خارج المدن، فقد ذكر المؤرخ المطيب أن بهرام باشا وصل إلى ذمار نهار الجمعة ١٥ شعبان سنة ٩٧٨هـ / ١٣ ديسمبر ١٥٧٠م، وأقام معسكره هناك، ثم ذكر أن بهرام أختط مدينة ملحظ في العاشر من رمضان سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م. أي أن فترة إقامته في المعسكر الأول لم تدم سوى خمسة وعشرين يوماً، وبالتدقيق فيما ورد عند المطيب نجد أن انتقال بهرام كان من معسكر إلى معسكر وليس إلى مدينة لأن المدينة لم تكتمل أركانها بعد، ويمكن تفسير ما ورد عند المؤرخ من أن بهرام انتقل إلى مدينة ملحظ أن المقصود بالمدينة هنا موقع المدينة فقط، فبهرام بعد أن أعلن عزمه تأسيس ملحظ نقل معسكره من ذمار إلى الموقع الجديد، وشرع بعد ذلك بتأسيس المدينة و بناء مرافقها مثل الجامع و القصر وغير ذلك، وان عملية تطور المعسكر إلى المدينة قد استغرقت فترة زمنية تقارب العامين، فقد ذكر المطيب أن بهرام باشا افتتح جامع ملحظ سنة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م، أي بعد حوالي عامين من إعلان تأسيسها. ، وهذا التفسير يتفق مع ما ورد عند المؤرخ ابن داعر حيث أشار إلى أن المدينة هي حالة متطورة للمعسكر الذي أقامه بهرام خارج ذمار، وأن تحول المعسكر إلى مدينة كان نتيجة طول بقاء بهرام في مدينة ذمار حيث حول الجند سكنهم من خيام إلى بيوت. وأن تطور المدينة استمر فيما بعد، فقد ذكر المؤرخ الموزعي أن بعض الناس نقلوا سكنهم من ذمار إلى ملحظ وخاصة أكابر القوم.

أما بخصوص تسمية المدينة فقد أشار كل من المطيب و عيسى بن لطف الله أن التسمية كانت وفق حساب الجمل دون ذكر تعليل آخر لسبب التسمية، في حين بيّن الموزعي أن المدينة بُنيت في المحل المعروف بملحظ أي أن المنطقة كان أسمها في الأصل ملحظاً، في

حين ذكر المؤرخ ابن داعر أن أسم المدينة كان جامعاً لعدد سنوات ابتداء حكم بهرام "وفق حساب الجمل" وأشار قبل ذلك إلى أن المكان الذي أقام عليه بهرام معسكره سمي ملحظاً دون الإشارة إلى أن المكان كان يحمل هذا الاسم من قبل.

أما تسميتها بذمار الصغرى كما ورد عند المؤرخ الجرموزي الذي دوّن كتابه بعد مرور مائة عام على تأسيس مدينة ملحظ، فذلك يعد مؤشراً قوياً على بداية تلاشي أسم ملحظ في الفترات التاريخية اللاحقة، و أن هذا التغير أو التطور ربما يفسر لنا تجاهل المؤرخين ذكر المدينة، فهي أصبحت جزءاً من ذمار، أن اسمها تطابق مع أسم المدينة الأم، ونستطيع القول وفق هذه الفرضية بأن محلظ الآن ما هي إلا حي من أحياء مدينة ذمار.

وبالنسبة للمرافق العامة للمدينة مثل السوق والقصر والجامع و الحمامات المباني وغير ذلك فقد أشار إليها معظم المؤرخين الذين ذكروا مدينة ملحظ. وأما العملة التي ضربها بهرام باشا في ملحظ وأشار إليها بعض المؤرخين باسم الملحظية، فيبدو أنها نفس العملة التي صدرت إليه التوجيهات السلطانية بضربها على نفس المعيار الذي ضربت به في عهد سنان باشا[٦٩] وتمييزاً لها أطلق عليها اسم الملحظية. ولعل تجاهل المؤرخ المطيب لذكر هذه المعلومات وهو الذي دوّن أدق التفاصيل عن أعمال بهرام باشا، وألبسها هالة من التعظيم،على اعتبار أن ضرب العملة أو تجديد ضرب العملة من الأعمال التي عادة ما يقوم الولاة بإنجازها، والتي لا يُغفل ذكرها لدى المؤرخين. يعود إلى ما أشرنا إليه سابقاً من انه لم يزر المدينة، وأعتمد على الرواية الشفوية لمعرفة أخبار بهرام باشا، وربما لم تنقل له كل المعلومات عن سيرة بهرام باشا و منجزاته.

وهكذا بدا واضحاً الدور السياسي الذي لعبته مدينة ملحظ في تاريخ اليمن، حيث كانت مركزاً لولاية اليمن خلال فترة حكم الوالي العثماني بهرام باشا، وأن الغرض من بنائها كان غرضاً سياسياً لتكون مقراً للحاكم العثماني بعيداً من مساكن العامة في ذمار، وأن ملحظاً قد أجتمعت فيها عناصر المدينة (الجامع، دار الحكم، دار الضرب، الأحياء، السوق)، فهي بذلك تتشابه ــ إلى حد كبير ــ مع حيّ بئر العزب في صنعاء الذي أختط في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي[٧٠] وربما تكون مدينة ملحظ الأقدم من حيث التأسيس، وظهور هذا النوع من المدن في اليمن خلال العهد العثماني، فحي بئر العزب لم يشتهر وتنتقل إليه الطبقات الحاكمة إلا في فترة متأخرة، ولم يرد ذكر الحي في المصادر التاريخية المدونة

في القرن العاشر الهجري، كما لم أعثر على معلومات تحدد تاريخ بنائه، أو انتقال العثمانيون إليه، ليكون مقراً للحكم، في حين تردد ذكر الحي في المصادر التاريخية في العهد القاسمي، والعهد العثماني الثاني.

وعلى الرغم مما أشرنا إليه سابقاً إلا أن الباب ما يزال مفتوحاً لمزيد من الدراسات المتخصصة لمعرفة تاريخ هذه المدينة، على اعتباره جزءاً مهماً من تاريخ مدينة ذمار بصفة خاصة واليمن بصفة خاصة كما أشرنا في بداية هذه الدراسة.

الهـــوامـــش

١. هو الكتاب الذي ألفه المؤرخ المطيب الزبيدي خدمة للدولة العثمانية حيث أكد ذلك بقوله "ألـف هـذا الكتـاب خدمة للحضرة الشريفة والمكارم العلية المنيفة من خصها الله تعالى بالرياسة الأنسية بالاسـتحقاق، والـنفس القدسية الحاوية لمحاسن الأخلاق"(. ولذكر بعض أيامها في اليمن في عهد بهرام باشا "جمعـت فيـه بعـض تاريخ بعض أيام الدولة العثمانية باليمن المعمور، وما وقع في تلك الأيام من الفتح المشهور، المنصورة بنيابة مولانا [...] بهرام باشا" وقد قسم المؤلف كتابه إلى ستة أبواب، كما رتب أحداث كتابه بطريقة الحوليات، فقـد دون أحداث ست سنوات، وقد أجمعت كل المصادر والمراجع، على ذكر نسخة وحيدة للمخطوطة وهي النسخة الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس، وصورتها الموجودة في الخزانة التيمورية بدار الكتب في القاهرة وهي صورة منسوخة من ميكروفيلم للنسخة الأصلية.(سالم : المؤرخون اليمنيون . صـ ٥٢.للمزيد من التفاصـيل عن المخطوطة أنظر المصري : موقف المؤرخين اليمنيين: صـ١٩١ـ ١٩٣)

٢. هو محمد بن يحيى المطيب الزبيدي الحنفي أحد أشهر المؤرخين اليمنيين في القرن العاشر الهجري الـسادس عشر الميلادي وممن عايشوا أحداث تلك الفترة، فقد أرخ لبعض مجـريات تلك الأحـداث (فتـرة حكـم بهرام باشا ٩٧٧ـ ٩٨٣هـ /١٥٦٩ ـ ١٥٧٥م)، وكان من أشد المؤرخين تحيزاً إلـى جانـب العثمـانيين، حظي بشهرة علمية كبيره في مدينة زبيد، وصفه الرحالة الجابري في كتابه(سـفينة الـسفر) ، حـين زار مدينة زبيد سنة ٩٩٦هـ / ١٥٨٨م والتقى به في مسجـد الأشاعر بقوله "الـشيخ الإمـام سـيبويه الـيمن وبهجة الزمن شيخ العربية، ورافع علمها الخافق وناشرها، وجامع أدواتها المتفرقة وحاشرها جمـال الـدين محمد بن يحيى المطيب الحنفي، طيب الله أنفاسه وحلا بثمار الفرايد غراسه، إمام برع في هذا الفـن وأعـرب عن مخابئه وأتقن" وقال عنه أيضا "وحضرت مراراً مجالس تدريسه فما رأيت أفصح مـن منطقـه وترسـله للقراءة في الإملاء للتفسير وغيره، مع اللهجة البارعة المعجمة، والألفاظ المطيعـة له فـي حـال الإمـلاء "، وقال أيضا "وكان باذلاً نفسه للإقراء، ولنفع المسلمين من الطلاب وحلقته مشحونة بالصغير والكبير والشريف والحقير، مع لطافة الأخلاق [...] وكفاه شرفاً أن صيته بلغ الأفاق، وانه بهذا الفن وتفرده بالعربية حـصل لـه الاتفاق [...] وجميع فضلاء زبيد الآن وكتابها، وفضلائها وأدبائها يحفوا في هذا الفن عليه، وهو شيخ ملقح، قل من قرأ عليه إلا ونجب" شغل المطيب منصب القضاء والإفتاء في زبيد علـى المـذهب الحنفـي و تـولى التدريس في مدارسها كالمدرسة الفاتنية كما تولى إمامة جامع الأشاعرة والتدريس فيه إلى جانب التـدريس في الجامع الكبير الظافري. و تتلمذ على يديه مجموعة من علماء تهامة عامةً، وزبيد خاصة. لا يُعرف علـى وجه الدقة متى كانت وفاته، إذ لا تتوفر معلومات في المصادر التي بين أيدينا حول ذلـك سـوى مـا ذكـره العلامة الحضرمي في كتابة (جامعة الأشاعرة) حيث حدد تاريخين مختلفين لوفاته بقوله "العلامة محمـد بـن يحيى المطيب المتوفى سنة ١٠٠٧هـ [١٥٩٩م] وقيل سنة ١٠٢٨هـ [١٦١٨م] ". ولا نعرف المصادر التي أعتمد عليها الحضرمي في تحديده لهذه التواريخ، واعتماداً على ما ذكره العلامـة الحـضرمي فـإن التـاريخ الأقرب إلى الدقة لوفاة المؤرخ المطيب هو عام ١٠٠٧هـ / ١٥٥٩م. لأن الفتوى على المذهب الحنفـي فـي زبيد كانت من الوظائف التي شغلها المؤرخ، وانتقلت هذه الوظيفة إلى ابنه أحمد المتوفى سـنة ١٠٢٧هـ / ١٦١٧م. فإذا اعتبرنا أن وفاة المؤرخ كانت سنة ١٠٢٨هـ / ١٦١٨م، فكيف تؤول وظيفة الفتوى إلى ابنـه وهو مازال على قيد الحياة. كما أن وفاة أحمد بن محمد المطيب وهو ابن المؤرخ كانـت سـنة ١٠٢٧هـ /

١٦١٧م ، ومن الطبيعي والمألوف ــ ليست قاعدة ــ أن تكون وفاة والده قبل هذا التاريخ، لوجود فارق زمني بين الأب والابن، لذلك فربما يكون المؤرخ المطيب قد توفى عام ١٠٠٧هـ / ١٥٥٩م هو التاريخ الأكثر دقة لذلك.

(الجابري : سفينة السفر. ق ٢؛ الحضرمي: زبيد مساجدها ومدارسها، صـ ٦٣ ؛ للمزيد من التفاصيل عن المؤرخ الزبيدي أنظر المصري: نفس المرجع. صـ١٨٦ــ ١٩٠)

٣. بهرام باشا هو ابن مصطفى باشا قرة شاهين ، تولى بكلربيكية اليمن سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م ، وهو من أسرة لها باع طويل في حكم اليمن ، فوالده مصطفى باشا قرة شاهين تولى بكلربيكية اليمن خلال الفترة ٩٦٤ــ ٩٦٨هـ / ١٥٥٦-١٥٦٠م، و أخوه ورضوان باشا تولى بكلربكية اليمن أيضاً خلال الفترة ٩٧٢ــ ٩٧٤هـ / ١٥٦٤ ــ ١٥٦٦م ، اختلفت روايات المؤرخين حول شخصيته فقد وصفه المؤرخ الموزعي بحسن السياسة ورفع المظالم عن الناس، وأنه خفف على الرعية ثلث المظالم ولم يفعل ذلك أحد قبله ووصفه المؤرخ المطيب بقوله " وكان مشتمل على جمله من المحاسن منها العلم ، والفهم وحسن التصور والرأي الصائب في السياسة واليد الطولي في علم الرقم والحساب "، في حين وصفه المؤرخ عيسى بن لطف الله بالشدة والقسوة في التعامل مع المعارضين له والتنكيل بهم، فقال عنه " ثم أن بهرام باشا شهر سيفه على قبائل اليمن، وأظهر ما في صدره عليهم من الضغائن والإحن، وقتلهم غيلة وخفية قتلاً جاوز الحد " ، ومن مآثره اختطاط مدينة ملحظ خارج مدينة ذمار وذلك سنة ٩٧٨هـ /١٥٧٠م ، وضرب السكة فيها والتي عرفت بالملحظية، انتهت ولايته سنة٩٨٣ هـ/١٥٧٥م، وغادر اليمن متوجهَ إلى مكة لأداء فريضة الحج، وحين وصل إلى الباب العالي واجه شكوى من أهل الدفترادار الذي قتله في اليمن، وحبس بسبب ذلك. (الموزعي: الإحسان، صـ٣٣،٣٥؛ المطيب : بلوغ المرام. صـ ٢٨٩ ؛ لطف الله : روح الروح، صـ ١٨٣، ١٩١؛الكبسي : اللطائف السنية، ص١٨٩؛ بن داعر : الفتوحات المرادية. جـ ١، قـ ٢١٤).

٤. سليمان باشا: من خواص السلطان سليم بن بايزيد تولى عدة مناصب منها رئاسة الوزارة " الصدارة العظمى "عزل عنها بعد أن فشل في القضاء على البرتغاليين في البحر الأحمر في حملته المشهورة سنة ٩٤٥ هـ/٣٨ ١٥م، أنسحب من الحياة السياسية وقضى بقية حياته في إقطاعه الخاص حتى وفاته سنة ٩٦٠ هـ ١٥٥٣ م اشتهر عنه حبه لسفك الدماء حيث قتل الكثير من أمراء العرب منهم الأمير حاتم الحمزاوي في مصر، والأمير عامر بن داود صاحب عدن . (سالم: الفتح العثماني .هـ .صـ ١٦٧ ، ١٦٨ ؛ النهروالي : البرق اليماني . صـ ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٠).

٥. اويس باشا : من مماليك السلطان سليم تولى حكم اليمن سنة ٩٥٢ هـ/ ١٥٤٦م خلفا للوالي مصطفى باشا النشار ، قتل في المناطق الوسطى من اليمن إثناء تقدمه إلى صنعاء على يد بعض رجاله وعلى رأسهم حسن بهلوان سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٨ . (النهروالي: نفس المصدر . صـ ٩٥).

٦. الأمير المطهر بن شرف الدين: هو الأمير المطهر بن الإمام يحيى شرف الدين، عُرف بالشجاعة والإقدام والحزم والسياسية، دخل في صراع مع أخوته ووالده بعد أن استبعد عن ولاية العهد، لعرج في إحدى قدميه، وهذا يخالف شروط الإمامة في المذهب الزيدي. وحين تقدم العثمانيين نحو مناطق الإمام شرف الدين تولى قيادة القوة الزيدية في حروبها ضدهم، وألحق بهم خسائر كبيرة، ثم دخل في صلح معهم، كانت وفاته سنة ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢م. (الإمام الشوكاني: البدر الطالع. جـ٢، صـ ٣٠٩ ــ ٣١٠؛ الشلي: السناء الباهر، صـ ٥٨٣ ــ٥٣٩).

٧. زبيد : كانت تعرف قديماً بالحصيب وهي مدينة في وادي زبيد المشهور وأطلق اسم الوادي على المدينة وتقع بين بلدة بيت الفقيه ومدينة حيس في تهامة، ويقال أن محمد بن زياد مؤسس الدولة بني زياد هو الذي أختطها في القرن الثالث الهجري.(الحجري:مجموع بلدان اليمن. صـ ٧٣٣؛ المقحفي : معجم البلدان. جـ ١، صـ ٧٣٣).

٨. سنان باشا : تربى في السراي السلطاني في عهد السلطان سليمان القانوني ، صار أمير في سناجق ملاطية وقسطلوني في الأناضول، ثم في غزة وطرابلس ، ثم أصبح بكلربيكياً لولايات أرض روم وحلب ومصر ، ثم قاد حملة اليمن سنة ٩٧٦ هـ / ١٥٦٨م ، وتولى مصر ثانية بعد ذلك، وقاد الحملة التي استعادت تونس سنة ٩٨٠هـ / ١٥٧٣م ، عاد إلى الأستانة وأصبح وزيراً، وفي عهد السلطان مراد الثالث ثم تولى الصدارة العظمى بعد عودته من حملة بلاد فارس ، ومنذ ذلك الوقت حتى وفاته سنة ١٠٠٤هـ / ١٥٩٥م تولى الصدارة العظمى خمس مرات ، كما تولى قيادة الجيوش العثمانية خمس مرات أيضا، نال شهرة كبيرة حتى قيل أنه ثالث الصدرين العظيمين إلى جانب رستم باشا و محمد باشا الصوقلي. (سالم : المرجع سابق. هـ . صـ٢٩٩ ـ ٣٠٠، نقلاً عن كاتب جلبي : فذلكة التواريخ . باللغة التركية .جـ١ ، صـ٧٦ ، ٧٧ ؛ المحبي : خلاصةالأثر. جـ ٢، ٢١٤، ٢١٥).

٩. ثلا : بلدة مشهورة من نواحي صنعاء إلى الغرب الشمالي منها بحوالي ٤٥ كم ، وهي من البلدان الحميرية القديمة، أتخذها المطهر مقراً له في حربه مع العثمانيين لشدة حصانتها ووعورة طرقها. (الحجري : المصدر سابق. جـ١ صـ ١٦٦، إبراهيم المقحفي : المرجع سابق. جـ١ صـ ٢٥٩).

١٠. كوكبان: حصن شهير إلى الغرب الشمالي من صنعاء ويرتفع حوالي ٣٠٠٠ متر عن مستوى سطح البحر. (المقحفي: المرجع نفسه.جـ٢، صـ ١٣٧٥).

١١. سالم: المصدر سابق . صـ١١٣، ١١٤، ١٨٤، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٨٤، ٢٩٣ .

١٢. النهروالي: المصدر سابق. صـ ٤٣٠، ٤٣١ ، ٤٠٤، ٤٣٣، ٤٣٨. (حصن حَبّ :حصن في أعلى جبل بعدان في محافظة إب، ويعتبر من أمنع حصون اليمن ويبلغ إرتفاعه حوالي ٢٢٠٠م عن سطح البحر. الحجري: المصدر سابق . جـ٢، صـ ٢٦٦؛ المقحفي : المرجع. سابق جـ١، صـ٤٠٠).

١٣. النهروالي: المصدر سابق. صـ٤٣٨

١٤. النهروالي: المصدر سابق صـ ٤٣٩.

١٥. ذمار: مدينة تقع جنوب صنعاء بمسافة ٩٥ كم، يعود تاريخها إلى بداية القرن الأول الميلادي وأشتهرت كواحدة من مراكز الإشعاع العلمي. (الحجري: المصدر سابق. جـ ٢، صـ ٣٤١؛ المقحفي: المرجع سابق. جـ ١، صـ ٦٩٤).

١٦. الأكوع: عوامل مقاومة أهل اليمن للحكم العثماني. مجلة الإكليل، صـ ٣١.

١٧. ومن تلك التمردات تمرد المنتصر العلاف في قفر حاشد من بلاد يريم جنوب مدينة ذمار، وتمرد الموبه في جبلة جنوب غرب مدينة إب، تمرد الشيخ العواضي صاحب حصن يفوز بمنطقة عراس جنوب مدينة يريم، وتمرد أهالي منطقة جبن جنوب غرب مدينة رداع بزعامة الشيخ عمرالذرحاني.(المطيب : المصدر سابق : صـ ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٨، ٢٧٢).

١٨. المطيب : نفس المصدر. صـ ٢٣٦ (مخلاف جعفر :وهو ما يعرف اليوم بالعدين، إب، المذيخرة، السحول. وقيل أنه عرف، بذلك نسبة إلى الجعافر وهم ملوك تلك المنطقة قبل الإسلام.المقحفي: المرجع سابق. جـ٢، صـ٣٣٧).

١٩. وتشمل حصون دنوه، ريمة، بلاد الجمعة، السلفية، سماه، عتمة ، يفعان (المطيب : المصدر سابق. صـ ٢٤٨، ٢٦٦، ٢٧٢،٢٧١).

٢٠. المطيب: نفس المصدر . صـ ٢٤٣.

٢١. المطيب: نفس المصدر :صـ ٢٨١.

٢٢. المطيب: نفس المصدر :صـ ٢٥٩ .

٢٣. المطيب: نفس المصدر. صـ ٢٧٢.

٢٤. ١٤ يوليو ١٥٧٥م

٢٥. المطيب: نفس المصدر :صـ٢٧٨.

٢٦. نفس المصدر: صـ٢٤٢.

٢٧. نفس المصدر: صـ ٢٤٠.

٢٨. لم اعثر له على ترجمة ويبدو انه أحد مشائخ جبلة جنوب غرب مدينة إب.

٢٩. نفس المصدر: صـ ٢٤٢.

٣٠. نفس المصدر:صـ ٢٤٢.

٣١. المطيب: المصدر سابق صـ ٢٤٣.

٣٢. المدينة بنيت سنة ٩٧٨هـ ، وبحساب الجمّل نجد أن أسمها فعلاً يطابق تاريخ بناؤها ، لان حرف م = ٤٠ ، وحرف ل= ٣٠، وحرف ح = ٨، وحرف ظ = ٩٠٠ ومجموع هذه الحروف يساوي ٩٧٨، وهو نفس تاريخ تأسيسها. (المشوخي : المخطوطات العربية . صـ٥٠).

٣٣. نفس المصدر:صـ ٢٤٤.

٣٤. نفس المصدر:صـ ٢٥٤.

٣٥. نفس المصدر: صـ ٢٤٤

٣٦. الدفتردار : لقب عثماني يعني رئيس موظفي الواردات والخزينة في الولاية ، ومن مهامه الإشراف على تنفيذ الأحكام الواردة في الميزانية السنوية ،وعلى التشكيلات المالية الموجودة في الولاية. النهروالي: نفس المصدر. صـ ٧٧.

٣٧. المطيب: المصدر السابق.صـ٢٨١ .

٣٨. نفس المصدر: صـ ٢٤٤.

٣٩. نفس المصدر: صـ٢٤٣ .

٤٠. نفس المصدر: صـ ٢٥١ .

٤١. نفس المصدر: صـ ٢٦٣.

٤٢. بني مطر: قبيلة مشهورة غربي صنعاء، كانت تعرف ببلاد البستان. المقحفي.المرجع السابق. جـ٢، صـ١٥٥٦.

٤٣. الحشر : هي القشرة التي تلي الحبة " حبة الشعير أو القمح ". ابن منظور: لسان العرب. جـ١، صـ ٦٤٢

٤٤. المطيب: المصدر السابق. صـ ٢٥٢ـ ٢٥٣ .

* رصد المؤرخ المطيب محملين للحج الأول سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧١م و الثاني ٩٧٩هـ/ ١٥٧٢م، دون أن يشير إلى مكان خروجهما أو وصولهما، أو من تولى إمارتهما. نفس المصدر صـ ٢٤٥، ٢٤٧.

٤٥. عامر، محمود: قافلة الحج اليمني. صـ ٣٣، ٣٤

* رصد المؤرخ المطيب محملين للحج الأول سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧١م و الثاني ٩٧٩هـ/ ١٥٧٢م، دون أن يشير إلى مكان خروجهما أو وصولهما، أو من تولى إمارتهما. نفس المصدر صـ ٢٤٥، ٢٤٧.

٤٦. الابريسيم : كلمة فارسية وأصلها إبريشيم وتعني الحرير. التوينجي: المعجم الذهبي. صـ ٥٦.

٤٧. نفس المصدر: صـ ٢٥٥ـ ٢٥٦.

٤٨. نفس المصدر: صـ ٢٦٠.

٤٩. نفس المصدر: صـ ٢٧٠.

٥٠. نفس المصدر: صـ٢٥١.

٥١. العليق : يطلق على مخصصات الجنود والعساكر والضباط من القمح . سهيل صابان : المعجم الموسوعي . صـ ١٥٦.

٥٢. الجراية : الراتب. التونجي: المعجم الذهبي . صـ ٢٠٢.

٥٣. المطيب: المصدر السابق. صـ ٢٧١.

٥٤. التذاكر: ما يكتب فيها للجنود من أدوات سلطانية وجوامك شريفة ، وتكون مقررة من الديوان. (صالحية : وثائق جديدة . هـ . صـ ٦٠).

٥٥. يبدو انه اسم لإحدى الفرق العسكرية العثمانية.

٥٦. المطيب: المصدر سابق صـ٢٨١.

٥٧. نفس المصدر: صـ ٢٧٧.

* للمزيد من المعلومات عن المؤرخ عبدالله بن داعر أنظر المصري: المرجع السابق. صـ ٦٢-٦٥.

٥٨. ابن داعر، عبدالله. الفتوحات المرادية. ق ٢١٤ .

٥٩. نفس المصدر. ق٢١٥.

٦٠. الموزعي: المرجع سابق. صـ ٤٧

٦١. نفس المصدر:صـ ٤٧

٦٢. نفس المصدر: صـ ٤٧

٦٣. نفس المصدر: صـ ٤٧.

٦٤. لطف الله، : المصدر سابق. صـ١٩١.

٦٥. نفس المصدر: صـ ٢٠٣.

٦٦. الجرموزي: النبذة المشيرة . تحقيق عبدالحكيم الهجري، صـ ٣٦٣.

٦٧. الكبسي، المصدر سابق .هـ .صـ ١٩٢

٦٨. نفس المصدر: هـ. صـ١٩٢. ورد ذكر هذه المعلومة في حاشية الكتاب وقد وضعها المؤرخ الكبسي نفسه في أصل الكتاب.

٦٩. صالحية: المرجع سابق . صـ ٨٤

٧٠. يسر: الموروث الحضاري لصنعاء القديمة . صـــ١١٦ .

قائمة المصادر

ـــ الأكوع، إسماعيل:

عوامل مقاومة أهل اليمن للحكم العثماني. مجلة الإكليل، العدادن ٣١ – ٣٢ يناير و يونيو ٢٠٠٨م.

ـــ التوينجي، محمد: المعجم الذهبي فارسي ـــ عربي . دار القلم للملايين، بيروت، ط١ ، ١٩٦٩م.

ـــ الجابري، أحمد بن محمد:

سفينة السفر. مخطوطة محفوظة بمكتبة الأستاذ عبد الرحمن الحضرمي، بزبيد، منها نسخة بمعية الباحث،

ـــ الجرموزي: المطهر بن محمد:

النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة النبذة المشيرة في جُمل من عيون السيرة. دراسة وتحقيق : عبد الحكيم الهجري، تحت عنوان ثورة الإمام القاسم بن محمد ضد الوجود العثماني الأول في اليمن. طروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٥م.

ـــ الحجري ، محمد:

مجموع بلدان اليمن وقبائلها. تحقيق القاضي إسماعيل الأكوع، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ١٩٩٦م.

ـــ الحضرمي، عبد الرحمن:

زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ. ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٠م .

ـــ ابن داعر، عبد الله :

الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية. مخطوطة مصورة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٤٢١. جـــ١،جـــ ٢. (منها صورة مع الباحث).

ـــ ســـالـــم،سيد مصطفى:

الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م . القاهرة، ١٩٩٢م ط٤.

المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول. الجمعية المصرية للدرسات التاريخية، ١٩٧١م.

ـــ الشلي، محمد:

السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر. تحقيق / إبراهيم المقحفي، ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء، ط أولى،٢٠٠٤م.

ـــ الشوكاني، محمد بن على:

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . تصحيح محمد بن محمد زبارة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

ـــ صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. مكتبة الملك فهد، الرياض،٢٠٠م .

ـــ صالحية، محمد عيسى:

وثائق جديدة عن حملة سنان باشا إلى اليمن . حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية الثامنة، ١٩٨٧، وثيقـــة رقم ١٩٢٢، صـــ٢٠. وثيقة رقم ٦٠٣. وثيقة محفوظة بمكتبة الأستاذ فؤاد الشامي.

ـــ عامر، محمود علي:

قافلة الحج اليمني. مجلة الإكليل العدد الأول، سنة ١٩٩٢م، من صـــ٣٣ إلى ٤٥.

ـ الكبسي، محمد بن إسماعيل:
اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية. مطبعة السعادة، القاهرة (د.ت).
ـ لطف الله، عيسى :
روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح . تحقيق ابراهيم المقحفي، مركز عبادي للطباعة والنشر، صنعاء ٢٠٠٣م.
ـ المحبي، محمد أمين:
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. دار صادر، بيروت، (د.ت).
ـ المشوخي، عابد سليمان:
المخطوطات العربية مشكلات وحلول. مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض،٢٠٠١م.
ـ المصري، أحمد صالح:
موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومخالف. القسم الأول من رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة صنعاء، ٢٠٠٦م.
ـ المطيب، محمد بن يحيى :
بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام. تحقيق : أحمد صالح المصري . القسم الثاني من رسالة ماجستير بعنوان موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومخالف.مع دراسة وتحقيق مخطوطة المؤرخ المطيب. جامعة صنعاء، ٢٠٠٦م.
ـ المقحفي، إبراهيم:
معجم البلدان والقبائل اليمنية. دار الكلمة ، صنعاء ،٢٠٠٢م.
ـ الموزعي، شمس الدين عبد الصمد:
الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان. تحقيق: عبدالله الحبشي، منشورات وزارة الوقاف والأرشاد، صنعاء، (د.ت).
ـ النهروالي، قطب الدين محمد: البرق اليماني في الفتح العثماني. دار التنوير، بيروت، ١٩٨٦م[ط٢].
ـ يسر، محمد عبد العزيز :
الموروث الحضاري لصنعاء القديمة . جامعة صنعاء ٢٠٠٤ م.

ذمار في التاريخ الحديث
أحوالها السياسية و الاجتماعية و العلمية

أ. د/ صادق ياسين الحلو *

ذمار في مستهل العصور الحديثة ١٣٠٠م ــ ١٥٥٠م :

لا يوجد هناك أدنى شك أن ذمار مدينة تاريخية قديمة ورد ذكرها في النقوش اليمنية القديمة (هجرن ذمار) أي المدينة ذمار [١] و يرى باحث آخر أن أول ذكر لها يرجع إلى النصف الأول من القرن الثالث الميلادي في النقوش السبئية ، أما أول إشارة لها في المصادر الإخبارية الإسلامية كانت عند ابن هشام في كتابه السيرة النبوية نقلاً عن وهب بن منبه بالعبارة الشهيرة ((لمن ملك ذمار لحمير الأخيار لمن ملك ذمار للحبشة الأشرار لمن ملك ذمار لفارس الأحرار لمن ملك ذمار لقريش التجار))[٢] ثم ذكرها الحسن الهمداني في الإكليل و بعده الرازي ثم نشوان بن سعيد الحميري ، أما ظهور مدينة ذمار الحالية فيبدو أنه كان في بداية القرن السابع الميلادي حيث مثل مسجد ذمار النواة الأولى للمدينة الجديدة [٣].

وكان لموقع ذمار المتوسط بين صنعاء و مدن الجنوب في سهل زراعي منبسط أثر مهم في حياتها التجارية و السياسية كما أسهم في تشكيل تاريخها و الصراع عليها بين القوى المتصارعة و الغازية عبر الحقب الزمنية الحديثة ، على أن أهل ذمار كان لهم دور في صنع تاريخ مدينتهم ، و سجلوا مقاومة ضد الطامعين في السيطرة عليها .

لم يقتصر الأمر على ذلك فقط فالمدينة كانت مركزاً لأكابر العلماء و الفقهاء من أتباع المذهب الزيدي و غيره بما فيها من مدارس كالعامرية في رداع و الشمسية في ذمار ، و

* أستاذ التاريخ الحديث الأوروبي – رئيس قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة ذمار

كان يقصدها الدارسون من طالبي العلم من أماكن مختلفة من داخل اليمن و خارجه و هذا يعني أنها كانت مكان علم و هجرة لطالبي العلم [٤].

ففي نهاية العصور الوسطى و بداية العصور الحديثة ، كانت ذمار مسرحا للصراع من أجل السيطرة عليها و ضمها تحت سلطة أحد المتنافسين على الحكم من الأئمة الزيديين ، سواء كان ذلك من خلال النزاعات فيما بينهم أم مع بني رسول و ولاتهم من الطاهريين .

ففي سنة ٧٣٠هـ /١٣٠٠م كان فيها قيام أربعة من الأئمة من الزيديين ، فظهر الإمام يحيى بن حمزة في جهات صنعاء و بلغت دعوته بلاد الظاهر و صعده و الشرف و استقر في حصن هران قبلي ذمار ، وكان الإمام يحيى بن حمزة من أفضل و أشرف الأئمة الزيديين حينئذ علماً و عملاً له التصأنيف المفيدة و المناقب العديدة [٥].

وأنطلق الإمام يحيى بن حمزة من حصن هران في ذمار إلى صنعاء بعددٍ من الإشراف إلى يحيى بن الحسن الحسني فيبايعه أعيان الشيعة و عظماء أهل الحل و العقد ، ثم تقدم الإمام إلى وادي ظهر لمحاربة همدان الإسماعيلية [٦] .

و من ذلك نستدل أن حصن هران في ذمار التي أصبحت في النصف الثاني من القرن الرابع عشر مركزاً للإمام يقود منه الحملات العسكرية للسيطرة على مناطق أخرى من اليمن لتعزيز نفوذه و توسيعه لما لهذا الموقع من أهمية جغرافية حيث تحيطه الأراضي الزراعية الخصبة الغنية بمنتجاتها الغذائية الأساسية .

ظل الإمام يحيى بن حمزة مقيماً في هران حتى عام ٧٤٧هـ / ١٣٣٩م حيث وافته المنية في حصن هرأن ، و نقل إلى مدرسة ذمار ودفن فيها [٧].

تعرضت ذمار بعد ذلك إلى بعض الاضطرابات في السنوات اللاحقة ففي سنة ٧٥٠هـ /١٣٤٢م تم الصلح بين الإمام و أكراد ذمار ، وكانوا فريقين بني الأسد و بني شكر و تزوج ولده الناصر صلاح الدين محمد بن علي بفاطمة بنت الأمير الأسد ابن إبراهيم الكردي فهي أم ولده المنصور علي بن صلاح الدين [٨].

ومن النص السابق يتضح أن سكان ذمار كان يسكن بينهم أقوام أخرون من أصول غير عربية كالأكراد الذين يعتقد أنهم من بقايا حملة ثوران شاه اخو صلاح الدين الأيوبي.

تكرر الصراع في ذمار بين الأكراد مما دفع الأمير الأسد بن إبراهيم الكردي إلى أن يصل إلى الإمام المهدي علي بن محمد في صعدةٍ مستنجداً به علي بني شكر الأكراد فنهض

الإمام إلى ذمار ، ثم قبض على بني شكر و أودعهم حصن هران تحت الحفظ ، و قـرّر بنـي أسد على ما كانوا عليه ، وأقام الإمام ولده الناصر صلاح الدين محمد بن على فـي ذمـار ، وتولى الناصر عن ابية تدبير الحروب و نظام الأمور على أحسن أسلوب [٩].

توفي الإمام المهدي علي بن محمد في مدينة ذمـار سـنة ٧٧٣هـ /١٣٦٥م ، وبويع من بعده ولده الإمـام الناصـر لـدين الله صـلاح الـدين محمـد بـن علـي (٧٧٣ ـ٧٩٣هـ/١٣٦٥ ـ١٣٨٥م) في ذمار ، ومنها أنطلق ليخضع المناطق فـي الـشمال لسيطرته ، حيث أرسل في عام ٧٧٥هـ /١٣٦٧م جيشاً كبيراً لحصار صنعاء ، غير أنه لم يوفق في السيطرة عليها ، ولكنه نجح كما يقول يحيى بن الحسين بن القاسـم فـي تخريـب ((بعض من ظلع صنعاء ، ورجع إلى ذمار))[١٠].

وفي السنة التالية (٧٧٦هـ / ١٣٦٨م) خرج الإمام صلاح الدين من ذمار معيناً لصاحب بَعدَأن، فوصل إلى الجند و أقام فيها ثلاثة أيام ، فاستخدم الملك الأفضل العـساكر، و كتب إلى قبائل اليمن السفلى بحفظ الطرقات ، ووعدهم بجزيل الصلات ثم رجع الإمـام إلـى مستقر عزه (المقصود ذمار) ، وقع الخوض في الصلح بينه وبين الأمير عبـد الله بـن داود صاحب صنعاء ، ومن عنده من همدان فتم الصلح [١١]، وبذلك يكون الإمام صلاح الدين محمد قد أخفق في ضم صنعاء إلى أملاكه التي اتخذ من ذمار مركزاً لها ، وكانت مصدراً للجيـوش التي يعدها و يرسلها إلى المناطق التي تخرج عن سلطته ، ففي سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٧م نهض علي بن صلاح الدين من ذمار بثمنمائة فارس ، و عسكر كثير ، فلقاه الـسيد إدريـس بن عبد الله ، و الداعي ابن الأنف ، ومن أنضم إليهم في مائة فارس و أربعمائة راجل، إلـى بيت حاضر ، فوقع بينهم بعض محاربة ، و تقدم علي بن صلاح الدين إلـى صـنعاء و لـم يستقر فيها ، بل توجه إلى عمران ، وقد اجتمع في تلك الجهة من الأشراف و العـرب عـدد كبير ، فوقع بينهم و بينه عدة وقائع ثم رجع إلى ذمار ، ولم يزل يكرر الغارات إلى كثير مـن الجهات [١٢].

كما خرج في سنة ٧٩٦هـ /١٣٩٨م من ذمار إلى جهة رداع ، فوقع بينه و بـين أهل تلك الجهة حرب ، ثم صالحوه ، فرجع عنهم إلـى ذمـار ، وخـرج سـنة إلـى جهـة صنعاء [١٣]، و في السنة الثانية ٧٩٧هـ / ١٣٩٩م وصل إلى صنعاء و لكن لـم يطمـئن

فيها بل نهض إلى ذمار و من جهة المشرق ، و لم يبرح في غارات إلى كثير من الجهات [١٤] .

وهكذا كأن الإمام علي بن صلاح لا يستقر به المقام طويلاً في ذمار بسبب الاضطرابات التي تحصل في أماكن أخرى ، و في هذا الإطار نهض في عام ٨٠٠هـ/ ١٤٠١م إلى بلاد سنحان لقبض الحقوق منهم بعد طول امتناعهم عن تسليمها .

فقرر أمورها ثم عاد إلى ذمار ، فلم يستقر فيها حتى بلغه أن عامل ذيفان يريد أن يطلق الحصن إلى السيد إدريس بن عبد الله فنهض مسرعاً إلى هنالك ، فاستنزل العامل من الحصن بأمان و لما رجع علي بن صلاح الدين إلى ذمار بلغه أن صاحب المحرثة نزع يده عن الطاعة و مال إلى سلطان اليمن الأسفل ، وتقوى بباطنية عراس و اجتمعت كلمتهم ، فسار إليهم بعسكره و حارب قعينعقان و عراس و دروان ، وقطع زروع أهل هذه المحلات ، ثم رجع إلى ذمار [١٥].

و في عام٨٠٢ هـ / ١٤٠٣م وصل الإمام علي بن صلاح الدين إلى صنعاء و لم يلبث فيها، بل توجه إلى مغارب ذمار لمحاصرة عامله الفقيه أحسن بن إسماعيل ، لما خالف عليه، وتغلب على حصن كبة ، وكان هذا الفقيه عاملاً بعد أبيه على تلك الجهة من أيام الإمام صلاح الدين ، وقد اجتمع له مال كثير لاتصال ولايته بولاية أبيه و طولها فلم يبرح علي بن صلاح الدين محاصراً له حتى وقع الصلح بينهما ، فارتفع عنه إلى ذمار [١٦].

تؤكد التحركات السابقة للإمام علي بن صلاح الدين استمرار النزاعات بينه و بين الخارجين على سلطته في الأماكن الآخرى من المناطق الشمالية من ذمار و إلى جنوبها و شرقها من أجل توسيع أملاكه و نفوذه متخذاً الصراع الطاهري الزيدي للسيطرة على ذمار في القرن السادس عشر أساساً له.

الصراع الطاهري الزيدي للسيطرة على ذمار في القرن السادس عشر الميلادي

تصارعت قوى رئيسية ثلاث للسيطرة على اليمن خلال السنوات ١٥١٧ ـــ ١٥٣٨م قبل الاحتلال العثماني الأول له في عام ١٥٣٨ ، الأولى قوة المماليك العثمأنيين الذين اعترفوا بالسيادة العثمأنية على اليمن قبل سقوط دولتهم في مصر و هي قوة أجنبية و لم يكن لها تأثير في أحداث اليمن ، أما القوة الثأنية فهي قوة الطاهريين في عدن التي

أنحصر نفوذهم فيها رغم محاولاتهم مد سلطتهم إلى صنعاء ، فواجهتهم القوة الثالثة المتمثلة بقوة الزيديين بزعامة الإمام شرف الدين (٩١٢ـــ ٩٦٥هـــ /١٥٠٦ـــ ١٥٤٦م) الذي تمكن من توحيد القوى الزيدية تحت سيطرته بمد نفوذه في ممتلكات الطاهريين [١٧].

تعود البدايات الأولى للصراع الطاهري الزيدي على ذمار إلى القرن الخامس عشر الميلادي، عندما بدأ بنو طاهر بخدمة بني رسول ، بالتدريج أصابوا بعض الشهرة إلى أن أصبحوا أمناء سلاطين بني رسول على التجارة و وكلاء عنهم في عدن[١٨]و نواباً في مخلاف رداع ، ذلك المخلاف المهم الذي عده الطاهر يون خطاً دفاعياً أماميا ضد التوسع الزيدي جنوب ذمار ،ففي سنة ١٤٠٠م تعرضت تلك المنطقة لإغارة الإمام الزيدي علي بن صلاح الدين في عهد الناصر أحمد بن إسماعيل الرسولي ، ونظراً لضعف بني رسول فأن نائبهم بمخلاف رداع علي بن طاهر لم يتمكن من الصمود في وجه الإمام الزيدي ، فاضطر إلى التنازل له عن إحدى القلاع المهمة بمدينة رداع غير أن الإمام ما كاد أن يصل في طريق عودته إلى ذمار حتى نكث بنو طاهر عهدهم معه ، فعاد إليهم الإمام متخذاً سياسة العنف و الخراب ببلادهم التي لم ينصرف عنها حتى وفد إليه بنو طاهر و اعتذروا له عما بدر منهم[١٩].

و في عام ١٤١٧م أغار الإمام الزيدي على مدينة المقرانه فخشى بنو طاهر الهزيمة و سارعوا إلى الاستنجاد بالسلطان الرسولي و دارت معركة بينهم و بين الإمام الزيدي منى الأخير فيها بهزيمة فادحة [٢٠].

وعندها أصبح السلطان عامر بن طاهر معوضه (١٤٥٤ ـــ ١٤٦٠) أول ملوك بني طاهر و تمكن بمؤازرة أخوه علي بن طاهر بعد وصولهم عدن ـــ من السيطرة على كثير من المناطق اليمنية ، اتخذ من المقرانة ـــ برادع ـــ عاصمةً لدولتهم الفتية [٢١].

لقد كانت المنطقة الشمالية من اليمن مقسمة بين عدد من السيادات الصغيرة في ذلك الوقت، و كان السلطان عامر قد واجه عدداً من الأئمة و ليس إماما واحداً إذ كان هناك إمام في كل من صعدة ، صنعاء ، ذمار و كان الإمام المطهر بن محمد بن سليمان قائماً في ذمار ، و كان محالفاً للطاهريين ضد آل الناصر في صنعاء حتى وفاته ، ثم لجأ أبناؤه إلى صنعاء بعد أن نشب الخلاف بينهم و بين الطاهريين [٢٢]و قد بدأ صدام السلطان عامر بن عبد الوهاب مع هذه السيادات المستقلة المتناثرة في المنطقة الشمالية في سنة ٩٠٢هـــ /١٤٩٦م عندما

أعلن الإمام الوشلي إمامته في ذمار فهدد بذلك حدود مملكة السلطان عامر الشمالية [٢٣] و هنا ثارت الحرب بين السلطان عامر و بين الإمام الوشلي و تمكنت قوات السلطان من أن تحرز الأنتصارات المتتالية التي أدت إلى تدعيم سلطة الطاهريين في جميع الجهات و الحصون المشرفة على صنعاء [٢٤].

ظلت ذمار و توابعها أحدى مناطق اليمن التي شهدت صراعاً للاستيلاء عليها بين بقايا الطاهريين و الزيديين في عهد الإمام شرف الدين الذي استفاد من نشوب الصراع بين أبناء البيت الطاهري ، حول منصب الإمارة بعد مقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب فأيد أحمد بن محمد بن عامر بن طاهر الذي أعلن استقلاله برداع ، ودخل تحت طاعة الإمام شرف الدين ، حيث رأى أن مصلحته السياسية ستحقق من خلال تلك المولاة [٢٥]بالضد من ابن عمه عامر بن عبد الملك الذي نُصِّب حاكماً للطاهريين في المقرانه.

وفي عام ٩٢٤هـ /١٥١٨م ، قام عامر بن عبد الملك بالاستيلاء على ذمار و فرض مبلغاً مالياً على أهلها ، ثم توجه إلى رداع و حاصر ابن عمه أحمد بن محمد بن عامر بن طاهر [٢٦]، و حين وصل الخبر إلى الإمام شرف الدين أرسل حملة عسكرية بقيادة أبنه المطهر فنجح الأخير في دخول ذمار [٢٧]، ثم توجه بعدها إلى رداع لفك الحصار المضروب حول أحمد بن محمد عامر بن طاهر[٢٨]، و لكن قبل وصول المطهر إلى رداع ، أسرع عامر بن عبد الملك إلى عقد صلح مع ابن عمه أحمد بن محمد ، و غادر رداع التي دخلها المطهر و عمل على إقرار الأمور فيها ، ثم تركها بيد أحمد بن محمد بن عامر بن طاهر بعد أن أخذ عليه العهد و عاد إلى صنعاء [٢٩].

لم تستقر الأوضاع للإمام شرف الدين في ذمار ، حيث أن حليف الأمس أحمد بن محمد بن عامر بن طاهر قام بنقض العهد المبرم بينه و بين الإمام شرف الدين مستغلاً إنشغال الإمام بحروب بني المؤيد في الشمال ، فهاجم ذمار مدعياً أن أهلها و أهل عنس[٣٠] ، يدبرون الغدر به[٣١] ، غير أن الإمام بعد أن أرجع صنعاء أرسل حملة عسكرية بقيادة ذيبان السفياني [٣٢] و أتبعها بحملة عسكرية ثانية بقيادة عز الدين بن محمد الحوثي لقتال أحمد بن محمد الطاهر الذي فرّ إلى شيخ بني مسلم[٣٣] و هو من أنصار الإمام ، فاستطاع أن يأخذ له الأمان من الإمام شرف الدين و كان ذلك في سنة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م [٣٤].

لقد بايع أهالي مدينة ذمار الإمام شرف الدين بعد طرد واليهم الطاهري في سنة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م غير أن الصراع حول المدينة بين الطرفين لم ينته إذ حاول الطاهر يون استرجاع ذمار فهاجمها عامر بن عبد الملك ، ولكنه تقهقر من هناك عندما علم بتقدم المطهر، و سقط حصن (ذي مرمر) آخر معاقل الطاهرين في الشمال في أيدي الإمام شرف الدين بعد ذلك بقليل اى في سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م[٣٥] .

و يبدو أن عبد الملك الطاهري كان لا يتعظ من هزائمه أمام جيوش الإمام شرف الدين فسرعان ما نسي العهد الذي قدمه للإمام ففي سنة ٩٢٩هـ /١٥٢٣م حصلت خيانة من أحد قادة الإمام شرف الدين و هو ذيبان بن عبد الله السفياني ، و حرض عبد الملك بن محمد الطاهري على محاربة الإمام شرف الدين [٣٦]، غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل [٣٧] ،حيث استطاعت قوات الإمام شرف الدين هزيمة قوات عبد الملك بن محمد الطاهري في حصن حب و قتل في هذه المعركة ذيبان السفياني ، أما عبد الملك الطاهري فقد فر إلى الحقل من بلاد يريم فتوجه إليه المطهر ، فلما وصل إلى ذمار هرب عبد الملك بن محمد الطاهري منها، أما ابن عمه أحمد بن محمد بن عامر فقد وصل إلى المطهر في رداع مستسلماً ، فأكرمه المطهر و أرجعه إلى محله [٣٨].

على أن الصراع على هذه المنطقة لم يتوقف ، فتجدد النزاع بين الإمام شرف الدين و بين الطاهريين بعد ذلك ، فوجه ابنه المطهر في سنة ٩٣٤هـ ١٥٢٨/٧/م إلى الجنوب من صنعاء لتدعيم نفوذ الزيديين في المناطق الواقعة بين صنعاء و ذمار و هي المناطق التي تقع على حدود ممتلكات الطاهريين ، وعند اقترابه من بلاد بني طاهر استنجد به المماليك الذين كانوا في المقرانة و الذين كانوا قد استعادوا هذه المدينة من أيدي الطاهريين ، وكان المماليك و الطاهريون يتبادلون معاً الاستيلاء على المقرانة طوال المدة السابقة و قد تشجع المطهر حينذاك على التقدم إلى المقرانة فاستولى على ما فيها من الذخائر كالمدافع و السلاح و الآلات من النحاس [٣٩] ، كما استولى على رداع و على باقي المراكز و الحصون الطاهرية المحيطة بها و منها منطقة الغادر من بلاد رداع فوجد فيه المال و الآلات المصنوعة من الذهب و الفضة و الجواهر [٤٠]، و كانت تلك المنطقة تقع إلى الشرق من الخط الممتد بين ذمار و صنعاء [٤١]و عاد المطهر بعد ذلك إلى صنعاء مثقلاً بالغنائم الوفيرة التي كان

الطاهريون يحتفظون بها في هذه الحصون و ذلك لأن الطاهرية لما دهمتهم الجيوش الغورية نقلوا ذخائرهم إلى هذه الحصون خوفاً من الغورية يوم ذهاب ملك عامر بن عبد الوهاب [٤٢].

هكذا يظهر أن تكرر الصراع بين الزيديين و الطاهريين و المماليك للسيطرة على ذمار و المناطق المحيطة بها و التابعة لها ، يومئذ يرجع إلى غناها و ثروتها و أهمية موقعها سواء كان ذلك بالنسبة للقوى التي تسيطر على المناطق الشمالية أم الجنوبية من اليمن ، حيث ترجح كفة من تكون تحت سيطرته على الطرف الآخر .

و يؤيد هذا الرأي المؤرخ السيد مصطفى سالم بالقول ((أن لهذه المناطق الشرقية أهمية خاصة بالنسبة للمطهر ، فقد كانت تشتهر بأهميتها و بوفرة الزراعة و بوفرة المياه بها ، كما كانت تربية الإبل و الغنم تنتشر في المناطق التي تقع إلى الشرق من رداع لوفرة المراعي بها ، مما أدى إلى أن تشتهر رداع بصناعة البسط الصوفية ، و لهذا كله فيمكن أن نعتبر أن توجه المطهر إلى هذه الجهات كان أولى خطوات الجبلين إلى مناطق جنوب اليمن الأكثر غنى وثروة[٤٣] .

و بعد تلك الضربات العسكرية القوية التي وجهها المطهر إلى قوة العامريين في ذمار و توابعها ذات الثقل الاقتصادي و الجيوبولتيكي باعتبارها مفتاح الجنوب لأهل الشمال أو بالعكس سادت فترة هدوء من ١٥٢٨ ـــ ١٥٣٤م (٩٣٤ ـــ ٩٤١هـ) كان من نتائج تلك الأحداث زيادة ضعف الطاهريين ، حتى أن عامر بن داود الطاهري الذي آل إليه أمر الطاهريين ـــ يومئذ ـ لم يستطع تجهيز جيش قوى لاستعادة ممتلكاته الشرقية حتى أوائل عام ٩٤١هـ /١٥٣٥م ، عندما قام بمحاولة التقدم إلى هذه الجهات للاستيلاء عليها بتشجيع من أحد الإشراف المعارضين للإمام شرف الدين ، حيث استغل أنشغال الأخير و ابنه المطهر بحروبهما في أقصى شمال الشطر الشمالي من اليمن (صعدة و نجران) ، غير أن ذلك الصراع للزيديين في الشمال لم يمنع المطهر من التوجه إلى الجنوب ، ففاجأ الطاهريين بظهوره في جنوب ذمار ، فوقعت المعركة بين الطرفين بالقرب من (دمت) و كانت نتيجتها إحراز المطهر نصراً حاسماً [٤٤]و قد أظهر المطهر في هذه الحروب قسوة بالغة ، إذ أعمل القتل و السفك بين أعدائه و كان عددهم ما يقارب (٢٦٠٠) رجلاً ، فقتل منهم بحدود (٢٣٠٠)، ثم أمر بقطع رأس ألف أسير منهم ، و جعل باقي الأسرى يحملون رؤوس القتلى ـــ فحمل كل أسير رأسا[٤٥] و أرسلهم المطهر بهذا الشكل في موكب غريب إلى صنعاء ثم

إلى صعده حتى يبين أنتصاره على الطاهريين [٤٦]، و ليخفف الأصوات المعارضة لحكم أبيه[٤٧].

و بعد تلك المعارك العسكرية بدأت المناطق الطاهرية عدا المقرانة و رداع تسقط بيد المطهر الواحدة بعد الأخرى طوعاً و كرهاً منها أهل جبل جرير [٤٨]، كما استطاع المطهر و أخوه شمس الدين الاستيلاء على مناطق أخرى، حيث توجه الأخير إلى بلاد عنس لإخضاعها و بذلك أصبحت المناطق الوسطى ومنها ذمار تحت سيطرة الإمام شرف الدين[٤٩] .

وعلى الرغم من شدة الصراع الطاهري الزيدي للسيطرة على ذمار الذي اتخذ طابعاً صدامياً ، فإن ذلك لم يمنع من قيام شمس الدين ابن الإمام شرف الدين ببعض الأعمال العلمية و العمرانية إذ بدأ ببناء المدرسة الشمسية عام ٩٤٧هـ /١٥٤٠م و أنتهى بناؤها في ٩٤٩هـ /١٥٤٢م في مدينة ذمار فنسبت إليه [٥٠]، كما قام ببناء عمارة قصر بمدينة ذمار[٥١].

سيطر العثمانيون على تعز عام ٩٥٢هـ /١٥٤٠م كما سقطت صنعاء في قبضتهم ، ولكن المحافظة على صنعاء ، و أي من المدن الأخرى في جبال اليمن ما كانت تقوى عليها قواتهم أمام مقاومة أتباع الإمام الزيدي الذي كان يسيطر على المنطقة الجبلية الممتدة من صعدة شمالاً إلى ذمار و رداع جنوباً [٥٢]، و على الرغم من أنقسام سكان اليمن إلى شيعة زيدية و سنة شافعية إلا أن معظم أتباع المذهب الشافعي التفوا مع أخوانهم الشيعة الزيدية حول راية الإمام شرف الدين لمقاومة العثمانيين و ذلك لأنهم اعتبروهم مغتصبين لبلادهم نظراً لاختلافهم عنهم في الجنس و اللغة [٥٣].

وهكذا يتضح أن المدة التي سبقت الاحتلال العثماني الأول لليمن و بخاصة في النصف الأول من القرن السادس عشر ، ثم في أثناء السنوات الأولى لذلك الاحتلال بعد عام ١٥٣٨ ،قد شهدت صراعاً بين القوى اليمنية للسيطرة على مناطق اليمن ، وكان لموقع ذمار و توابعها في المناطق الوسطى ، فضلاً عن غنى هذه المناطق اقتصادياً، قد دفع بتلك القوى إلى إيلاء أهمية خاصة لبسط سيطرتها عليها ، فكانت ساحة لذلك الصراع بين تلك الأطراف و سبباً لتأخر تطورها و إشاعة الخراب و الدمار في العديد من أجزائها، و لم تجن من ذلك الصراع شيئاً ، ما عدا بناء عمارة قصر و المدرسة الشمسية بمدينة ذمار التي أصبحت لاحقاً أحد أهم مراكز هجر العلم في اليمن.

ذمار في ظل الصراع الزيدي العثماني على اليمن حتى نهاية الاحتلال العثماني الأول (١٥٥٠/١٦٣٥) .

اتسمت حقبة الاحتلال العثماني الأول لليمن و حتى طرده عام ١٦٣٥م بعدم الاستقرار ، إلا لفترات قصيرة و يرجع ذلك إلى التطورات التي تتعلق بالدولة العثمانية عموماً و ثورات اليمن ضد الاحتلال .

و كان نصيب ذمار في هذه الحقبة أنها و كما هو الحال في الفترات السابقة ، قد دفعت ثمناً غالياً بحكم موقعها بين الأئمة الزيديين الذين استمروا بمقاومة الاحتلال العثماني و استمرار العثمانيين الذين أنحصر نفوذهم في زبيد ، و بمحاولات حصار صنعاء و احتلالها ، وكانت ذمار تقع على طريق سير الحملات العسكرية ، كما أن أهلها غالباً ما كانوا ينخرطون أو يجدون أنفسهم منخرطين في ذلك الصراع .

قاد المطهر بن شرف الدين ثورة شاملة في اليمن ضد العثمانيين و نجح في أن يكون رمزاً لثورة اليمن في ذلك الوقت [٥٤]، وعندما أصبح مراد باشا /٩٧٤هـ يوليو أغسطس ١٥٦٦م والياً على المنطقة الجنوبية من اليمن ، أراد أن يبسط سيطرته على المناطق الشمالية و بخاصة صنعاء التي كان يحاصرها المطهر ، فزحف إليها من تعز ، و لكن مراد باشا عجز عن مواصلة سيره إليها، و اضطر إلى البقاء في ذمار بعض الوقت نتيجة لقيام أهالي المنطقة الواقعة بين ذمار و تعز بالثورة و هجومهم على الحاميات الموجودة في منطقتهم مثل حامية إب التي اضطر أفرادها إلى تسليم أنفسهم إلى الثائرين الذين قاموا بقتلهم جميعاً ، وقد شجعت هذه الأحداث القبائل المختلفة على الثورة على العثمانيين فأظهرت العصيان و أنقطعت الطرق و زحفت القبائل على محطة مراد باشا بذمار و ضيقوا عليه بعد أن خربوا الطريق [٥٥].

أرسل المطهر من جانبه حسين بن شمس الدين و علي بن الشويع على رأس قوة من الجند لمهاجمة مراد باشا في ذمار و لإعاقة تقدمة إلى صنعاء و قد نجح هذان الأميران في إثارة المتاعب في وجه مراد باشا حتى أنه قرر العودة إلى تعز ليعيد تنظيم قواته بها قبل أن يتقدم إلى صنعاء ، وذلك لأن هذه الجيوش كانت قد هاجمت أطراف قواته و قطعت طرق مواصلاته ، و استولت كذلك على القافلة الوحيدة التي قرر إرسالها إلى صنعاء لمد المحاصرين بالمؤن و الذخائر بعد أن عدت لها جيوش المطهر كميناً بين جبلين [٥٦].

لم يفشل مراد باشا في تجاوز ذمار إلى صنعاء لفك الحصار عنها فقط ، بل أن أهل ذمار قاوموه ووقفوا مع القائد الذي أرسله المطهر ، و الأكثر من ذلك أن مراد باشا عندما قرر الأنسحاب عائداً إلى تعز قتل قبل أن يصل إليها من قبل القبائل الثائرة ، وكان مقتله إيذانا بانهيار باقي نفوذ العثمانيين في اليمن ، إذ بدأت جيوش المطهر تكتسح الأقاليم الجنوبية حتى وصلت إلى عدن جنوباً[٥٧].

غير أن بقاء ذمار تحت سيطرة المطهر أنتهت بمحض إرادة الأخير فعندما أوكلت الدولة العثمانية إلى سنان باشا قيادة حملة عسكرية لاستعادة النفوذ العثماني في اليمن وبدأ بالتقدم من تعز إلى إب باتجاه صنعاء و استطاع أن يصل إلى ذمار قرر المطهر سحب قواته الرئيسية إلى المنطقة الجبلية شمال صنعاء لتركيز الدفاع عنها و قد سلم أهالي ذمار بلدتهم مضطرين إلى سنان باشا عام ٩٧٦هـ /٢٦يوليو ١٥٦٩م بتوجيه من المطهر حتى لا تتعرض المدينة إلى التخريب أو السلب و النهب كما حدث في عهد ازدمر باشا[٥٨] .

بذلك تكون ذمار قد عادت إلى هيمنة الاحتلال العثماني و أنحسر النفوذ اليمني عنها شأنها شأن باقي أجزاء اليمن الوسطى و الجنوبية في هذه الحقبة ما عدا المنطقة الشمالية التي بقيت تحت سيطرة المطهر .

عاد سنان باشا عام ٩٧٧هـ /١٥٧٠م إلى ذمار ليكون قريباً من القوات الضخمة التي أرسلها بقيادة بهرام باشا للسيطرة على حصن حب حيث كان علي بن شرف الدين لا يزال يتحصن فيها .

هكذا استخدم سنان باشا ذمار قاعدة خلفية و إسناد للجيش الذي أراد من خلاله إتمام إحكام قبضته على مناطق اليمن الوسطى و الجنوبية ليسلمها إلى بهرام باشا قبل أن يغادر اليمن في عام ٩٧٨هـ / ١٥٧١م [٥٩] .

تولى حكم ولاية اليمن بعد بهرام باشا مراد باشا ٩٨٤هـ / ١٥٧٦م ـــــ /١٥٨٠م ليخلفه حسن باشا ٩٨٨هـ /١٥٨٠م ـــ ١٦٠٥ و بعدها سنان باشا حتى وفاته عام ١٦٠٨ و اتصفت هذه المدة حتى ثورة الإمام القاسم بن محمد بن علي ١٠٠٦هـ ـــ /١٥٩٨م ـــ ١٠٢٩هـ /١٦٢٠م بامتداد السيطرة العثمانية على أغلب المناطق اليمنية و من ضمنها ذمار لاسيما و أنها تزامنت مع وفاة الإمام المطهر و التصارع بين أولاده من

بعده على الامامة فاستغل العثمانيون تلك الظروف لتركيز سيطرتهم و فرض تنظيماتهم في اليمن .

كانت ذمار غير خارجة عن الأوضاع العامة في اليمن من حيث تبعيتها للولاة العثمانيين و لا عن الأنقسام و النزاع بين أولئك الولاة على النفوذ ، ففي القرن السابع عشر حصل نزاع بين جعفر باشا و عبد الله شلبي إذ رد على خطاب جعفر باشا لتقسيم اليمن بينهما على أن يكون له صنعاء و ما يليها شمالاً و أن تكون الأقاليم الممتدة من ذمار إلى عدن جنوباً لجعفر باشا ، وقد اتسع الخلاف حول السلطة حتى قامت الحرب بينهما و استطاع جعفر باشا إلحاق الهزيمة بعبد الله شلبي [٦٠].

وعندما بدأت المرحلة الخامسة و الأخيرة من مراحل ثورة الإمام القاسم و هي التي كانت في هذه المرة تحت قيادة ابنه الإمام المؤيد الذي حقق بالتعاون مع أخوته أحمد و الحسن و الحسين أنتصارات عديدة على العثمانيين بين الأعوام أواخر محرم ١٠٣٦هـ أوائل أكتوبر ١٦٢٦م إلى ٢٥ رجب ١٠٣٦هـ ٨ ابريل ١٦٢٧م[٦١] .

لقد كانت خطة قطع الطرق على العثمانيين من خطط جيش الإمام للتضييق عليهم ، لذا أرسل الحسن بن القاسم أحمد بن علي على رأس جيش لقطع الطريق المؤدي إلى اليمن و نتيجة لذلك اضطر الباشا حيدر إلى إرسال فرق من جيشه الموجود في صنعاء ، وأخرى من الموجودة في ذمار و ذلك لوقف أعمال جيش الإمام ضدهم ، فدارت بين الطرفين معارك كثيرة استمرت قرابة أربعة أشهر ، و يبدو أن سيطرة قوات الإمام على الموقف كانت شديدة، لذا فقد انقطع خلالها الاتصال بين قوات العثمانيين المحاربة و بين القيادة في صنعاء، وذلك بسبب تغير الوضع في البلاد و اندلاع نيران الحرب من كل جانب مما جعل القوات العثمانية في شبه عزله تامة ، كما انقطعت الأخبار فيما بينهما [٦٢].

على إثر ذلك شعر الأمير سنبل و هو أحد القادة العثمانيين الذي كانت له ولاية ذمار بتردي الوضع في صفوف جنده ، و اشتداد وطأة و قوة الطرف الآخر (جيوش الإمام المؤيد) فقرر الأنسحاب من القتال تحت ضغط قوات الإمام و العودة إلى ذمار ليكون في مأمن منها[٦٣].

بدا موقف الوالي العثماني حيدر باشا صعباً للغاية ، حيث كان من أكبر المآسي عليه هروب بعض قادة جيشه المؤيدين له من صفوفه و الإنضمام إلى الصف المعادي و مثالاً لذلك

الأمير سنبل الذي يعد من أعظم و أشهر القادة في الجيش العثماني ، وقد مهد الأمير سنبل لما اتخذه من قرار خطير بأن أرسل إلى الحسن بن قاسم خطاباً يعلن فيه طاعته للإمام المؤيد، ويطلب لنفسه الأمان منه و مما لاشك فيه أن عمل الأمير كان ضربة للقوات العثمانية في اليمن و مكسباً لقوات الإمام ، فقابل الحسن عرض القائد العثماني بكل ترحاب و أعطاه ما شرطه عليه و هو الأمان و يبدو أن ثقة الأمير القاسمي بالأمير العثماني كانت كبيرة جداً فكافأه على عمله هذا بأنه عينه حاكماً على ذمار ليكسب وده ، ولعله كان يمهد للاستفادة من خبراته السابقة في الجيش العثماني [٦٤] .

عادت بذلك ذمار مرة أخرى إلى سلطة الإمام المؤيد محمد بن القاسم الذي استطاعت قواته إخراج قنصوه باشا آخر والي عثماني في ظل الاحتلال العثماني الأول لليمن فغادرت القوات العثمانية المخا آخر معاقلها في اليمن في جماد الأول ١٠٤٥هـ / أكتوبر ١٦٣٥ ، و بذلك تكون اليمن بعد ثورة طويلة و قتال مرير بقيادة الأسرة القاسمية قد رفضت السيطرة العثمانية لتكون أول ولاية عربية عثمانية تنسلخ من جسم الدولة [٦٥] ، كما تمكنت الإمامة الزيدية و لأول مرة في تاريخها الطويل في اليمن من أقامة دولتها (الدولة القاسمية)التي اتسعت لتشمل جميع الأراضي اليمنية [٦٦] ، فدخلت البلاد بذلك مرحلة تاريخية جديدة باعتبارها دولة مستقلة [٦٧].

من كل ذلك يتبين أن ذمار ، ومنذ النصف الثاني من القرن السادس عشر ، حتى إخراج العثمانيين من اليمن عام ١٦٣٥م ، كانت غير بعيدة عما كان يجري من أحداث مهمة على الساحة اليمنية و بخاصة الاحتلال العثماني الأول لليمن و الرفض و المقاومة اليمنية له ، فشارك أهلها مع جيوش الأئمة في مقاتلة الغزاة، كما كانت تخضع لولاة الحكم العثماني فيصنعاء عندما يتغلب الجيش العثماني و تخرج ذمار عن سلطة اليمنيين ، على أن أهم ما يلاحظ على هذه الحقبة عدم حدوث تطورات عمرانية سوى ما قام به الأمير سنبل من بناء الجامع المسمى باسمه ، أما خيراتها الزراعية فكانت مطمعاً للجيوش العثمانية التي لابد لها من أن تعبر من خلالها إلى صنعاء أو بالعكس حيث تأتي الجيوش اليمنية من الشمال لتمد نفوذها إلى الجنوب .

استقرت شئون اليمن بعد خروج العثمانيين إلى درجة كبيرة في المناطق التي سيطرت عليها الدولة القاسمية ، و التي كانت مسرحاً لإحداث الثورة و كانت الدولة القاسمية بزعامة الإمام المؤيد قد فرضت سلطتها على اغلب مناطق اليمن و منها ذمار التي كانت تشغل أحد أقاليمها .

إن حكام الدولة القاسمية وظفوا بعض جهود الدولة و أموالها للقيام ببعض الأعمال الأنشائية و العمرانية ، و قد كان الدافع من وراء ذلك في بداية الأمر تحقيق مكاسب سياسية و دينية و عسكرية لصالح الدولة القاسمية ، لقد استهل أئمة الدولة القاسمية نشاطهم المعماري بإصلاح و ترميم القلاع و الحصون و القصور التي تعرضت للخراب و الإهمال ، كما اتجهوا إلى القيام بالعديد من الأعمال الأنشائية الجديدة داخل مناطق مدن الدولة ، تمثلت في بناء القلاع و التحصينات العسكرية في بعض المواقع و المدن و الموانئ المهمة [٦٨].

لقد شهدت ضوران الواقعة في إقليم ذمار نشاطاً معمارياً متميزاً منذ فترة الحسين بن القاسم الذي كان حينها من أبرز و أقوى رجال الدولة القاسمية ، حيث شيد في ضوران حصن (الدامغ) الشهير و الذي دام العمل فيه قرابة ثمانية أعوام و تم افتتاحه سنة ١٠٢٠هـ ـــ ١٦٣٨م ، ثم أقام الحسين في ذلك الحصن الواسع ، العديد من القصور و الديور الفاخرة ، والمساجد و الحمامات البديعة و شق إليه الطرقات من كل الجوانب حتى بلغت في حدود عشرين نقيلاً (مدرجاً) و بسبب ذلك النشاط الإنشائي الذي شهده الدامغ فقد وصفه أحد المؤلفين المعاصرين لتلك الفترة بأن أصبح مدينة كبيرة تضاهي مدينة صنعاء[٦٩].

تواصل اهتمام الدولة القاسمية في منطقة ضوران و بخاصة في فترة حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم الذي اعتمدها منذ بداية حكمه المقر الرئيسي لإدارته ، فأضاف إلى الدامغ و ضوران العديد من المنشآت المعمارية أهمها ذلك القصر المشهور الذي بناه الإمام إسماعيل في ضوران الذي بلغ عدد غرفة (١٠٢) غرفة [٧٠] ، فضلاً عن ذلك أمر الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ((بعمارة بركة عظمى و مرافقها من المطاهير و غيرها، و قد وسعها فكانت من أعظم البرك و أكملها ، و عمر أيضا سقاية قريبة من الجامع للشرب و سمسرة في السوق ووقفها للجامع)) [٧١].

و يبدو أن الأسباب التي دفعت الإمام إسماعيل إلى اختيار ضوران مقراً له قد تعددت، فقد اتضح أنها كانت مقره قبل أن يؤول إليه أمر الإمامة [٧٢]و لعله فضل البقاء بها بعد أن

آلت إليه الإمامة ، فضلاً على أن ضوران تعتبر مدينة حصينة يسهل الدفاع عنها و ذلك لوقوعها على سفح جبل ، إضافة إلى احتوائها على كافة المنشات التي سبقت الإشارة إليها[٧٣].

لم تقتصر حركة البناء و العمارة على الأئمة فقط في ذمار و المناطق التابعة لها ، بل كانت قصور العمال و الولاة الأغنياء أضخم منها [٧٤]، فقصر الإمام المتوكل على الله إسماعيل في ضوران كان متواضعاً بعض الشيء و عارياً من الزينة و التحف الفاخرة إذ اكتفى فقط بإحاطته بالأشجار المثمرة و البن و الخضار [٧٥].

إن هذه البساطة التي أظهرها أئمة الدولة القاسمية ـــ عندئذ ـــ في ديارهم و حتى في ملابسهم ، كانت متعمدة بدافع المبدأ الديني فقط ، إذ كانوا يملكون من الأموال و النفائس ما يجعلهم قادرين على الظهور بأكثر من ذلك ، ولنا أن نعرف بأن الإمام إسماعيل قد خلف في خزانته الشخصية ما لا يمكن حصره من الأموال و الذهب و الفضة [٧٦].

شملت أعمال الدولة القاسمية الأنشائية مدن أخرى غير صنعاء ، شهارة و ضوران ، يعد قسماً منها تابعاً لذمار لا سيما تلك المناطق التي استقر بها بعض الأئمة (معبر) أو التي استقرت بها إدارة بعض الولاة المرموقين مثل رداع ، و تمثلت أهم تلك الإعمال في بناء المساجد و الدواوين و القصور و القلاع العسكرية و كذلك بناء السماسر العامة [٧٧].

هذا و قد شجع اهتمام الإمام إسماعيل بالحياة العمرانية العديد من آل القاسم على الاقتداء به فقد اهتم الحسين بن الحسن بترميم سور مدينة رداع [٧٨]

و كذلك قام محمد بن الحسن بجهود ظاهرة في هذا المضمار منها توسيعه لجامع ذمار و عمارة منارته [٧٩] بالإضافة إلى اهتمامه بتشيد مسجد في بئر العياني و توصيل المياه إليه فضلاً عن اهتمامه ببناء بعض المدارس .

و مما سبق يظهر أن بلاد اليمن و منها ذمار قد نعمت بنهضة عمرانية شاملة في عهد الإمام إسماعيل بن القاسم نتيجة لحرصه على حمل لواء تلك النهضة بعد أن ساعده الاستقرار السياسي و الرخاء المادي على تحقيق ذلك .

لقد حصلت تلك الأعمال العمرانية بذمار في ظل حكم الدولة القاسمية غير أن ذلك لا يعني عدم وجود تحركات و اضطرابات سياسية و عسكرية ضدها في المناطق الخاضعة لسيطرتها في اليمن و من بينها تلك الخاضعة لذمار ، ففي عام ١٠٥٢هـ /١٦٤٢م تعرضت

الدولة القاسمية لاضطراب ضد سلطتها في منطقة أنس ، تحت قيادة الشيخ علي بن ناصر راجح الذي كان يتمتع بثقل قبلي كبير ليس في قبيلته فحسب، بل و في باقي القبائل المجاورة، حيث كانت كلمته مسموعة و أمره مطاعاً في تلك النواحي [٨٠].

اختلفت الروايات عن أسباب تلك الاضطرابات فأرجع عبد الله بن على الوزير ذلك إلى أن الأكوع عامل ضوران عامل أهالي آنس بالامتهان و الإذلال ، و استولى على حقوق الناس، ولم يحترم رؤساء القبائل و مشايخها ، وهو ما دفعهم إلى الاضطرابات [٨١]، بينما هناك رأي آخر يقول إن الإمام المؤيد أمر بتحصيل الواجبات من آنس إلى بيت المال مباشرة عبر يحيى بن أحمد البرطي ، بعد أن كانت تجمع و ترسل عبر والد الشيخ علي بن ناصر ، و كان الشيخ علي يعتقد بأنه سيقوم بتلك المهمة بعد وفاة والده [٨٢]، غير أن تكليف الإمام المؤيد ليحيى البرطي بذلك الشأن قد أغضب الشيخ علي ، و جعله يقود خروج قبائله على سلطة الإمام [٨٣].

وقعت اضطرابات في مناطق أخرى تعد مرتبطة بذمار مثل : عتمه ، الحداء ، وصاب، و ريمة و النواحي الغربية من ذمار ، وكذلك كسمة و جبل الشرق ، حيث أعلنت القبائل في تلك النواحي المذكورة خلعها لطاعة الدولة القاسمية بعد أن طردت عمال الإمام المؤيد من أراضيها ، ثم اجتمعت تلك القبائل و نصبت الشيخ علي بن ناصر سلطاناً على تلك المناطق المذكورة [٨٤].

إزاء هذه الاضطرابات أدرك الإمام المؤيد أن سلطته السياسية ستنزع إذا ما تركها دون معالجات و ردع عسكري ، حيث إن احتمال اتساعها لتشمل مناطق مجاورة أخرى ، يجعل من الصعب على الدولة إخمادها .

إزاء ذلك الخطر الذي أصبح يهدد دولة الإمام المؤيد وجه عامله على ضوران على رأس جيش كبير من المقاتلين و الفرسان إلى الجهات الخارجة على سلطته ، واستمرت المعارك لأيام ، أنتهت بهزيمة الشيخ علي بن ناصر و هروبه من أنس إلى إب و هناك سلم نفسه لمحمد بن الحسن ، ولكن الأخير رفض قبوله إلا بعد مشورة الإمام الذي أمره أن يحتفظ به حتى إشعار آخر [٨٥] .

لجأت عساكر الإمام المؤيد إلى استخدام أسلوب القسوة مع القبائل ، ونهبوا محتويات الحصون و منها حصن حرفه الذي شحنه الشيخ علي ناصر بالمواد و الذخائر استعداداً

للمقاومة ، كما أمر الإمام المؤيد، فضلاً عن نهب بيوت الأهالي الذين شاركوا في مناصرة الشيخ المذكور بإزالة معظم أشجار البن هناك [٨٦].

إن الصرامة الشديدة التي أظهرها الإمام المؤيد في التعامل مع حركات التمرد و الاضطراب ، قد مكنته ليس إسكاتها فحسب بل و في أن يحتفظ بإدارة دولة يخافها كل من يفكر في الخروج عن طوعها ، حتى و أن كان من إفراد الأسرة الحاكمة [٨٧].

وبعد وفاة الإمام ١٠٥٤هـ /١٦٤٤م انتشرت الدعوات إلى الإمامة في أماكن أخرى من الدولة ،و كان من بينها إشهار إسماعيل بن القاسم دعوته من ضوران و بايعه عدد من العلماء و الوجهاء كما استطاع إقناع أولاد أخيه الحسن و هما محمد بن الحسن و أحمد بن الحسن في تراجعهما عن دعوتهما لصالحه بعد أن وسع مناطق حكمه بحيث شملت كل اليمن الأسفل تقريباً [٨٨].

عززت تلك الخطوة كثيراً من موقف الإمام إسماعيل الذي تلقب بالمتوكل على الله و بدأت الأمور بعد ذلك تسير لصالحه ، حيث أخذت دعوته تنتشر و تتعزز في كل من رداع و ذمار و خولان و الحداء ، إضافة إلى المناطق الواسعة التي تحت نفوذ أولاد أخية الحسن ، و الممتدة بين ذمار حتى جنوب مدينة تعز ، و لاشك في أن تدفق موارد تلك المناطق المعطاء إلى خزينة المتوكل إسماعيل ستوفر له إمكانات عدة قد لا تتوفر لبقية منافسيه [٨٩].

يدلل هذا الاهتمام من جانب الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم و حرصه أن تكون ذمار و توابعها ضمن مناطق سلطته السياسية و نفوذه على مالها من موقع استراتيجي في وسط الهضبة ، فضلاً عن مواردها الاقتصادية في تقرير مصير طموحاته السياسية الرامية إلى توحيد اليمن في دولة واحدة تحت هيمنته

وهكذا كان الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم مقيماً في ضوران يدير منها دولته و يوجه ولاته للقضاء على الاضطرابات التي يثيرها الخارجون عليه ، فلقد قام أحمد بن الحسن ـــ ابن أخيه ـــ بعد أنتصاره على القادة اليافعين بإرسالهم إلى أخيه محمد دليلاً على استسلامهم و هو بدوره أرسلهم إلى الإمام إسماعيل في ضوران حيث استقبلهم بحرارة و وزع عليهم العطايا و أكد عليهم قبل عودتهم تطبيق حدود الشريعة الإسلامية في أراضيهم[٩٠] .

و بعدها بعشرة أيام تراجع أحمد إلى الزهرة و منها إلى رداع بدون موافقة الإمام على تلك التحركات ، فقد كان الإمام يفضل أن يتريث الجيش الزيدي في بلاد يافع خوفاً من تمرد اليافعيين ، و لكن جيوش الزيدية استمرت في التراجع إلى أن وصلت رداع و هناك رحب بهم محمد بن الحسن قائدهم الأعلى و من ثم توجهوا إلى ضوران و تسلموا تهنئة الإمام على أنتصاراتهم [٩١].

توفى الإمام المتوكل على الله إسماعيل في عام ١٠٨٧هـ / ١٦٧٦م فاشتدت حدة التنافس بين آل القاسم في فترة الإمام أحمد بن الحسن ١٠٨٧هـ /١٦٧٦م ـــــ ١٠٩٢هـ /١٦٨١م الذي لم يدم حكمه طويلاً وما أن حل الإمام محمد بن إسماعيل ١٠٩٢هـ /١٦٨١م ـــ ١٠٩٧هـ /١٦٨٥م في كرسي الحكم الذي تنقل مقره السياسي و الإداري ما بين ضوران و صنعاء و معبر حتى أصبحت أراضي الدولة مفتتة إلى شبه إقطاعيات بين آل القاسم ، فاستقلوا بسلطاتهم في تلك الأقاليم إلى أبعد الحدود، أما إمام الدولة حينها فلم يكن له نفوذ داخل الدولة إلا ذكر اسمه في خطبة الجمعة فقط [٩٢]، فقد كان علي بن إسماعيل مستقلاً بالولايات الجنوبية الواقعة بين ذمار و تعز[٩٣] .

و بذلك تكون ذمار أو إقليمها في نصف قرن من القرن السابع عشر ١٦٣٥هـ/١٦٨٥م ، مركزاً مهماً للدولة القاسمية لا سيما حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل عندما اتخذ من ضوران مقراً لدولته التي شملت غالبية مناطق اليمن حيث أقاموا فيها الحصون و القصور ، كما كان يصدر منها الإمام أوامره إلى ولاته للتحرك ضد الخارجين على سلطته و خلاصة القول كان لذمار دورها السياسي الفعال فيما دار من أحداث على الساحة اليمنية .

الإمام المهدي محمد بن أحمد بن القاسم و أعماله العمرانية في ذمار و توابعها

أولاً: بناء مدينة الخضراء في رداع ١١٠٣هـ /١٦٩١م ـ ١١١٢هـ /١٧٠٠م

تولى حكم الدولة القاسمية الناصر محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم المعروف بصاحب المواهب و تلقب لاحقاً بالهادي ثم المهيوب عام ١٠٩٧هـ /١٦٨٥م ـــ ١١٢٨هـ /١٧١٥م و قد اتخذ أولا من المنصورة مقراً لحكمه لقد وصل المهدي محمد بن أحمد إلى

الحكم بعد تفاقم الصراع الأسري القاسمي إذ تغلب على الموقف في أخر لحظة من الصراع الدامي و خلال فترة حكمه عارضه ابن عمه المنصور الحسن بن القاسم ١١٢٧هـ /١٧١٤م ـــ ١١٣١هـ / ١٧١٨م [٩٤].

و يبدو أن الإمام المهدي محمد بن أحمد بعد أن تمكن من بسط سيطرته على مختلف المناطق التابعة للدولة القاسمية سعى إلى بناء مقر لإدارة دولته بعد أن أمضى عامين في مدينة رداع فوقع اختياره على الخضراء التي أمر بتأسيسها في عام ١١٠٣هـ /١٦٩١م .

اختطت الخضراء في أرض للمرعى على بعد ميل شمالي مدينة رداع كانت تسمى البتراء ، وقد سخر لها جهوداً و أمولا كثيرة فتم إنجاز أهم دورها و مساجدها و سورها في وقت قصير و من ذلك الجامع الكبير قرب داره المسماة (دار الجامع)، ومسجد التوبة ، ومسجد عظيم هو مسجد المشهد ، ثم ما زالت العمائر تنمو دوراً عظيمة له و لأولاده و سائر أصحابه ، حتى استوعبت عرصتها ، وصار يبتاع البيت الحقير بثلاثمائة أوقية من ضربته ، يومئذ، و الدرهم قفلة و هي قيمة كبيرة بمقياس زمنه ، كما تم عمارة (حمام عظيم) رفعت له المياه من تحت سور الحصن ، وأنشئت الأسواق المختلفة ، وكثر فيها الحوانيت و السماسر (الخانات) و النزل و اجتمع في سوقها أهل الصناعات و الأسباب من العرب و الهند و الترك [٩٥] .

لقد بلغ عدد سكان الخضراء أكثر من عشرة ألاف ، و دورها أكثر من ١٢٠٠ [٩٦].

وبعد أن استقر الناصر في الخضراء كان قد مضى عليه في الحكم عشر سنوات ، أنتصر فيها على معارضيه و أعدائه من بيت القاسم و غيرهم ، وبدأ يفرج عن بعضهم من السجن تباعاً (٩٧)، ولعله اعتبر أن لقب (الناصر) قد حقق غايته ، فقرر في مطلع عام ١١٠٧هـــ /١٦٩٥م تغّير لقبه إلى الهادي [٩٨].

غير أنه وهو لا يزال في الخضراء قرر في عام ١١٠٩هـ /١٦٩٧م تغّير لقبه للمرة الثالثة ليصبح المهدي آخر الألقاب التي حملها للعقدين التاليين (و خطب له بذلك على المنابر و رسم اسمه على الدراهم) [٩٩] .

مرض الإمام المهدي في عام ١١١٠هـــ / ١٦٩٨م ، و كان مرضه شديداً كاد أن يودي بحياته ، فتشاءم من الخضراء ، فغادر للاستجمام في ملاّح خارج رداع ، ثم استقر أشهر في منطقة عمر فيها بيوتاً و معسكراً كانت تعرف بالجميحة فسماها (السّلامة) تفاؤلاً ،

و كان قبيل ذلك قد أرسل ابنه محسناً وُ زُيُره الحريبي و معهما آخرين من أهل الخبرة ، لارتياد مكان حصين غير بعيد عن مدينة ذمار ، ليكون عاصمته و مقراً لملكه و قد وقع الاختيار على أكمة مهجورة و كانت مأوى للصوص [١٠٠]و بقي المهدي في السّلامة منتظراً إنجاز ما يمكن من الضروري إنجازه في المواهب و كلف ابنه محسناً أداره أمور البلاد من الخضراء التي لم يعد لها[١٠١] .

تسبب المرض الذي ألمَّ بالمهدي ، كما يبدو ، إلى أن يتخذ قراراً بترك المدينة ، فغادرها من منتصف ١١١٢هـ /١٧٠٠م و معه أنتقل القادة و الأمراء و رجال دولته ، و تبعهم الناس حتى هُجرت المدينة ، و أقفرت ثم خربت و باتت أثرا بعد عين و من إطلالها بقية إلى اليوم[١٠٢] .

يصف إبراهيم أحمد المقحفي ما تبقى من أطلال مدينة الخضراء قائلاً ((أنها كانت مدينة كبيرة واسعة و محصنة بأبلغ ما يمكن و تحيط بها عدد من مخازن الماء التي يتراكم عليها التراب)) [١٠٣].

وهكذا يظهر أن الإمام المهدي تنقل في أكثر من مدينة يتخذها مقراً لإدارة دولته حيث بدأ بالمنصورة ثم رداع و بعدها الخضراء ثم السلامة و المناطق الثلاث الأخيره التي كانت تابعه لمدينة ذمار كما أن ذلك يدلل على اهتمامه بالجوانب الإنشائية و المعمارية فضلاً عن التفكير بالموقع العسكري للمدينة التي يتخذها مقراً له و هذا ما بدا واضحاً بشكل جلي في اختياره للعاصمة اللاحقة المواهب في شرق ذمار .

ثانياً: مدينة المواهب في ذمار عاصمة مملكة اليمن و الحياة السياسية و الاجتماعية فيها ١١١٢هـ ـ ١١٢٨هـ / ١٧٠٠ـ ١٧١٦م [١٠٤]

بناء مدينة المواهب موقعها و أهميتها

قرية المواهب جوار هجرة منقذه من مديرية عنس ، تبعد عن مدينة ذمار شرقاً بنحو عشرة أميال و ما يقارب ساعة مشياً على الأقدام ، يحتل موقعها هضبة عالية تشرف على الفجاج و الأودية الممتدة حول سفحها[١٠٥].و ضمنها حصن عظيم ، وتقع على أرض زراعية واسعة غنية بالغيول و الآبار ، وقد أناط المهدي بالشيخ صالح بن على الحريبي مهمة تأسيس المدينة و تخطيطها و الإشراف علي بناء القصور و حصن القلعة و المرافق العامة فيها فعمرّها في أسرع وقت [١٠٦] .

لقد أمر ببنائها الإمام المهدي محمد بن أحمد الحسن بن القاسم المعروف (بـصاحب المواهب) [١٠٧] و اتخذ منها عاصمة لمملكة اليمن حتى توفي فيها[١٠٨] .

أنتقل الإمام محمد المهدي إلى المواهب فدخلها يوم السبت ٩ يناير ١٧٠٠م ، ومعـه أنتقل الأمراء و القادة و أركان الدولة ، وكثرت بالمدينة الدور و الأسواق و النزل ، وعمهـا الكبراء و أهل المصالح و الحاجة ، فقد باتت عاصمة له و بها عرف و استمر بها عـشرين عاماً[١٠٩].

ويصفها دي لاغر و لودير رئيس البعثة الفرنسية التي زارت الإمـام المهـدي عـام ١٧١٢م ، كما جاء في كتاب جان دي لاروك في القرن الثامن عشر فيقول :

((نجد مدينة المواهب على مسافة ربع فرسخ من ذمار ، وهـي مقـر إقامـة ملـك الـيمن الاعتيادي (و يقصد الإمام) يقع على المنحدر الجنوبي لجبل صغير ، و بنى أيضا على جبـل أكثر ارتفاعاً يبعد ربع فرسخ قصراً لا يزال يحمل اسم المواهب ، و هو بمثابة بيت للترفيـه ، يأتي إليه الملك عادة للراحة ، وقد لاحظنا أن ذمار و المواهب و القصر يشكلن مثلثاً تفـصل بينهم نفس المسافة)) [١١٠] .

يضيف دي لاغرو لودير في وصف بيوت المدينة قـائلاً :" هـذه المدينـة يقـصد المواهب) لا تستمد أهميتها إلا كونها محل إقامة الملك ، فهـي صـغيرة ، أسـوارها طينيـة كالكثير من بيوتها ، في ضاحية كاملة من ضواحيها تسكن جماعه من اليهود ، مجبرين على مغادرة المدينة في مساء كل يوم ، ولا يتمتعون بحرية المبيت فيها ، أما الطقس فهـو رائـع في المواهب ، بعض البرودة في الفجر قبل شروق الشمس ، وبعد غيابها ، أما من التاسـعة صباحاً و حتى الرابعة بعد الظهر ، فالطقس حار جداً" [١١١] .

ويظهر من العرض السابق أن اليهود في تلك الحقبة كانوا يـشكلون خطـراً علـى عاصمة دولة الإمام المهدي ، فلم يسمح لهم بالمبيت في المدينة ربما لعدم ائتمانه جانبهم .

لقد بنى الملك (الإمام) أيضا على بعد فرسخين و نصف ، وفوق جبل صغير ، قلعـة وضع لحمايتها أفضل جنوده ، و جهزها بالعديد من قطع المدفعية ، و إليها يلجأ أثناء معاركه مع الأمراء المجاورين ، أو عندما يخشى اقتراب الأعداء ، أو إذا شعر أنـه لـيس الأشـد و الأقوى في ساحة المعركة [١١٢].

اتسعت المواهب مع الأيام بشكل منسق و منظم بعد استقرار الإمام المهـدي فيهـا ، فكثرت الدور و البساتين و الأسواق التجارية المزدهرة ، وفيها أمضى المهدي أعز سـنوات حكمه و سطوته ، حتى شاخ و هرم ليجد نفسه و قد ناف عن الثمانين محاصراً في المواهب من آل القاسم كما وقع معه في بداية دعوته حين حوصر في المنصورة قبل أكثر من ثلاثـين سنه[١١٣].

على ذلك أصبحت المواهب في ذمار بفعل إقامة الإمام المهدي فيها عاصمة لليمن بعد انتقاله من الخضراء في هذه الحقبة يدير منها الفعاليات العسكرية الداخلية ضد معارضـيه ، غير أن الملاحظ أنه لم يترك في داخل مدينة ذمار معلماً عمرانياً كبناء قصر أو مدرسـة ، أو مسجد ، أو غير ذلك غير ما أنجزه في مدينة المواهب التي تعد إحدى ضواحي المدينة ، لكنه من جانب آخر مارس نشاطاً سياسياً داخلياً و خارجياً جعل الأنظار تتجه إلـى تلـك المدينـة الصغيرة ، و خير دليل على ذلك ما وصل إليها من نفوذ في سياسته الخارجية .

العلاقات السياسية الخارجية للإمام المهدي في المواهب مع الفرس و العثمانيين و الفرنسيين .

كانت إقامة الإمام المهدي في المواهب و ما كان في داخل قصره من مظاهر التنظـيم الذي يدلل على ما وصلت إليه الدولة من رقي ، فضلاً عن ازدهار تجارة البن في ميناء المخا في ظل حكم المهدي ، أدى كل ذلك إلى الاهتمام الخارجي بمركز اليمن [١١٤] ، حيث شـهدت حقبة حكمه استقباله للعديد من الرسل و المبعوثين الأجانب سواء كانوا من الإقلـيم أم مـن خارجه .

أ) البعثة الفارسية :

ففي عام ١٧٠١م / ١١١٣هـ وصل إلى المهدي وفـد فارسـي كبيـر برئاسـة ((الشاه حسين بن سليمان رسولاً من قبل الشاه عباس ملك إيران في حاشية كبيرة ، و كـان المهدي قد أمر قبل وصوله (أي الوفد)بتزيين المدائن و ألزم العمال باستقبال الوفد الفارسـي بالأعلام و الطبول ، و عندما اقترب الوفد من مدينة المواهب صـفت الخيـول فـي ميـدان المواهب و فرشت أرضية الميدان بالمفارش ووقف إلى جانب كل حصان فارس من العبيد، و استعد المهدي لاستقبال الوفد في ديوان داره و لبس الملابس البيضاء ، كمـا عقـد مجلـساً

حضره العلماء و الأدباء و عظماء رجال الدولة و عند وصول الوفد أنشد شاعر الحضرة السيد أحمد الانسي قصيدة مما جاء فيها في مدح المهدي :

و تركك لبس التاج زهداً و عفةً إذا افتخرت بالتاج كسرى و خاقان
و مازانت البدر الثريا بتاجها ولكن به تزداد نوراً وتّزدان
و أنت الذي توجت بالمجد لا بما تتوجه من قبل دارا أوساسان
عليك من الفضل العميم عمامة تخرلها من آل ساسان تيجان

قال مؤلف (طيب أهل الكسا) ما معناه أن الآنسي عندما أنشد هذا البيت نكس العجم تيجانهم إعظاماً للمهدي و أن المهدي خلع عليه خلعه سنيه بعد أن فرغ من أنشاد قصيدته و اعترف له بزعامة الأدباء [١١٥].

إن هذه القصيدة توضح مدى رسوخ وقوة دولة الإمام المهدي بحيث إنه لم يلتفت أو يخشى غضب الوفد الفارسي لما جاء في هذه القصيدة من إشارة باستهزاء إلى الملوك الفرس السابقين قبل الإسلام مثل دارا الاخميني و ملوك آل ساسان .

قدم الوفد الفارسي للإمام المهدي هدية عظيمة من ملك العجم ،و مكث الوفد في ضيافته أربعة أشهر ، في بستأن المواهب ، وعند عودة الوفد أرسل المهدي معه هدية فاخرة للشاه عباس منها (سبعون فرساً) مسرجه ، وعاد الوفد من طريق المخا . [١١٦]

ب) البعثة العثمانية :

كانت البعثة الخارجية الثانية التي وفدت على الإمام المهدي في عام ١١١٤هـ / ١٧٠٢م من العثمانيين ، حيث أوفد سليمان باشا صاحب جدة ، أخاه أحمد آغا إلى المهدي فوصل في حاشية كبيرة و معه هدية سنية من الخيول و الأسلحة فأكرم المهدي وفادته و أعطاه نفائس التحف و مبالغة في إكرامه تبارز معه في الميدان و أهداه بعد المبارزة خنجراً مرصعاً بالجواهر الكريمة و هو مما أهداه له الشاه و بعد انقضاء مدة الزيارة أظهر أحمد آغا رغبته في دخول مدينة صنعاء ، فأجاب المهدي إلى ما طلب و كتب إلى عامله بصنعاء الأمير يوسف بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن طالباً منه أن يقوم بما يلزم لإكرامه فأنزله العامل في داره بصنعاء و دعاه إلى مجلس حضرة العلماء و الأدباء [١١٧] ، لم يكن هذا الوفد العثماني الوحيد الذي زار الإمام المهدي ، ففي عام ١٧١٢م و عند وصول البعثة الفرنسية إلى قصر الإمام وصلت سفارة عثمانيه و لكنها هذه المرة من اسطنبول و ذات أهداف سياسية

و تجارية حيث يذكر جان دي لاروك : ((وصل إلى القصر (يقصد قصر المهدي) سفير تركي ، خلال إقامة مبعوثينا قادماً من اسطنبول ، موفداً من الصدر الأعظم إلى ملك اليمن ، وتلك علاقة إضافية تشير إلى سيادته و استقلاله ، ونعلم جيداً أن البلاط العثماني متحفظ جداً بما يخص السفارات)) [١١٨].

من النص السابق تتضح المكانة التي وصلت إليها دولة الإمام المهدي من استقلالية دفعت بالدولة العثمانية إلى السعي و الاهتمام و الحرص على إقامة علاقة سياسيه و تجاريه معها .

يسترسل جان دي لاروك بوصف هذه السفارة فيقول :((بدا هذا السفير العثماني على قدر كبير من الابهه ترافقه حاشية ضخمة ، يقيم مع كل حاشيته في ضيافة الملك و على حسابه و نفقته و قدم السفير للملك هدايا مختلفة منها تلك الساعة القيمة و المشغولة بعناية كبيرة)) [١١٩] .

يشخص جان دي لاروك الهدف الحقيقي من هذه السفارة فيذكر :((و بما يخص موضوع السفارة علم رجالنا أنه كان ظاهرياً سفيراً فخرياً ، ومن أجل تدعيم أواصر الصداقة و العلاقات الودية بين الملكين المسلمين ، أما في واقع الأمر فقد كان الموضوع يتعلق بالتجارة ، وخاصة تجارة القهوة ، فقد شكوا أمام الملك من ندرة القهوة ، و ارتفاع ثمنها في مصر و كل بقاع تركيا ، إذ إن مجيء الأوربيين على سواحل البحر الأحمر اليمني ليملئوا مراكبهم بالكثير منها ، ألحق ضرراً بجمارك الصدر الأعظم و رجاله ، وعليه توجب على السفير أن يجري مداولات طويلة مع الملك ، الذي حسبما قيل لم يكن مسروراً من تلك المداولات التي بدت و كأنها تنال بعض الشيء من سلطته الملكية و هناك ما يدفع إلى تصديق ذلك لأنه لم يكن في الأمر أي اعتبار أو مراعاة ، و التجار الفرنسيون ملأوا مراكبهم بالقهوة قدر استطاعتهم ، و بنفس أسعار الجملة تقريباً ، و لاحظنا أن الملك قرر أخيرا تسفير هذا الوزير التركي في أسرع وقت ممكن ، و يعود ذلك إلى نفقات الضيافة التي أثقلت كاهله بعض الشيء ، لأن الاستقبال كان على أحسن ما يرام ، أو لأنه كان حذراً بطبيعة الحال فأزعجه حضور كل هؤلاء الأتراك و إقامتهم [١٢٠] .

و يبدو أن هدف السفارة العثمانية من القسطنطينية كانت تجارية بالدرجة الأولى ، تتعلق بمحاولة التقليل من منافسة الأوربيين للعثمانيين في تجارة البن ، و التي يتبين مدى

أهميتها و موقعها في تجارة اليمن و ثروته في تلك الحقبة و تسابق غالبيـــة الـــدول لتـــأمين كميات منها، كما يبدو واضحاً أن قلة تصديرها إلى الموانئ الخاضعة للعثمانيين قد قللت مـــن موارد الجمارك التي تدرها عليهم من خلال تصديرها إلى أوربا عبر تلك المنافذ ، كما يظهـــر أن الإمام المهدي كان يدرك أهمية هذا الموضوع و يستفيد منه سياسياً في التعامل مع الدول الأجنبية .

ج) أول بعثة فرنسية إلى العربية السعيدة

في عهد الإمام المهدي صاحب المواهب ١٧١٢م مثلت البعثـــة الفرنـــسية الـــسفارة الثالثة التي وصلت إلى المواهب للالتقاء بالإمام المهدي و قد سبقت في وصـــولها الـــسفارة العثمانية كما أشار إلى ذلك جان دي لاروك.

جاءت البعثة الفرنسية إلى المواهب عام ١٧١٢م بناء على طلب الإمام المهدي مـــن دي لاند ودي بيزلين قائدا المركبين(السلام)و (السريع) اللذين جاءا إلى المخا مـــن مينـــاء سان مالو لشراء القهوة لطبيب جراح لمعالجته فردوا على هذا الشرف الـــذي مـــنحهم إيـــاه الإمام كما يقول جان دي لاروك بأن أرسلوا إليه بعثة يقودها دولا غردلوبير و مـــن ضـــمنها طبيب فرنسي اسمه بابيه كما بعث ربابنة السفن مع المبعوثين بعض الهـــدايا للملـــك ، كـــان أهمها مرآة رائعة يبلغ ارتفاعها خمسة أو ستة أقدام ، ومسدسين مشغولين بعنايـــة فائقـــة ، وبعض التحف [١٢١] .

عند وصول البعثة الفرنسية إلى المواهب نزلوا في القصر بعد أن اجتـــازوا خمـــس بوابات مختلفة يحرسها حرس شخصي ، و استقبلهم ضابط في مخدع الملك و طلـــب مـــنهم الأنتظار بعض الوقت ، التقوا في أثناء ذلك وزير الملك الشيخ صالح الـــذي أثنـــى علـــيهم ، مضيفاً أنه صديق وفي للفرنسيين و أنه سفيرهم في مخدع الأمير [١٢٢] .

يصف جان دي لاروك الإمام بأنه رجل هرم يبلغ عمره سبعة و ثمأنيين عاماً ، بهـــي الطلعة وسيم المحيا لوحت بشرته عن سمرة خفيفة ، يجلس علـــى ســـريره ، أو بـــالأحرى فوق منصته يفرشها السجاد ، تتصدر المخدع و تقابل الباب ، يتكئ على وســـائد و أرائـــك و بقربه ولداه الأميران ، وعلى مقربة منه أعوانه من الضباط ، و عند أقدام المنصة قسم مـــن رجال البلاط يجلسون على جانبي الصالة فيتشكل بينهما ممر عريض يعبره من يأتي لمقابلـــة الملك (المقصود الإمام) ، وبعد أن حاول رئيس البعثة بعد تقديم نفسه للملـــك إلقـــاء خطـــاب

صغير أعده مسبقاً ألا أن الملك سأله عن الطبيب ليعالجه من الآلام ، وقد أجرى الطبيب الفرنسي الفحص عليه و عالجه و أشفاه من آلامة . و بعد أن أكملت البعثة بطبيبها مهمتها في معالجة الإمام ومكث الفرنسيون في قصره الذي أقاموا فيه أثناء فترة العلاج ، استفاد السيد دولاغرلودبير من الظروف المؤاتيه : فتكررت مقابلاته للملك (الإمام)، الذي لم ينس خلالها أنه يرضي كل ما يثير فضوله حول فرنسا و نفوذ الملك و عظمه بلاطه الملكي و كل قصوره و خصوصاً خصال و أخلاق ملك فرنسا العظيم[١٢٣] .

و يبدو أن تلك المعلومات القليلة التي تحدث بها أعضاء البعثة عن ملك فرنسا لم تكن كافية للإمام المهدي و أنما أراد الاستزادة أكثر بمعلومات عن الإمبراطورية الفرنسية ــ حينذاك ـــ فقبل مغادرة البعثة الفرنسية دعي أعضاء البعثة لمقابلته و كانت هذه الجلسة ـــ كما يصفها دي لاروك ـــ طويلة و سارة ، حضرها الأمراء و عدد كبير من أصحاب المناصب زيادة عن المعتاد ، وبعد أن أعرب الملك عن تقديره و عرفانه أجابه الأعضاء بالمثل ، ثم تحدث الملك عن فرنسا و عما سمع عنها و ما عرف من أخبار الملك العظيم الشأن الذي يتربع على عرشها و دعاه إمبراطورا ، و دار الحديث من جديد عن فرنسا و أسطولها و تجارتها و عاهلها و قصره الضخم و حصون مملكته و حدودها [١٢٤] .

لم تقتصر رغبة الإمام المهدي بالتعرف على أحوال ملك فرنسا و إمبراطوريته ، بل كان يتطلع كما قال للمبعوثين ((إنه سعيد جداً بتحالفه مع ملك قوي و متمكن و بإقامة بعض العلاقات التجارية معه ، كما عبر لهم عن رغبته عند عودة القباطنة إلى أوربا ، إن كان ذلك ممكنا ، في الحصول على موجز لتاريخ إمبراطور فرنسا ، و عرض لقصره الرئيسي و طلب أخيرا إن كان بإمكانهم أن يرسلوا له صورة عن الملك و عن أمراء عائلته)) [١٢٥].

أراد الإمام أن يعرف ما إذا كانت القهوة بعض الشيء محل تقدير الإمبراطور فأضاف أن القهوة هنا هي أثمن ما عندنا ، وأن العناية الالهيه كانت إلى جانبنا بوجود القهوة في بلادنا و حرمان سائر المناخات في العالم منها ، و هذا أيضا كل ما بوسعي تقديمه للإمبراطور ، إذا ما رغب ربابنة سفننا حمل خمسمائة كيس من أجود الأنواع في المملكة قاطبة ليقدموها له من جهتي ، فأنني سآمر بتحميلها على متن سفنهم بالذات [١٢٦].

أما الهدايا التي أرسلها الملك عشية مقابلة الوداع فقد تضمنت لباسين من الزى البلدي ، الأول من القماش القرمزي الناعم و الآخر من نسيج رائع وردي اللون وتضمنت

الهدايا أيضا سترتين الأولى من قماش هندي مطـرز بزهـور ذهبيـة و فـضية و الآخـرى مصنوعة من نسيج صوفي متين ذي ثنيات ملئ بالشرائط الذهبية (١٢٧).

و هكذا يظهر أن الإمام المهدي من خلال البعثة الفرنسية كـان حريـصاً علـى أن يكوّن فكرة واضحة عن فرنسا: إمبراطورها ، جيشها ، عاصمتها و مظاهر الحياة العمرانيـة فيها من جهة ، ومن جهة أخرى رغب بالتودد و إقامة علاقة تجارية و سياسية مع فرنـسا ، كما رغب في الترويج لتجارة البن في هذا القسم المهم من أوربا .

كانت المواهب قد لفتت الأنظار إليها باعتبارها عاصمة لليمن ـــ عندئذـــ بفضل سـعة سيطرة الإمام المهدي على غالبية أجزاء اليمن و بخاصة ميناء المخا المشهور بتجارة البن ، لذلك وفدت إليها البعثات السياسية الفارسية و العثمأنية و الفرنسية .

أوضاع ذمار الاجتماعية ١٦١٠ـــ ١٩١٤م .

تواجه الباحث عن الأحوال الاجتماعية في ذمار في العصور الحديثة صعوبة بالغـة في العثور على مادة تاريخيه تغطي النشاطات الاجتماعية لسكانها في مختلف جوانبها، لـذلك سيتم التركيز على بعض من تلك الفعاليات الاجتماعية من خلال مـا كتبـه بعـض الرحالـة الأوربيين ، أما ما جاء في وصف أعضاء البعثات الأجنبية التي زارت اليمن . و لاشك في أن كتابات أولئك الأجانب لها أهمية كبيرة لكونها اقرب إلى الموضوعية لأنهم وصـفوا أولا مـا شاهدوه ، رغم أن البعض منهم كانت له أهداف قسم منها تبشيري ، وثانيا حصل تحت ستار الكشوف العلمية و المعرفة الطبيعية ، و القسم الثالث حصل لمهمة طبية و تجاريه .

على ذلك فإن الوصف الذي جاء في بعض كتاباتهم لا يخلو مـن تجـن و محاولـة للتحريف و الإساءة منطلقين من تعصب ديني ضيق ، و عدم فهم للواقع الاجتماعي وفقاً لمـا يمر به المجتمع اليمني في مرحلته التاريخية (١٢٨).

ويرجع الاعتماد على كتابات الكتاب الأجانب في تقصي الجوانب الحياتية في ذمـار ، لعدم اهتمام المصادر و المراجع اليمنية فيهـا أو تركيزهـا علـى الجوانـب العـسكرية و السياسية.

لقد غطت كتابات الرحالة و البعثات الطبية و العلميـة أوجـه عديـدة مـن الحيـاة الاجتماعية في ذمار ، فتحدثت عن عدد السكان ، ووصف بيوت المدينة و طرق بنائهـا ، و

المواد المستخدمة في البناء و بيت الإمام المهدي في المواهب التي كانت في فترة من الفترات عاصمة لليمن ، كما ذكرت أحوال النساء في قصر الإمام ، و كيفية التعامل مع الأجانب و بخاصة المسيحيين منهم [١٢٩].

إن أقدم زيارة لذمار في التاريخ الحديث تلك التي قام بها جون جوار داين الوكيل التجاري الإنجليزي في عدن خلال قيامه برحلة إلى صنعاء ، فعند مروره بذمار وصفها: ((بأنها مدينة شديدة الازدحام بالسكان ، لا أسوار لها ، رائعة ، كثيرة الجنان ، على أن الماء غير موجود في المدينة ، و أنما في آبار خارجها ، يرفعه بواسطة الثيران ، أناس يعملون مقابل أجور تدفع لهم ، و يسيلونه كل صباح في ميزاب لملء الصهاريج ، تروي الحقول و البساتين كل يوم))[١٣٠].

و من النص السابق يتبين أن مدينة ذمار في القرن السابع عشر كانت مزدحمه بالسكان ، وفيها حدائق كثيرة لكن تعتمد في مائها على آبار خارج المدينة .

و جاء الوصف الآخر لمدينة ذمار و موقعها من المستشرق الفرنسي جان دي لاروك نقلاً عن رئيس البعثة الفرنسية إلى الإمام المهدي دي لا غرو لودير في عام ١٧١٢م حيث يذكر ((توجه الركب إلى ذمار وهي مدينة تبعد عن يريم ١٥ ميلاً ، وتقع في سهل فسيح مريح،ومن ذمار لم يبقَ سوى ربع ميل إلى مدينة المواهب)) [١٣١].

يسترسل دي لاغرو لودير في وصفه مدينة المواهب و من خلال ذلك يمكن معرفة طبيعة المواد المستخدمة في بناء البيوت فيها فيذكر ((و تحيط بها أسوار من الطين و أكثر بيوتها من الطين أيضا)) و بذلك يتبين أن أحوال أهل المدينة المادي كان ضعيفاً ، ورغم كونها عاصمة الدولة الزيدية في تلك الفترة مستهل القرن الثامن عشر الميلادي حيث أن بيوت أهلها من الطين [١٣٢].

و يبدو أن استخدام الطين في البناء لم يقتصر على المواهب فقط فمدينة يريم التي كانت تابعه يومئذ لذمار يصفها نيبور في أواخر القرن الثامن عشر بقوله ((أن المدينة مبنية بالطين و مطلية بروث البقر)) [١٣٣] ، وهناك جانب آخر من الحياة الاجتماعية وصفه أعضاء البعثة الفرنسية إلى الإمام المهدي يتعلق بالكرم العربي للضيوف و لنوعية الطعام الذي يتم تناوله في تلك الفترة فيذكر جان دي لاروك((أن اهتمام الملك بحسن ضيافة الفرنسيين في

القصر لا يمكن التعبير عنه ، وكان يرسل لهم في الكثير من الأحيـــأن طعامـــاً مـــن مائدتـــه الخاصة ، كما و أصدر أوامر خاصة بما يتعلق بالآخرين))[١٣٤].

غير أن طبيعة الطعام المقدم لهم و طريقة إعداده و طبخه كانت لا تلائمهـــم لكثـــرة التوابل فيه فيقول جان دي لاروك : ((لكن رجالنا لم يلائمهم الطعام المقـــدم و لا التوابـــل و خاصة القرفة المستعملة استعمالاً مفرطاً)) ثم يصف أنواع الطعام التي كانـــت تتـــألف منهـــا الوجبات قائلاً (كان الطعام يتألف عادة من لحم الماعز أو العجل أو الضأن ، مقطع إلى قطـــع صغيرة الحجم ، و مطبوخة مع الأرز (المقصود الرز) بالإضافه إلى القليل من الزبيـــب ، أمـــا لحم البقر فكان يحضر بنفس الطريقة الغريبة التي تحضر وفقها اللحوم الآخرى ، كما كانـــت تحضر في أحيان أخرى الدواجن التي يسلخها العرب فوراً بعد ذبحها ، ثم تقلى في الحـــال و يعدون اللحوم الآخرى بهذه الطريقة ذاتها ودون أن يدعوا اللحم يطري و يلين في حين أنهم لا يتناولون أبدا لحم الطرائد))[١٣٥]

ثم يذكر جان دي لاروك أنواع الخبز المستعمل و يقارنه بأنواع الخبـــز فـــي فرنـــسا فيقول((خبزهم لا طعم له و لانكهة ، يصنع تقريباً كما الطلم من الحنطة السوداء ، تشبه خبز الروثاني و النورماندي ، و يضيف جان دي لاروك مستغرباً .

((و لا يشربون الخمر أبدا بالرغم من وجود الكروم قرب المواهب ، ولا يقدمون لـــك مـــن مشروب إلا الماء و القهوة)) [١٣٦]

و يبدو أن أعضاء البعثة الفرنسية نسوا أنهم في قصر أمير عربـــي مـــسلم و بلـــد إسلامي حيث يحرم شرب الخمر حسب تعاليم الديانة الإسلامية .

كما قدمت البعثة وصفاً لقصر الإمام المهدي و هندسة بنائـــه فيقـــول فـــي ذلـــك دي لاروك: ((وقد صرحوا أنه و بالرغم من اتساع القصر ووسائل الراحة فيه بالقياس إلى البلـــد فإنه بسيط للغاية ، هندسته بلا زخارف ، كحال أثاثه المتواضع و كل أنواع الزينة الداخليـــة . و يمكننا التحقق من هذا الأمر بالنظر إلى مخدع الملك الذي لا يري فيه إلا المنـــصة ، وقـــد استعملوا لتزيينه قماشاً مطبوعاً من النوع البسيط يحيط بالمخدع كله و على ارتفاع خمسة أو ستة أقدام فقط ، و لا تبدأ من كل جهة إلا من نهاية المنصة المستخدمة سريراً و تعتبر مزينة زينة كافية بالسجاد و الوسائد البسيطة دون مبالغة في تنميقها و زخرفتها)[١٣٧] .

أما عن ملابس الإمام المهدي فهي بسيطة تتألف من الوشاح الرقيق الأخضر أو الأصفر اللون دون أي زخرفه تذكر عاري القدمين و الساقين و ينتعل حذاء كالأتراك ، إلا إنه يتميز بغلاله من الحرير الأبيض يلبسها فوق العمامة ، تغطي رأسه بالكامل و تنزل على جبينه و يعقدها تحت ذقنه [١٣٨].

ينتقل جان دي لاروك بعد وصفه لموقع المدينة و سكانها ، إلى نوعية البناء فيها نوعية الأكل في القصر و أنواع الخبز الذي يأكله اليمنيون ، ملابس الملك ، إلى جانب أخر يتعلق ببساطة قصر الإمام حيث الأثاث فيه فيقول: "أن قصر الإمام و نمط المعيشة فيه تسوده بساطة مفرطة في العيش ، فالقصر يكاد يكون عارياً يتسم بالزهد ، وحديقته بستان للخضار غرست فيه شجيرات البن "[١٣٩] .

ولعل الشيء الطريف الآخر الاجتماعي الذي ذكره دي لاروك وصفه للمظاهر العربية الإسلامية المرافقة لذهاب الإمام إلى صلاة الجمعة فيذكر :((يخرج الإمام)) من المواهب ، ليذهب كل يوم جمعة في الساعة الثانية من بعد الظهر إلى المكان المخصص لصلاة العامة .... يفتح ذلك المسير ألف من الجنود المشاة يسيرون بأنتظام بالغ ، وذلك بعد طلق ناري عند باب القصر ، وفي طليعتهم صفان من الجنود يرفعون رايات مسننة الإطراف ، قد منحت اسم رايات محمد و علي ، يلي هؤلاء الجنود فوراً مائتا فارس من حرس الملك ، يمتطون صهوات جياد رائعة ، و مسرجة بعناية فائقة و عدا عن أسلحة الفرسان العادية ، أي السيف و الغدارة ، فأنهم يحملون أنصاف رماح زين حديدها بالشرابات ، ويلي الفرسان ضباط بيت الملك و جلساؤه وهم بأبهى حللهم ، ثم و على مسافة معينة نرى الملك يمتطي صهوة جواد أبيض رائع الجمال و الهدوء و لم يستخدم من البدء إلا لركوب الملك .... و يمسك ضابط يركب بكل فخر و يحمل للملك مظلة كبيرة يمشي الملك تحتها لتحميه من الشمس و مباشرة أمام الملك أحد الضباط على ظهر حصانه ، يحمل راية الدامسكو الأخضر مربعة الشكل ، وتدعى راية الملك ، و لا يوجد عليها أي رسم كغيرها من الرايات ، ماعدا بعض الأحرف العربية المطرزة .... و يختم الموكب خلف الملك ضابط أخر على حصانه يحمل سيفه ، أي سيف الملك و قد زينت قبضته و غمده بكثير من الزخارف و على طول المسير ، لم تكف الطبول عن القرع و لا الصنوج عن الرنين و لا المزامير عن الصفير)[١٤٠] .

كل هذا الحشد ليس إلا للذهاب إلى السهل المجاور ، أي حوالي ربع فرسخ من المواهب ، حيث تنصب خيمة لاستقبال الملك أعدت أيضا لتكون منبراً أو مسجداً له و يبقى فيها ساعة كاملة يتم خلالها ما يفرضه علية مقامه الديني بوصفه إماما من تلاوة بعض الصلوات الجهرية أثناء إلقاء الخطاب الذي يستهله بحمد الله ، و يشيد فيه بذكر النبي محمد صلى الله علية و سلم و يختم بالدعاء للأمير الحاكم ، و يتلو الأمراء و جميع الحضور الصلاة لدى تلاوة الملك (الإمام) لها ، و يحذون حذوه في كل ما يقوم به لأن الخيمة مفتوحة جيداً و يستطيع الناس جميعاً أن يشاهدوا الإمام ، وبعد الفراغ من الصلاة يمتطي الملك (الإمام) جواده على رنين الصنوج و قرع الطبول و نفخ المزامير ، و لعلعة الرصاص الذي يطلقه الجنود لدى خروج الملك من الخيمة ، ويعود موكب الملك (الإمام) إلى القصر في ذات النظام الذي جاء فيه بين هتافات الشعب و أدعيته [١٤١].

و يرد جانب اجتماعي جميل عن مدينة ذمار أثناء وصف جان دي لاروك لموكب الإمام نقلاً عن البعثة ، يشير إلى تربية الجياد الأصيلة فيها فيقول :" أثناء مسير هذا الأمير يعرض في طريقه خمسون من أجمل الجياد ، و تقاد بالأيدي ، وقد طرزت أسرجتها تطريزاً كثيفاً ، وطليت لجاماتها بالذهب و الفضة وتحمل كل منها فوق السروج سيفاً رائعاً من جهة و فأسا حربية من الجهة الآخرى ، وقد استقدمت هذه الجياد من ذمار ، حيث يوجد إسطبل الخيول الرئيس التابع للملك (الإمام)"[١٤٢].

و لم تقتصر الصور الاجتماعية التي رسمتها البعثة الفرنسية و نقلها جان دي لاروك الاقتصار على موكب الملك و جياده ، بل تعدى ذلك إلى تغطية جانب آخر من تكوينات المجتمع و هو النساء فقدم وصفاً لوضعهن في قصر الإمام قائلاً ((و للإمام الحالي كما هي عادة كل الأسر الحاكمة في الشرق ، عدد كبير من النساء يقدره البعض بستمائة أو سبعمائة أمراءة ، وفي أثناء وجود الفرنسيين ، لم يمنع الملك كبر سنه وضعفه من أن يتزوج زيجة جديدة بفتاة تركية صغيرة لا يزيد عمرها عن ثماني عشرة سنة ، وكانت السرايا في القصر الموجود في مدينة المواهب و لكن نساؤه قد أتين من جنسيات مختلفة ، فمنهن حسناوات رائعات الجمال من جورجيا و نساء عربيات أيضا ذوات بشرة بيضاء للغاية)) [١٤٣].

و عن مظهر النساء في ذمار بخاصة و اليمن بعامة و ما يرتدينه من حلي و ملابس يقدم دي لاروك الوصف الآتي : ((معظم نساء هذا البلد يتزين بحلقة ذهبية ثقبت طرف الأنف

و يلبسن عدا ذلك الحلي على الساعد أو المعصم ، وفوق كاحل القدم الأساور الفضية أما الميسورات منهن فتضع الحلي الذهبية و تفوح منهن دوما العطور النفاذة ، أما عن الكحل الذي يسودن به الجفون ، و العشبة التي يفركن بها الأيدي و الأقدام مما يصبغها و يصبغ الأظافر أيضا بلون أحمر فاقع ، فحدث و لا حرج تلك عادات الجزيرة العربية و كل بلاد الشرق عامة)) (١٤٤) .

ثم ينتقل دي لاروك لتحليل العلاقات الاجتماعية بين النساء في المواهب فيقول ((في المواهب ، كما في المخا يتبادلن الزيارات عند المساء ، ولكن بسبب غيرة الرجال الشديدة في هذه المدينة ، أصبحت نساؤها مستوحشات أكثر من نساء أي منطقه أخرى ، حتى أنهن لا يجسرن على الصعود إلى الأسطح لشم النسيم ، و لم يتمكن أحد من رجال البعثة أن يقرب من امرأة إلا السيد بابية (طبيب البعثة) بحكم مهنته ، و يؤكد هذا الطبيب أنه لم يستطع أن يرى وجه واحدة منهن على الرغم من ثقتهن به و ثقة أزواجهن)) (١٤٥).

يظهر من هذا النص عدم فهم الأوربيين لطبيعة المجتمع اليمني كغيره من المجتمعات العربية القائم على حشمة المرأه و غيرة الرجال عليها ، وهم كغيرهم من العرب الآخرين يعدون المرأة جزءاً من الشرف الذي يحافظون عليه و يصونونه كقيمة عليا من قيم الحياة(١٤٦).

و يرى قسم من المؤرخين و منهم الدكتور حسين عبد الله العمري أن ما ذكره جان دي لاروك تضمن الكثير من المبالغة فيما يتعلق بحياة البذخ و عدد الجواري (١٤٧) .

قد يكون هذا الرأي صحيحاُ فيما جاء فيه من مبالغه لوصف قصر الإمام و بلاطه و موكبه و عدد الجواري فيه ، لكن لابد من الإشارة إلى أن أولئك الفرنسيين في وصفهم لما يروه يميلون في كثير من الأحيان إلى ذكر الواقع و نقل ما يشاهدونه كما رأوه ، رغم اعتقادنا أن قسماً منهم قد يدس بعض القضايا بقصد تشويه صورة الإسلام كموضوع تعدد الزوجات و الجواري ، و كذلك يجانبون الحقيقة في بعض الأحيان عندما لا يستطيعون فهم ما هو موجود في هذه البلاد التي تحافظ على قيمها و أخلاقها و تقاليدها ، و تعتز بمبادئ دينها الإسلامي الحنيف (١٤٨).

ومن الجوانب الاجتماعية الآخرى في ذمار و المناطق التابعة لها في العصور الحديثة موقف أهلها مع الأجانب و العلاقة و التعامل معهم ، فيبدو أنهم كانوا لا يرغبون بالتعامل مع

الأجانب بعامة و الأوربيين بخاصة ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الديانة المسيحية التي كانت ديانة أولئك ، ففي هذا الإطار يذكر نيبور في رحلته في القرن الثامن عشر ((أنه بعد وصوله إلى يريم تمكن من إيجاد بيت بثمن باهظ ، وكان هدفه نقل صاحبه المريض فورسكال من الفندق إليه ، فرفض أي من المسلمين حمل هذا المسيحي بل الأنكى من ذلك أنهم عندما كانوا يسيرون في الشوارع فإن الجمهور الهائج تجمع حولهم ، و يبدو أن أحد أفراد البعثة دفع عدة أشخاص منهم ليفسحوا له الطريق إلى باب المنزل ، فما كان من المتفرجين إلا أن بدأوا برمي الحجارة على الأوربيين)) ثم يواصل نيبور قائلا((استطعنا في آخر لحظة أنقاذ أنفسنا بالدخول خلسة إلى البيت و إقفال البيت خلفنا و قفل النوافذ ، ولكن الناس استمروا يرمون الحجارة لوقت طويل بعد دخولهم)) [١٤٩].

لم يفهم نيبور و بعثته أن تجمع الناس حولهم كان سببه حب التعرف على أولئك الأجانب الذين يندر مرورهم بهذه البلاد في تلك الفترة ، علاوة على أن موقف السكان العدائي منهم كان يرجع إلى سوء تصرف بعض أعضاء البعثة معهم ، و أخيرا فإن الاختلاف الديني مع هؤلاء المسيحيين كان دافعاً أخر لهذا الموقف[١٥٠] .

وكانت المشكلة الأكبر التي واجهت بعثة نيبور عند وفاة فورسكال (عضو البعثة) ، فمن أجل دفنه وجد صعوبة كبيرة في شراء قطعة أرض خارج المدينة ، و لغرض نقل جثته لم يستطع إلا تدبير ستة من العمال الفقراء الذين حملوا تابوت فورسكال في الفجر و حفروا له قبراً غير عميق ، ومع ذلك يقول نيبور بأنه : ((قد وصلته أخبار بعد أيام أن جسد فورسكال أخرج من قبره في اليوم الثاني لاعتقاد بعض العرب أن بعض الأشياء الثمنية دفنت معه ، و كسر اللصوص التابوت ، و أزاحوا عن جسده الكفن ثم تركوا الجثة في الأرض ، و طلب الحاكم من أحد اليهود دفنه لأن المسلمين رفضوا ذلك ، فرفض اليهودي القيام بهذا العمل دون أجر ، فقال له الحاكم إنه باستطاعته الاحتفاظ بالتابوت مقابل أجر الدفن)) [١٥١].

يتضح من هذه الرواية أن حفر قبر فورسكال تم من قبل لصوص ، و ليس من عادات العرب الأبرياء أن يقوموا بذلك لاعتقادهم بحرمة الموتى ، كما يظهر أيضا أن اليهود يتصرفون تصرفاً مادياً دون أي اعتبار لأي مبدأ أو قيم روحية .

بعد مغادرة بعثة نيبور يريم إلى ذمار لم يختلف موقف أهلها عن موقف أهل يريم من حيث التعامل مع هذه البعثة الأجنبية ((فلم ينفعهم استئجار دار لمدة شهر من أجل المبيت ليلة واحدة في سلام ، فتعرضوا أيضا لوابل شديد من الحجارة)) [١٥٢] .

وهناك جانب اجتماعي آخر مهم في ذمار أشارت إليه كتابات البعثات الأوربية إلى اليمن، هو زراعة شجرة البن و الأعناب ، فيذكر جان دي لاروك نقلاً عن البعثة الفرنسية إلى المواهب : ((أما الحقول فهي مزروعة بالأرز و القمح ، بينما شجرة البن مغروسة في الجبال و الأودية ، و هناك أيضا الأعناب و الأشجار ذات الفواكه)) [١٥٣] .

ومن كل ذلك يظهر أن الجوانب الاجتماعية في مدينة ذمار و إقليمها كانت متنوعة في العصور الحديثة ، فقد جاء وصفها في كتابات بعض الرحالة و البعثات الأوربية ، فأشرت طبيعة البناء و السكن في ذمار و ضواحيها من حيث الجانب المعماري و نوعية المواد المستخدمة في البناء ، فضلاً عن بعض المعلومات عن مدينة المواهب القديمة ، و قصر الإمام فيها ووصفه رغم ما جاء بها من مبالغة في بعض الأحيان ، و بخاصة عدد النساء في قصر الإمام ، و يأتي ذلك من عدم فهم الأوربيين لطبيعة المجتمع اليمني و المرحلة التاريخية التي مر بها .

كما رسمت تلك الكتابات صورة عن الزراعة و بخاصة زراعة البن و الأعناب و تربية الخيول و يمكن القول إن الحياة الاجتماعية في ذمار كانت بسيطة تعتمد على الفعاليات الزراعية و التجارة ، كما أن المجتمع كان محافظاً على تقاليده العربية الإسلامية و يتعامل بحذر مع الأجانب .

الأوضاع العلمية في ذمار ١٥٠٠ــ ١٩١٤.

كانت ذمار أحد مراكز العلم و الثقافة العربية و الإسلامية في اليمن [١٥٤]، فهي من أقدم المدن اليمنية التي أنشئت فيها المساجد ، وكان لها مكانتها المتميزة في العصر الإسلامي، وغالباً ما كانت المساجد تستخدم مدارس للتعليم كما هو الحال في مختلف بلدان العالم الإسلامي، كالمدرسة المستنصرية في بغداد و جامع الزيتونة في تونس و غيرها .

و كانت ذمار مركزاً لأكابر العلماء و فقهاء و مدرسي هذا المذهب ، و لذلك عندما أرسل إمبرطور الهند اورنجزيب ١٦٥٥ـــ ١٧٠٧ بعض الأسئلة الفقهية إلى إمام اليمن للإجابة عليها قام الإمام بعرضها على كبار العلماء و منهم علماء ذمار [١٥٥] .

وعلى ذلك توفرت الشروط الأساسية لتستطيع ذمار النهوض بمثل ذلك الدور العلمي ، و هو وجود المساجد (المدرسة) و العلماء ، وهذا ما أدى إلى أن تكون ذمار حاضنة لعلماء وفقهاء درسوا و خرجوا العديد من طلبة العلم الذين رفدت بهم اليمن ، فلعبوا دوراً ريادياً في نشر العلم و كان من بينهم قضاة بارزون استخدمهم الأئمة في الكثير من المدن اليمنية .

لذا سنركز على هذين العاملين الأساسين اللذين أسهما في خلق هذا الجو من الحراك العلمي في ذمار بخاصة و في اليمن بعامة في هذه الحقبة الحديثة من تاريخ ذمار :

١. المدرسة الشمسية .

٢. علماء ذمار .

المدرسة الشمسية :

سميت بالمدرسة الشمسية نسبة إلى الأمير شمس الدين بن الإمام شرف الدين الذي أشرف على بنائها و عمارتها في عهد والده الإمام شرف الدين في ١٥٤٠م [١٥٦] و مسجد المدرسة الشمسية في ذمار يقع في حي الجراجيش أحد أحياء مدينة ذمار القديمة و هو من أشهر مدارس العلم في اليمن ، و يأتي بعد مدارس مدينة زبيد و صعدة و جبلة و الجامع الكبير بصنعاء ، و هذه المدارس جميعها مكان علم و هجرة لطالبي العلم[١٥٧] ، يختلف الباحثون حول سنة تأسيس هذا المسجد الذي سمي فيما بعد بالمدرسة الشمسية ، إذ يشير المؤرخ إسماعيل بن علي الأكوع إلى أنها بنيت في عام ٩٥٠هـــ ، بينما يقول الدكتور صلاح البهنسي أن البناء كان في شهر رمضان المعظم سنة سبع و أربعين و تسعمائة [١٥٨]، وفي حين يؤكد باحث آخر بأن البناء بدأ في شهر جمادي الأولى من عام ٩٤٧هـــ و أنتهى بناؤها في مستهل شهر رمضان المبارك في عام ٩٤٩هـــ [١٥٩] .

وعلى ذلك يمكن القول إن هذه المدرسة كانت في الأصل مسجداً تحول فيما بعد إلى مدرسة عامرة يقصدها الطلبة من أتباع المذهب الزيدي الذي أنتشر في اليمن ، وكانت ذمار مركزاً لأكابر العلماء و فقهاء و مدرسي هذا المذهب [١٦٠].

منازل المدرسين و الطلبة و إعاشتهم في المدرسة الشمسية

كانت هذه المدرسة إلى بضعة عشر سنة خلت صرحاً من صروح العلم ، فقد كانت أشبه ما تكون بخلية النحل لكثرة طلبة العلم الدارسين فيها يفدون إليها في مواسم الدراسة من كل عام من شتى المناطق [١٦١]، مثل أنس ، مغرب عنس ، و خبُان ، و النادرة ، و رداع، وعتمة [١٦٢]، عدا الطلاب من المدينة نفسها .

أطلق على طلاب العلم الوافدين إلى ذمار اسم المهاجرين ، يقيمون في المنازل ــ جمع منزلة ــ الملحقة بالمدرسة الشمسية و المحيطة بها من جميع جهاتها [١٦٣].

وبيوت الطلبة هذه ملاصقة للسور الخارجي للمدرسة من الجهات الشرقية و الغربية والجنوبية ، والجهة الشمالية الشرقية و الشمالية الغربية و يفصل بينها و بين بيت الصلاة الصحن المكشوف [١٦٤] ، و هو صرح شماسي واسع [١٦٥]، و يتكون كل منزل من حجرة وأحدة في كل طابق ، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة تخصص لأكثر من طالب ، و يتخلل بعض المنازل فتحات (النوافذ) للإضاءة و التهوية ، بينما يخلو بعضها من النوافذ ، ولا يلحق بالمنازل مرافق خاصة بها من حمامات أو مطابخ ، حيث إن القائمين فيها يستعملون الحمامات الخاصة بالمسجد [١٦٦].

و كان بعض هذه المنازل معروفه بأسماء تتوارث الإقامة بها خلفاً عن سلف لطلب العلم، لقد كان بيت الشامي ، و بيت الجر موزي من عتمة ، و لغيرهم منازل معروفه بهم ، كما كان لبعض شيوخ العلم منازل خاصة بهم أيضا يقضون فيها ساعات من النهار و طرفاً من الليل للاسترواح و الاستجمام من عناء التدريس [١٦٧].

من ذلك يتبين أن تلك المنازل كان قسم منها مخصصاً للطلبة ، و بعضها خصص لمن يتولى التدريس فيها ، و يوفر وجود تلك المنازل ضمانة لعدم أنقطاع الطلبة [١٦٨]، و مدرسيهم عن الدراسة ، كما أن وجود بيت للطلبة يبين أن مصطلح مدرسة يصح إطلاقة على المسجد الشمسي و فضلاً عن ذلك القول إن هذه المدرسة و طريقة سكن الطلاب بجوارها تشبه مدارس أخرى دينية في العالم الإسلامي ، و أن كان عدد طلابها و علمائها لا يصل إلى عدد طلاب و علماء تلك المدارس إذا جازت المقارنة [١٦٩].

أما الإعاشة في المدرسة للمدرسين و الطلبة فلم يشر ما توفر من مصادر و مراجع إلى تفصيلات حول كيفية إعاشة الطلبة و بخاصة الوافدين منهم ، سوى ما ذكر المؤرخ

إسماعيل الأكوع : بأنه لا توجد رواتب للطلبة الدراسين و أنما هناك عوائل من أهل ذمار يخصصون الخبز [١٧٠].

فكان اغلب الطلاب الدراسين إن لم يكن كلهم يعيشون على ما تقدمة بعض بيوت المدينة من مساعدة للطلاب ، فقد كان الطالب يذهب عند الظهيرة إلى هذا البيت المخصص له، فيقرع علية الباب ، فيسال : مَن ، فيقال مجيباً : (الراتب) ، فيعطي راتبه و هو من الخبز ، ويكون في الغالب من الشعير أو الذرة أو البّر و بحسب حال أهل البيت ، وقد يكون معه أداما ، و يكون أحد زملائه قد هيأ ما بقي من لوازم الغداء ، و فضلاً عن تبرع الأهالي بالمواد الغذائية تلك للطلبة الدراسيين فهناك أوقات خاصة بالعلماء و المتعلمين في ذمار ، و كان يعرف لهم فيها حبوب في كل عام مرة أو مرتين ، و أحيانا تصرف حبوب و دراهم ، ومع أنها كانت زهيدة ليست ذات قيمة كبيرة لأنها كانت تنفذ في اليوم نفسه ، إلا أنه كان لها في نفوس العلماء و المتعلمين فرحة لا يبلغ مداها اليوم الحصول على أضعاف أضعافها من المال [١٧١].

ويبدو أن غالبية طلاب المدرسة كانوا غير ميسورين و كانوا يعانون من شظف العيش ، مع ذلك كانوا مجدين في طلب العلم كل على حسب قدرته أو استعداده الذهني ، فكان معظم أولئك الطلاب يطلبون العلم و لا يملك أحدهم كتابا ، فيستعير من أصحاب الكتب أو من شيوخ العلم كتب الطلب ، و ينقل عنها كل يوم مادة درسه ، فلا يكمل الكتاب إلا و قد صار لديه نسخة مما قرأ ، ثم لا تمضى بضع سنوات إلا ولديه كتب الطلب كاملة [١٧٢].

ومن جانب آخر يذكر الحجري ((أن أهل ذمار كانوا يحبون من هاجر إليهم من طلبة العلم و يقررون للفقراء منهم كفايتهم من الزاد)) [١٧٣].

وهذا الإنفاق على طلبة المدرسة و من يقوم بالتدريس فيها ، يوفر الشرط الأساسي الآخر بعد توفير بيوت مسكن الطلبة ، ليكتسب المسجد الشمسي صفة المدرسة .

طبيعة الدراسة و المناهج في المدرسة الشمسية

كانت الدراسة في المدرسة الشمسية تتم على شكل حلقات من العلماء المختصين داخل المسجد ، حيث إن كل واحد من أولئك العلماء يأخذ جانباً من المسجد في بيت الصلاة مستنداً على أحد الأعمدة فيه و يجتمع حوله الطلبة للأخذ منه و الاستماع إليه [١٧٤].

إن هذه الطريقة في التعليم تشبه التدريس في المدرسة المستنصرية في بغداد ، و الأزهر في القاهرة ، و الزيتونة في تونس ، و أماكن أخرى من بلدان الوطن العربي و العالم الإسلامي .

يؤكد هذا الرأي محقق كتاب ((مطلع الأقمار و مجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار و من قرأ فيها و حقق من أهل الأخبار) ، حيث ذكر في تعليقه على ترجمة الحسن بن عبد الله الريمي (١١٤٩هـ ـ ١٧٣٦م) بأن العالم كان يختار مكاناً معيناً في المسجد ليدرس طلبته فيه ، و تعرف تلك البقعة بحلقه فلان ، وهكذا و ما زالت مثل هذه الحلقات موجودة في كثير من مساجد اليمن ، كصنعاء ، وصعدة ، و زبيد ، و غيرها [١٧٥].

كانت العلوم التي تدرس في المدرسة ، و اختص بها أولئك العلماء ، العلوم الدينية و اللغة العربية ، و من أمثلة تلك العلوم : الفكر ، و الفرائض ، المنطق ، المعاني و التفسير ، علوم العربية ، الفقه و علم الأصول [١٧٦]، و قد تتعداها إلى المساحة و الفلك و غيرها .

ولا توجد في المدرسة مناهج نظامية مقررة مثل المدارس الرسمية العلمانية اليوم ، كما أن الدارسين في المدرسة و من يدرسون فيها يتبعون المذهب الزيدي و لا يفد إليها العلماء من خارج اليمن ، و لا من المذاهب الآخرى ، و لايوجد فيها نظام للحضور و الغياب، و ليس فيها فحص ، فالدراسة ذات صفة ذاتية بالدرجة الأولى [١٧٧].

ويبدو أن الدراسة في المدرسة لم تقتصر على الوافدين إليها و من أهل المدينة من الكبار ، و أنما كان يجري فيها تعليم الصغار االقرآن الكريم ، فيذكر القاضي إسماعيل الأكوع في مذكراته الخاصة المخطوطة باليد ، الموجودة في بيته عن ذلك النوع من التعليم قائلاً : ((أدخلني والدي المدرسة الشمسية ، و عندما حضرت إلى فنائها و هي غرفة مظلمة كسائر المعالم ، و ترتفع في صدرها دكة مرتفعة عن مستوى أرضها بنحو شبر يجلس عليها المعلم و تغطيها حصيره بينما الطلاب يفترشون الأرض الجرداء ، و ليس للعلامة سوى ما يدفعه ولي أمر الطالب للمعلم من جُعل بسيط في آخر الأسبوع يوم الخميس ، و إذا أكمل قراءة جزء من القرآن ، فإن وليه يدفع للمعلم ربع ريال (عشر بقش) و أذا أكمل الطالب قراءة القرآن ووالده موسر فإنه يحتفل به و يسمى هذا الاحتفال نقاشاً [١٧٨] .

و هكذا يظهر أن طبيعة ما يدرسه الطلبة هي علوم دينية و لغوية ، لذلك فإن تأثيرها الفكري على مستوى ذمار و اليمن ظل ثأنوياً ، إذ لم يتوسع علماؤها في تدريس العلوم الأخرى الحديثة ، و لعل ذلك يعود إلى الجو الفكري العام الذي كان سائداً في اليمن في عهد الإمامة الذي كان يمنع فيه أنتشار تلك العلوم .

١. **مكتبة المدرسة :**

من المعروف أن من المستلزمات الأساسية للدراسين في أي مدرسة و بخاصة الدينية توفر مكتبة يفيد منها الدارسون ، و يعتمدون عليها في الحصول على المعرفة ، ولم تشذ المدرسة الشمسية عن هذه القاعدة ، فكان فيها مكتبة نفيسة أوقفها الكثير من العلماء [١٧٩]، لكن بعض ممن لا خير فيه من علماء ذمار يستعيرونها و لا يعيدونها ، و توجد بقية من هذه المكتبة لدى ناظر أوقاف ذمار . [١٨٠]

لقد تم نهب كتب مكتبة المدرسة في نهاية ثلاثينات القرن الثامن عشر ، إذ إن أبا فارع أحد مشايخ بلاد حاشد وداعيتهم ، قد أتى إلى ذمار عام ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م و أنتهب أسواقها و بيوتها ، و دخل إلى المدرسة الشمسية المشهورة و أنتهب فراشها و كتبها[١٨١] .

و للتعرف على ما بقى من مكتبة المدرسة الشمسية تمت مقابلة أحد موظفي مكتب الأوقاف و الإرشاد في ذمار ، حيث تم الاطلاع على استمارات جرد الكتب المنسوخة قامت بها لجنة من فرع الهيئة العامة للآثار و المخطوطة في سجلين موجودين داخل غرفة مخصصة لحفظ الكتب التي جلبت من المدرسة الشمسية و غيرها ... و قد خصص المجلد الأول من الجرد لنسخ االقرآن الكريم المنسوخة

أما المجلد الثاني من الجرد فقد أحصينا فيه (٨٥) كتاباً نسخت باليد أسمتها اللجنة الجاردة مخطوطات مؤلفة ، وواقع الأمر هي ليست كذلك فقسم منها نسخ لكتب الحديث ، مثل الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن يحيى العسقلأني ، و اغلب الكتب التي نسخت هي في الفقه ، و عددها (٣٦) كتاباً ، و تليها كتب الحديث و عددها (١٠) كتب ، ثم التفسير و أصول الفقه و لكل منها (٤) كتب ، وبعدها النحو و اللغة بواقع (٣) كتب لكل منهما ، أما علوم القرآن و علم الكلام والأدب و البلاغة فواحد لكل منها ، وهناك كتابان في مواضيع متعددة تحتوى على بلاغة و طب و علم الكلام .

ومن أمثلة الكتب المنسوخة كتب في الفقه : هو التكميل (٣) أجزاء ، ومؤلفه أحمد بن يحيى ، وكتب على صفحتها الأولى وقف على المدرسة الشمسية ، و الجزء الأول نسخ عام ١٠٧١هـ ، و توجد كتب في الفقه نسخت في القرن الثامن الهجري ، منها الجامع مع الشرح جمع زيد بن محمد (ج٣) نسخ في سنة ٧٢١هـ ، و الكافي في الشريعة (ج٢) نسخ سنة ٧١٨ هـ ، و كتاب اللمع (ج٢) نسخ في سنة ٧٢٦هـ ، وكتاب نور الإبصار المنتزع من الأنتصار نسخ سنة ٧٤١هـ لمؤلفه يوسف بن عثمأن [١٨٢] .

ومن الكتب الحديثة المستنسخة : (البدر المنير في تخريج الأحاديث و الآثار الواقعة في الشرح الكبير) نسخ سنة ٨٣١هـ ، و في سنة ٩٨٠هـ نسخ كتاب (زهر الربي على المجتبي) شرح النسائي و مصباح الإجابة شرح أبي ماجه [١٨٣].

ومن كل ذلك يتبين إن ما بقى من كتب مكتبة المدرسة الشمسية كانت متنوعة في موضوعاتها ، ففيها كتب عن السيرة النبوية ، و الفقه ، و التفسير ، و الحديث ، و علوم القرآن ، و علم الكلام ، و النحو ، و اللغة ، و التصوف ، و البلاغة ، و الأدب و التاريخ ، و كتابات تحت عناوين متعددة [١٨٤].

دَرّس في المدرسة الشمسية العديد من العلماء و المشايخ المبرزين في علوم اللغة و الكلام و المنطق و الفقه .

وهكذا يمكن القول أن من كان يأتي إلى ذمار بقصد العلم ، كان يتوجه إلى المدرسة الشمسية ، لأن من كان يدرس فيها من العلماء هم الأشهر و الأكثر معرفة و علماً ، و لاسيما في مجال علوم اللغة و النحو والفقه و الأصول و المنطق و حتى بعض العلوم الآخرى ، كالفلك و المساحة و غيرها فتخرج فيها العديد من القضاة و الشعراء في العصور الحديثة .

٢ـــ نماذج من علماء ذمار في العصر الحديث :

برز في ذمار العديد من المشايخ المبرزين في علوم اللغة و الكلام و المنطق و الفقه و التاريخ و القضاء و كأن بينهم شعراء عديدون ، ومن الصعوبة بمكان حصر كل أولئك العلماء و الإحاطة بهم جمعياً [١٨٥] ، خلال فترة التاريخ الحديث، لأن ذلك يتطلب العديد من البحوث أو تأليف كتاب يتناول سيرهم ، و لكن يمكن استعراض نماذج لبعض منهم على سبيل المثال لا الحصر ، ممن مارس مهنة التدريس في المدرسة الشمسية بذمار أو تولى منصب

الإفتاء ، أو القضاء في مختلف المدن من اليمن ، أو أي نشاط علمي أخر و سوف نورد سير أولئك العلماء دون التقيد بالتسلسل الزمني لولادتهم ووفاتهم .

الحسين بن يحيى بن إبراهيم الديلمي

يورد المؤرخ محمد بن علي الشوكاني سيرته في البدر الطالع قائلاً :((ولد في سنة ١١٤٩هـ /١٧٣٦م ـ ١٢٤٩هـ /١٨٣٦م ، و نشأ بذمار و أخذ من علمائها، كالفقيه عبد الله بن حسين دلامه و الفقيه حسن بن أحمد الشيبي و هما المرجع هنالك في علم الفقه ، ثم ارتحل إلى صنعاء و قرأ في العربية و له قراءة في الحديث على السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير ثم عاد إلى ذمار و استقر بها و كان فقيراً و هو مكب على العلم و درس في الفقه و غيره و تخرج به جماعة منهم شيخنا العلامة أحمد بن محمد الحرازي ثم رحل إلى صنعاء رحلة ثانية بعد سنة ١٢٠٠هـ و رافقني في القراءة على شيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي فقرأ معنا في صحيح مسلم، و اقرأ الطلبة في الفقه بجامع صنعاء ، و بقى مدة و عزم على استيطان صنعاء ثم بعد ذلك رجح العودة إلى ذمار و عاد إليها و هو الآن عالمها المرجوع إليه المتفرد بها دون من مدافع و صار الطلبة هناك يقراون عليه في الفقه و النحو و الصرف و الأصول و التفسير و الحديث ، و بيني و بينه من المودة ما لايعبر عنه و قد جرى بيننا مباحثة علمية مدونة في رسائل هي في مجموع مالي من الفتاوى و الرسائل و لا يزال يعاهدني بعد رجوعه إلى ذمار ، و يتشوق إلى اللقاء و أنا كذلك و المكاتبة بيننا مستمرة إلى الأن و هو من جملة من رغبني في شرح المنتقي [١٨٦] .

و يضيف العلامه الحسن بن الحسين بن حيدره الطالبي صاحب مطلع الأقمار و مجمع الأنهار إلى أوصافه فيقول : ((هو من أساطين الإسناد ، و جمع ما لم يجمعه غيره من العلوم الواسعة و تفنن في جميع العلوم من الفقه ، و الفرائض ، و الوصايا و الضرب ، و المساحة ، و النحو ، و المعاني ، و البيان ، و البديع ، و المنطق ، و الأصولين ، و الحديث، و التفسير ، و الناسخ و المنسوخ ، و علم القراءات ، و معرفة رجال الحديث من قديم و حديث)) [١٨٧].

شيوخه :

و شيوخه في هذه العلوم كثيرون بعضهم حوى علم الاجتهاد وزاد ، و بعضهم قارب أو كاد ، فمنهم إسحاق بن يوسف بن المتوكل ، والحسين بن عبد الله الكبسي ، وقاسم بن محمد

الكبسي ، و يوسف بن حسين زباره ، وإسماعيل بن حسن بن المهدي ، والحسن بن إسماعيل المغربي ، ومنهم السيد العلامة إمام الاجتهاد محمد بن إسماعيل الأمير ، وعبد الله بن حسين دلامه ، وحامد بن حسين شاكر ، وعبد القادر بن أحمد عبد القادر، وجمال الدين علي بن أحمد علي ، وعبد القادر بن حسن الشويطر ، ومثنى بن على الشوكاني [١٨٨].

مؤلفاته :

وله من المؤلفات (كتاب العروة الوثقى) على أزهار الإمام المهدي جزاءن ضخمان و استوفى فيها الأدلة من الكتاب و السنة ، و له (جلاء الأفكار في شمائل النبي المختار) كتاب ضخم ، و له (جواب السؤال الحادث في تصحيح الوصية للوارث) ، و له (الفصوص المعنية في فضل الصلاة و السلام على خير البرية) ، وله (رسالة في الاستعارة) و له : (الإقناع في تحريم السماع) ، و له (منظومة المعيار) و له (الفوائد الغرر شرح منظومة ابن حجر) في قواعد الحديث ، وله : (رسالة رفع الشك في صوم يوم الشك) [١٨٩] .

أحمد بن محمد بن حسن بن سعيد العنسي

ولد في ذمار عام ١٢٤٠هـ و توفي في عام ١٣١٥هـ ، كأن مفتيا لذمار و عالماً محققاً في الفقه ، و أنتفع به كثير من العلماء و طلاب العلم [١٩٠]، نشأ بها و درس على مشايخها و برع في الأصول و اللغة ، و سائر العلوم و قد تصدر للتدريس و نصب نفسه للتعليم و أنتفع به خلق كثير ، و كان يسمى على تعبير العامة من أهل ذمار بغزارة العلم دلالة على كثرة علمه و سعة معارفه ، وهو الذي أثنت علية و رحبت به غزال المقدشية عندما استقبلته عند حدود قريتها لما وصل إليهم ليحل مشكلة بزعامة القبيلة [١٩١].

زيد بن عبد الله الأكوع

ولد بذي حود من مخلاف المنار من أعمال أنس عام ١١٠٧هـ و توفي بذمار عام ١١٦٩هـ و كان عالماً محققاً في الفروع [١٩٢]مشاركاً في غير ذلك ، و قد تفقه به كثيرون ، منهم عبد القادر يحيى أحمد الكوكباني ، و إسماعيل بن يوسف بن المتوكل ، و الحسن بن علي بن يحيى الشبيبي ، وكان إماما في الفقه مشاركاً غيره ، أنتهت إليه رئاسة العلم بمدينة ذمار ، تفقه في ذمار و ظفير و حجة ، و كحلان و صنعاء ، فاخذ عن علي بن يحيى لقمان الذماري [١٩٣].

ووصفه صاحب مطلع الأقمار بأنه : كان فاضلاً ورعاً و رصيناً ، ناسكاً زاهداً ، و فضائله كثيرة ، مشهورة مذكورة ، وله في هامش (شرح الأزهار) حواشي مفيدة ، و تقارير سديدة [١٩٤].

مهدي بن علي الشبيبي :

ولد عام ١٠٣٨هـ ، و كان عالماً محققاً ، مشارفاً على غيره ، وقرأ على شيوخ عصره و تولى الوقف الغساني للمتوكل على الله إسماعيل ، ولم يتعلق بشيء سواه و أنشغل بدرس العلم و تدريسه ، و اخذ عنه جماعه من جملتهم ولده القاضي أحمد بن مهدي الشبيبي كان حسن الخط كثير النسخ ، نسخ جملة كتب ، و مصاحف مقدمات ووقف على المدرسة الشمسية مقدمة معظمه بخطه،و توفي١١٠٧هـ[١٩٥].

سعيد بن عبد اللّه العنسي .

ولد سعيد بن عبد الله بن محمد بن أحمد العنسي الذماري النشأة و الدار و الوفاة عام ١٠٦٠هـ /١٦٤٧م ، كان رحمه الله عالماً جليلاً مبرزاً في جميع الفنون ، وصل إلى ذمار لطلب العلم و هو دون العشر سنين في زمن الإمام المتوكل على الله إسماعيل فقرأ بها القرآن و حصل المتون خطاً و حفظاً و كان طلبة العلم بالمدرسة الشمسية يقصدون المتوكل في كل عام و يسأل كل واحد منهم حاجته إما كتاباً أو مصحفاً أو كسوة أو مصروفاً ، و عزم المذكور من جملتهم فكان سؤاله للإمام أن يدعو له بالعلم فوضع الإمام يده على صدره ، و دعا له ، فعاد إلى ذمار و قد سطعت أنوار الدعوة المتوكلية بقلبه [١٩٦].

شيوخه :

لقد قرأ (شرح الإزهار) و البيان و علم العربية و الأصولين على إمام عصره القاضي إسماعيل بن علي المجاهد ، و قرأ في أصول الدين أيضا على الفقيه علي بن عبد الله العمري، و قرأ في شرح الأساس و غيره علي محمد إبراهيم السحولي حال وفادته إلى ذمار، و قرأ علم الفرائض ، وما يتبعه من الوصايا ، و الضرب ، و المساحة على الفقيه فارع بن علي و على الفقيه الحسن بن أحمد الطيب ، و قرأ على المذكورين شرح الخالدي ، و تصَدر بعد ذلك للفتوى و التدريس .

و أخذ عنه جماعة منهم القاضي محمد بن يحيى الشويطر صاحب إب ، و له حواشي مفيدة في هامش (شرح الإزهار) جرى عليها تقرير الحسن بن أحمد الشبيبي و كان الإمام

المهدي محمد بن أحمد يشدد علية في الدخول في القضاء فينفر عنه ذلك غاية النفور ، و لم يزل عاكفاً على الدرس و التدريس في المدرسة الشمسية و الفتيا حتى وفاته عام ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م[١٩٧] .

حسن بن حيدرة الذماري

ولد بذمار ١١٧٠هـ / ١٧٥٧م [١٩٨]و هو الحسن بن الحسين بن حيدرة بن إسماعيل بن لطف بن محمد بن شمس الدين بن المطهر بن الناصر بن الإمام المطهر بن سليمان المعروف بحيدرة مؤلف الأقمار و مجمع الأنهار في تراجم المشاهير من أعلام ذمار و من أخذ بها من البوادي و الأمصار ، فكان بذلك مؤرخاً معروفاً [١٩٩] وهو فضلاً عن ذلك قد اشتهر بالفقه و النحو و التعريف و المعاني و البيان و المنطق و التفسير و تجويد االقرآن إلى غير ذلك من الفنون .

أما مشايخه :

أخذ تجويد االقرآن على الفقيه علي بن حسين الخولاني ، و الفقيه علي بن نصر المخي ، و الفقيه الفاضل مثنى علي الشوكاني و قرأ في الفرائض و الضرب و المساحة على الفقيه علي بن محمد الضوراني [٢٠٠]، و غيرهم كثيرون سواء كان ذلك فيما يتعلق في قواعد الحديث أم في القرآن و السنة .

تلك هي نماذج قليلة من بين المئات من علماء ذمار الذين اشتهروا بغزارة علمهم و فيض مؤلفاتهم في شتى جوانب العلوم الدينية و غيرها ، و لكن ما يمكن تأشيره أن تلك المعارف لم تتوسع لتشمل العلوم الحديثة التي ظهرت في أروبا منذ عصر النهضة ، بل بقيت ذات طابع ديني فقهي ، و كانت السيطرة العثمانية أحد العوامل المهمة التي أسهمت في التجهيل و عدم إدخال المعارف العلمية الحديثة إلى ولاية اليمن التي كانت خاضعة للدولة العثمانية .

الأوضاع السياسية في ذمار في القرن التاسع عشر ١٨٤٠ـ ١٩١١.

لم تكن ذمار و إقليمها سوى قضاء من الناحية الإدارية يتبع لواء (سنجق صنعاء) و على هذا كانت غير مستقلة من الناحية السياسية في القرن التاسع عشر ، بل هي كما هو حال بقية مناطق اليمن خاضعة للاحتلال العثماني ، غير أن هذه المدينة كانت في كثير من

الأحيان كما كانت في الحقب السابقة عرضة و ساحة للصراع بين العثمانيين و الأئمة الزيديين أو من الثائرين الآخرين ضد الطرفين للسيطرة عليها ، لما لها من أهمية في وقوعها على الطريق البري الذي يربط صنعاء باليمن الأسفل فضلاً عما فيها من خيرات زراعية يستفيد منها من تكون له الهيمنة عليها سواء كان من خلال ما يحصل عليه من ضرائب أم تزويد قوته العسكرية بالمؤن و الإمدادات الغذائية .

إن الشواهد التاريخية في هذا الإطار عديدة ، حيث طبعت تاريخ ذمار بطابعها ، فدفع أهلها بسبب ذلك ثمناً باهضاً من أموالهم و ممتلكاتهم .

في رمضان ١٢٥٦هـ /٢٥ أكتوبر ١٨٤٠م ، صرح الفقيه سعيد بن صالح ياسين العنسي [٢٠١] ، إنه عازم على تدمير دولة الإمام الهادي محمد بن المتوكل أحمد في صنعاء، أضف إلى ذلك وعد الفقيه لأنصاره عزمه على إستعادة عدن من البريطانيين ، كما وعدهم بإلغاء الضرائب ، وكان لهذه التصريحات الأثر الكبير في أندفاع الجماهير إلى تأييده ، و ابتدأ نفوذه من لحج جنوباً إلى يريم شمالاً و من زبيد غرباً إلى يافع شرقاً [٢٠٢] .

على ذلك شعر الإمام باقتراب الخطر منه ، فخرج بالجيوش من صنعاء في ٨ من شعبان ١٢٥٦هـ/ ٥ أكتوبر ١٨٤٠م ، و عندما وصل إلى منطقة سيان ، حاول طلب المزيد من القبائل ، غير أن القبائل على ما يبدو لم تلب طلبه بالشكل المطلوب ، مما جعل الإمام يتقدم بفلوله إلى ذمار و البقاء فيها ، و في الحقيقة أن تراجع الأمام من مهاجمة الفقيه جاء نتيجة لقلة قواته أولا و من جانب أخر ، محاولة أن يلحق به المزيد من القبائل ثانياً ، و من ناحية ثالثة اتضح للإمام أن أي مغامرة بدون فهم وضع الجانب الآخر و إمكانياته سينهي دولته ، و أخيرا تجنب أي مواجهة عسكرية مع الفقيه بالبحث عن حلول أخرى ، الأمر الذي جعله يرسل من ذمار وفداً مؤلفاً من بعض العلماء و القضاة للتفاوض مع الفقيه سعيد [٢٠٣].

ومن هذا يظهر أن ذمار بسبب قربها من صنعاء قد اتخذها الإمام مركزاً لجيوشه التي أعدها لمواجهة الفقيه سعيد الخارج عن سلطته ، و كذلك أنطلق منها الوفد المفاوض لمحاولة الوصول إلى تسوية معه .

وكان الوفد قد وصل إلى الفقيه سعيد في الدنوة يرأسه القاضي أحمد بن علي الطشي قاضي ذمار ، و قد اتضح أن التفاوض استمر بين الجانبين أكثر من شهر ، و هي الفترة التي بقى فيها الإمام الهادي محمد بن أحمد في ذمار [٢٠٤] ، و إلى جانب التفاوض يعمل على

الاتصال بزعماء القبائل الشمالية التي أنضمت إلى الفقيه ،و كذا يحاول تفكيك جبهة الفقيه[٢٠٥].

لقد قدمت وثائق عابدين من مصر المرسلة من مؤخرة قوات محمد علي في الحديدة إلى محمد علي في مصر معلومات تقول : ((أن الإمام الهادي محمد أرسل وفداً من مدينة ذمار إلى الفقيه يطلب الصلح))؛ و قد صورت هذه الوثائق أن الإمام أيضا و نتيجة للصلح دخل في طاعة الفقيه ، وقام بإرسال زكاة ذمار إلى الفقيه تعبيراً عن الطاعة [٢٠٦] .

ويبدو أن هذه المعلومات قد تكون بعيدة عن الصحة لخلاف قوات محمد علي مع الإمام من جهة ، كما أن من الممكن أن الإمام أراد كسب الوقت ليكمل استعداداته و يهاجم قوات الفقيه سعيد لذلك تظاهر بأنه مازال يبحث عن أمور الصلح .

يذهب صادق محمد الصفواني إلى رأي آخر فيقول إن الإمام أراد خداع الفقيه فتظاهر بطلب الصلح كسباً للوقت و للاستعداد السري خشيه أن تهاجمه قوات الفقيه سعيد في ذمار فتفشل بذلك خططه و ليس من شك أن الفقيه أدرك إبعاد سياسة الإمام تلك ، و لابد أن تحركات الإمام الهادي العسكرية و تقدمه من ذمار إلى يريم بجنود الدولة و التفاف القبائل جاءت اضطرارية نتيجة لذلك ، فالتهديدات الجديدة التي أطلقها الفقيه سعيد في مدينة تعز أواخر شهر أكتوبر ، باستعداد قواته لتدمير الامامة في صنعاء [٢٠٧].

عندما تقدمت قوات الإمام من ذمار كانت قوات الفقيه قد استعدت للمواجهة فما أن وصل الإمام إلى يريم حتى أحكمت قوات الفقيه سعيد التي بلغت حينها حوالي (خمسين ألف مقاتل)، حصارها على الإمام في المدينة ، و ذلك في ثاني أيام عيد الفطر ، و عندما وجد الإمام بعد أربعة أيام من الحصار أن الأمر كاد يخرج من يده ، و كاد أهل يريم و القبائل أن تتغلب عليه، اتخذ عدة تدابير حاول من خلالها كسب أهالي المنطقة ، و كذلك تهدئة القبائل[٢٠٨] .

تمكن الإمام من أحداث خرق في صفوف قوات الفقيه حيث تفاوض مع أتباع (أبو حليقة) أحد زعماء القبائل الشمالية حليف الفقيه و أنقلبوا عليه و قتلوا أربعين قائداً من قادة جيشه أثناء النوم ، و نتيجة لذلك فشل الحصار و أنفك عقد جيش الفقيه الذي تراجع إلى الدنوة [٢٠٩] و عندما كرر الفقيه إرسال الجيوش مرة أخرى ، كانت القبائل الشمالية التي رفضت في البداية دعوة الإمام ، و التي تفرقت من صفوف قوات الإمام في ذمار قد عادت

للأنضمام لسماعها بأنكسار قوات الفقيه ، وقد تمكنت قوات الإمام من محاصرة قوات الفقيه في الدنوه و قضت عليها في ٢٣ديسمبر ١٨٤٠م [٢١٠] .

ومن ذلك يتبين أن ذمار اتخذها الإمام قاعدة للتجمع و أنطلاق قواته بعد خروجه من صنعاء في هذا الصراع العسكري و السياسي بين الأمام و الفقيه على السلطة و الذي مثل فيه الإمام شرعيتها باعتباره امتداداً لحكم الدولة القاسمية .

تكررت محاولات الأئمة اللاحقين في فترة الفوضى و عودة الأتراك إلى صنعاء (١٨٥٩ـــ ١٨٧٢) في محاولة بسط نفوذهم و سيطرتهم إلى مناطق اليمن الوسطى و قبائلها و منها ذمار ، ففي فترة إمامة المتوكل محمد بن يحيى(١٢٦١ـ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٥ـ ١٨٥٠م)، حين وصل إلى حَيْس في طريقه إلى زبيد تآمرت عليه بعض قبائل ذو محمد بزعامة النقيب أحمد ثوابه ، فلجأ الإمام إلى الدهاء و السياسة إذ وعد النقيب ثوابه سراً بأنه سيمنحه يريم إقطاعا خاصاً به إذا هو ساعده و من معه بالخلاص و التراجع عبر الجبال إلى يريم ، وكان الأمر كذلك فقد تم الأنسحاب ، و ما أن وصل المتوكل إلى يريم حتى استدعى مختلف قبائل المناطق الوسطى ، فوصلته مستجيبة حاملة السلاح ، ففرق من حوله قبائل ذي محمد و جر زعيمها ثوابه معه مغلولاً إلى ذمار حيث ألقى به في سجنها ، و توجه بعد ذلك إلى صنعاء فدخلها يوم الأحد ١٨جمادي الآخرة ١٢٦٤هـ / ابريل ١٨٤٨م [٢١١].

من هذا النص يظهر أن ذمار كانت خاضعة في هذه الحقبة إلى سلطة الإمام المتوكل محمد بن يحيى لأنه استخدم سجنها لسجن ابن النقيب ثوابه أحد المتآمرين عليه .

عاد المتوكل مرة أخرى إلى ذمار و إقليمها عندما خرج عليه أحد قادته في حربه بتهامة حسين بن المتوكل أحمد الذي خلفه عاملاً على يريم ، حيث استغل تشتيت المتوكل لقبائل ذي محمد و سجن زعيمهم النقيب ثوابه ، فلمهم حوله مع آخرين ، و دعا لنفسه في رخمة بالقرب من ذمار و تلقب بالهادي [٢١٢] ، و قد أسرع المتوكل إلى المنطقة ، و تمكن من القبض علي حسين بن المتوكل و اصطحبه سجيناً إلى صنعاء ، كما قطع رأس النقيب ثوابه ، وقام بجولة في المناطق الوسطى و عاد إلى العاصمة [٢١٣]، ذمار في آخر شهر شعبان ، و عامل أهلها بالحُسْنَى و حُسْنَ الجوار ، و هي محل العلماء ، و مهبط الأدباء و الحكماء ، و صام في ذمار شهر رمضان ، و أضافه أهل الجهة ، ووصل إليه المشايخ من الأقطار ، و أوجفت قلوب الظالمين [٢١٤] .

هكذا يبدو أن الأئمة كانوا يولون اهتماماً خاصاً بالسيطرة على ذمار و ضمها إلى مناطق نفوذهم لما لها من أهمية سياسية و علمية و دينية .

غير أن الأمر لم يقتصر على الأئمة في تطلعهم إلى ذمار للهيمنة عليها ، بل امتد ذلك إلى بعض العلماء المشهورين الذين قصدوا ذمار للتدريس فيها ، حيث كان يقصدها طالبو العلم ، فكان العلامة أحمد بن محمد الكبسي من بين أولئك العلماء ، فوصل ذمار و دخل حضرة الإمام ، فتلقاه بما يحق له من الإجلال و الإكرام ، و أنتشر علمه في ذمار ، ونال الناس من وعظه و علمه ما يستمر ذكره و يبقى أجره [٢١٥].

و شهدت ذمار فضلاً عن الاصطراع السياسي و العسكري عليها في هذه الحقبة ظهور بعض الفتن و القلاقل ، ففي شهر شوال ١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م توجه الإمام المنصور من شبام بني حجاج من أعمال بلاد عمران ، مع تلكؤ أهل (شبام) من بقائه في المدينة ... ، و أنتقل إلى (عيال سريح) و بلغه الخلاف من أهل مدينة (ثلا) حتى خرجوا إلى طاعته ، و أقام في ثلا أياما قلائل ، حتى وصل إليه عمال أهل (ذمار) كما وقعت بين أهل مدينة (ذمار) الفتنه ، و أنقسموا فريقين : فريق إلى الإمام المتوكل ، و فريق باقين على بيعة الإمام المنصور حسين بن محمد الهادي ، و طلبوا نفوذه إلى ذمار لمآرب في أنفسهم ، و توجه من (ثلا) و بات في ظلع ، و اليوم الثاني بات في عَصُر ، و بلغت الخيل إلى قريب باب اليمن ، و نهبت بعض الخيالة السيد الأجل أحمد بن ناصر بن إسحاق ، و في اليوم الثاني أرجعوا ما نهبوه ، و توجه الإمام و زهاء أربعين رجلاً إلى (جوب) ، ووقف هنالك حتى بلغه وقوع الصلح بين أهل ذمار [٢١٦] .

وفي عام ١٢٨٠هـ /١٨٦٣ـ ١٨٦٤، شاع ذكر الإمام حسين الهادي في الأقطار و قد كان أرسل عامله الفقيه محمد العفاري إلى ذمار ، فرده أهل ذمار على عقبه ، و نكثوا و نكصوا ، إذ قام بأمرهم السيد عبد الله بن إبراهيم من ذريه محسن بن حسين بن المهدي أحمد بن حسن و لقبوه أبا طحن ، و طغا و بغا على من حوله ، و على من لم يدخل تحت وطأته[٢١٧].

يظهر من النص السابق خروج أهل ذمار على سلطة الإمام و من أرسله من قبله عاملاً عليهم يتولى أمرهم و يصرف شؤونهم ، مما يدلل على أن أهل هذه المدينة كانوا لا

يخضعون بسهولة إلى سلطة المتصارعين للاستيلاء عليها كي يستفيدوا من موقعها و خيراتها .

خضعت ذمار أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م (أوائل القرن الرابع عشر الهجري) ، إلى الإمام محمد بن يحيى حميد الدين (١٨٨٩ـــ ١٩٠٤م/١٣٠٧ـ١٣٢٢هـ) فيذكر الجرافي في حولياته : ((و أما الجهات العدنية فبلغ أنهم قد نصروا للإمام ، و أنهم أرسلوا العمال إلى بلاد أنس و يريم و إب ، و أن مشايخ تلك البلاد قد ساروا إلى السيد محمد بن المتوكل ، و هو مقيم في دار سلم بالقرب من صنعاء لحصارها ، و الأمور إليه أكثر من غير المقاومة ، و أن القاضي أحمد الصديق قاضي ذمار ضبط إليه))[٢١٨] .

لم يعجب خروج ذمار عن سلطة العثمانيين الوالي أحمد فيضي باشا ،ففي عام ١٨٩١م /١٣٠٩هـ فرض سيطرته عليها :((ثم بلغ عزم أحمد فيضي إلى بلاد ذمار ثم وصل إليها ، و أمن جميع من قد حارب و خالف ووصلت المكاتبة من يريم و بلاد أنس بالطاعة و هو لم يزل يؤمن بالناس كما فعل بصنعاء و حواليها ، و يخبر بأن كل أحد عاصي و طائع آمن و ليس عليه بأس في الدخول إلى صنعاء و غيرها)) [٢١٩] .

غير أن الدور السياسي لذمار في نهاية تسعينات القرن التاسع عشر الميلادي ، شهد إسهام قبائلها في مقاومة الحكم العثمأني و بخاصة في رفضها دفع التحصيلات المالية للوالي العثماني ، مما دفعه إلى إرسال قواته العسكرية لإجبارهم على الاستجابة لرغابته ، فيذكر الجرافي في حوليات عام ١٨٩٢: ((هذا ، وقد كان أرسلت عساكر و مأمور تحصيلات و هو الشيخ علي البليلي ، و ذلك لذمار و بلاد أنس و الحدا ، فلما وصل البليلي إلى ذمار و استقر أياما للتحصيلات ، بلغه وصول هؤلاء بلاد أنس ، فعزم بنفسه ، ثم لحقه العسكر و هم مقدار أربعمائة ، و اثنين مدافع ، ثم وقع التقدم على القبائل و هم في الجمعة ، فتقدم علي البليلي قبل العسكر ، و في يوم الخميس خامس شهر الحجة ١٣٠٩ هـ / ٣٠ يونيو ١٨٩٢، وكمن تحت حجر ، و معه عسكري أو أثنين من الترك ، فرموا القبائل ، فوقعت في علي البليلي رصاصة بها فارق الدنيا ، فتقدم مُلُك من العسكر فقاتلتهم القبائل فنكصوا هذا و لما بلغ مصطفي نافذ و هو قائد تركي ، و هو بذمار ، ذلك الخبر عزم مع العسكر الذي معه ،و وقعت حرابات بينهم ، ثم تفرق القبائل في بلاد أنس)) [٢٢٠] .

و عندما خرجت بعض القبائل اليمنية على العثمانيين في عام ١٨٩٩م/١٣١٦هـ في مناطق اليمن الوسطى و كان من بينها قبائل من إقليم ذمار فيقول الجرفي ((هذا ، و بلغ أن الحرابه في قفل شمر بين القبائل و الترك كائنة ، و أن ضوران مختار و أما سائر بلاد أنس فقد استولى عليها المقداد ، و كذا بعض من لواحق ذمار ، فإن مغرب عنس أخذه المذكور و قتل المدير و زوجته)) [٢٢١] .

ضمن هذا الإطار سار في ربيع الأول من عام ١٣١٧هـ / مارس ١٨٩٩م حسين حلمي والي العثمانيين بصنعاء إلى قضوات أنس ، و ذمار ، و يريم ، و إب ، و سائر القضوات الجنوبية و البلاد التعزية من اليمن الأسفل ، للبحث عن أعمال ولاية الأتراك و المشايخ عليها، و استخراج الأموال الكثيرة للحكومة منها ، وكف إلف القضاة من المشايخ و الأمراء عليها ، و نصب العقال في كثير من القرى ، و أمرهم بقبض الزكوات و سائر مطالب الحكومة من أفراد الرعية ، مع منعه للمشايخ عن التدخل فيها [٢٢٢] .

من كل ذلك يظهر أن ذمار و أهلها في القرن التاسع عشر قد شهدت صراعاً سياسياً للسيطرة عليها سواء بين العثمانيين و الأئمة الزيديين أو بين الأئمة أنفسهم أو الثائرين عليهم ، كما وقعت فيها بعض الفتن
و الاضطرابات ، ولم تتخلف قبائلها عن الإسهام في مقاومة العثمانيين و امتناعها عن دفع الضرائب لهم مما أدى إلى إرسال العساكر العثمانيين لإخضاع أهل ذمار للسيطرة العثمانية و إجبارهم على دفع ما عليهم من ضرائب للوالي العثماني .

استنتاجات :

ذمار مدينة تاريخية عريقة بحضارتها التي نشأت بفضل موقعها و خصوبة أرضها و خيراتها الزراعية فضلاً عن أنها كانت مكان علم و هجرة لطالبي العلم و مركزاً لأكابر العلماء و الفقهاء .

لذلك شهدت بواكير العصور الحديثة في اليمن (القرنيين الرابع عشر و الخامس عشر الميلاديين) صراعاً للسيطرة على ذمار بين الرسوليتن و الزيديين أولا ثم بين الأخيرين و الطاهرين لاحقاً حتى الاحتلال العثماني ، الأول لليمن و نهايته في النصف الأول من القرن السابع عشر (١٦٣٥) .

كان لأهل ذمار دور في المشاركة مع جيوش الأئمة في مقاومة العثمانيين الذين حرصوا على أن تكون ذمار تحت سلطتهم بسبب من موقعها القريب من صنعاء و لما تشكله من مصدر اقتصادي مهم ، على أن ذمار لم تشهد في هذه الحقبة أي أعمال عمرانية عدا أنشاء جامع سنبل .

و في أثناء حقبة الاستقلال و محاولات توحيد اليمن ١٦٣٥ــ ١٦٨٥م خضعت ذمار لحكم الدولة القاسمية ، التي قامت بأعمال إنشائية في مناطق كانت تعد تابعه لذمار كمعبر و رداع و ضوران ، تمثلت تلك الأعمال في بناء المساجد و الدواوين و القصور و القلاع العسكرية و كذلك بناء السماسر العامة و توابعها.

لقد تحقق لذمار العديد من الإنجازات العمرانية في حكم الإمام المهدي محمد بن أحمد (١٦٨٧ــ ١٧١٨) إذ بنى أولا مدينة الخضراء في رداع و اتخذها عاصمة له ، لينتقل منها بعد ذلك إلى مدينة المواهب عام ١٧٠٠شرق مدينة ذمار التي أصبحت عاصمة لمعظم اليمن ، وزارت الإمام فيها بعثات أجنبية خارجية فارسية و عثمانية و فرنسية .

دون أحد أعضاء البعثة الفرنسية الكثير من المعلومات الوصفية الاجتماعية عن مدينة المواهب ، و عن قصر الإمام والنساء فيه ، و يرد أيضا نص جميل عن تربية الخيول الأصيلة في مدينة ذمار و زراعة البن سواء كان ذلك في حديقة قصر الأمام أم في المنطقة الواقعة بين مدينة ذمار و الحديدة .

و في هذا الإطار أيضا ذكر بعض الأوربيين الذين مروا بذمار و توابعها معلومات عن نظرة اليمنيين للأجانب و تعاملهم معهم ، كما جاء من خلال وصفهم لمدينة يريم و ذمار لنوع المواد المستخدمة في بناء البيوت و الحالة الصحية في المدينتين .

و كما كانت ذمار مسرحاً للصراع السياسي و السيطرة عليها أنشئت فيها المدرسة الشمسية في عهد الإمام شرف الدين و كانت أحد مراكز العلم و الفقه الزيدي قصدها العديد من الدارسين للتعلم فيها ، كما سكنها العديد من العلماء البارزين في علوم الحديث و اللغة و النحو و الفقه و المنطق ، فتخرج العديد منها و أسهموا في الحركة الفكرية و الثقافية و الوطنية في اليمن في العصور الحديثة .

و خلال القرن التاسع عشر ظلت ذمار و توابعها ساحة للاصطراع السياسي بين مختلف القوى المتنافسة في اليمن و بخاصة بين الأئمة الزيديين والعثمانيين ، و حصلت فيها

العديد من الفتن و الاضطرابات ، و قد تسبب ذلك بإلحاق الأذى بأهلها و تدمير بعض البيوت فيها .

شاركت قبائل ذمار مع القبائل اليمنية الآخرى خلال فترة الاحتلال العثماني الثاني لليمن في حمل لواء مقاومة العثمانيين مما دفع بالآخيرين إلى تسيير الحملات العسكرية ضدها لقمعها و فرض السيطرة العثمانية عليها ، و كأن أهل ذمار غالباً ما يخرجون على السلطة العثمانية و يبايعون الأئمة في الشمال .

خلاصة القول أسهم أهل ذمار في تاريخها الحديث في الأحداث السياسية و العسكرية التي سادت اليمن ، و كأن لها دورها في صنع تلك الأحداث ، على أنها كغيرها من بقية مناطق اليمن أصابها التخريب و سلب خيراتها من النتائج التي جرتها صراعات الأئمة حولها، و رغم كل هذا و ذاك برز فيها العديد من العلماء المشهورين على مستوى اليمن .

الهـــوامش :

١. د . حسين عبد الله العمري ، ذمار ، الموسوعة اليمنية ، المجلد الثاني ، صنعاء ، ٢٠٠٣م ن ص ١٣٦٢.
٢. أ. خلدون هزاع ، ذمار القرن موقع مدينة ذمار القديمة ، بحث ضمن كتاب صنعاء الحـضارة و التـاريخ ، المجلـد الأول ، صنعاء ، ٢٠٠٥م ، ص ١٢١.
٣. المرجع نفسه ، ص ١٢٣ـــ ١٣٥.
٤. د. صلاح البهنسي ، المسجد (المدرسة) الشمسية بذمار ، ٩٤٧هـــ /١٥٤٠م ، الإكليل ، العـدد ٢٧، خريـف ، ٢٠٠٢م صنعاء ص ٨١. .
٥. يحيى بن الحسين القاسم ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، القسم الثاني ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٥١١.
٦. المصدر نفسه .
٧. المصدر نفسه ، ص٥١٤.
٨. المصدر نفسه ، ص ٥١٥.
٩. المصدر نفسه ، ص ٥١٧.
١٠. المصدر نفسه ، ص ٥٢٤.
١١. المصدر نفسه ، ص٢٥ ٥
١٢. المصدر نفسه ، ص٥٤٩
١٣. المصدر نفسه ، ص ٥٥٠
١٤. المصدر نفسه ، ص ٥٥١
١٥. المصدر نفسه ، ص ٥٥٢ـــ٥٥٣.
١٦. المصدر نفسه ، ٥٥٤
١٧. د. سيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ١٥٣٨ـــــ ١٨٤٠م ، القـاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ١٢٩ـــــ ١٣١ .
١٨. عبد الرحمن بن علي بن محمد الديبع ، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمـد بـن علـي الأكـوع ، بيروت ، ١٩٨٨، ص ١١.
١٩. عبد الرحمن بن علي بن محمد الدبيع ، بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تحقيق عبد الله الحبيشي ، صـنعاء ، ١٩٧٩م ، ص ٧٧.
٢٠. رياض علي سعيد المشرقي ، التعليم في اليمن في عصر الدولة الطاهرية ، صنعاء ، ٢٠٠٤م، ص ٣٢.
٢١. عبد الله عبد الوهاب المجاهد الشماحي ، اليمن الإنسان و الحضارة ، القاهرة ، ١٩٧٢، ص ٨٢٩.
٢٢. حسين ابن أحمد العرشي ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك و إمـام ، مخطوطـة نشرها و حققها ، الأب انستاس الكرملي ، القاهرة ، ١٩٣٩م ، ص ٥٦ـ ٥٧.
٢٣. عيسى بن لطف الله ، مرجع سابق ، ج١، ص ٥٧.
٢٤. سيد مصطفى سالم ، مرجع سابق ،ص ٥٣.
٢٥. أحمد سالم شيبان ، الوجود المملوكي في اليمن ١٥١٥ـــ ١٥٣٨م ، الشارقة ،٢٠٠٢م ، ص١٨٧.

٢٦. جمال الدين بن محمد المفضل ، سيرة الإمام شرف الدين المسماة (السلوك الذهبية في خلافته السيرة المتوكلية) باكستان ، ١٤١٧هـ ، ص٤٧.

٢٧. المرجع نفسه ، ص٤٨.

٢٨. يحيى بن الحسين القاسم ، أنباء اليمن ، مخطوطة مصورة ، دار المخطوطات ، رقم ٢٤٢٧، المكتبة العربية ، الجامع الكبير ، صنعاء ، ص ١١٧.

٢٩. محمد بن محمد زبارة ، أئمة اليمن ، الجزء الأول ، تعز ، ١٩٥٢م ، ص ٢٩٣.

٣٠. عنس قبيلة تقع مغرب مدينة ذمار و مشرقها تتبع محافظة ذمار ، إبراهيم أحمد المقحفي ، معجم البلدان و القبائل اليمنية ، ج٢ ، بيروت ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص ١١٣١.

٣١. جمال الدين المفضل ، مرجع سابق ، ص ٥٧.

٣٢. محمد بن زبارة ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٣٩٥.

٣٣.بني مسلم : يطلق على عدد من المناطق و يقصد بها هنا : جبل غربي مدينة يريم بمسافة ٢٠كم ، يشكل في أعماله مركزاً إداريا من مديرية القفر و أعمال محافظة إب (حالياً) و كانت يريم في فترة البحث تابعه الى ذمار .

٣٤.عيسى بن لطف الله ، روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن و الفتوح ، ج١، صنعاء ، ٢٠٠٣م ، ص ٦١.

٣٥.سيد مصطفى سالم ، مرجع سابق ، ص ١٣٩.

٣٦. الحسن بن عبد الرحمن (الكوكباني) المواهب السنية مما من الله من الفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية ،ج١،مخطوطة رقم (٢٦٢٦) ، المكتبة الغربية ، الجامع الكبير ، صنعاء ، ص ٨٢.

٣٧. محمد فيصل عبد العزيز الأشول ، الإمام شرف الدين و دوره السياسي في اليمن (٩١٢ـــ ٩٦٥هـ) رسالة ماجستير غير منشوره ، الجامعة اليمنية ، كلية اللغات و الآداب و التربية ، قسم التاريخ ، أكتوبر ٢٠٠٤م ، ص ٦٤.

٣٨. محمد بن محمد زبارة ، مرجع سابق ، ج١، ص ٣٩٩.

٣٩. يحيى بن الحسن القاسم ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٦٧.

٤٠. المصدر نفسه ، مرجع سابق ، ص ١٣٩.

٤١. سيد مصطفى سالم ، مرجع سابق ، ص ١٣٩.

٤٢. عيسى بن لطف الله ، مخطوطة سابق ، ج١، ص ١٦٦، سيد مصطفى سالم ، مرجع سابق ، ص ١٣٩.

٤٣. سيد مصطفى سالم ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ـــ ١٤٠.

٤٤. المرجع نفسه ، ص ١٤٠.

٤٥. عيسى بن لطف الله ، مخطوطة سابق ، ج١، ص ٦٨.

٤٦. المخطوطة نفسها ، ج ١ ، ص ص ٥١ ،٥٢.

٤٧. يحيى بن الحسين القاسم ، غاية لأماني ، مصدر سابق ، ج٢، ص ٦٧٢.

٤٨. محمد فيصل عبد العزيز الأشول ، مرجع سابق ، ص ٦٥.

٤٩. إسماعيل الأكوع ، المدارس الإسلامية في اليمن ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٦م ، ص ٣٧٠.

٥٠. يحيى بن الحسين القاسم ، غاية الأماني ، مصدر سابق ، ج٢، ص ٦٦٢.

٥١. جمال الدين بن محمد المفضل ، سيرة الإمام شرف الدين ، باكستان ، ١٤١٧هـ ، ص ٦٠.

٥٢. سلوى سعد سليمان الغالبي ، الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم و دوره في توحيد اليمن ١٠٥٤هـ ـــ ١٠٨٧هـ /١٦٤٤ـــ ١٦٧٦م ، د. م، ١٩٩١م ، ص٤٢.

٥٣. فاروق عثمان أباظه ، الحكم العثماني في اليمن ١٧٨٢ـــ ١٩١٨م ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص٢٥.

٥٤. سيد مصطفى سالم ، مرجع سابق ، ص٢٣٩.

٥٥. قطب الدين النهر والى ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، مخطوطة ، ص ٤٢ب ، نقلاً عن سيد مصطفى سالم ، مرجع سابق ، ص ٢٤٢.

٥٦. المخطوطة نفسها ص ٤١ـــ ٤٢أ ، نقلاً عن سيد مصطفى سالم ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣.

٥٧. سيد مصطفى سالم ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤.

٥٨. عيسى لطف الله ، مخطوطة سابق ، ج٢، ص ٦٣.

٥٩. سيد مصطفى سالم ، مرجع سابق ، ص ٢٩٨.

٦٠. المرجع نفسه ، ص ٣٨١.

٦١. المرجع نفسه ، ص ٣٦٤.

٦٢. حياة محمد الحمد البَّسام ، محمد بن القاسم في اليمن ٩٩٠هـ ١٠٥٤هـ / الدار السعودية للنشر و التوزيع ، الرياض د. ت ، ص ٧٣.

٦٣. محمد بن إسماعيل بن يحيى بدر الدين الكبسي ، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، مصر ، د . ت ، ص ص ٢٣٩ـــ ٢٤٢.

٦٤. حياة محمد الحمد البَّسام ، مرجع سابق ، ص٨٠.

٦٥. عبد العزيز نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، بيروت ، ١٩٧٣، ص١٠٩.

٦٦. محمود علي محسن السالمي ، محاولات توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين ، ١٠٤٥ـــ ١٠٩٧هـ /١٦٣٥ـــ ١٦٨٥م ، عدن ، ٢٠١م ، ص ٥٩.

٦٧. حسين بن أحمد العرشي ، مرجع سابق ، ص٦٧.

٦٨. محمود علي محسن السالمي ، مرجع سابق ، ص ٣٢٦.

٦٩. أحمد بن صالح بن محمد أبي الرجال ، مطلع البدور و مجمع البخور ، ج١، مخطوطة مسجلة على مكر و فلم رقم (٢٠) بالمكتبة الوطنية ، عدن ، ٣٢٧.

٧٠. مطهر بن محمد عبد الله الجر موزي ، تحفة الأسماع و الأبصار في سيرة الإمام المتوكل إسماعيل ، مخطوطة مسجلة على مكر و فلم رقم (٤١٥) المكتبة الوطنية ، عدن ، ت ٢٨٧.

٧١. المخطوطة نفسها : ت ٤٥١أ

٧٢. محمد يحيى الحداد ، التاريخ العام لليمن ، ج٤، بيروت ، ١٩٨٦، ص٩٠ـــ ٩١.

٧٣. سلوى سعد سليمان ، مرجع سابق ، ص ١٥٥.

٧٤. محمود علي محسن السالمي ، مرجع سابق ، ص ٣٢٩.

٧٥. جاكلين بيرين ، اكتشاف جزيرة العرب ، ترجمة قدري قلعجي ، الرياض ، بيروت ، ١٩٢٤، ص ١١٠.

٧٦. محمد بن على الشوكاني ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاهرة ، ١٣٤٨هـ ص ١٤٩، محمود علي محسن السالمي ، مرجع سابق ، ص ٣٢٩.

٧٧. عبد الله علي الوزير ، طبق الحلوى و صحاف المن و السلوى ، مخطوطة مسجلة علـى مكـر و فلـم رقـم (٢٢٢)، المكتبة الوطنية ، عدن ، مصورة عن نسخة من مكتبة ليدن رقم (٢٦١١) ، ق ٥١ أ .

٧٨. عبد الإله بن علي الوزير ، تاريخ طبق الحلوى و صـحاف المـن و الـسلوى ، ج١، بيـروت ، ١٩٨٥م، ص ٢٠٦.

٧٩. المصدر نفسه ، ص ٢٣٨.

٨٠. أحمد بن محمد صلاح الشرفي ، اللالئ المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية ، مخطوطة مسجلة على مكر و فلـم ، رقم (٣٤) ، المكتبة الوطنية ، عدن ، ق ٢٤٧.

٨١. عبد الله بن علي الوزير ، مخطوط سابق ، ق ٢٨ .

٨٢. مجهول ، السيرة الجامعة و الدعوة النافعة في سيرة المؤيد محمد بن القاسم ، مخطوطة مسجلة على مكـر و فلم رقم (٩) ، المكتبة الوطنية ، عدن ، ف ١٥٢ ب .

٨٣. محمود علي محسن السالمي ، مرجع سابق ، ص ٨٧.

٨٤. مجهول ، مخطوطة سابقه ، ت ١٢٦أ ، محمود محسن السالمي ، مرجع سابق ، ت ص ٨٧.

٨٥. محمود علي محسن السالمي ، مرجع سابق ، ص ٨٧ ـــ ٩٨.

٨٦. عبد الله بن علي الوزير ، مخطوط سابق ، ت ٢٩أ .

٨٧. محمود علي محسن السالمي ، مرجع سابق ، ص ٨٨ ـــ ٨٩.

٨٨. مطهر بن محمد عبد الله الجر موزي ، مخطوط سابق ، ق ٥ أ

٨٩. محمود علي محسن السالمي ، مرجع سابق ، ص ١٢٢.

٩٠. عبد الله بن عبد الكريم الجرافي ، أنباء اليمن و نبلاؤه ، ج١ ، القسم الرابع ، مكتبة الجامع الكبير الغربيـة ، صنعاء رقم ٣٤٤، ق ١٢٤ ــق ٣٩٧ أ .

٩١. المطهر بن محمد بن عبد الله الجر موزي ، مخطوط سابق ، ق ٣٩٩ أ ب .

٩٢. محمد بن علي الشوكاني ، مصدر سابق ، ص ١٤٠.

٩٣. محمود علي محسن السالمي ، مرجع سابق ، ص ٣٠٣.

٩٤. أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين ، صنعاء، ١٩٨٦ ، ص ٢٥١،

٩٥. حسين عبد الله العمري ، تاريخ اليمن الحديث و المعاصر ١٥١٦ـــ ١٩١٨ مـن المتوكـل إسـماعيل إلـى المتوكل يحيى حميد الدين ، بيروت ، دمشق ، ١٩٩٧، ص ١٠٥ـــ ١٠٦.

٩٦. حسين عبد الله العمري ، الخضراء ، الموسوعة اليمنية، ج ، صنعاء ،٢٠٠٣م ،ص

٩٧. محمد بن الحسن بن القاسم بن أحمد أبو طالب ، تاريخ اليمن (عصر الاستقلال من الحكـم العثمـاني الأول) تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، صنعاء ، ١٩٩٠م ، ص ٢٩٥ـــ ٣٠١.

٩٨. حسين عبد الله العمري ، تاريخ اليمن ... مرجع سابق ، ص ١٠٦.

٩٩. محمد بن محمد زبارة ، مرجع سابق ، ج٢، القسم الثاني ، ص١٧٣.

١٠٠. محسن بن الحسن أبو طالب ، المصدر السابق ، ص٢٦٦ـــ ٢٦٧.

١٠١. حسين بن عبد الله العمري ، تاريخ اليمن .... مرجع سابق ، ص١٠٩.

١٠٢. المرجع نفسه .

١٠٣. إبراهيم أحمد المقحفي ، مجمع البلدان و القبائل اليمنية ، ج ١، صنعاء ، بيروت ،٢٠٠٢م ، ص٥٧٢.
١٠٤. د/ صادق ياسين الحلو ، مدينة المواهب اليمنية ، موقعها و مؤسسها و الحياة الاجتماعية فيها ١٧٠٠ـــــ ١٧١٦، مجله الثقافة الجديدة ،العدد (٨١) ، أغسطس ،٢٠٠٧م صنعاء ، ص١٠.
١٠٥. إبراهيم أحمد المقحفي ، مرجع سابق ،ج٢، ص١٦٧٩.
١٠٦. حسين عبد الله العمري ، تاريخ اليمن .....، مرجع سابق ، ص١٠٩.
١٠٧. أحمد حسين شريف الدين ، مرجع سابق ، ص٢١٥.
١٠٨. أحمد قائد الصائدي ، اليمن في عيون الأجانب الرحلة الأولى للفرنسيين إلى العربية ، السعيدة عبر بحر الشرق ، مجلة دراسات يمنية ، العدد ٦٠ـــ٦٠يناير /يونيو ١٩٩٩،ص٩٠.
١٠٩. حسين بن عبد الله العمري ، المواهب ... ، مرجع سابق ، ج٤، ص ٢٩٨٠.
١١٠. جان دي لاروك ، أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة (١٧٠٨ـــــ ١٧١٠م و١٧١١ـــــ ١٧١٣) ، ترجمة منير عربش ، صنعاء ،٢٠٠٥، ص١٣٤.
١١١. المصدر نفسه ، ص١٣٨ـــ ١٣٩.
١١٢. المصدر نفسه ، ص ١٣٤.
١١٣. حسين عبد الله العمري ، تاريخ اليمن .... ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ـــ ١١٠.
١١٤. المرجع نفسه ؛ ص ١١١.
١١٥. محمد بن محمد زيارة ، مرجع سابق ، المجلد الثاني ، القسم الثاني ، ص ١٧٥.
١١٦. جان دي لاروك ، مصدر سابق ، ص ١٣٨ـ ١٣٩.
١١٧. المصدر نفسه ، ص ١٧٦.
١١٨. جان دي لاروك ، مصدر سابق ، ص ١٤٨.
١١٩. المصدر نفسه .
١٢٠. المصدر نفسه ن ص ١٣٠ـــ ١٣١ .
١٢١. المصدر نفسه ، ص ١٣٥.
١٢٢. المصدر نفسه ، ص ١٤٩.
١٢٣. د/ يوسف شلحد ، وفد فرنسي يزور الإمام المهدي صاحب المواهب سنة ١٧١٢م / ١١٢٤هـــــ ، دراسات يمنية ، العدد ١٨، أكتوبر ـــ نوفمبر ، ديسمبر ١٩٨٤، صنعاء ، ص ٧٨.
١٢٤. جان دي لاروك ، مصدر سابق ، ص ١٥٠.
١٢٥. المصدر نفسه .
١٢٦. المصدر نفسه ، ص١٥١ .
١٢٧. المصدر نفسه .
١٢٨. د/ صادق ياسين الحلو ، ذمار ، بعض من أحوالها الاجتماعية و الصحية كما وصفها الرحالة الأوربيون و العرب ١٦١٠ـــ ١٩٥٠، مجلة جامعة ذمار للدراسات و البحوث ، العدد الخامس ، مارس ٢٠٠٧م ، ص ٢٨.
١٢٩. المرجع نفسه ، ص ٢٩ .
١٣٠. جاكلين بيرين ، مرجع سابق ، ص ٧٥.

١٣١. جان دي لاروك ، مصدر سابق ، ص ١٣٢.
١٣٢. د/ صادق ياسين الحلو ، ذمار ، بعض من أحوالها الاجتماعية و الصحية ، مرجع سابق ، ص ٣٠.
١٣٣. توركيل هانس ، من كوبنها جن إلى صنعاء ، ترجمة أحمد الرعدي ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ٢٨٧.
١٣٤. جان دي لاروك ، مصدر سابق ، ص ١٣٨.
١٣٥. المصدر نفسه ، ص ١٣٩.
١٣٦. المصدر نفسه ،
١٣٧. المصدر نفسه ، ص ١٤٠.
١٣٨. المصدر نفسه ، ص ١٤٠ـــ ١٤١.
١٣٩. المصدر نفسه ، ص ١٣٩.
١٤٠. جاكلين بيرين ، مرجع سابق ، ص ١١٠.
١٤١. أحمد قائد الصائدي، مرجع سابق ، ص ٩٢، جان دي لاروك ، مصدر سابق ، ص ١٤٢ـــ١٤٦ .
١٤٢. جاكلين بيرين ، مرجع سابق ، ص ١١٠ـــ ١١١.
١٤٣. جان دي لاروك ، مصدر سابق ، ص ١٤٣.
١٤٤. المصدر نفسه ، ص ١٤٦.
١٤٥. المصدر نفسه ، ص ١٤٧، د/ يوسف شلحد ،مرجع سابق ، ص ٧٧.
١٤٦. د/ صادق ياسين الحلو ، بعض من أحوالها ....، مرجع سابق ، ص ٢٢ .
١٤٧. د/حسين عبد الله العمري ، مرجع سابق ، ص ٢٨٩.
١٤٨. د/ صادق ياسين الحلو ، مدينة المواهب .....، مرجع سابق ، ص ١٤.
١٤٩. توركيل هانس ، مرجع سابق ، ص ٢٨٦ـــ ٢٨٧.
١٥٠. د/ صادق ياسين الحلو ، ذمار بعض من أحوالها ....، مرجع سابق ، ص ٣٣ـــ ٣٤.
١٥١. توركيل هانس ، مرجع سابق ، ص ٢٨٩.
١٥٢. المصدر نفسه ، ص ٣٠٧.
١٥٣. د/ يوسف شلحد ،مرجع سابق ، ص ٧٢.
١٥٤. د / حسين عبد الله العمري ، ذمار ، الموسوعة اليمنية ، المجلد الثاني ، صنعاء ، ص ١٣٦٢.
١٥٥. د/ صلاح البهنسي ، مرجع سابق ، ص ٨١.
١٥٦. إسماعيل بن علي الأكوع (القاضي) ، مرجع سابق ، ص ٢٦٨.
١٥٧. جريدة الثورة اليمنية ، ٢١، ١٩٩٨/١.
١٥٨. د/ صلاح البهنسي ، مرجع سابق ، ص ٨١.
١٥٩. خلدون هزاع عبده نعمان ، المدرسة الشمسية درة الآثار الإسلامية في ذمار ، الملحق الثقافي لجريدة الثورة ، العدد ٢١٥، ٢٠٠٨/١٠/٢٣م .
١٦٠. د/ صادق ياسين الحلو ، المدرسة الشمسية في ذمار و دور بعض من علمائها و طلبتها في التعليم و الحركة الوطنية في اليمن في العصر الحديث و المعاصر ، الآداب (مجلة كلية الآداب ، جامعة ذمار ، العدد الثالث ، مارس (٢٠٠٧) ص ٨١.
١٦١. إسماعيل بن علي الأكوع ، مرجع سابق ، ص ٢٦٨.

١٦٢. جريدة الثورة اليمنية ، مرجع سابق .
١٦٣. إسماعيل بن علي الأكوع ، مرجع سابق ، ص ٢٨٦.
١٦٤. د/ صلاح البهنسي ، مرجع سابق ، ص ٨٢.
١٦٥. جريدة الثورة اليمنية ، مرجع سابق .
١٦٦. د/ صلاح البهنسي ، مرجع سابق ، ص ٨٢.
١٦٧. إسماعيل على الأكوع ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩.
١٦٨. د/ مصطفى عبد الله شيحة ، دراسته مقارنة بين المدرسة المصرية و المدرسة اليمنية ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصرين ، العدد ٥١، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ٤١٤.
١٦٩. د/ صادق ياسين الحلو ، المدرسة الشمسية ، مرجع سابق ، ص ٨٣.
١٧٠. المرجع نفسه .
١٧١. إسماعيل بن علي الأكوع ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩.
١٧٢. المرجع نفسه .
١٧٣. محمد بن أحمد الحجري (القاضي) مجموع بلدان اليمن و قبائلها ، تحقيق القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ، المجلد الأول ، صنعاء ، ١٩٨٤، ص ٣٤٥.
١٧٤. مقابلة شخصية مع القاضي حمود الظرافي مكتب الأوقاف بذمار ، يوم الأربعاء ، ٢٠٠٧/١/٥م .
١٧٥. عبد الله بن عبد الله أحمد الحوثي ، مقدمة تحقيق مطلع الأقمار و مجمع الأنهار في مركز المشاهير من علماء مدينة ذمار و من قرأبها من أهل الأمصار ، للعلامة شرف الدين الحسن بن الحسين الطالبي ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، حاشية ٢، ص ٢٠٤.
١٧٦. مقابلة شخصية مع القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ، صنعاء ، ٢٠٠٥/٢/٢٧م .
١٧٧. المقابلة نفسها .
١٧٨. مذكرات شخصية للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع ، مخطوطة في اليد ، موجودة في بيته بصنعاء .
١٧٩. عبد الله بن عبد الله بن أحمد الحوثي ، مرجع سابق ، ص ٢٧.
١٨٠. إسماعيل بن علي الأكوع ، المدارس .... ، مرجع سابق ، ص ٢٦٨.
١٨١. عبد الله بن عبد الله بن أحمد الحوثي ، مرجع سابق ، ص ٢٧.
١٨٢. د/ صادق ياسين الحلو ، المدرسة الشمسية ، مرجع سابق ، ص ٨٦ ـــ ٨٧.
١٨٣. وزارة الثقافة و السياحة ، الهيئة العامة للآثار و المتاحف و المخطوطات ، الإدارة العامة للمخطوطات ، فرع الهيئة العامة للآثار ، استمارات بالمخطوطات المؤلفة بمكتب الأوقاف و الإرشاد بذمار ، المجلد الثاني ، يحتوى على استمارات نصفها مطبوع و نصفها الاخر مكتوب باليد .
١٨٤. د/ صادق ياسين الحلو ، المدرسة الشمسية ، مرجع سابق ، ص ٨٧.
١٨٥. للتفاصيل أولئك العلماء ينظر : الحسن بن الحسين بن حيدرة الطالبي ، مطلع الأقمار و مجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار و من قرا فيها و حقق من أجمل الأمصار ، تحقيق عبد الله بن أحمد الحوثي ، صنعاء ، ٢٠٠٢ ، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن العنسي الذماري (القاضي) ، دوحة الأفكار في تراجم المشاهير من أعلام ذمار ، ٢٠٠٧م ، إسماعيل بن علي الأكوع ، المدارس الإسلامية ..... مرجع سابق .

١٨٦. محمد بن علي الشوكاني ، مصدر سابق ج١، بيروت ، د.ت، ص ٢٢٦ـــ ٢٣٢.
١٨٧. الحسن بن الحسين بن حيدرة الطالبي ، مصدر سابق ، ص ٣٠١ـــ ٣٠٢.
١٨٨. المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ـــ ٣٠٣.
١٨٩. المصدر نفسه ، ص٣٠٣ـــ ٣٠٤.
١٩٠. إسماعيل بن على الأكوع ، المدارس الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٧٢ـــ ٢٧٣.
١٩١. أحمد بن محمد عبد الرحمن العنسي الذماري (القاضي) ، مرجع سابق.
١٩٢. إسماعيل بن على الأكوع ، المدارس الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠ـــ ٢٧٢.
١٩٣. الحسن بن الحسين بن حيدرة الطالبي ، مصدر سابق ، ص ١٦٠.
١٩٤. المصدر نفسه ، ص٥٣
١٩٥. المصدر نفسه ، ص ١٢٩
١٩٦. المصدر نفسه ، ص ١٢٩ـــ ١٣٠.
١٩٧. محمد بن علي بن أحمد ألذماري ، ترجمة مؤلف مطلع الأقمار الحسن بن الحسن حيدرة ، ضمن كتاب مطلع الأقمار و مجمع الأنهار ، مرجع سابق ، ص ٤١٤.
١٩٨. أحمد بن محمد بن عبد الرحمن العنسي ، مرجع سابق ، ص ٣٧.
١٩٩. المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ـ ٣٠٣.
٢٠٠. إسماعيل بن علي الأكوع ، المدارس الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٧٢ـ ٢٧٣.
٢٠١. ذكرت بعض المصادر و المراجع اليمنية و الأجنبية انه اشتهر باسم المهدي المنتظر و بعضها بـ (وزير المهدي المنتظر) klorman bat-zoy Eraqi The Jews of Yemen in the Nineteenth century, New York, ١٩٩٣ PP.٥٥-٥٦،
٢٠٢. صادق محمد الصفواني ، الأوضاع السياسية الداخلية لليمن في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، صنعاء ، ٢٠٠٤، ص ٢٤٠.
٢٠٣. المرجع نفسه ، ص ٢٤١ـــ٢٤٣.
٢٠٤. مجهول ، حوليات يمانية (اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي) تحقيق عبد الله محمد الحبيشي ، صنعاء ، ١٩٩١، ص ٩٦ـ ٩٧.
٢٠٥. صادق محمد الصفواني ، المرجع السابق ، ص ٢٤٣.
٢٠٦. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي ، ١٨١٩ـــ ١٨٤٤٠، قطر ، ١٩٨٢، ص٥١٩ـــ٥٢٠.
٢٠٧. صادق محمد الصفواني ، المرجع السابق ، ص٢٤٤.
٢٠٨. مجهول ، مرجع سابق ، ص ٩٩.
٢٠٩. حسين عبد الله العمري ، مئة عام من تاريخ اليمن الحديث ، دمشق ، ١٩٨٨، ص ٢٩٧ـــ ٢٩٨.
٢١٠. صادق محمد الصفواني ، المصدر السابق ، ص٢٤٥.
٢١١. فترة الفوضى و عودة الأتراك إلى صنعاء ، السفر الثاني من تاريخ الحرازي (رياض الرياحين) ١٢٧٦ـــ ١٢٨٩هـ /١٨٥٩ـــ ١٨٧٢م ، تحقيق الدكتور حسين بن عبد الله العمري ، دمشق، صنعاء ، ١٩٨٦، ص ١٥ـ١٦.

٢١٢. حسين عبد الله العمري ، مئة عام ، مرجع سابق ، ص ٣٣١ـــ٢٣٢ .
٢١٣. فترة الفوضى ، مصدر سابق ، ص ١٧.
٢١٤. المصدر نفسه ، ص ٥٧.
٢١٥. المصدر نفسه ، ص ٦٠ـــ٦١.
٢١٦. المصدر نفسه ، ص ١١٣.
٢١٧. المصدر نفسه ، ص ١٤٩ـــــ ١٥٠.
٢١٨. حوليات العلامه الجرافي ، ١٣٠٧ـــ ١٣١٦هـ /١٨٨٩ـ ١٩٠٠م ، تحقيق الدكتور حسين عبد الله العمري ، بيروت ، دمشق ،١٩٩٢، ص٥٨ ـــ ٥٩.
٢١٩. المصدر نفسه ، ص٧١.
٢٢٠. المصدر نفسه ، ص ٩٢ـ ٩٣.
٢٢١. المصدر نفسه ، ص ١٧٥.
٢٢٢. المصدر نفسه ، ص ٢٢٦

جغـــرافيـــة ذمـــــــار

الخـــــصائص الجغرافيـــــة لمحافظـــــة ذمـــــار

د. محمـــد حـــزام العمـاري
د. عبـــــاد الـــــــبراق

الخصائص الجغرافية لمحافظة ذمار

د. محمـــد حـزام العمـاري *
د. عبـــــاد الـــــــبراق * *

أولاً: الخصائص الجغرافيـة الطبيعية

المقـــــدمـــة :

من المعلوم أن الجغرافيا لم تعد وصفاً للأرض ولكنها أصبحت تهتم بتحليل العلاقـات المتبادلة للظاهرة الجغرافية وأنماط المناشط البشرية فيها.

كعامل نتاج تفاعل وظيفي (Functional Relation Ship) ولذلك فـإن دراســة الإقلـيم الجغرافي لا تقتصر على دراسة ظاهرة جغرافية منفردة وإغفال ظواهر جغرافية أخرى أثـرت وتؤثر في تكوينها وتطورها.

ولهذا فإن الخصائص الجغرافية لا سيما الطبيعية منها ما هي إلا نتاج تفاعل وظيفي لظاهرات جغرافية متعددة مكانياً وزمانياً، ومنها الخصائص الجغرافية الطبيعية لمحافظة ذمار سواء الموقع الجغرافي والمظاهر التضاريسية أو المناخية أو البيئية والإيكولوجية وغيرهـا، ويتضح ذلك من خلال المؤشرات الجغرافية الآتية :

أولاً : الموقع والموضع :

يمثل الموقع والموضع الجغرافي[1] أهمية نسبية كبيرة حيث يبرزان شخصية محافظة ذمار الجغرافية في القديم والحاضر، حيث إن موقع محافظة ذمار الجغرافي يقع بين دائرتـي عرض (١٤ – ١٥ ْ) شمالاً وبين خطي طول (٤٣,٥ – ٤٤,٨ ْ) شرقاً، أما موضـعها فإنهـا تحتل قلب المرتفعات الجبلية العليا لليمن.

---

* أستاذ الجغرافية المشارك – عميد كلية الآداب – جامعة ذمار
* * أستاذ الجغرافية السياسية المساعد – نائب عميد التعليم المستمر – جامعة ذمار

ويتضح من بيانات الخارطة (١) التي تشير إلى أن محافظة ذمار تقع على شكل مستطيل يمتد من الغرب عند مديرية وصاب السافل حتى مديرية الحداء شرقاً بطول يقدر بنحو (١١٠) كم ومن الجنوب عند مديرية مغرب عنس حتى مديرية ضوران شمالاً بعرض يقدر بنحو (٧٠) كم [٢] في حين تقدر إجمالي مساحتها الجغرافية بنحو (٧٥٨٨)كم[٣].

ومما ضاعف أهمية الموضع والموقع الجغرافيين للمحافظة أنها تشكل عمقاً جغرافياً وعقدة اتصال بين المحافظات الشمالية والجنوبية والغربية والشرقية ، حيث تحدها من الشمال محافظة صنعاء ومن الجنوب محافظة إب ومن الشرق محافظتي البيضاء وصنعاء ومن الغرب محافظتي ريمه والحديدة .

لذلك فإن الموقع والموضع الجغرافيين يؤكدان العلاقة المكانية والحيوية للمحافظة المذكورة منذ القدم حتى التاريخ المعاصر، وفي طليعة هذه الأهمية حاضرتها مدينة ذمار التي تقع على ارتفاع (٢٤٠٠) متر فوق مستوى سطح البحر ، حيث تشكل ملتقى الطرق البرية التي تربط بين العاصمة السياسية والتاريخية (مدينة صنعاء) التي تقع إلى الشمال بمسافة (١٠٠) كم ، والعاصمة الاقتصادية والتجارية (مدينة عدن) التي تقع الى الجنوب منها بمسافة (٢٥٠) كم .

الخارطة (١) الموقع والموضع الجغرافي لمحافظة ذمار

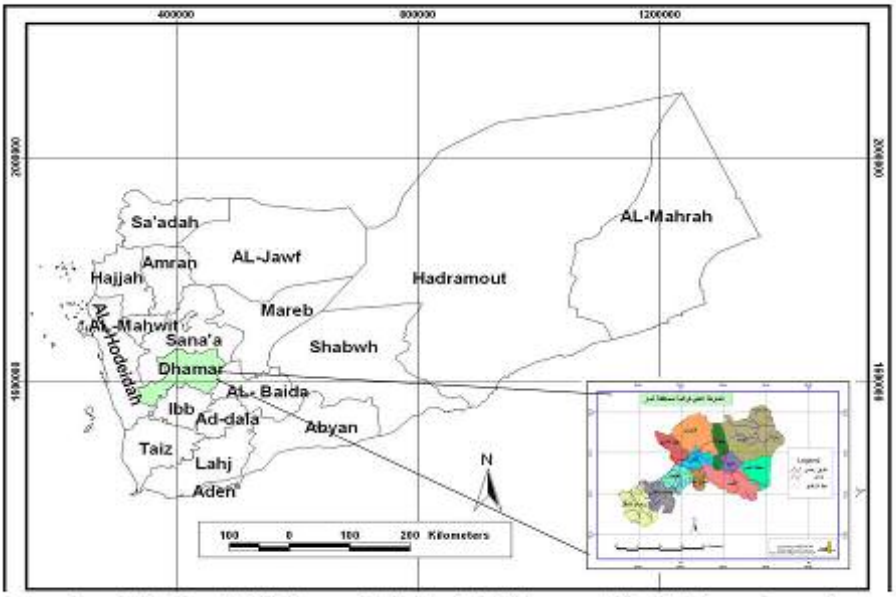

المصدر : مركز بحوث الموارد الطبيعية المتحدة ، وحدة نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد ، الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي ، ذمار

ثانياً: البنية الجيولوجية والتضاريس :

تعد البنية الجيولوجية والتضاريس ضمن عناصر الوسط الطبيعي التي تشكل بعداً إيجابياً للمسار التاريخي للتكوينات الجيولوجية والمعالم التضاريسية .

فمن الناحية الجيولوجية للمحافظة تشير بعض الدراسات إلى أن بنية المحافظة الجيولوجية تعرضت لعوامل باطنية كثيرة عبر الأزمنة الجيولوجية القديمة والحديثة ، نتيجة لوقوع اليمن ومنها (منطقة الدراسة) ضمن الدرع العربي الذي يتحرك باتجاه الشمال الشرقي بحركة دورا نية عكس عقارب الساعة ، فضلاً عن أنها محاطة بأحد الأحزمة الزلزالية النشطة الناتجة عن الوضع التكتوني للبحر الأحمر وخليج عدن اللذين ظلا طوال التاريخ الجيولوجي يمثلان للمنطقة مسرحاً للعمليات التكتونية والزلازل ، وحركات إلتوائيه وتصدعات انكسارية وفجوات بركانية تنبعث منها غازات مصحوبة برواسب كبريتية وبخار الماء الساخن. (٤)

وقد انعكس ذلك على شكل سطح الأرض وتنوع مظاهره وتباين معدلات ارتفاعه حيث تحتوي على الأودية العميقة التي تأثرت بحركات تكتونية عنيفة لقشرة الأرض نجم عنها انكسارات وعيوب، وصاحبها العديد من الأخاديد والجبال الإنسكارية ، والمنخفضات الواسعة والقمم الجبلية العالية متباينة الارتفاعات والاتجاهات . حتى أصبحت المحافظة تقع بين (٢٠٠٠ – ١١٠٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر الخارطة (٢) في حين تقدر معدلات انحدار سطحها بين (١٠ – ٧٠%) في كل من المنخفضات (القيعان) العليا والمنحدرات الغربية على الترتيب.(٥)

ويمكن تقسيم مظاهر سطح المحافظة إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: (٦)

١) مظاهر سطح المرتفعات الشرقية :

وتمتد طولياً بين كتله ظفار/ شعيب ومنطقة الجبال العالية التي تفصل بين منخفض ذمار معبر شمالاً . ويتميز هذا القسم بوجود المنخفضات البنائية الصغيرة والمخروطات الجبلية البركانية والرمادية منها جبل اللسي، جبل إسبيل وغيرهما.

٢) مظاهر سطح المنخفضات(القيعان) الوسطى :

يمثل هذا القسم معظم مساحة المحافظة الذي يمتد من أقصى جنوب المحافظة حتى شمالها بمعدل طول يقدر بنحو (٧٠) كم ومعدل عرض (٢٠) كم ومن أهم هذه المنخفضات

(القيعان) قاع (جهران ، بكيل ، مرج ، ذمار ، شرعة ، يفع، يلسان) إضافة إلى وجود بعض الهضاب الصغيرة مثل هضبة رصابه وهضبة الدرب)

٣) مظاهر سطح المرتفعات الغربية :

يمتد هذا الإقليم من أقصى الجنوب الغربي حتى الشمال الغربي للمحافظة في شكله المستطيل وسفوحه الجبلية شديدة الانحدار وأوديته العميقة ويقدر ارتفاعه بين (٦٠٠ – ٢٤٠٠)م فوق مستوى سطح البحر ويتخلله بعض النتوءات الجبلية شديدة الانحدار والهضاب الصغيرة، وتعد هذه المعالم التضاريسية منابع لبعض الأودية السيلية الغربية منها وادي سهام ووادي رماع ووادي زبيد وغيرها من الأودية التي تصب في البحر الأحمر .

الخارطة (٢) المتوسط السنوي لدرجة الحرارة لمحافظة ذمار

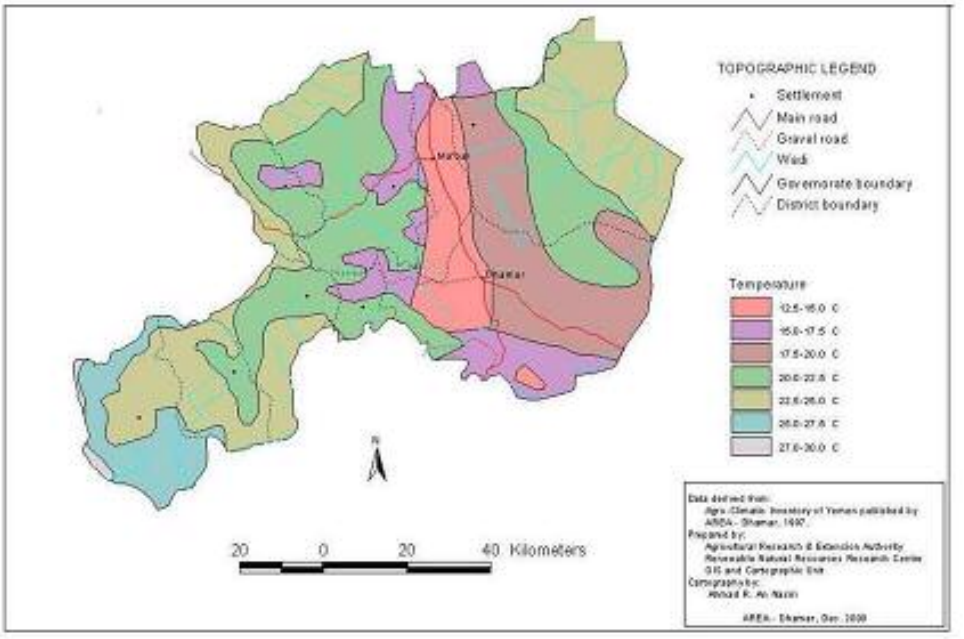

المصدر : مركز بحوث الموارد الطبيعية المتجددة ، وحدة نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد ، الهيئة العامة للبحوث والارشاد الزراعي ، ذمار

ثالثاً: المناخ والموارد المائية :

١. المنـــــــاخ:

يقصد بالمناخ بأنه متوسطات حالة الجو من حيث الحرارة والضغط الجوي والريـــاح والرطوبة النسبية والأمطار .

ودراسة حالة المناخ ومعرفة أهم خصائصه يعـد ذا أهميـــة كبيـــرة فـــي المناشـــط الاقتصادية والخطط التنموية. ومناخ محافظة ذمار بدون شك قد تأثر بعوامل جغرافية كثيـــرة ومن أبرزها موقعها الجغرافي ومظاهر سطحها الذي سبق الإشارة إليهما.

ولذلك فإن المؤشرات المناخية العامة لمحافظة ذمار هي الأخرى لها خصوصية وذلـــك مـــن خلال المؤشرات الآتية:

أ- الحـــــرارة :

تعد درجات الحرارة أكثر عناصر المناخ تأثيراً في المناشط البشرية وتنوعها ، فضلاً عن دورها في توزيع المستقرات السكانية، وتباين الموارد الطبيعية وغيرها.

ولذلك فإن معدلات درجات الحرارة العامة الشهرية والفصلية والسنوية لمحافظة ذمار تتميـــز بالاعتدال ويندر فيها التطرفات المناخية سواء في معدلات درجات الحرارة او غيرهـــا مـــن عناصر المناخ، إذ تشير بيانات الجدول (١) والخارطة (٣)أن درجات الحرارة الشهرية تقـــع بين (٢-٢٦)م وبمعدل عام (١٢) م لشهر يناير كحد أدنى، في حين تزداد هذه المعدلات في شهر يونيو لتقع بين (٩-٣١) م وبمعدل عام يقدر بنحو (٢٠) م أما المعدلات الفـــصلية فإنها تقع بين (٢-٢٥) م وبمعدل عام يقدر بنحو (١٣,٥) م لفصل الشتاء، في حين تـــزداد هذه المعدلات قليلاً في فصل الصيف لتقع بين (٧,٢-٢٩)م وبمعدل عام يقدر بنحـــو(١٩,٥)م.

أما المعدلات السنوية فإنها تقع بين (٥,٣-٢٦,٦) م وبمعدل عام يقدر بنحو (١٦) م.

ويستنتج من هذه المؤشرات أن معدلات درجات الحرارة تعد معدلات معتدلة ومريحة للتركيب الفسيولوجي للإنسان والبيئة الإيكولوجية سواء كانت نباتية أم حيوانية وغيرها فـــي جميـــع فصول السنة .

الجدول (١) معدلات درجات الحرارة ومداها (الشهرية) لمحافظة ذمار لمتوسط الأعوام ١٩٩٤-٢٠٠٤م

الشهر	عظمى	صغرى	المدى	المتوسط الشهري
١	٢٦	-٢	٢٤	١٢
٢	٢٨	٤	٢٤	١٦
٣	٢٩	٥	٢٤	١٧
٤	٢٨	٦	٢٢	١٧
٥	٢٩	٩	٢٠	١٩
٦	٣١	٩	٢٢	٢٠
٧	٢٩	١٠	١٩	١٩,٥
٨	٢٩	٩	٢٠	١٩
٩	٢٨	٧	٢١	١٧,٥
١٠	٢٦,٥	٤	٢٢	١٥
١١	٢٥,٥	٤	٢١	١٤,٥
١٢	٢٣	١	٢٢	١٢
المعدل السنوي	٢٦,٦	٥,٣	٢١,٦	١٦

المصدر : الجدول من عمل الباحث اعتماداً على الهيئة العامة للأرصاد ، بيانات غير منشورة للأعوام ١٩٩٤-٢٠٠٤م

ب - الرطوبة النسبية وسرعة الرياح :

تعد الرطوبة النسبية والرياح ضمن عناصر المناخ وهما اللتان يعكسان حالة الوضع المناخي لأي منطقة جغرافية.

وفيما يخص محافظة ذمار فإن الموقع الجغرافي وبعدها عن المسطحات المائية البحرية (في الغرب والجنوب) وقربها من الهضاب الشرقية والربع الخالي (المتميزة بالمناخ

القاري)، فقد أثرت هذه العوامل إلى حد كبير في انخفاض معدلات الرطوبة النسبية وفي سرعة الرياح سواء في معدلاتها الشهرية أو السنوية وغيرها .

إذ يتضح من بيانات الجدول (٢) الذي يشير إلى أن الرطوبة النسبية تتسم بإنخفاضها النسبي حيث تقع معدلات الرطوبة النسبية السنوية بين (٢٨-٤٨ %) فيما تنخفض معدلات الرطوبة النسبية في معظم الأشهر شبه الجافة (يناير، فبراير، مايو، سبتمبر، أكتوبر، ديسمبر) لتقع بين (٢٨-٣٨ %) في حين ترتفع معدلات الرطوبة النسبية لمعظم الأشهر الممطرة (مارس ، أبريل، يوليو، أغسطس) حيث تقع بين (٤٠-٤٨ %).

أما الرياح وسرعتها فإنها هي الأخرى قد تأثرت بموقع المحافظة الجغرافي ومظاهر سطحها، إذ تشير بيانات الجدول (٢) إلى أن معظم الأشهر الجافة تهب عليها الرياح الشمالية الشرقية نظراً لقربها من الإقليم الصحراوي المتمثل بالربع الخالي والهضاب الشرقية فضلاً عن محدودية فاعلية المرتفعات الشرقية . ولذلك ترتفع سرعة الرياح الشمالية الشرقية في فصل الشتاء ، حيث يقع سرعتها ما بين (٧,١-٩,١) عقده/يوم نتيجة لتأثير الضغط الجوي المرتفع في وسط آسيا حتى شمال الجزيرة العربية ، في حين تتراجع سرعتها في فصل الربيع ليقع ما بين نحو (٥,٧-٧,٣) عقدة/يوم أما في فصل الصيف فإنها تتغير في اتجاهاتها وسرعتها نتيجة للمنخفضات الجوية الموسمية الواقعة تحت تأثير الضغط الجوي المرتفع شمال المحيط الهندي وجنوب المحيط الأطلسي، حيث تسود الرياح الجنوبية الغربية المحملة (غالباً) ببخار الماء وتصل سرعتها ما بين(٦,٥-٧,٥) عقدة/ يوم .

جدول (٢) المتوسطات الشهرية للرطوبة النسبية (%) وسرعة الرياح (عقدة)

لمحافظة ذمار لمتوسط المدة ١٩٩٤-٢٠٠٤م

الشهر	الرطوبة النسبية (%)	سرعة الرياح (عقدة)	اتجاهها
١	٢٩	٧,١	W
٢	٣٦	٦,٤	SW
٣	٤٠-	٦,٢	SE
٤	٤٤	٥,٧	E
٥	٢٩	٥,٧	E
٦	٣٠	٦,٨	SE
٧	٤٢	٦,٧	W

٨	٤٨	٧,١	NW
٩	٣٥	٧,٣	SE
١٠	٣٤	٩,٢	E
١١	٣٥	٩,١	E
١٢	٢٨	٨,٩	SE

الجدول من عمل الباحث اعتماداً على الهيئة العامة للأرصاد الجوية ،بيانات غير منشورة للأعوام ١٩٩٤/٢٠٠٤م

ج –الأمطار والموارد المائية :

تعد مياه الأمطار من أبرز الموارد المائية في محافظة ذمار ، وفيها ارتبطت حياة الإنسان واستقراره، وتعدد مناشطه، إلا أن موقع المحافظة الجغرافي وتباين مظاهر سطحها قد أثر في توزيع مواردها المائية ولهذا تفتقر المحافظة إلى الأنهار الدائمة والبحيرات العذبة، ويرتبط وجود المياه السطحية وديمومتها بكميات هطول الأمطار الموسمية ولذلك تتعدد الأحواض والأودية شبه الجافة وبخاصة في المنخفضات العليا والأودية الشرقية في حين توجد بعض العيون (الغيول) المائية العذبة والكبريتية (الدافئة)على الأودية والسفوح الشمالية الغربية التي تقع في مواجهة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية وبخاصة في فصلي الصيف و الخريف، فيما تتميز المنخفضات العليا (القيعان) بوفرة مياهها التي في معظمها تكونت عل شكل أحواض جوفية عذبة صالحة لكل الاستعمالات البشرية والزراعية، ويتضح من بيانات الخارطة (٣) أن المعالم التضاريسية قد أثرت إلى حد كبير في توزيع معدلات الأمطار السنوية التي تقع على شكل جزر مطرية إذ تراوحت كمية الأمطار في القيعان العليا (ذمار، جهران، الحقل) والمرتفعات الغربية (وصاب السافل والعالي) بين (٢٠٠–٧٠٠) ملم.

في حين تزداد هذه المعدلات على قمم المرتفعات الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية (الحداء، ومغرب عنس) وتقع بين (٦٠٠–١٢٠٠)ملم، أما معدلات أمطار العام السنوية فإنها تقع بين (٤٠٠–٦٠٠)ملم.

الخارطة (٣) النطاقات المناخية لتوزيع الامطار في محافظة ذمار

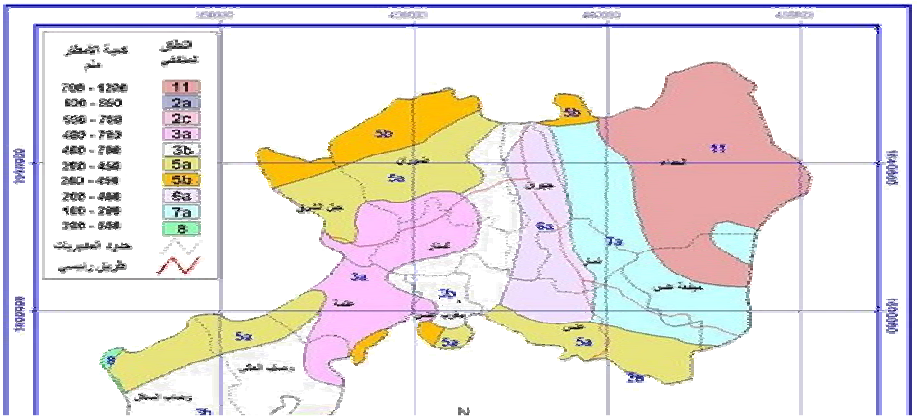

رابعاً: التربة والنباتات الطبيعية

من المعلوم أن التربة والنباتات الطبيعية يعدان ضمن الموارد الطبيعية المهمة في المناشط البشرية وفي طليعتها المناشط الزراعية والتوطن الريفي .

ولذلك تعد محافظة ذمار ضمن المحافظات الزراعية الرئيسية في اليمن وذلك لما تتمتع به من خصوبة التربة وتعدد أنواعها وتباين سمكها نتيجة لتعدد العوامل الجغرافية الجيولوجية والجيمورفولوجية والمناخية، فضلاً عن العوامل الحيوية ولهذا تشير بعض الدراسات إلى تباين توزيع الترب في محافظة ذمار بحسب أقاليمها الجغرافية الرئيسية وهي كالآتي: (٧)

١. ترب المنخفضات (القيعان) ونباتاتها الطبيعية :

حيث يسود معظم ترب هذا الإقليم تربة اللويس الناتجة عن النقل المائي وترسيب الرياح اليومية ، وتتميز بعمقها الكبير واحتواء معظمها على الكربونات العضوية التي تكونت في الزمن الثالث والرابع ، يتميز معظمها باللون البني المائل للسواد.

ولذلك يسود هذا الإقليم الاستعمالات الزراعية على حساب أراضي النباتات الطبيعية وأراضي المراعي، مع وجود بعض المناطق الصلبة الصخرية وسفوح التلال الجبلية الصخرية التي لا تزال تحتوي على الحشائش والشجيرات الشوكية والأشجار المحمية .

٢. ترب المدرجات ونباتاتها الطبيعية :

وهي عبارة عن ترب بركانية متطورة نوعاً ما تكونت على أعماق محدودة تقع بين (١٠-٢٠) سم ويصنف هذا النوع ضمن ترب المراوح الجبلية ومنحدراتها وهي ترب تتألف معظمها من الصخور البركانية التلالية و صخور القاعدية وبدرجة أقل من صخور الحجر الجيري الكلسي أو الرملي.

ويتميز هذا الإقليم بظروف مناخية معتدلة ، فالحرارة معتدلة طوال أيام السنة وأمطار تكون بين (٣٠٠-٥٠٠)ملم، وفي هذا الإقليم تنتشر الحشائش وأشجار الطلح و السمر والشجيرات اللينة وأشجار السدر.

٣. ترب الأودية ونباتاتها الطبيعية:

وهي عبارة عن ترب ناتجة عن ترسيبات مائية متباينة القوام حيث تتدرج من الخشونة إلى النعومة ومعظمها تحتوي على مواد طينية وأحجار إضافة إلى ترب المرتفعات

البركانية ، وتتميز قيعان الأودية بارتفاعات درجات الحرارة وقلة الأمطار إلا أنها تعتمد علـــى تدفق السيول الموسمية ومياه الغيول وتنتشر فيها الاحراج النباتيـــة والحـــشائش وأشـــجار السمر وأشجار السدر و الطنب و الصبار وغيرها.

ثانياً: الخصـــائص الجغـــرافية البشريـــة

المقـــــدمـــة :

تنطلق الدراسات السكانية من رؤية شاملة تأخذ فـــي الاعتبـــار نـــسيج العلاقـــات المتبادلة بين السكان والمعطيات الطبيعية من جهة وغايات التنمية المستدامة من جهة أخرى، جميعها مرتبطة في حاضر الأوضاع الديمغرافية واستشراق بمجددات اقتصادية و اجتماعيـــة وتاريخية وثقافية وغيرها.

وهدفت هذه الورقة إلى تسليط الضوء على تطور النمو الـــسكاني وتركيبـــه العمـــري والنوعي والتعليمي فضلاً عن توزيعه الجغرافي، وذلك من خلال المؤشرات الإحصائية الآتية:

أولاً : حجم السكان وتطوره للأعوام ١٩٧٥-٢٠٠٤م

من المعلوم أن البطء الشديد للنمو السكاني في محافظة ذمار هو نتيجة لارتفـــاع معـــدلات الوفيات وتدني مستوى الدخل ، والانخفاض الكبير في المستوى التعليمي والثقـــافي، ونـــدرة توافر الخدمات الصحية والبنى الأساسية التي عاشتها المحافظة حتى مطلع ســـتينات القـــرن العشرين، إلا أنه بعد قيام ثورة ١٩٦٢/٩/٢٦م واستقرار النظام الجمهوري حيث أقيمت فـــي المحافظة العديد من المنشآت الخدمية الصحية منها والتعليمية والبنى التحتية، وبلغـــت أوج تطورها بعد إعادة الوحدة المباركة ١٩٩٠/٥/٢٢م، هذا الأمر أدى إلى ارتفاع معدل النمـــو السكاني العام، وذلك من خلال ارتفاع معدلات الخصوبة وتدني معـــدلات الوفيـــات، وزيـــادة الوعي الثقافي والإقبال العالي على التعليم وتراجع معدلات الأمية وغير ذلك.

إذ تشير الإحصاءات السكانية إلى أن معدلات العمر المتوقع ارتفع من نحـــو (٤٠-٦٠) عام، وتراجع معدلات الوفيات العامة من نحو (٢٢-١٥,٥) في الألف، وبلغت معـــدلات الخصوبة العامة من نحو (٥-٦,٢) مولود لكل امرأة في ســـن الحمـــل (١٥-٤٠) ســـنة، وازدادت أعداد الوحدات الصحية من نحو (٥٢-٢١٥) وحـــدة صـــحية للأعـــوام ١٩٧٥-٢٠٠٤م على الترتيب [٨] ولـــذلك تطـــور حجـــم النمـــو الـــسكاني مـــن نحـــو (٤٥٥١٣٢-١٣٣٩٢٢٩) نسمة وبمعدل نمو سنوي قدر بنحو (٣,٣%) للأعوام المذكورة على الترتيـــب. [٩] ولذلك أصبحت محافظة ذمار تحتل المرتبة الخامسة عشرة من إجمـــالي محافظـــة الـــبلاد

الواحد والعشرين وبنسبة (٦,٨%) من إجمالي سكان الجمهورية، منهم نحو (٨٦%) يقطنون الريف ونحو (١٤%) حضريون للعام ٢٠٠٤م. (١٠)

إلا أن النمو السكاني تباين بين مديريات المحافظة (ألاثنتي عشرة مديرية) إذ تشير بيانات الجدول (٣) إلى أن معدلات النمو السنوي يقع بين (١,٨-٥,٩%) إذ تحتل مديرية (مدينة ذمار وجهران والحداء وجبل الشرق ومغرب عنس والمنار) نسبة تقع ما بين (٣,٥-٥,٩%) وفي حين تحتل بقية المديريات نسبة تقع بين (٣,٣-١,٨%)، ويعزى هذا التباين في معدلات النمو السنوي بين المديريات إلى تباين توفر الخدمات الصحية والتعليمية والتثقيفية وفرص العمل وغيرها فيما بين المديريات على حد سواء. .

جدول (٣) معدل النمو السنوي لسكان محافظة ذمار (%)بحسب مديرياتها للأعوام ١٩٩٤-٢٠٠٤م

المديرية	عدد السكان		معدل النمو السنوي (%)
	١٩٩٤م	٢٠٠٤م	
الحداء	٩٩,٩٥٢	١٣٤,٧٩٩	٣,٧
جهران	٥١,٧٣٢	٨٧,٧٤٦	٥,٣
جبل الشرق	٤٨,١٩٩	٦٢,١٤٨	٣,٦
مغرب عنس	٤٢,٩٣٤	٥٣,٤٦٤	٣,٥
عتمة	١,٢٢٠,٠٠٨	١٤٥,١٨٢	١,٨
وصاب العالي	١٣٢,٧٦٦	١٦٢,٨٦٤	٢,١
وصاب السافل	١١٩,٩٦٤	١٤٨,٧٦٢	٢,٢
مدينة ذمار	١٠٢,٨٩٠	١٨٢,٥١٦	٥,٩
ميفعة عنس	٢٩٩,٧٥	٤١,٣٣١	٣,٣
عنس	٩٠٦,٤٤	١٢٠,٤٦٨	٢,٩
ضوران	٩٨٨,٧٢	١٢٢,٢٢٠	٣,١
المنار	٣٤٨,٧٨	٩٤,٢٧٥	٣,٥
الإجمالي	٩٨١,٦٧٤	١,٣٣٩,٢٢٩	٣,٣

المصدر : الجهاز المركزي للإحصاء النتائج النهائية لتعداد عامي ١٩٩٤-٢٠٠٤م

ثانياً : التركيب العمري والنوعي للسكان

يقصد بالتركيب العمري والنوعي للسكان بأنة تصنيف السكان إلى ذكور وإناث، وكذلك إلى فئاتهم العمرية، يمكن من خلالها معرفة ما يمتلكه الإقليم الجغرافي من موارد بشرية فضلاً عن أهميتها في وضع الخطط والمشاريع التنموية وغيرها، وفيما يخص التركيب العمري والنوعي والواقع الديمغرافي لمحافظة ذمار فإنها تصنف على النحو الآتي :

١. التركيب العمري :

يمكن تصنيف التركيب العمري لسكان محافظة ذمار إلى ثلاث فئات عمرية رئيسية هي فئة صغار السن (١٤ سنة فأقل)، وفئة الشباب (١٥-٦٤ سنة)
وفئة كبار السن (٦٥ سنة فأكثر). إذ تشير بيانات الجدول (٤) إلى أن الفئة العمرية الصغيرة لا تزال تحتل النصيب الأوفر لإجمالي التركيب السكاني على الرغم من انخفاض الفئة المذكورة للعام ٢٠٠٤م، حيث بلغت نحو (٤٨,٢%) في حين كانت نحو (٥٢,١%) عام ١٩٩٤م، وكذلك زادت نسبة الفئة العمرية الشابة والكبيرة من نحو (٤٣,٢ و ٤,٢ %) إلى نحو (٤٧,١ و ٤,٧ %) للعامين ١٩٩٤و ٢٠٠٤م على الترتيب .
ويعزى ذلك إلى التحسن الكبير في المستويات الصحية والثقافية والتعليمية وغيرها بوجه عام التي شهدتها المحافظة منذ مطلع ثمانينات القرن العشرين.

جدول (٤) تصنيف الفئة العمرية لسكان محافظة ذمار (%) للأعوام ١٩٩٤و٢٠٠٤م

الفئة العمرية	العام	
	١٩٩٤م	٢٠٠٤م
١٤ سنة فأقل	٥٢,١	٤٨,٢
١٥-٦٤ سنة	٤٣,٢	٤٧,١
٦٥ سنة فأكثر	٤,٢	٤,٧

الجدول من أعمال الباحث اعتماداً على الجهاز المركزي للإحصاء النتائج النهائية لتعدادي ١٩٩٤م، ٢٠٠م

٢. التركيب النوعي للسكان

يقصد بالتركيب النوعي للسكان بأنة تقسيم السكان إلى ذكور وإناث، وهـذه المؤشـرات السكانية ترتبط بالمعطيات البيئية والعادات والتقاليد الاجتماعية وكذلك المـستويات الثقافيـة والتعليمية.

وفيما يخص التركيب النوعي لسكان محافظة ذمار فإن بيانات الجـدول (٥) تـشير إلـى أن معدل نسبة الذكور العام قدر بنحو (٩٨%) ذكر لكل (١٠٠) أنثى لعام ٢٠٠٤م.

في حين تتباين التركيب النوعي للسكان بين مديريات المحافظة، إذ يتضح أن هنالك مـديريات ومدن جاذبة وأخرى طاردة ومديريات متوازنة، حيث تتميز مديرية مدينة ذمـار ومـديريات (جهران و ميفعة عنس و عنس وضوران والمنار ومغرب عنس والحداء) بارتفـاع نـسبة الذكور إلى نسبة الإناث حيث بلغ نسبة الذكور في تلك المديريات ما بين (١٠٢-١٠٩) ذكـراً لكل (١٠٠) أنثى.

في حين تقع مديريات (وصاب العالي والسافل وعتمة وجبل الشرق) ضمن المـديريات الطاردة للذكور حيث تقع نسبة الذكور ما بين (٨٦-٩٩) ذكراً لكل أنثى.

ويعزى ذلك إلى التطور النسبي في البنى التحتية والخدمات التعليميـة والطبيـة وتكنولوجيـا استخدامات الأراضي الزراعية في المديريات الجاذبة ومحدوديـة تنميـة المـوارد الأرضـية والخدمية في المديريات الطاردة.

جدول (٥) عدد سكان مديريات المحافظة بحسب النوع (ذكور وإناث)لعام ٢٠٠٤م

المديرية	النوع		الذكور إلى الإناث (%)
	ذكور	إناث	
الحداء	٧٢,٧١٥	٧١,٠٨٤	١٠٢
جهران	٤٥,١٣٨	٤١,٩٠٨	١٠٨
جبل الشرق	٣٠,٩٧٢	٣١,٢١٢	٩٩
مغرب عنس	٢٧,٠٦٨	٢٦,٣٦٩	١٠٢
عتمة	٦,٦١٠	٧٧,٥٧٢	٨٧
وصاب العالي	٦٩,٠١٢	٧٩,٧٥٠	٨٦

وصاب السافل	٧٥,٥٥٧	٨٧,٣٠٧	٨٦
مدينة ذمار	٩٥,١٩١	٨٧,٣٢٥	١٠٩
ميفعة عنس	٣١,٤٢٧	٣٠,٠١٧	١٠٤
عنس	٦٠,٧٦٣	٥٩,٧٠٥	١٠٢
ضوران	٦٢,١٢٢	٦٠,٠٩٨	١٠٣
المنار	٢٤,٨٦٧	٢٤,٤٠٨	١٠٢
الإجمالي	٦٦٢,٤٤٤	٦٧٦,٧٨٥	٩٨

المصدر : الجدول من عمل الباحث اعتماداً على الجهاز المركزي للإحصاء، النتائج النهائية لتعداد ٢٠٠٤م

ثالثاً : التوزيع الجغرافي للسكان ومعدلات الكثافة العامة بحسب المديريات :

من البديهي أن للعوامل الطبيعية (تضاري، مناخ، موارد مائية) دور كبير في التوزيع الجغرافي لسكان المحافظة وكثافاتهم العامة.

لا سيما أن معظم سكان المحافظة يقطنوا الريف ويتوزعون على نحو ستة مراكز حضرية رئيسية أكبرها عاصمة المحافظة (مدينة ذمار) ويتضح ذلك من بيانات الجدول (٦) الذي يشير إلى أن إجمالي السكان بلغ نحو (١,٣٣٩,٢٢٩) نسمة يتوزعون على إجمالي مساحة المحافظة المقدرة بنحو (٧,٥٨٨) كم٢ بمعدل كثافة عامة بلغت نحو (١٧٦,٤ نسمة/كم٢) لعام ٢٠٠٤م.

كذلك يشير الجدول المذكور إلى تباين الكثافة العامة للمديريات والمدن الرئيسية، إذ تتميز المديريات الزراعية والمراكز الحضرية بارتفاع كثافاتها السكانية العالية، منها مدينة ذمار عاصمة المحافظة ومديريات(وصاب العالي و عتمه و جهران و مغرب عنس و وصاب السافل) الذي تقع معدلات كثافتها العامة ما بين (١٧٨-٧٧٠) نسمة / كم٢ في حين تقع مديريات (الحدء ، المنار، عنس، جبل الشرق ، ضوران) بمعدل (٨٨-١٤١) نسمة/كم٢ لعام ٢٠٠٤م.

جدول (٦) عدد السكان والمساحة (كم٢) والكثافة السكانية نسمة / كـم٢ بحـسب مـديريات المحافظة للعام ٢٠٠٤م

المديرية	حجم السكان (نسمة)	المساحة (كم٢)	الكثافة السكانية (نسمة / كم٢)
الحداء	١٤٣,٧٩٩	١,٦٢٧	٨٨
جهران	٨٧,٠٤٦	٣٦٥	٢٣٩
جبل الشرق	٦٢,١٨٤	٤٤١	١٤١
مغرب عنس	٥٣,٤٦٤	٢٤٧	٢١٧
عتمة	١٥٤,١٨٢	٤٤٩	٣٢٣
وصاب العالي	١٤٨,٧٦٤	٥٩٢	٧٢٥
وصاب السافل	١٦٢,٨٦٤	٨٣٤	١٧٨
مدينة ذمار	١٨٢,٥١٦	٢٣٧	٧٧٠
ميفعة عنس	٦١,٤٤٤	٢١٧	١٠٠
عنس	١٢٠,٤٦٨	٨١٥	١٤٨
ضوران	١٢٢,٢٢٠	١,٠٠٨	١٢١
المنار	٤٩,٢٧٥	٣٢٦	١٣٨
الإجمالي	١,٣٣٩,٢٢٩	٧,٥٨٨	١٧٦,٤

المصدر : الجدول من عمل الباحث اعتماداً على الجهاز المركزي للإحصاء، محافظة ذمار ، النتـائج النهائية لتعداد ٢٠٠٤م

ثالثاً : الخصائص الجغرافية الاقتصادية

المقـــدمـــة :

من المعلون أن المناشط الاقتصادية في اليمن ومنها محافظة ذمار مـــا هـــي إلا نتـــاج للمعطيات الطبيعية المتاحة وبخاصة المظاهر التضاريسية والموارد المائية المطريـــة منهـــا والجوفية، ويمكن إيجاز أهم الخصائص الاقتصادية في العناصر الآتية :

١. النشاط الزراعي :

تتميز محافظة ذمار بأنها تحتل المركز الرابع بين محافظات الجمهورية من حيث إنتـــاج المحاصيل الزراعية الرئيسية، حيث قدر نسبة إنتاجها الزراعي بنحو (٦%) من إجمالي إنتاج الجمهورية لعام ٢٠٠٦م. [١١] على الرغم من محدودية مساحتها الصالحة للزراعة التي تقدر بنحو (١٠٦,٥) ألف هكتار ، منها نحو (٥٦,٥) ألف هكتار أراضي زراعية تعتمد على ميـــاه الأمطار ونحو (٥٠) ألف هكتار تعتمد على مياه الأروي السيلية والجوفية وغيرهـــا، بـــل أن المنتجات الزراعية للمحافظة أصبحت تحتل مركزاً مهماً من حيث الكم والنوع ، حيـــث قـــدر إجمالي محاصيل الخضار والحبوب والفواكه بنحو (١٣٧، ٨٢، ٢٠) ألـــف طـــن وبنـــسبة (١٥%، ١٠%، ٢٠%) من إجمالي إنتـــاج الـــبلاد لكـــل محـــصول علـــى الترتيـــب للعـــام ٢٠٠٦م.[١٢]

ويعد محصول البطاطه من أجود محاصيل الخضار وأهمها إذ تنتج محافظة ذمار نحـــو (٣٠%) من إجمالي إنتاج البلاد لمتوسط المدة ١٩٩٦ – ٢٠٠٦م،[١٣] كذلك يعـــد الرعـــي وتربية الحيوانات ضمن المناشط الزراعية الرئيسية لسكان المحافظـــة وإحـــدى مقوماتهـــا الاقتصادية بعد الزراعة، حيث تشير الإحصاءات إلى أن معدل نـــسبة إنتـــاج المحافظـــة مـــن الإنتاج الحيواني قدر بنحو (٤,٥%) من إجمالي الإنتاج الحيـــواني فـــي الجمهوريـــة للعـــام ٢٠٠٦م.[١٤]

ومن أهم الحيوانات في المحافظة (الضان ، الماعز ، الأبقار ، الإبل) فضلاً عن تربيـــة الدواجن وغيرها التي تساعد على تلبية الاحتياجات الاستهلاكية لسكان المحافظة من اللحـــوم والألبان وغيرها، بل أن الإحصاءات السكانية تشير إلى أن المناشط الزراعية والرعوية تحتل

المرتبة الأولى لسكان المحافظة حيث تشغل نحو (٦٥%) من إجمالي الأيدي العاملة (١٠ سنوات فأكثر) للعام ٢٠٠٤م. [١٥]

٢. الصناعة والتعدين :

على الرغم من أن الدراسات الأولية الجيولوجية منها والمعدنية تشير إلى تواجد الخامات المعدنية والزراعية إلا أن استثمارها لا يزال تقليدي، حيث تشغل نحو (٢,١ %) من إجمالي القوى العاملة التي تشكل نحو (٢٦%) من إجمالي سكان المحافظة لعام ٢٠٠٤م .[١٦]ومن أهم مناشط المحافظة في مجال الصناعة والتعدين الأولية الآتي: مقاطع أحجار البناء واستخراج خامات الاسمنت وصناعة الحلي والمجوهرات والأحجار الكريمة والخزف والصناعات الفخارية فضلاً عن وجود بعض الصناعات التحويلية منها صناعات الإسفنج والصناعات الغذائية وغيرها إلا أن محافظة ذمار تتمتع بخصائص جغرافية كثيرة تجعها جاذبة لقيام الصناعات الاستخراجية والأولية وفي طليعتها المعدنية والزراعية وغيرها.

٣. النقل والخدمات :

سبق الإشارة إلى المعطيات الجغرافية الطبيعية منها والبشرية ، التي جعلت من محافظة ذمار تتمتع بخصوصية تميزها عن غيرها من محافظات الجمهورية ومنها الآتي :

١- طرق النقل البرية

بالرغم من تباين المعطيات التضاريسية للمحافظة إلا أنها أصبحت تمتلك شبكة طرق برية جيدة تصل مدنها بأريافها وبين مديرياتها وعاصمتها (مدينة ذمار) من جهة وبين محافظات الجمهورية من جهة أخرى ، حيث بلغت إجمالي أطول الطرق البرية في المحافظة نحو (١٣٠٠) كم منها نحو (٤٠٠) كم طرق إسفلتية، ونحو (٩٠٠) كم طرق خصوبة لعام ٢٠٠٥م، [١٧] فضلاً عن وجود مشاريع قيد التنفيذ لسفلتت معظم الطرق التي تربط المحافظة وعاصمتها مع بقية عواصم المديريات وصولاً إلى المحافظات المجاورة لها وأهمها طريق ذمار الحسينية وصولاً بمحافظة الحديدة فضلاً عن الطرق الرئيسية ذمار صنعاء تعز وطريق ذمار البيضاء عدن .

٢- الخدمات السياحية و التعليمية:

تمتاز محافظة ذمار بتعدد معطياتها الخدمية لتحقيق أهداف التنمية ومن أبرزها

أ. الخدمات السياحية :

تتميز محافظة ذمار بمعمقها التاريخي والحضاري وتباين مظاهر سطحها واعتدال مناخها الدائم، هذا الأمر أدى إلى تعدد المعطيات السياحية الطبيعية منها والبشرية ، إذ تنتشر فيها عشرات المواقع السياحية والترفيهية ومن أهمها الينابيع المعدنية والكبريتية التي تحتوي على المركبات المعدنية والكبريتية التي تساعد على الاستشفاء من الأمراض الجلدية والروماتيزية وتنشيط الدورة الدموية ومن أهمها حمام (علي ، اللسي ، القفر ، السيله...الخ) كذلك تنتشر في المحافظة القصور والقلاع والأنفاق الأثرية التي يعود معظمها إلى عصور الدولة السبئية، ومنها حصن مارية ، حصن هران ونفق بينون، وفيها المعالم الأثرية والحضارية التي يعود بنائها إلى عهد الحضارة الإسلامية ومنها الجامع الكبير والمدرسة الشمسية وغيرها كذلك تشتهر محافظة ذمار بخدماتها السياحية بخاصة خدمات الطعام والإيواء حيث تنتشر على طرقاتها الرئيسية وفي مدنها المطاعم والفنادق السياحية وبخاصة في حاضرتها مدينة ذمار.

ب- الخدمات التعليمية :

يشكل التعليم والثقافة أهم منجزات الثورة والوحدة المباركتين حيث بلغ إجمالي عدد مدارس التعليم العام نحو (١١٥٠) مدرسة يعمل بها نحو (١٢,٠٠٠) ألف مدرس ومدرسة ، تحتوي على نحو (٢٠٨)ألف طالب وطالبة ، يشكل نسبة الذكور بنحو (٧٠%) والإناث بنحو (٣٠%) لعام ٢٠٠٤م.

أما التعليم العالي فإن جامعة ذمار تعد صرحاً أكاديمياً متميزاً ، حيث تحتوي نحو اثنتي عشرة كلية ومعهد تضم العديد من التخصصات العلمية ، وتحتضن نحو (١٤,٠٠٠) ألف طالب وطالبة لعام ٢٠٠٧م. [١٨]

الخلاصـــــة:

ناقش هذا البحث المعطيات الجغرافية الطبيعية والبشرية بإيجاز غير مخل، وأبرز الخصوصية الجغرافية لموقع المحافظة ومعالم تضاريسها وعناصر مناخها وخصائصها السكانية والاقتصادية ، واتضح فيها التلقائية والتجانس في صفاتها الطبيعية والبشرية.

الهـــوامـــش

١. يعرف الموقع الجغرافي : بأنة موقع منطقة الدراسة الفلكي والمتمثل بين دوائر العرض وخطوط الطول . أما الموضع الجغرافي فإنه الرقعة الجغرافيـــة التـــي تـــشكلها منطقـــة الدراســـة ضـــمن الموقـــع الجغرافـــي وساعدت المعطيات الجغرافية الطبيعية في تطورها وتميزها عن غيرها.

٢. من حسابات الباحث

٣. الدليل السياحي لمحافظة ذمار، منشورات محافظة ذمار ٢٠٠٧م ص ٥

٤. الخرباش، صلاح، محمد إبراهيم الأبعاوي، جيولوجية اليمن، دار عبادي للطباعة والنشر، صـــنعاء ١٩٩٦،ط١ ص ١٠٠ – ١١٠

٥. عثمان، عبدالواحد ، المرتفعات الوسطى في اليمن ١٩٩٨، ص ١٠ – ٢٥

٦. اغاء، شاهير جمال، جغرافية اليمن الطبيعية (الشطر الشمالي) ، مكتبة الأثور، دمـــشق ١٩٨٣، ص ١٢٠ – ١٢٣

٧. ينظر :

- العماري، محمد حزام ، جغرافية الأمن الغذائي في الجمهوربة اليمنة ، دار عبادي للطباعة والنـــشر – صـــنعاء ٢٠٠٣ ص١٤٠
- الخليدي– عبدالولي، مسح الغطاء النباتي الطبيعي لمدينة الشرق، المجلة اليمنية للبحوث الزراعية، العـــدد (١) ٢٠٠٢م. ص ١٧٠.

٨. ينظر الجهاز المركزي للإحصاء، كتاب الإحصاء السنوي للأعوام ١٩٩٣ و ٢٠٠٤م.

٩. الجهاز المركزي للإحصاء ، كتاب الإحصاء السنوي للأعوام١٩٩٤–٢٠٠٤م.

١٠. الجهاز المركزي للإحصاء ، النتائج النهائية للتعداد السكاني للعام ٢٠٠٤م.

١١. كتاب الإحصاء الزراعي، وزارة الزراعية والري للعام ٢٠٠٦م، ص١–٤.

١٢. كتاب الإحصاء الزراعي، وزارة الزراعية والري للعام ٢٠٠٦م، ص٨.

١٣. كتاب الإحصاء الزراعي، وزارة الزراعية والري للعام ٢٠٠٦م، ص٩.

١٤. كتاب الإحصاء الزراعي، وزارة الزراعية والري للعام ٢٠٠٦م، ص٢١.

١٥. الجهاز المركزي للإحصاء، النتائج النهائية لتعداد ٢٠٠٤م.

١٦. محافظة ذمار – إدارة الإحصاء، كتاب السلطة المحلية ٢٠٠٦م (غير منشور)

١٧. كتاب الإحصاء السنوي للعام ٢٠٠٥م.

١٨. كتاب الإحصاء السنوي للعام ٢٠٠٥م .

ثقـــــافــة ذمـــــــار

المـــشهد الثقـــافي وأعلامـــه في مدينـــة ذمـــار

أ.د . صـبري مسلـم حمـــادي

القاضـــي إسماعيـــل بـــن علـــي الأكـــوع مؤرخـــاً

د . كـــريـــم زغـــير أسيـــــود

غـــزال المقدشـــية، قـــراءة في ســـيرة الـــشاعرة

د. وجـــدان عبدالإله الصائغ

المشهد الثقافي وأعلامه في مدينة ذمار

أ.د.صـــبري مسلـــم حمادي *

لا غرابة في أن تتميز مدينة ذمار بنشاطها الثقافي الملحـــوظ فهـــي حاضـــرة عريقـــة احتضنت عشرات الأعلام عبر تاريخها الضارب في أعماق الأرض اليمنية الطيبـــة ، وحـــين تأسست جامعة ذمار أواخر القرن الماضي ، تجذرت المؤسسات الثقافية وشهدت ازدهـــاراً لا يخفى .

ولأن هذا الكتاب يضيء مساحات تاريخية وجغرافية وآثاريـــة شاســـعة فـــإن حـــصة المشهد الثقافي منه محدودة ولذلك سنقتصر على أبرز الأسماء التي فرضت نفسها منذ بدايـــة القرن الماضي ، وإذا كنا قد أغفلنا أحدا فإن ثمة كتابا عن أعلام مدينة ذمـــار ألفـــه القاضـــي أحمد العنسي يسلط الضوء فيه على أسماء كثيرة وقبل ذلك نذكر الموســـوعة اليمنيـــة التـــي أنجزها الأستاذ أحمد العفيف وهي تتضمن تراجم لا تحصى لأعلام ذمار ولسواهم مـــن أبنـــاء اليمن السعيد منذ عمق التاريخ وحتى الوقت الحاضر، ومن هنا فإن هذه الصفحات ستتـــضمن رؤى عن أحمد عبد الوهاب الوريث مؤسس مجلة الحكمة وزيد الموشكي الـــشاعر الـــشهيد وعبد الله البردوني الشاعر المتميز وإبراهيم الحضراني الشاعر المناضل و محمد عبد السلام منصور وإسماعيل الوريث وعباس الديلمي ومحمد الغربي عمران ولم نشأ هنا أن نقدم هؤلاء الأعلام تقديما تقليديا لاسيما أن الأسماء الأخيرة هي أسماء حاضرة الآن في المشهد الثقـــافي والأدبي اليمني الراهن ، بل آثرنا أن نضيء جانبا من إنجازهم الإبداعي الذي لم يعـــرف بـــه على نحو كاف مع النأي عن تفاصيل حياتهم التي ذكرها الدارسون وألحوا عليها فـــي بعـــض الإصدارات الحديثة .

---

* أستاذ اللغة العربية –رئيس قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة ذمار .

- **أحمد عبد الوهاب الوريث**

نبدأ بالتنويري والكاتب الصحفي أحمد عبد الوهاب الوريث الذي ولد في عام ١٩١٣ وتوفاه الله شابا عام ١٩٤٠ كان أشبه بالشهاب اللامع في أفق اليمن ولا سيما في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ اليمن الحديث

ويتفق الشاعران عبد الله البردوني وعبد العزيز المقالح على أن الجانب الذي أضاف فيه أحمد الوريث هو ليس الشعر . وفي هذا الشأن يقول الدكتور عبد العزيز المقالح : إن أحمد عبدالوهاب الوريث كان مشروع مفكر إسلامي كبير عميق الرؤى ، شأنه شأن جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي ومحمد رضا[١]. ولا يضيره بأيّ حال من الأحوال أن لا يكون مشروع شاعر وليس أدلّ على ذلك من شعره القليل الذي وصلنا والذي يصب في رغبة الوريث المخلصة والأثيرة في أن ينهض اليمن ويتجاوز واقعه آنذاك (في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين) . وكما هو شأن قصيدته المعروفة (حيّ تلك الربوع) وهي قصيدة لا تخرج عما درج عليه شعراء العشرينيات والثلاثينيات من النظم إذ يقول الوريث :

"حي تلك الربوع حي البلادا ... حي أنت الجحاجح الأمجادا
حي جيلا مهيئا للمعالي ... سوف يبني العلا ويمحو الفسادا
همم تأنف الهوان ونشء ... عامل للذي يزين . . البلادا
لا رعي الله من تعامى عن الحق ... ويبغي لشعبه . . الاضطهادا [٢]

ويعلق البردوني على هذا المقطع من دالية الوريث بقوله : " والقصيدة من هذا الطراز فيها الألفاظ المتباينة فبعد (حيّ تلك الربوع) بسهولتها تأتي لفظة (الجحاجح) في غير مكانها ، وبعد(لا رعى الله من تعامى عن الحق) يختم البيت بقافية ثقيلة ، وهي كلمة (الاضطهاد) مع أنها قافية ، وينبغي للقافية أن تكون موضع راحة ومستقراً يعذب عليه التنفس والوقوف الآني " . ويختم البردوني تعليقه على هذه الأبيات باستنتاجه المهمّ الذي يقول فيه : " إذن فالوريث العظيم مناضل كبير طغت فيه ناحية العلم والنضال على ناحية الشعر ، إلا أنه فاتحة مجيدة كما هو خاتمه جيّدة . وهو على كلّ حال اكبر من زمنه ، لأنه صاحب الخطوة الأولى ، والخطوة الأولى نصف الطريق ، إذا توالت على آثارها خطوات ". ويبدو أن اهتمام أحمد الوريث بمجالات أخرى صرفته عن الإبداع في مجال الشعر مع أن صلته بالشعر وثيقة ولها جذور تمتدّ إلى أبيه قاضي محكمة يريم الذي كان على مكانته في

الفقه – كما يورد البردوني – فإنه كان شاعراً مجيداً لا يعرف حقيقة شعره إلا أقل أقاربه ، وليس معروفاً سبب طيه شعره ومن المؤكد إن أحمد كان يروي شعر أبيه ويحاكيه في صباه.

ويؤكد الأديبان عبد العزيز المقالح وعبد الله البردّوني على الجانب المهمّ الذي تفوّق فيه أحمد الوريث وهو كتابة المقالة الحية المؤثرة في ذلك الزمن المبكر نسبياً في تاريخ اليمن الحديث وأعنى به تحديداً أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات بحيث إن الدكتور عبد العزيز المقالح يصف أحمد الوريث بأنه " أعظم تلامذة الكتاب الإسلاميين المستنيرين في العصر الحديث ، وكانت كتاباته وأفكاره جزءاً لا يتجزأ من الأفكار والآراء الإسلامية المستنيرة في عصره ". ويورد الدكتور عبد العزيز المقالح ثلاث حقائق مهمة وجوهرية ندب الوريث لها نفسه وأوقف لها قلمه المطواع وهي: " أولاً تسامح الإسلام وبراءته من التعصّب والتزمّت ، ودعوته إلى نبذ الجمود . ثانياً : الدهشة ممّا حلّ بالمسلمين من انحطاط وتدهور في العصور الأخيرة بعامة وفي العصر الحديث بخاصّة ، ثالثاً : مظاهر التخلف والانحطاط في حياة العرب باعتبارهم عنصر الدعوة وطناً وتاريخاً " .

وتدهشك جرأة الوريث يومذاك إذ يستثمر منبره المهمّ المقروء يومذاك– وأعني به مجلة الحكمة – كي يبث أبجديات الثورة إذ يضع يده على الجرح الناغر يومذاك وهو فساد الحكام ولا يخفى أنّ لسان حاله يقول إياك أعني واسمعي يا جارة . حيث أدرك الوريث أن كلامه إذا ما انصرف إلى شؤون الدين خالصة فإنّ ذلك لن يميزه عن أيّ خطيب في عصره ، ولكنه ربط أفكاره بشأن ساخن من شؤون زمنه وهو السياسة القائمة آنذاك التي حاولت أن تستغلّ الوريث داعية لها بيد إنه استثمر موقعه الجدير به كي يدين الواقع الراكد المتخلف . ويعلق الدكتور عبد العزيز المقالح على أفكار الوريث الثورية هذه بقوله : " ويرى كثير من زملاء الوريث أنه قد ذهب ضحية هذه الكلمات، وهذه الكلمات بالذات لأنه لم يكن يعني بها كثيراً من الولاة السابقين وكثيرا من ولاة عصره بقدر ما كان يرسم بها الأمام يحيى نفسه ، وبذلك استحق أن يذهب ضحية عربدة الولاة وصخب الطغيان " . والدكتور المقالح إنما يقصد بالكلمات ما سطره يراع الوريث الجريء إذ يقول " حاربوا العلم والحكمة ، وطاردوا علماء المعقولات ونبغاءها وضايقوا المصلحين توهّماً أنهم خطر على السلطة وإرضاء لغوغاء العامة وسفلة الجهال ، فكم من حكيم كبير وفيلسوف بارع ذهب عمله ضحية عربدة الولاة أو صخب العامة "[٣] .

ويبدو أن الوريث بثقافته العربية الإسلامية العريضة يعي جيدا ما يـــردده البلاغيـــون من أن لكل مقام مقالا ، لذلك كانت خطبه المنبرية والمحفلية في الجوامع وسواها تختلف عن مقالاته في جوانب يشير إليها الشاعر البردوني بقوله: " فكـــان للوريـــث أســـلوبان خطـــابيّ وكتابيّ . . . وكانت مقالاته تتصدر مجلة الحكمة وتحمل كثيراً من طابع البحث ومن توافـــق التسلسل ، لأن مقالاته تمحورت حول موضوعين ، الأول : القيمة الثقافية للصحافة والثـــاني مقارنة بين ماضي الإسلام وحاضره " . ومن طريف ما أورده أحمد الوريث في مجلته الرائدة مجلة الحكمة قوله عن الصحافة بأنها " مدرسة متنقلة تصل إلى الموظف في مكتبه والجنـــدي في ثكنته والعالم في محل عكوفه والفلاح في مزرعته والمرأة في مطبخها " ، فتعجب لانتبـــاه هذا المفكر إلى أهمية تعليم المرأة والرقي بوعيها وهـــو المفعـــم بـــروح الإســـلام ومبادئـــه وتعاليمه. لقد كان أحمد عبد الوهاب الوريث يحلم بيمن مسلم متطوّر يقرأ ويستوعب ويأخـــذ بأسباب المدنية الحديثة ولوازمها وهو يعي جذره الحضاري وضـــرورة أن تزهـــر أغـــصانه وتشرئبّ إلى الشمس المتجددة وأن يقف على ركيزتين اثنتين لا ركيزة واحـــدة وأعنـــي بهـــا الرجل وحده دون المرأة وبالقدر الذي يسمح به الدين الإسلامي الحنيف .

إذن فمجلة الحكمة تحفر ريادتها بثبات ورصانة ، ولا ريب في إنها منار مضيء فـــي حينها وبشهادة الشاعر عبد الله البردوني الذي يقول عنها : " كانـــت بالقيـــاس إلـــى زمنهـــا ومكانها أصدق شاهد على التحولات التي تواترت من مطلع العشرينيات إلى آخر الثلاثينيـــات وعلى إضافة البذور إلى الجذور حتى كادت تتميز بجدتها أسلوباً ونشراً ، فكانت مجلة الحكمة زبدة ذلك التمخض ، إذ تبدّى على صفحاتها فنّ المقالة اليمنية ، فـــصارت المرجـــع الوحيـــد لمعرفة تطوّر فنّ المقالة في الأدب اليمني " . ولسنا بصدد الوقوف عند أهمية هـــذه المجلـــة الرائدة وأعني بها مجلة الحكمة التي أسسها الوريث منذ عام ١٩٣٨م واستمرت بعد وفاتـــه رحمه الله حتى توقفت عام ١٩٤١م فقد كتب في هذا الشأن الشيء الكثير ، ومن ذلك الكتـــاب المهمّ " مجلة الحكمة اليمانية وحركة الإصلاح في اليمن " للدكتور سيد مصطفى ســـالم الـــذي اعتمد على مقالات موثقة جمعها علي أحمد أبو الرجال . ويبدو أن الطبعة الأولى مـــن هـــذا الكتاب قد صدرت عن مكتبة مدبولي عام ١٩٧٦م . وظهرت الطبعة الثانية عن مركز البحوث والدراسات اليمنية عام ١٩٨٨م [٤] . فضلا عن دراسة لاحقة تعتمـــد الإحـــصاء والتحليـــل كتبها الدكتور عبد اللطيف الأدهم ونشرها في مجلة الإكليل تحت عنوان " مؤشرات المعاصرة

في الرصيد المرجعي لمجلة الحكمة ١٩٣٨-١٩٤١م " . وما تزال هذه المجلة وظروف تأسيسها جديرة بمزيد من الدراسات نظراً لأهميتها في تاريخ اليمن الحديث .

ومن المؤكد إن أسلوب أحمد الوريث في مقالاته ما يزال يحتاج إلى مزيد من الدرس والتحليل على صعيد شكله الفني ومضمونه نظراً لأهميته ولا سيّما في إطار المرحلة المبكرة نسبياً التي ظهر فيها بيد إن ما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة سهولة أسلوب الوريث وجماهيرية تأثيره واستعانته بالجمل المتناظرة القصيرة المركزة وإنه يشكل منها موازنة إيقاعية دون سجع متعمد . وربما استعان ببعض المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية كقوله عن الصلاة إنها " تطهر القلب من أرجاس المادية وتصقله إذ أصدأته المعاصي " . ويواصل حملاته على بعض علماء عصره المتهالكين على متاع الدنيا " داء عضال ومرض وبيل أصاب كثيراً من العلماء فأفسد أخلاقهم كما أفسد علمهم وجعلهم جراثيم قتالة انتشرت في الأمة ففتكت بها " . ولا يخفى التزامه في مضامينه بخطه الثوري ومبادئه التي يدافع عنها بالمنطق والحجّة الدافعة مستعيناً بثقافة عربية إسلامية أصيلة وبموهبة فذة وقلم ماهر مدرب.

- **زيد الموشكي** :

وهو الشاعر المناضل الذي كان أبرز رجال حركة الأحرار اليمنية بعد محمد محمود الزبيري واحمد محمد نعمان ، وتصفه موسوعة احمد جابر العفيف بأنه أول شاعر شهيد في تاريخ اليمن ، يروي زميله القاضي عبدالله الشماحي انه من مواليد مدينة شهارة إذ هاجر إليها والده وعمه لطلب العلم وحسب الراوي نفسه يعد زيد من مواليد ١٩١١م وأما عام استشهاده فانه عام ١٩٤٨م. يقول الموشكي مخاطبا وطنه اليمن ومشيرا إلى

"إليك أديـــر وجهـــي والفـــؤادا ... وأحـصر فيـك يـا وطنـي الجهـادا
وأهـدي يـا ذمـار إليـك شـوقاً ... مـن الأكبـاد يتقـد .. اتقـادا
سأمـضي فـي النـضال ولا أبـالي ... نزلـت اللحـد أو نلـت المـرادا "(٥)

فيشي النص بوعي الشاعر وإصراره على مواصلة نهجه في النضال السافر، ولم يبالغ الشاعر البردوني حين وصفه بأنه شاعر الاقتحام وبأنه " قد انتهج أسلوب الهجوم المباشر من أول خطه النضالي إلى استشهاده عام ١٩٤٨ "

وإذا كان الشاعر زيد الموشكي قد أعلن أمام وطنه ومدينته ذمار عن عزمه على الصراع الجريء مع الحكام آنذاك وبأسلوب الحوار الخارجي (الدايولوج) فإنه يعود إلى البوح الذاتي والكتمان .

وبما يقترب من الحوار الذاتي (المنولوج) حين يقول عاتباً على مدينته ذمار :

" نسيت ذمار حقوق من ... لم ينسها منذ الصبا
لم تحم وا أسفا ذما ... ري حين هاجمني العدا "

فكأن الشاعر لا يتخيل مدينته إلا كائنا حياً رفيقاً به قريبا إلى قلبه وهو لذلك يعتب عليه حد اللوم .

وحين يفجع زيد الموشكي بصديقه احمد عبد الوهاب الوريث يخاطبه قائلا :

" يا وريث الفضل قبلاً ... هل وريث لك بعدا
دلنا إن كنت لا تر ... ضى لنا الحيرة مهدا
إننا بعدك في حا ... ل كما قد قيل سودا
أنا لا أبكي على زي ... ن الشباب اليوم فقدا
إنما أبكي على أنـ ... ـفسنا والعين رمدا "

ويخاطب الإمام :

" أيها الساخر الذي غره الدهـ ... ـر فأبدي الجفا والملاما
اخفض الصوت وارفع الحق وأرحم ... من توليت وأحذر الأياما
وانظر الشعب تغرس الحب ... لتجني من غرسك الإعظاما
وتجنب عنف المقال وعنف الـ ... ـفعل واجعل عميدك الإسلاما
واقطع الأرض بالسياحة تعرف ... أمماً طار صيتها وترامى
وتأمل كم في العواصم من آ ... يات حق زهت سنى ونظاما
وترى شعبك الكريم بعين ... وفؤاد تجني رضىً واحتراما
لا بسخط ولا بعين احتقار ... ليس شاءً كلا ولا أنعام
كم رأيناك في شبابك تغلو ... فوق حر وتستشيط اضطراما
ثم تصليه من عقابك ناراً ... حين يلقي إليك واشٍ كلاما "

ويخاطب الشعب قائلا :

" أيهـا الـشعب غافـل أنـت عنـه ... وبـسوء العـذاب إيـاك سـاما
أم ترجـي فيـه الـسعادة والمجـد ... فقـل لـي متـى تنـال المرامـا ؟
أرضـكم خيـرة الـبلاد فهـل قـد ... تـم إليهـا مـن الفنـون .. زمامـا ؟
هـل ملأتـم وهادهـا ورباهـا ... زرعهـا المثمـر الوحيـد انتظامـا ؟
هـل غرستم بهـا الغـروس اللـواتي ... تثمـر العـسجد البعيـد مرامـا ؟
هـل مـددتم مواصـلات الأمـاني ... نافـذات عراقهـا الـشآما ؟
هـل بنيـتم لهـا المـدارس تنـشي ... أمـة تعـرف الحيـاة تمامـا ؟
وبعثـتم إلـى العواصـم بعثـاً ... يدرس العلـم والفنـون الجـساما ؟"

فتتجلى عبر حوار الشاعر زيد الموشكي مع الشعب رؤيه إصلاحيه بعيده المدى تشمل معظم مناحي الحياة وهي تنم عن عقل حضاري موصول بحضارات هذا البلد العريق وطموحه إلى استعادة مجده وإذا كان الحوار من طرف واحد هو الشاعر حسب فإن الطرف الآخر وأعني به الشعب تبدو إجابته ضمنية وهي السخط والرفض للوضع القائم آنذاك ، وهذا هو هدف الشاعر على وجه الدقة ولذلك فقد أعتمد هذا الحوار على آلية الاستفهام وسجيته ونبرته الخاصة وقدرته على وخز ذهن المتلقي (الشعب) وإيقاظه كي يتجاوز غفلته وسكوته على الواقع المتخلف عن ركب الحضارة ومسيرة التقدم ومظاهره .

وقد يخاطب من يرى صورته ويظن به الظنون التي قد يبثها أعداؤه من الحكام آنذاك :

" هـذه صـورتي وأنـت ذكـي ... هـل بهـا ذرة مـن الإجـرام
بـل أنـا مـسلم خرجـت غيـوراً ... ذائـداً عـن محـارم الإسـلام"

إنه سياسي ومفكر ومناضل ويكفيه فخراً تضحيته بنفسه فداءً لمبادئه ولرؤيته الخيرة الطامحة إلى يمن متقدم يأخذ بأسباب الحضارة ولوازم المدينة ويقف جنباً إلى جنب مع أشقائه أبناء هذه الأمة العربية الناهضة بالرغم من عوامل القهر والتحدي .

وله حفيد شاعر هو محمد حمود زيد الموشكي يحذو حذو جده في نظم القصيدة التقليدية ذات المضامين المتنوعة

- **عبدالله البردوني:**

امتلك الشاعر عبدالله صالح البردوني موهبة فذة استطاع من خلالها أن يجتاز حدود اليمن كي يتبوأ موقعا شعريا على صعيد الوطن العربي كله . ولد عام ١٩٢٨ م وتوفي عام ١٩٩٩ م تاركا إبداعا شعريا غزيرا بدءا بمجموعته الشعرية الأولى من أرض بلقيس ومرورا

بمجاميعه : في طريق الفجر ومدينة الغد ولعيني أم بلقيس والسفر إلى الأيام الخضر ووجوه دخانية في مرايا الليل وانتهاء بمجموعته الشعرية الثانية عشرة رجعة الحكيم ابن زايد ، وقد قامت وزارة الثقافة بإصدار مجاميعه الشعرية بمجلدين كبيرين وبطباعة أنيقة يزينهـا تقـديم شاعر اليمن الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح وقد صدر المجلدان بمناسبة صنعاء عاصـمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٤ ،وفي هذه العجالة لا يمكن الإحاطة بكل أبعـاد شـعر البردونـي ومضامينه وتقنياته الفنية فهو الأب الروحي لأجيال من الشعراء وليس أدل علـى هـذا مـن رابطة البردوني اعترافا بحضور البردوني الباذخ وتأثيره الكبير في المشهد الشعري اليمنـي عامة والذماري خاصة . ولقد اتجه جيل من الباحثين اليمنيين والعرب صوب شـعره الغزيـر وكتبوا رسائل وأطاريح للماجستير والدكتوراه تناولت معظم ظواهر شعره .

ولعل من المناسب أن نذكر هنا إحدى قصائده المعنونة أسمار القرية التي يقول فيها :

تجمع القريـة الشتـات فتحـوي أمسيـات من عاصفـات الفدافـد
فيقصـون كيف طار ابن علـوان ومـاذا حكـى علـي بـن زائـد
ويلـوكون معجـزات فقيـه يحشـد الجـن والظـلام يشاهـد
وحكايا تطول عـن بائعات الخبـ ـز كم فـي حديثهـن .. مكايد
ويتـوبون يستعيذون باللـه لأن الإناث نبـع المفاسـد
وعلى صمتهم تهيـأ شيـخ مثلمـا تخفـق الطيوف الشـوارد
فحكـى قصـة تململ فيهـا كـل حـرف كأنـه قـلب حاقـد
وتعـالـى فيهـا التبجـح بالثـأر فهـاجت مستنقعـات العـوائد
وتنـادوا لبيـك يا عـم هيـا كلنـا سائـرون لا عـاد واحـد
وعلى إثر من مضوا عادت الأسمـ ـار تحيـا علـى أصول القواعـد
وتباهـي : أردوا صغـيرين منـا وقتلنـا منهـم ثلاثين مـاجـد

فيرسم الشاعر لوحة القرية بكل ألوانها الزاهية منها والمعتمة وبكل ظلالها ومهادها المعتقدي الراسخ ، ولكي يؤصل للمكان الأليف / القرية فإنه يحتاج إلـى هـذا الحـشد مـن التفاصيل التي ترد عبر حوار عام يجريه النص على لسان أهل القرية من فتية وشـيوخ مـع غياب حوار المرأة المفصح عن تهافت حضورها وخفاء صوتها المرتبط بـالعورة ، ويغتـنم

الشاعر الفرصة كي يدين الثأر بوصفه تقليداً اجتماعياً ربما كانت له مبرراته في زمن سابق بيد أنه الآن يبدو نزيفاً لا بدله أن يتوقف .

ويسخر الشاعر في قصيدته (لص في منزل شاعر) إذ يخاطبه :

يالص عفواً إن رجعت بدون ربح أو خسارة
لم تلق إلا خيبة ونسيت صندوق السجاره
شكراً أتنوي أن تشرفنا بتكرار الزيارة

وتحيل القصيدة منذ عنوانها إلى معتقد تراثي قوامه أن حرفة الأدب ما إن تدرك أحدهم حتى يتسلل الفقر والحرمان إلى جيبه وبيته مع أن المسألة نسبية فقد عاش أدباء كثر في كنف البلاط ورفلوا بالعطاء المادي ولم يكن لديهم سوى مواهبهم الأدبية . وربما شاء الشاعر أن يؤرخ لمرحلة من مراحل حياته إذ نظمت القصيدة في عام ١٩٦٦م حيث كان الشاعر يعيش حياة الكفاف وقد استثمر طرفة شعبية معروفة بث فيها الحياة من خلال الحوار الحي الذي انتظم القصيدة ولاسيما فيما اجتزأناه من أبيات منها .

وقد يحاور الشاعر صنعاء وعدن ومدناً عربية أخرى وربما حاور النجوم والثريا والريح والجدار بل حاور كل شيء عبر آلية أنسنة الأشياء والجمادات وفي سياقات شعرية دالة ، ويزخر شعره الغزير بالنماذج الحوارية المبثوثة في غضون ديوانه الضخم ذي المجلدين اللذين نافا على الألف وسبعمائة وخمسين صفحة ، وفيهما تتجلى مهارة البردوني وموهبته الشعرية الفائقة التي أهلته لأن ينقش اسمه في سجل الشعراء الخالدين.

- **إبراهيم الحضراني**

إبراهيم أحمد الحضراني من مواليد خربة أبي يابس عام ١٩٢١ وقد توفاه الله أواخر عام ٢٠٠٧ ، وهو شاعر عذب ينطلق من موهبة شعرية متميزة وهو ينسج شعره على منوالين ، أحدهما : ينسجم مع طبيعة المرحلة التي كتب فيها شعره وهي التي تسجل إرهاصات الوعي المبكر وطلائع النهضة اليمنية المعاصرة وتمتدّ منذ أن خاطب إبراهيم الحضراني زميله في النضال أحمد عبد الوهاب الوريث بقوله

أيها القائمُ بالأمر الذي يرضي الكتابا

ومنها:

فاز من شبّ على ما ينفع الشعب وشابا

وتلقى في سبيـــل المـــــ ـــــجد أرزاءً .. صعـــابـــا
كلّ شخـــص غمط الحق جديـــــرٌ أن يصـــابـــــــا

وتوشي هذه القصيدة صفحات مجلة الحكمة اليمانية وفي عددها الثالث عشر الـــصادر عـــام ١٩٣٩ ولا يخفى نسقها التنويري والحماسي المتّسق مع حماس الشاعر الشاب آنذاك إبراهيم الحضراني الذي يعدّ في طليعة شعراء مرحلة الإحياء في اليمن أسوة بمحمود سامي البارودي في مصر والرصافي والزهاوي في العراق وسواهم من الشعراء الذين أشّـــروا بـــدء مرحلـــة جديدة في فضاء القصيدة العربية وخلّصوها من براثن الألغـــاز والتـــاريخ الـــشعري واللعـــب بالألفاظ وفيما يقترب من الأحاجي والرقى السحرية التي تولد ميتة نائية عن نبض المـــشاعر والإحساسات التي تهب الشعر هويته الحقيقية .

وأمّا المنوال الآخر الذي نسج عليه الشاعر إبراهيم الحضراني شعره فهـــو الهمـــس الذاتي والبوح التلقائي الذي نسمع من خلاله أصداءً رومانسية محلّقة في آفاق الذات ، وهـــو ما يعكس حميمية إبراهيم الحضراني شاعراً وإنساناً .

ويومض زخم من اللقطات الشعرية الطريفة للشاعر الحضراني في النمطين الشعريّن السابقين كليهما ، وهي طرافة تجري في شعره مجرى السجية والطبع ، وقـــد تتركـــز فـــي الشطر الواحد من البيت أو تتكثف في البيتين أو في القطعة أو القصيدة ، ومن ذلك قوله من قصيدته (ي م ن)

يمنٌ قـــلتُ فلـــم يقتنعـــــــوا دون أن يتبعهـــا جيـــمُ وشينُ
يمـــنٌ ياقـــوم هـــــذي أحـــرفٌ صهرتهـــا في المحاريب قرونُ
وإذا ما شئتمُ تبيـــــــــانهـــــا فهي ياءٌ ثم ميمٌ ثـــــــم ّ نونُ
كـــلّ حـــرفٍ ماعـــدا ها منكـــرُ همجيٌّ القصد مشبـــوهٌ ، لعينُ

فيرهص الشاعر إبراهيم بالوحدة اليمنية المظفرة التي أزالت الشين والجيم – كمـــا عبر الشاعر – وإلى الأبد .

ويوظف الشاعر نسق القصيدة القصصية أو القصة الشعرية في قصيدته ((قـــصتي مع الحسناء)) كي يعبّر عن عشقه للحريّة التي رمز لها بالحبيبة الحسناء إذ يرد فـــي هـــذه القصيدة :

عـذلـونـي فـي محبّتهـا وهـواهـا وحـده قـدري
مـن أنـا حتـى أعانـدهـا وهـي في سمعي وفي بصـري
حمّلتني ما تنـوء بـه فـي هواهـا طاقـة البشـر
وإليكـم قصتـي معهـا بعـض ما يـروى مـن الخبـر

ويختم الحضراني قصيدته بما يعزّز تلاحمهما (الشاعر والحرية) وأنها أي الحرية قدره ومصيره :

ومضينـا في الطريق معاً للجنـان الخضـر أو سقـر

ويتماهى الشاعر الحضراني مع قمم جبال اليمن وبما ينبئ عنـه ثـائراً مناضـلاً لا يهادن السفوح والوديان إذ يُنشد قائلاً

لا أحـبّ العيـش إلا قمّـةً إن تفـُتْ فالموت أعلى القمم

وسجيّة هذا الشاعر الفنان إبراهيم الحضراني تجعله يرفض الرؤية العنصرية القائلـة بأنّ الغرب غرب والشرق شرق ولن يلتقيا ، إذ يلتقيان على صعيد الاحـساسات والمـشاعر والأفكار أو خفقات القلوب كما عبّر الشاعر الحضراني وهو يزور قبـر الـشاعر والروائـي الألماني جوته الذي خاطبه قائلاً:

أنا هنـا جئتُ من المشرقِ أزور مثواك بأقصى الغروب
مـن قال إنّا قـطّ لن نلتقي قـد جمعتنـا خفقات القلوب

فالانسان هو الانسان حيث كان ولاسيّما حين يكون شاعراً فناناً منحازاً إلـى الحـق والخيـر والجمال أنى حلّ وحيث وجد .

ويجيب إبراهيم الحضراني على تساؤل : لماذا أخاف من الموت ؟

حنانيـك ياسيف المنية فارجع وياظُلّـة الموت الزؤام تقشّعـي
وو الله ما خفتُ المنايا وهـذه طلائعها مني بمرأىً ومسمـعِ
ولكنّ حقّاً في فؤادي لأمتـي أخاف إذا ما متّ من موته معي

قال هذه الأبيات وهو ينتظر الاستشهاد في سجن نافع عام ١٩٤٧ إثر فشل الثـورة وقتـذاك وهو يلمح من خلالها معنىً طريفاً ينبع من إحساس الشاعر بالمسؤولية إزاء أمته وكما عبـرّ الشاعر، وأكاد ألمح إبراهيم الحضراني وهو يذرع شوارع روما في قـصيدته ((يمنـي فـي شوارع روما)) :

أمشي بروما حائر الخطوات لي سمعٌ كفيفُ
يتحسّس الكلمات كالأعمى بمهمهـــةٍ يطوفُ
الدار تنكرني ولكنـــــي بساكنهـــــا شغوفُ
أشدو فينكر جوّها شدوي وتلفظـــه السقوف

فيفصح الشاعر عن اغترابه وعشقه للجمال في آن واحد وبأسلوب طريف دالّ.

ويصعق بصر الشاعر بالجمال حيث وجد ، فهذه غادة الطـــائرة (المـــضيّفة) تحمـــل الحلوى للشاعر فتلهمه بيتين طريفين :

غادة قربت الحلـــوى لنـــا فهو يختال على معصمهـــا
غفر الله لها ما ضرّهـــــا لو سقتنا الحلو من مبسمها

ويقترن قلب الشاعر بالنبع الدافق في مخيلة إبـــراهيم الحـــضراني وعبـــر حـــواره الشعري الطريف :

أيها النبعُ أنت تشبه قلبـــــي حين تعطي ولا تمـــلّ عطـــاءا
وسواء عطاؤنا منح الأرض ربيعاً أوضاع فيهـــا هبـــــاءا
القلوب الظماء نمنحها الـــحـــ ـــــب ونعطي لليائسين الرجاءا
ما خلقنا إلا لكي نسعـــد الـــناس جميعـــاً ونسعـــد الخضـــــــــراءا

فتتكشف رؤية إبراهيم الحضراني للإبداع الشعري على أنه هبـــة الـــسجية ومنحـــة الطبيعة الحية ، مثله مثل أية هبة كالنبع أو الغيث أو ضوء الشمس ، والشاعر هنـــا يـــشكل استعاره كلية تنتظم القصيدة يتأنسن في نسيجها النبع وقلب الشاعر كلاهما وفي سياق طرافة هذا التوحد بين قلب الشاعر والنبع حدّ التماهي.

ويمضي إبراهيم الحضراني في رؤاه الشعرية الطريفة ، فها هو يقـــول فـــي((حكـــم الهوى)) :

وما أفكر في ذنب أزيل بـــه حبَّ التي تيمتني لوعةً وضنـــــى
فما رأيتُ قبيحاً من خلائقها إلا استحال على حكم الهوى حسنا

ومثل هذا قوله :

ما زلت لي عقل أعيش بـــه فاذا خطـــرت فلـــيس لـــي عقلُ
ولكـــم حللتُ بفطنتي عقـــداً أمّا هـــواك فمـــا لـــــه حـــــلُّ

وخلاصة ما ورد عبر هذه السطور إن الشاعر إبراهيم الحضراني كسر رتابة القصيدة التقليدية وذلك بأن أخذ بيديها إمّا صوب التنوير والتحريض على التمرد والثورة إبان حكم الإمامة وإما باتجاه مباهج الذات وأحزانها ، وقد تفرّدت موهبته بومضات طريفة تضيء جنبات شعره ممّا أهّل هذا الشاعر في أن يكون في طليعة شعراء مرحلة الإحياء في الشعر اليمني الحديث .

- **محمد عبدالسلام منصور**

من مواليد ذمار عام ١٩٤٧ م قاض ومحام ومترجم وكاتب مقالة ، بيد أن إنجازه الشعري ولاسيما في مجال قصيدة التفعيلة يغلب على جهوده الأدبية الأخرى ، وعلى الرغم من أن مجموعته الشعرية الأولى (الهزيم الأخير من الوقت) قد تأخر صدورها ولغاية عام ١٩٩٧ فإنها أرهصت ببزوغ شاعر متفرد يجيد انتقاء تقنياته الشعرية وتنويع مضامينه ، وحين أصدر مجموعته الشعرية (من تجليات حي بن يقظان) عام ٢٠٠١ عزز مكانته الشعرية وأظهر جوانب أخرى من شعريته ، منها توظيف الموروث وإعادة استنطاقه من أجل تكريس مضامين راهنة ، وقد تأكدت خصوصية الشاعر وأسلوبه الشعري من خلال مجموعته الشعرية الثالثة (تراتيل يمانية) الصادرة عام ٢٠٠٣ ، وثمة انعطافة صوب التصوف في مجموعته الشعرية (إيقاعات على خطى النفري) ، وآخر نتاج شعري له عنوانه (الديوان الغربي للشاعر الشرقي ، إيقاع على شرقيات جوته) وفيه ينفتح الشاعر على آفاق عالمية . ومما يذكر أن الشاعر كان له دور نضالي في الدفاع عن الثورة والجمهورية في شمال الوطن وجنوبه ومعه جيل من الأدباء المناضلين.

وفي قصيدة " من تجلّيات حيّ بن يقظان " للشاعر محمد عبد السلام منصور يطمح النص إلى أن يحكي قصة الهمّ الإنساني على صعيد إنجازاته الروحية ويحاول أن يتوغل إلى عمق الشخصية الإنسانية متلبثاً عند نزوعها صوب السماء وتطلّعها إلى ما يثري الروح ويسكت إحساسها بالظمأ في أجواء سرابية خانقة. ومنذ العنوان " من تجلّيات حيّ بن يقظان " يحيل النص إلى أجواء قصصية موصولة بقصة ابن طفيل الشهيرة ذات الطابع الفلسفي الصوفيّ رغبةً من النص في أن يعانق الفطرة الخيّرة والسجيّة الصافية حين تستدلّ على خلاصها عبر مكابداتها الذاتية واستناداً إلى صوت الضمير الحيّ ، تماماً كما أضيء درب حيّ بن يقظان في اغترابه المكاني الحاد ووسط تلك الغابة القصية البعيدة عن أسباب الحياة التي

شكّلت المهاد المتخيل حيث انتقاه ابن طفيل فضاءً مكانياً لقصته الطريفة . ولم يتوغل النصّ الشعري إلى رحاب هذه القصّة وتفاصيلها بل آثر الشاعر أن يلمح فلسفة الإشراق الروحي عن طريق التأمل – كما عبّر محمد غنيمي هلال –[٦] . ولا نلمس صدىً مباشراً لهذه القصة منعكساً على هذه القصيدة فيما سوى عنوانها المفصح عن طبيعة أجوائها الصوفية لاسيّما أن لفظ تجلّيات يتصدّر العنوان وهو مفعم بأشذاء الإشراق وأصداء الروح .

بيد إننا إذا سبرنا غور قصة حيّ بن يقظان من حيث إيحاؤها القصيّ ومعناها العميق فإن بإمكاننا أن نقرّر مطمئنّين إلى أن شخصية حيّ بن يقظان كانت قناعاً (Mask)[٧] للشاعر إذ يتوحّدان في إطار القصيدة حين يتماهى هدف حيّ بن يقظان مع هدف الشاعر وينتهيان في آخر المطاف إلى النتيجة ذاتها ، ولا يشترط في قصيدة القناع أن تتعادل فيها أو تتطابق (أنا) الشاعر السارد وهو الذي ينتقي هذا القناع وينسجم معه ويرى ذاته أثرى وأخصب من خلاله من جانب ومن الجانب الآخر (أنا) الشخصية الأصلية (حيّ بن يقظان) ذات الإيحاء الأساس المفصح عن هدف القناع ووظيفته الدلالية والفنية .

إنّ طموح الشاعر حين يكون بسعة التاريخ الروحي للإنسان فإن هدف مثل هذه الكتابة الشعرية "هو الحفر في بنية المسكوت عنه والضائع في غضون التاريخ ، إنه تدشين لتدوين جديد مختلف . . . . إذ لم يعد التاريخ ميداناً مستقلاً بذاته بل أصبح قابلاً للاختراق الشعري ، كما أنّ الشعر لم يعد امتثالاً للظواهر الغنائية كما أنه ليس نظماً تمجيدياً للبطولات شأن الملاحم الشعرية بل تكثيفاً لنسيانات التاريخ وإهمالاته ". وإذا عكسنا هذه الرؤية على الشاعر محمد عبد السلام منصور فإننا نلمس هذه القراءة الجديدة لأحداث فذة غيّرت مجرى هذا التيار البشري المتدفق إلى ما شاء الله لا سيّما أن الشاعر يحاول تأسيس رؤية خاصة للحدث التاريخي الفخم منعكساً على ذاته العطشى إلى نبع الروح ، فهي إذن انتقاء لزاوية مضمّخة بخصوصية شعرية يطمح إليها الشاعر وينشدها ويحاول تحقيقها عبر هذه القصيدة .

يبدأ الشاعر قصيدته باستهلال يشي بحسّ ذاتيّ طاغ إذ يقول :

" لا تقلقي ، إنّي أتيت على قلق ، حملتْ عذابي دمعة فكتمتها ، ومضيت يحرقني هجير الصمت ، أركض فوق رمل الحزن نحوك يا ملاذ العاشق المجنون ، من يطوي ليالي العمر مرتحلاً إلى شطآن همسك ، ضائع الخطوات في وهم المسافة ، فاشعلي برقين في عينيك كي آتيك من نوريهما حبّاً تجدّد وأتلق "

فيوارب الشاعر باب التأويل لاسيّما أنه ينتقي شكلاً يبدو ملائماً لطبيعة القصيدة إذ يتدفق في هيئة محطّات هي أشبه بالدوائر المغلقة ظاهريّاً بيد إنها تنفتح على بعضها وتتواشج عبر سلك إيقاعيّ ينتظمها هو تفعيلة بحر الكامل (متفاعلن) وفي إطار ظاهرة التدوير الإيقاعية . فضلاً عن الآصرة الدلالية التي تشدّ هذه الدوائر الشعرية إلى بعضها ، فهي تبدأ بقلق روحي تشي به المفارقة (لا تقلقي / إني أتيت على قلق) ، ثمّ تتوالى عناقيد الصور الشعرية (إصر العذاب وثقل كتمانه / الصمت المتماهي مع الهجير الناري / صحراء الحزن ورملها الجمريّ / طيف الملاذ الآمن / صفحات العمر الغارب وهمس الشطآن الحالم / مسافة الوهم الشاقة / ومض الحدقتين الساميتين إرهاصاً بغيث روحيّ دافق) .

وهذه الصور تزخر بإيحاءات ينتمي بعضها للصورة الذهنية المعبّرة عن معنى الترقب واستشراف المستقبل ويتضمّخ بعضها الآخر بعبير الحواس إفصاحاً عن امتزاج الحلم بكيان الشاعر كله إذ يشغل حواسّه جميعاً ويتوغل إلى أعماقه .

- **عباس الديلمي**

الشاعر عباس علي الديلمي شاعر غنائي متميز ، شدت بإشعاره حناجر المطربين ، وتغنت بكلماته الجماهير ، يجيد انتقاء معجمه الشعري وتعينه موهبته على إبداع شعري خاص ، يتغزل بأعذب الشعر فلا تدري هل يتغزل بفتاة أم بالوطن وثوابته في الوحدة والشعب والأرض، أعجب به شاعر اليمن الكبير عبد الله البردوني أيما إعجاب وانتبه إلى تفرده بغزله و أن ليلاه هي ليلى خاصة ، يقول البردوني " ليلى عباس الديلمي هي هذه الرائعة الممتدة تحت عيون النجوم ووجه الشمس ،يتغنى عباس الديلمي بالأرض التي تنبض في قلب كل حسناء وتشمخ في جبهة كل بطل وتترقرق في عيون الحلوات وتغني في عروق الزنود السمر و هذا النوع من الغزل أصيل في تاريخنا حسب وجهة نظر البردوني ويمضي البردوني في تأكيده على أن الديلمي قد حقق أمل أبيه و أمل الأدب فيه و أضيف انا- و أملنا نحن ايضاً- فكان صادقاً مع نفسه وفنّه .

وعباس الديلمي عاشق منذ خمسة و ثلاثين عاماً ودليلنا على ذلك اعترافه الموسوم " اعترافات عاشق" وهو عنوان أول مجموعة شعرية له أصدرها عام (١٩٧٣م) وعمره آنذاك واحد وعشرون عاماً فهو من مواليد ١٩٥٢م ، وتتجلى شعريته المتميزة في مجموعته الشعرية (غنائيات) الصادرة عام ١٩٩٤م ، و أما

(وحدويات) فإن طابع الحماس والعنفوان يغلبان عليها ، ولعباس الديلمي إصدار يفصح عن تخصصه الفلسفي إذ تخرج عباس من قسم الفلسفة بكلية الآداب عام ١٩٧٨م وعنوان الإصدار " قراءات في كهف افلاطون" وقد أصدره عام ١٩٩٦م ، وله أيضا أغان للاطفال ضمّنها رسالته الثورية دون مباشرة و افتعال وعبر موهبته المتقدة ، كما أصدر تمثيليات وبرامج إذاعية ولاسيما برنامجه " حديث الناس" ، وأما مساهماته الصحفية فإنها متواصلة إذ يكتب باستمرار ومن خلال عمود خاص به في صحيفة ٢٦ سبتمبر ،و هو حاصل باقتدار و أحقية على وسام الاستحقاق ووشاح الثقافة في الفنون والآداب .

ولقصيدة الوحدة خصوصية في شعر عباس الديلمي إذ تنفذ عبر منافذ متعددة وهي تتسم بالغزارة والتدفق حتى أن الشاعر أفرد لها عشرات القصائد التى لحن عدد منها وأداها مطربون يمنيون وعرب ، و وحدويات عباس الديلمي متنوعة وهي تحتاج وحدها إلى وقفة مطولة بيد أن أجمل قصائده الوحدوية هي التى تتماهى مع الغزل وتتحد به فلا يدري المتلقي أول وهلة هل قصد الشاعر امرأة معشوقة أم الوحدة بوصفها معنى سامياً وإنجازاً تاريخياً مما يعكس انغمار الشاعر اليمني بهذا الحدث حتى أنه نفذ إلى فكره وقلبه ومفردات حياته : تأمل قوله:

يادروب الهوى طوينا المسافا ت فكانت لحبّنا ضفتانِ
وارتوت ظمأة الرمالِ و دارت كأس روح سما بها عاشقانِ
كذب القائلون أين الثريا من سهيلٍ فكيف يلتقيانِ
أنظروا كيف يجمع الحب قلبيـ ن لنبض الحياة يقتسمانِ
الهوى قُبلةٌ وهذا سهيلٌ و الثريا لعزفها شفتانِ
الهوى روضةُ بكف إلهٍ وهما في ظلاله راهبانِ
إن تجلت قصيدةُ فهو شعرُ زاهرُ في حروفه والمعاني

و الثريا وسهيل رمزان عريقان لشمال اليمن وجنوبه وقد اقتنصهما عباس الديلمي بذائقته الشعرية وشكل منهما قصيدة المتميزة " درب الهوى".

و تحار أي القصيدتين لعباس أكثر رقة هل هي الفصيحة الرصينة أم القصيدة الحمينية ذات التأثير الساحر على الجمهور العريض.

- **إسماعيل الوريث** :

من مواليد ذمار عام ١٩٥٢ ليسانس آداب لغة عربية ودبلوم عال إعلام من جامعة صنعاء ، تنقل بين وظائف متعددة بوزارة الإعلام والثقافة واستقر به المطاف مديرا عاما في مركز الدراسات والبحوث اليمني يكتب في دوريات يمنية وعربية متعددة ، صدر له : الحضور في أبجدية الدم ١٩٨٤ وليلة باردة ١٩٨٦ ومرثاة عدو الشمس ١٩٨٧ وعذابات يوسف بن محمد ١٩٩٨ وما يزال يرفد المشهد الشعري بقصائد جميلة تنشر في الصحافة اليمنية ، يعتز بانتمائه للمفكر اليمني أحمد عبد الوهاب الوريث ، شاعر متميز له نسق خاص في النظم كما أن له نشاطا صحفيا ملحوظا إذ ينجز عمودا نثريا في صحيفة ٢٦ سبتمبر تحت عنوان (فوح الياسمين) يتناول فيه إسماعيل شأنا من الشؤون التي تشغله وتحس بأنه قريب من نفسك فيما يكتبها واشارت الدكتورة وجدان الصائغ في كتابيها (العرش والهدهد ، قراءات في القصيدة اليمنية) والسنونوة والربيع ، قراءات في القصيدة اليمنية) عن الصلة الروحية التي تربط بين اسماعيل الوريث الحفيد واحمد عبدالوهاب الوريث الجد قائلة :

(وحين ينعكس وجه أحمد عبدالوهاب الوريث على مراياقصائد اسماعيل والوريث بوصفه مهيمنة ترميزية ، فإن شعرية القصيدة تتحول باتجاه جديد يعكسه صوت الشاعر/السارد إذ نقرأ :

كان التمرد في دمي
وأنا (الوريث) الثاني في قائمة العشق
حتى ذلك الحين كان صوته ما زال ذا صدى
في مساجد تلك المدينة الترابية اللون
في شوارعها المعبدة بالفقر
في ساحات حواريها المحاصرة بالإفك
.....
كان الناس ممتلئين بما كان يقوله السيد(الوريث)
وكنت أنتشي بأقوال الوريث الأول
وكنت ولا زلت أخشى أن أموت موتته الفجائية
ولذلك لا أحضر مائدة يدعو إليها السلطان

ولا أثق بطبيب يشتغل في بلاط الملك

يحدث صوت أحمد الوريث ترصيعا في النسقية التراجيديا المهيمنة تجليه ثنائية (الانغلاق/الانفتاح) يتمثل الانغلاق في (المدينة ومساجدها) و (ساحات حواريها المحاصرة) و(شوارعها المعبدة بالفقر) ويتمثل الانفتاح في نبرات أحمد الوريث المتمردة الساعية إلى هتك حجب العتمة وكسر أغلال الراهن الساكن . ويشكل استحضار شخصية أحمد الوريث بوصفها بؤرة ترميزية خرقا في نسقية السرد إذ إن مخيال الشاعر لا يستدعيه باعتباره وجها يتقمصه وإنما لمشاكسة الهندسة التقليدية للقناع، حين تقف (أنا) الشاعر –وفي نسيج تشبيهي – محاذية للقناع وعبر القول الشعري (أنا[الوريث] الثاني في قائمة العشق) ويتحرك التعالق التشبيهي بين المشبه (أنا) والمشبه به (أحمد الوريث) ليبلور إضاءة لافتة تتكئ في كينونتها إلى تورية يحدث معنياها الداني والقاصي التباسا في مخيال الملتقى فيقف عاجزا عن اقتناص التراتبية المنطقية لهذا الفن البديعي ، فلفظة (الوريث) تلوح بمعنيين أحدهما يشير إلى ذاكرة (الوراثة) الحافلة بدلالات التعاقب والامتداد والنسب المرموز له بـ(دمي) ، ويحيل المعنى الآخر إلى(أحمد عبدالوهاب الوريث) الذي يوقد حضوره إضاءات لا فتة تحيل مخيال المتلقي إلى(عشق)الكلمة والانعتاق بها ومن خلالها من قيود الآخر الطاغية. ويتواشج هذان المعنيان لتشكيل بنية ترميزية طريفة تبوح برغبة (الأنا) الساردة (المشبه) في الحركة باتجاه المشبه به(أحمد الوريث) والتماهي مع فضاءات مكتنزة بألق الفكر والتحدي وهي تضيف إلى جوهر النص خزينها المرجعي الملبد بالمعاناة والقهر والمصادرة . وقد أكد هذا التأويل الصياغة التركيبية المتواجهة بين (الوريث الأول[احمد الوريث] والوريث الثاني[إسماعيل الوريث])

ولأن أحمد الوريث بنية إشارية تختزل رحلة عمر لم تكتمل فإنها تتحرك على مساحة السرد لتخلق نسقا مهيمنا تبوح به المحمولات اللفظية (الوريث، الوريث ، السيد الوريث ، موتته الفجائية ، أقواله ، صورته ، ما يقوله) وهي تسجل ضمنا صلته المصيرية بالكلمة وقدرته في التاثير على الآخر (الناس والشاعر) وقد فضح القول الشعري (حتى ذلك الحين كان صوته ما زال ذا صدى) الفاصل الزمني الذي يفصل بين الوريثين (أحمد و إسماعيل).

ولآن السرد الذاتي هو المهيمن على هذه القصيدة السيرية فإن (الشاعر/السارد) يطل من خلال المعمار القصصي واحد من شخصياتها المتحركة على مساحة السرد التي

تفلح في أن تقود في مخيال القارئ إلى الانبهار بشخصية (أحمد الوريث) مناضلا يتوغل صوته إلى(شوارع المدينة) و(مساجدها) وإلى روح إنسان المكان فترتوي العروق بالنور والضياء ولأن التماهي بين (أنا) النص واحمد الوريث يصل ذروته فإن المشاكسة الدلالية تحفز أفق التلقي على السير في متاهات الفجيعة إذ تسترجع خاتمة المشهد مأساة الغياب ، ويمنح النص (الشاعر/الراوي) سانحة عرض وجهة نظره التي باحت بالرغبة في النأي بـ(أحمد الوريث) بوصفه إشارة ترميزية بعيدا عن عتمة الحدث وفضاءاته المكفهرة ، كما أنها في الوقت نفسه تفضح الوعي الحاد بالمحنة .

وبعد ، فقد بدت قصيدة إسماعيل الوريث في مجموعة (عذابات يوسف بن محمد)مرايا تعكس تجليات الموروث بوصفه مهيمنة موضوعاتية متجذرة في المرجعية الشعبية والتاريخية والفكرية كما انها تتماهى مع إيقاعاته االترميزية حين تخضع–وبوعي جمالي – الجزئية التراثية إلى تشكيل دلالي جديد ينهل من السياق الشعري مناخاته المدهشة فتفتت المسكوكات اللفظية الموروثة لتتخلق منظومة شعرية طريفة تحيل إلى المهاد التراثي ولكنها تتحرك في فضاء مغاير وأفق جديد .كما إن النص تحت سلطة الموروث لا يتمادى في امتشاق الأقنعة الملبدة بالفضاءات المتوترة المفخخة حسب بل أنه يغدو افقا مرآويا يعكس ملامح المبدع وهو يعيد صياغة الموروث الثاوي تحت ركام السنين ، ويجلي مهارته في ايقاد مدلولاته المتدثرة برماد الغياب ليتقد جمره بؤراً ترميزية مشفرة تضيء بنية (المسكوت عنه) [٦].

- **محمد الغربي عمران** :

قاص موهوب ولد عام ١٩٥٨ ، أسس نادي القصة (المقه) وأنشأ مركز الحوار لتنمية حقوق الإنسان ، ولم يشغله منصبه الإداري عن أن يكمل مشروعه القصصي التنويري الصادم ، فمنذ أن كتب مجموعته القصصية الأولى الشراشف الصادرة عام ١٩٩٨ كان همه أن يضيء مساحات معتمة لها علاقة بالمجتمع اليمني وبحقوق المرأة ، وهو لا يسعى إلى الإفصاح عن مثل هذه المضامين مباشرة بل يلمحها بأسلوب القاص الفنان .

وفي مجاميعه اللاحقة كان يواصل الطرق على المضامين ذات الطابع اليمني وبأسلوب جريء وتقنية قصصية متميزة ينطبق هذا على مجاميعه القصصية : الظل العاري وحريم أعزكم الله وختان بلقيس ومنارة سوداء ، ينجز الآن رواية جديدة مع أن كل إصداراته

السابقة كانت مجاميع قصصية ، ولا شك في أن هذه الرواية هي امتداد لنهجه القصصي الخاص وهو المزج بين المحلي والعالمي إذ يلتقط حالات اجتماعية لها نكهة المجتمع اليمني ويحاول أن يعكس عليها هموما عالمية تخص الإنسان أنى كان بحيث لا يكون الشأن المحلي عائقا أمام سيرورة العمل القصصي ،وأحسب أن محمد الغربي عمران يتفوق على كثير من القاصين العرب مع أنه لم ينل شهرتهم نظرا لشحة المنابر العربية التي يمكن أن يطل منها المبدع اليمني .

وللقاص محمد الغربي عمران قدرة خاصة على رسم الشخصية ولا سيما الغرائبية منها في مجموعته " حريم أعزكم الله " ثمة شخصيات تلفعت بطابع غرائبي يقصده القاص ويعي توظيفه في غضون مجموعته القصصية ، وستقف السطور اللاحقة عند هذه الشخصيات ودورها في نسيج القصة الحي. ففي قصة صنعاء ينتقي القاص شخصيته الغريبة من أجواء المتسولين والصعاليك ويشرع برسم بعض ملامح بطله " خرجت إلى الدنيا في يوم ماطر ، لا أدري من سرق ذراعي اليمنى ! لكني عرفت بعد عمر ، حين اكتشفت إني نسيتها هناك داخل بطن أمي ! يومها كنت على ما يبدو مستعجلاً . وكانت بشرتي بالونية حتى رأسي ، الجميع يسمونني (الأمزط) والبعض ينعتني(بالأشول) لعدم وجود ذراعي اليمنى ، أما أبي فقد أنكر صلته بي ! وكان يتهم أمي دوماً بـــــ(...) ويطالبها بالتخلص مني ، يتبرأ مني أمام سكان القرية "[٧] ، فيرصد النص سيرة هذا البطل منذ ولادتهِ التي رافقها تضاد بين ، ففي الوقت الذي يبشر فيه يوم ولادتهِ بالخير (يوم ماطر) فإنه يأتي بدون ذراعه الأيمن (وسيلة العطاء ورمز القدرة) ويمزج القاص صياغته الفصيحة ببعض الألفاظ العامية دانية الدلالة (الأمزط والأشول) مفيداً مما تثيره من إيحاءات شعبية تؤصل شخصيته .

ويستكمل صورة هذه الشخصية الغرائبية " لا أدري كيف وجدت نفسي بعد أيام في شوارع صنعاء العتيقة ، أينما أذهب يتبعني الأطفال وأيديهم تقذف الحصى كنت أختفي خلف أسوار مقبرة عرفت فيما بعد أن لها اسم" خزيمة " . الكل ينفر من مظهري ، في البدء رفضني المتسولون! كل جماعة تدلني على رصيف آخر ، أو تقاطع مجاور ، كنت أسمعهم ينعتوني بالولد الكلب ، إلا اني استطعت أن أجد لي مكاناً عند تقاطع شارع الزبيري مع (علي عبد المغني) ، وشيئاً فشيئاً أصبحت معلماً من معالم المكان بعد أن ألفني صبيان الصحف و

باعة الماء وعقود الفل والعجزة وجموع المعاقين" ، فتمتزج الشخصية بنكهة المكان الحقيقي وتكتسب ملامح يمنية مما يرسخ حضورها في ذهن القارئ .

وخلاصة ما ذكر أن القاص محمد الغربي عمران ينوع مرجعية شخصياتهِ حين ينتقي أكثر من بيئة اجتماعية وثقافية يستمد منها شخصياته ِ وهو يعي إن الشخصية العادية الرتيبة قد لاتحدث الأثر الذي يحفر بعيداً في ذاكرة المتلقي بل تظل طافية على سطح الذاكرة ،ولذلك فهو يقصد حين يسربلها بتفاصيل طريفة مستمدة من خيال خصب وقدرة على تشكيل الشخصية القصصية الحية في سياق سردي مقنع ، وقد كانت طرافة الشخصيات وغرائبيتها في أغلب الأحيان تستقى من هذا التماهي فيما بينها وبين المخلوقات الأخرى غير الإنسان وليس هذا التماهي مقتصرا على الملامح الشكلية بل إنه يتعداه إلى السمات النفسية إيماناً من القاص في إن الإنسان خلاصة مركزة لكل موجودات هذا الكون ومخلوقاته سواء أكانت خيرة أم شريرة جميلة صافية أم شائهة معتمة ، وهو ما أكده القاص في غضون قصص مجموعته الشيقة "حريم أعزكم الله" . ومن المؤكد أن جرأة القاص محمد الغربي عمران وفي إطار المجتمع اليمني وظروفه الخاصة هي جرأة استثنائية يحتاجها الأديب اليمني كي يكرس موقفه ورؤيته الخاصة لا سيما ان القاص يسعى بدأب صوب تطويع أدواته الفنية وباتجاه التميز والخصوصية سواء في رسم شخصياته وتلوينها وتظليلها أو في إدارة حوارها كما انه يوردها في سياق سردي معقول . وأحسب أنه إذا ما ثابر على نهجه هذا في صياغة قصصه فإنه يفصح عن قاص عربي متميز بنكهته اليمنية مما يذكرنا بكبار القصاصين ممن انتقلوا من المحلية الضيقة باتجاه آفاق أكثر سعة اتكاء على خصوصية البيئة المحلية من جانب ومن الجانب الآخر شمولية الهم الإنساني

وفي ختام هذه السطور لابد من إضافة مهمة هي أن محافظة ذمار تزخر بالشعراء الشباب نذكر منهم : الشاعر عبد الله عصبه وعبد الوهاب الحراسي ومبروك المرامي وعبد الرحيم البازلي وآخرون ، وهناك كتاب قصة منهم : عبد الكريم النهاري وأسماء المصري وحفصة مجلي وماهر عطاء وسواهم

الهـوامش:

(١) د . عبد العزيز المقالح ، أحمد الحورش الشهيد المربي ، مركز الدراسات والبحوث اليمنـــي ، صـــنعاء ودار الآداب ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ١٥٦

(٢) عبد الله البردوني ، رحلة في الشعر اليمني ، دار الفكر ط٥ ، دمشق ١٩٩٥ ، ص ٦٠

(٣) أحمد عبد الوهاب الوريث ، ماضي المسلمين وحاضرهم ، مجلة الحكمة ، العدد ١٢ ، السنة الأولـــى المجلـــد الأول نوفمبر / ديسمبر ١٩٣٩ ، ص ٣٥٣

(٤) د. سيد مصطفى سالم وعلي أبو الرجال ، مجلة الحكمة اليمانية وحركة الإصلاح في اليمن ، مركز الدراســـات والبحوث اليمني ط٢ صنعاء ١٩٨٨

(٥) د عبد العزيز المقالح وآخرون ، زيد الموشكي شاعرا وشهيدا ، مركز الدراسات و البحوث اليمنـــي صـــنعاء ودار الآداب بيروت ١٩٨٤ ، ص٢٤٦

(٦) د . وجدان الصائغ ، العرش والهدهد ، مؤسسة العفيف ، صنعاء ٢٠٠٣ ، ص ٢٣٣

(٧) محمد الغربي عمران ، حريم أعزكم الله ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ٢٠٠١ ، ص ١٧

القاضي إسماعيل بن علي الأكوع مؤرخاً

د. كريم زغير أسيود (*)

المقدمة :

التاريخ كما هو معروف من فروع الثقافة[١] ، بل هو من أعمقها صلة بحياة الأمة ، والذي يشق طريقه لدراسة التاريخ وكتابته ، ينبغي أن يعلم من أول الأمر أنه مقبل على عمل شاق يتطلب الجهد والتضحية والصبر الطويل [٢] ، وشان التاريخ في ذلك هو شان سائر أنواع المعرفة الإنسانية متداخلة فيما بينها ، والتاريخ هو بحث واستقصاء لحوادث الماضي ، وهو عملية نقد وتحقيق لهذه الحوادث ، وهو البحث عن الحقائق وتدوينها من جهة وعملية تفسير الحقائق وربطها من جهة أخرى [٣] ، وهو نظر وتحقيق وتعليل لهذه الأخبار والوقائع [٤] .

وإن منهجية البحث بالنسبة للمؤرخ ضرورية في كل الأحوال ، فأبسط الأمور في الحياة بحاجة إلى بعض الأحوال والضوابط لتفسيرها ، فكيف الحال بالنسبة للمؤرخ وهو يعالج مسائل تتنوع بين التاريخ السياسي وقضايا الفكر والحضارة والنظم [٥].

ومن هنا يتضح أن التوغل والتعمق في مختلف دراسات أحوال الأمم والشعوب وسبر أغوار مسيرة حياتها الماضية في ما تعاقب عليها والأسباب المؤثرة في المسيرة ، إن كان سلبا أو إيجابا .

وأخذ التاريخ نصيبه من الاهتمام والرعاية ، مما صرف اتجاه العلماء في اليمن للحفاظ على هذا الجانب منذ عهودهم الأولى حتى عصرنا الحاضر .

(*) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك – قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة ذمار .

ومن هذا جاء اختيارنا إلى أن نبحث منهجيـــة أحـــد المـــؤرخين ألا وهـــو القاضـــي إسماعيل بن علي الأكوع ، الشخصية الذمارية اليمنية الذي أسهم في كتابة وتأليف وتحقيـــق ونقد الكثير من الكتب ، وصلت لحد الآن ستة وثلاثون مؤلفا ما بين كتاب وبحث وتحقيـــق ، وسلطنا الضوء على طريقته في اختيار المنهجية في البحث العلمي للقضايا التاريخيـــة التـــي تهتم بالأمة وكيفية معالجة الحوادث بصدق دون تحيز لجهة أو طائفة [٦] .

وقد تجلت آثار تجاه علماء هذه البلاد من جراء الوسائل التي هيأت لرعايتهم آمنين، سواء في المعاقل (الهجر) التي خصصت لهم ، أو بكنف عـــشائرهم القويـــة وحمـــايتهم ، أو ببعدهم عن الميادين التي اشتعلت فيها الفتن .

وبالإجمال فقد كان لبلاد اليمن ، منذ ظهور الإسلام في تلـــك الـــبلاد ، إلـــى العـــصر الحاضر ، نصيبها الوافر من العلوم والمعارف الإسلامية ، على اختلاف منازعها ومـــشاربها ومنها علم التاريخ ، بمختلف فروعه من تدوين حوادثه ، وتراجم مشاهيره من أئمة وحكام، وعلماء وشعراء وغيرهم ، كما هو الحال في البلاد الإســـلامية الأخـــرى كـــالعراق والـــشام ومصر، وغيرها من مختلف الأقطار في شرق المعمورة وغربها .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على كتب القاضي إسماعيل بن علي الأكـــوع والمقـــابلات الشفهية معه والاتصالات الهاتفية واستفادت الدراسة من كتابي الشيخ أحمد الجاسر (الـــيمن بين مؤرخين معاصرين) وكتاب إبراهيم باجس عبد المجيد المقدسي (القاضي إسماعيل بـــن علي الأكوع علامة اليمن ومؤرخها) .

ترجمة عن المؤرخ :

وهو إسماعيل بن علي بن حسين بن أحمد بن عبدالله الأكوع ولد في مدينة ذمار يوم الأربعاء الحادي عشر من جمادي الآخر ١٣٣٨هـــ الموافق لليوم الأول مـــن آذار (مـــارس) ١٩٢٠م ، وتلقى علومه في البداية ، في المدرسة الشمسية في مدينة ذمـــار ، وكـــذلك فـــي (مسجد عمرو) عند بعض كبار علماء ذمار أنذاك ، ومنهم والده ، كما درس أيضا في (رباط الغيثي) الضاحية الغربية من مدينة إب لدى أخيه القاضي المؤرخ محمد بن علـــي الأكـــوع ، ودرس كذلك في (معهد الحرز) في مدينة إب لمدة قصيرة ، بعدها اشتغل بالـــسياسة منـــذ أن التحق بتنظيم الأحرار في سن مبكرة من عمره ، فسجن مرتين :

١) في آخر شوال سنة ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م بأمر من الإمام يحيى بن محمد حميد الدين .

٢) في عقب فشل الثورة الدستورية ، التي قامت على إثر اغتيال الإمام يحيى يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٦٧هـ (شباط سنة ١٩٤٨م) وتم إطلاق سراحه بعد ثلاث سنوات عام ١٣٦٩هـ .

سافر إلى عدن عقب إطلاق سراحه بأمر من الإمام أحمد لغرض التداوي والعودة إلى تعز ، ولكنه آثر البقاء في عدن بعيداً عن مجال نفوذ الإمام أحمد وسطوته مستأنفا نشاطه الوطني في إطار (الاتحاد اليمني) الذي أنشئ متأخراً ليحل محل (الجمعية اليمانية الكبرى) التي أسسها الأستاذ أحمد محمد نعمان والأستاذ محمد محمود الزبيري .

ومن هناك عمل على تدريس أبناء الأحرار في مقر الاتحاد اليمني في عدن .

وبعد ذلك ومن أجل ممارسته للنشاط السياسي غادر إلى مصر بعد أن وصل الأستاذ محمد محمود الزبيري إليها قادما من باكستان .

سافر إلى سوريا (دمشق) للإشراف على الطلاب اليمانيين الذين جاؤوا إلى سورية لطلب العلم وهناك شهد وحدة مصر وسوريا في كيان واحد وهي الجمهورية العربية المتحدة، سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م ، وبعد ذلك ذهب لأداء فريضة الحج واصطحب أهله إلى مصر وأقام بها حتى ضاقت به سبل الحياة ، فعاد إلى اليمن .

سافر إلى موسكو بأمر الإمام أحمد في مطلع سنة ١٣٨١هـ /١٩٦١م لفتح مفوضية لليمن فيها ، وبقي هناك حتى قامت الثورة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م ، فعين قائما بالأعمال في موسكو ، ثم وزيرا مفوضا وعاد إلى اليمن ، ثم سفيرا غير مقيم ، فنائبا لوزير الخارجية .

عاد إلى مصر عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، ليكون إلى جوار أهله المقيمين هناك، وفي هذه الأثناء شهد هزيمة حزيران ١٩٦٧م / ١٣٨٣هـ .

عاد إلى اليمن في آب ١٩٧٨م بعد تولي القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني الحكم في اليمن في ٥ نوفمبر ١٩٦٧م ، وأسند إليه حقيبة وزارة الإعلام في حكومة الفريق حسين العمري .

أسس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب عام ١٩٦٩م وتولى رئاستها حتى أواخر عام ١٩٩٠م وخلالها وبعدها تفرغ للتأليف ، ومن مهامه العلمية :

- عضو في مجمع اللغة العربية في الأردن .
- عضو مراسل في مجمع اللغة العربية في دمشق .
- عضو مراسل في المجمع العلمي العراقي .
- عضو في المجمع العلمي الهندي .
- عضو في معهد الآثار الألماني في برلين .
- عضو في كثير من اللجان الاستشارية المهتمة بالتراث الإسلامي .[٧]

تلقيه العلوم من شيوخ وعلماء اليمن وأكابرهم

وقسم من هؤلاء العلماء قد منحه إجازة بالعلم الذي أتقنه [٨] (شهادة)[٩] وهم :

١) أحمد بن علي النويرة ، المقرئ الضرير في مدينة ذمار ، وأخذ منه تعلم القرآن الكريم وحفظه ، المتوفي سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٢) أحمد بن محمد بن أحمد الأكوع الذماري ، درسه في مسجد عمرو بذمار وأخذ منه علم النحو وأصول الفقه ، وكان مولده سنة ١٣٠٩هـ في ذمار ، وتوفي في ذمار ١٠ محرم ١٣٩٤هـ .

٣) أحمد بن محمد بن حسين الوائلي ، أخذ منه العلوم العربية ، وكان مولده سنة ١٣٢٥هـ في رباط الغيثي وتوفي فيها١٤١١هـ .

٤) ثابت بن سعد بهران ، أخذ منه علوم الحديث ، وكان مولده سنة ١٣١٤هـ صنعاء وتوفي فيها ١٢ ربيع الآخر سنة ١٤٠٠هـ .

٥) العلامة حسن بن أحمد ن عبد الباري الأهدل ، وأخذ منه علم الفقه ، وكان مولده في المراوعة ١٣٢٨هـ [١٠] .

٦) حسن بن زيد بن علي بن حسن الديلمي ، وأخذ منه علوم العربية والحديث والتفسير، وكان مولده في رجب سنة ١٣١٢هـ في الذاري وتوفي يوم الجمعة ٢٧ رمضان سنة ١٤٠٠هـ ودفن في ذمار .

٧) حمود بن محمد بن إسماعيل المحنبي الهتاري ، وأخذ منه الفقه وعلوم العربية والتفسير والحديث ، وكان مولده في التريّبة في غرة رمضان سنة ١٣٢٥هـ وتوفي فيها يوم الخميس ٨ ربيع الآخر سنة ١٤٠٩هـ .

٨) زيد بن يحيى عقبات ، وأخذ منه علم النحو ، وكان مولده في ذمار سنة ١٣٢٥هـ وشارك في ثورة ١٣٨٢هـ ، ١٩٦٢م وقتل فيها .

٩) صالح بن محمد الحودي ، جوّد عليه القرآن بقراءة نافع ، وهي القراءة المشهورة والمتداولة في اليمن ، وكان مولده ١٢٨١هـ في ذمار وتوفي فيها في ذي القعدة سنة ١٣٦٢هـ [١١] .

١٠) عبد القادر بن عبدالله بن علي بن عبد الرحمن بن عبد القادر ، وأخذ منه علوم الحديث وعلوم اللغة العربية ، وكان مولده في صنعاء ٢٣ جمادي الآخر سنة ١٣٢٦هـ ، ٢٢ تموز سنة ١٩٠٨ .

١١) عبدالله بن أحمد الصادق ، وأخذ منه علم النحو، وكان مولده في سنة ١٨٩٢هـ، وتوفي سنة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م .

١٢) العلامة عبدالله بن حمد السوسوة ، وأخذ منه علم النحو ولم نحصل على سنة ولادته أو وفاته .

١٣) علي بن أحمد بن قاسم حميد الدين ، وأخذ منه علم المعاني والبيان ، وكان مولده في صنعاء ١٣١٣هـ وتوفي فيها في محرم سنة ١٣٩٩هـ .

١٤) والده علي بن حسين الأكوع ، واخذه منه فقه السنة ، وكان مولده يوم الجمعة غرة جمادي الآخرة ١٢٨٠هـ في مدينة ذمار وتوفي فيها يوم الثلاثاء التاسع من جمادي الأولى سنة ١٣٦٣هـ [١٢] .

١٥) علي بن حسين الشامي ، وأخذ منه علم النحو وعلم العربية ، وكان مولده في صنعاء ذي القعدة ١٣٠٢هـ وتوفي في تعز يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة ١٣٧٢هـ .

١٦) علي بن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن إبراهيم ، وأخذ منه العلوم الإسلامية ، وكان مولده في صنعاء يوم الاثنين ٤ جمادي الآخرة سنة ١٣٩٦هـ وتوفي فيها.

١٧) علي بن محمد بن حسن بن يحيى بن حسن بن محسن الأكوع ، أخذ منه أصول الفقه والمعاني والبيان والنحو ، وكان مولده في ذمار سنة ١٣٠٣هـ وتوفي فيها سنة ١٣٧١هـ [١٣] .

١٨) لطف بن زيد الديلمي ، أخذ منه فقه السنة والنحو واصول الفقه والمعاني والبيان، وكان مولده في أول محرم سنة ١٣٢١هـ ، وتوفي بذمار يوم الثلاثاء ١٨ شوال سنة ١٤٠٩هـ ، ٣ آيار ١٩٨٩م .

١٩) محمد بن سالم البيحاني ، من علماء عدن ، أخذ منه بعض من كتاب مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام بن تيمية ، ولم نحصل على سنة ولادته أو وفاته .

٢٠) أخوه محمد بن علي الأكوع ، أخذ منه علم النحو ، وكان مولده في يوم الإثنين الرابع عشر من شهر رمضان ١٣٢١هـ ، وتوفي يوم السبت في ٢٥ من شهر رجب ١٤١٩هـ في مدينة صنعاء .

٢١) محمد بن ناجي وهابي ، أخذ منه علم النحو وكان مولده في مدينة إب في صفر سنة ١٣٢٤هـ وتوفي فيها يوم الإثنين ٣ جمادي الأولى سنة ١٤١٤هـ [١٤] .

منهجه في التأليف

سلك مؤرخنا في منهجه التحرر من الجمود والتقليد ، واتجه في مسيرته العلمية فاعتنى بتاريخ البلاد اليمنية ، فكان ما قام به هو محاولة إيضاح تاريخ ذلك القطر جليا في جميع جوانبه فتعمق في دراسة الحاضر ، ليتوغل في الأفكار والآراء المؤثرة ليكشف أهم مظاهرها ، وهي الثقافة العامة فأمد المكتبة العربية بمؤلفاته في التاريخ ، وفي مختلف فروعه من ثقافة عامة ، وتراجم لأنساب وعادات وتقاليد ، وفي الجغرافية والآثار وفي اللغة العربية من أمثال وأسماء وغيرها ، وفي النقد العام ن وأهم ما استعرضه هو مؤلفه الشامل الذي رصد به مسيرة الثقافة في مراحلها بوجه عام ، على اختلاف الآراء والأفكار لدى الطوائف في تلك البلاد ، حيث رصد تحري الصدق وإبراز الحقيقة كما هي ، في كتابه (هجر العلم ومعاقله في اليمن) وجاء في خمسة مجلدات ، بلغت صفحاتها بفهارسها (٣١٢٢) صفحة .

ويصف لنا في منهجيته بالكتابة حيث يقول : " على المؤرخ الصادق الأمين أن يبـــرز الجوانب المضيئة في تاريخ بلاده وأن لايغفل عن ذكر الجوانب المظلمة ، حتى يهتم من بيـــده الأمر لإزاحة الظلام عنها ، وعلى المؤرخ أن يكتب ما يراه صحيحا بتجرد من الهوى لغـــرض ما وأن يكون صادقا منصفا فيما يتناوله" ، ويضيف حيث يقول : "البحث عن الحقيقة وإبرازها في صورة بعيدة عن الغلو والتشويه أو الزيادة مما ليس منها أو حذف ما لا ينسجم مع رغبة الكاتب " .

ويؤكد على مصداقيته في تناوله كتابة التاريخ حيث يقول : "وقد أخذت على نفـــسي أن أتحرى الحق ، فلا حب من أحبه لجعلني أخطي ماله من عيوب ضارة بغيره ، فإذا ذكـــرت ذلك فيما بي زجره والتشهير به ، ولكن ليتعظ به غيره ، ولا كره من أكره في ســـبيل الحـــق يجعلني أسلبه محاسنه ، بل أشيد بها ليكون قدوة حسنة لغيره ، على عكس ما عليـــه أكثـــر المؤرخين من الأساتذة بمن هو مرضي عنه في نظرهم ، تزلفا وتملقا ، وإن كان عاطلا عن المحاسن ، والاختصار عن ذكر المساوئ لمن ليس على هواهم ، تاركين محاسنه "

وأيضاً في كتاباته يقول : "أما أنا فقد حرصت على ذكر مزايا ترجمـــت لـــه ، لكنـــي لا أخفي عيوبه الضارة بغيره" [١٥] .

وكان منهج مؤرخنا يسير ضمن مواصفات المؤرخ الحقيقي الذي يتناول المواضـــيع بكل إمعان ودراسة وتفحص مما جعل طريقه في تسجيل تاريخ أمته بأمانة وصدق ، وأتضح لنا بأنه طبّق منهجه هذا على كل من ترجم له ، حتى لو كان أقـــرب النـــاس إليـــه ، فـــذكر محاسنهم ومثالبهم .

التعريف بمؤلفاته :

١ـ أئمة العلم المجتهدون في اليمن

وبلغت صفحاته (٢٨٠) صفحة ، وطبع في مؤسسة الرسالة ، دار البشير ، عمان ، ٢٠٠٢م .

تناول هذا الكتاب سيرة كل من :

١- الإمام محمد بن إبراهيم (٧٧٥ - ٨٤٠ هـــ)

٢- الحسن بن أحمد الجلال (١٠١٤ - ١٠٨٤ هـــ)

٣-صالح بن المهدي المقبلي (١٠٣٨ - ١١٠٨ هـ)

٤- محمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩ - ١١٨٢ هـ)

٥- محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ)

ذكر في نهاية ترجمة كل إمام من الأئمة المجتهدين ما له من مؤلفات ، مع الإشارة إلى المطبوع منه من غير المطبوع .

وأوضح بأن تراجم الأئمة اختلفت ما بين مطولة ومختصرة ، ومشتركة فيما بينها.

وقال عن الأئمة المجتهدين هم وقَّافون عند حدود الله يصدعون بكلمة الحق عند السلطان إذا جار أو بغى ، وهكذا دأب العلماء الربانيين .

وذكر فيهم :

أولا : بلوغهم درجة الاجتهاد والمطلق في العلم .

ثانيا : نبذ التقليد والتعصب المذهبي .

ثالثا : محاربة البدع والتصوف .

رابعاً : التمسك بالحق .

خامسا : التعرض للأذى .

سادسا : ثناء الناس عليهم .

سابعاً : مناقشة العلماء .

ثامنا : شعرهم .

تاسعاً : الدراسات السابقة .

عاشرا : مؤلفاتهم .[١٦]

٢ـ أعراف وتقاليد حكام اليمن في العصر الإسلامي

بلغت صفحاته (١٢١) صفحة ، وطبع في دار المغرب الإسلامي ببيروت في سنة ١٩٩٤م .

وهو يبحث في أعراف حكام اليمن وتقاليدهم السياسية والاجتماعية ، وأكد فيه المؤلف إلى أن هذا الموضوع لم يلق اهتمام المؤرخين القدامى إلا ما أورده البعض منهم ، مثل فضل الله العمري في كتابه (مسائل الإبصار) والقلقشندي في (صبح الأعشى) وابن بطوطة في (رحلته) والخزرجي في (العقود اللؤلؤية) .

وبهذا كان المؤلف قد انتقد بعض النصوص وقد صوب ما فيه من أخطاء وأوهام.

وذكر عن أئمة اليمن ، أنه لم يتبين لهم في حياتهم العامة والخاصة من التقاليد والمراسيم والملوك والسلاطين في اليمن ، فقد كانت حياتهم أقرب إلى حياة الخاصة من الناس منهم إلى الملوك ، ومع ذلك فإن لهم بعض العادات والتقاليد الخاصة بهم ، التي كانوا يتقيدون بها [١٧] .

وهذا الكتاب لما يحمل من معلومات قيمة ترجم إلى اللغة الفرنسية ونشره المركز الفرنسي في صنعاء [١٨] .

٣ـ الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم

بلغت صفحاته (١٤٤) صفحة وطبع في دار بن حزم ببيروت سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

جاء في بداية هذا الكتاب ما ذكره الشوكاني في كتاب (البدر الطالع) عندما ترجم للإمام ابن الوزير من نعيه على علماء الأنصار والطرائف خارج القطر اليماني عدم عنايتهم بأهل الديار اليمنية ، وغمطهم حقهم في الاهتمام ، لاعتقادهم أنهم كلهم زيدية المذهب ، وعدم معرفتهم في البلاد اليمنية من أئمة الكتاب والسنة عدد يتجاوز الوصف يتغيرون بالعمل بنصوص الأدلة ، ويعتمدون على ما صح في الأمهات الحديثة .

وهذا الكتاب يبين منهج أهل السنة في تعاملهم مع النصوص الشرعية ونظرتهم إلى مخاليفهم في الأصول والفروع ، ويؤكد المؤلف بقوله : " توسعت في هذا البحث بقدر الإمكان، لإيضاح جوانب الخلاف بين الإمام محمد بن إبراهيم الوزير ومن نهج نهجه من علماء اليمن المجتهدين ، وبين معارض هذا المنهج في عصره وبعد عصره حتى اليوم ، من وجهة نظر علماء السنة " [١٩] .

وذكر المؤلف في هذا الكتاب جوانب تفصيلية عن حياة الإمام ابن الوزير من مولده حتى وفاته [٢٠] .

٤ـ الأمثال اليمنية :

بلغت صفحاته (٦٨٤) صفحة وطبع في مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

جمع المؤلف بهذا الكتاب (٦٢١٧) مثلا يمانيا ، وكان سبب تأليفه لهذا الكتاب ، فيقول :" أن الأمثال اليمانية بالذات لم يتوفر على تدوينها ودراستها أحد ، ولم تنل ما يستحق من الاهتمام ، لذلك فقد وجهت عنايتي نحوها ، لأنها أدب الشعب وصوته ، وصورته النابعة بالحياة ، وسيعرف القارئ منها اليمن وطبيعة شعبها على حقيقته ، في حياته وتقاليده ووفاته وشجاعته ، وصبره ، ويعرف كذلك ما تشتمل عليه تلك الأمثال من حكمة سامية ، ومعارف غزيرة"

حيث بين أن الأمثال اليمانية تختلف من منطقة إلى أخرى، لغة ولهجة وأسلوبا ، فأمثال القبائل تمتاز بجزالة ألفاظها وسلامة مفرداتها ، ويغلب عليها تمجيد الحرية والشجاعة والاستهانة بالموت في سبيل الدفاع عن الحمى [٢٠] .

أما أمثال المدن فتمتاز بكثرة استعمالها الأساليب الكتابة والاستعارة والتورية ، لاسيما أمثال صنعاء المشهورة بالنكتة اللاذعة ، والأسلوب الساخر وتأثير الدولة العثمانية على الثقافة اليمانية بما فيها الأمثال [٢١] .

وأعتمد في تأليف هذا الكتاب على المصادر الشفوية ، أما عن المنهجية التي اتبعها فيه، فيقول : " سلكت في هذا الكتاب منهجا أعتقد أنه أسلم المناهج في تدوين الأمثال، حيث رتبتها هجائيا حسب أوائلها ، ثم عزوت ما أمكن عزوه منها إلى منطقته ، ثم إلى قائله إذا كان معروفا ، ثم أخذت بعد ذلك في شرح الألفاظ الغريبة ، ويدل معناه ومضربه ، وإذا كان للمثل قصة أوردتها ، وقد تعرضت لذكر بعض العادات والتقاليد التي ترتبط بحياة اليمانيين ، وتشكل جزء من تراثهم الشعبي الأصيل ، كما ضمنت الكتاب طرائف أدبية وقصصا تاريخية مما قرأت وسمعت حتى يجد القارئ فيه متعة ولذة ، وحذفت كثيرا من الأمثال المبتذلة التي تخدش الحياء ، أو تسيء إلى أخلاقنا الإسلامية" [٢٢].

وندرج في أدناه نموذج من تلك الأمثال :

"الله أعلم بنقاد امفلوس ، نقاد دافع المال ، وأصل المثل أن رجلاً أشترى ضحية العيد، فأحضر جزاراً لذبحها ، وقال له : قل باسم الله، اللهم إن هذا عن فلان وآل فلان ، وسمى نفسه ، ولكن الجزار قال : اللهم إن هذا عن فلان وآل فلان وسمى نفسه هو ، بدلا

من صاحب الأضحية ، فقال صاحب الأضحية للجزار : أكمل الذبح (الله أعلم بنقاد امفلوس)[٢٣] .

٥ـ تاريخ أعلام آل الأكوع :

بلغت صفحاته (١٩٠) صفحة وطبع في دار الفكر المعاصر سنة ١٤١١هـ – ١٩٩٠م

وحال المؤلف استقصاء كل أعلام أسرته ، مع ما فاته عدد منهم وقد أشار بقوله : "لم يشمل علماء ووجهاء آل الأكوع كلهم ، لأني أعرف كثيرا منهم ممن عاصرتهم أو عرفتهم وهم من علماء يتصفون بفضلاً وورعاً وزهداً ، لم يذكرهم أحد من تلامذتهم أو أصدقائهم أو حتى أقاربهم ، أو من أبنائهم أو أحفادهم ، فماتوا ونسيتهم من بعدهم ، وهذا الحكم يمكن أن ينطبق على من مضى منهم في العصور ونسيهم" [٢٤] .

فقد تحدث عن أنساب آل الأكوع ومساكنهم فأكد بأن أنساب آل الأكوع كلهم تلتقي عند محمد بن إبراهيم ، الملقب الأكوع بن محمد بن يوسف الملقب الحوالي، وتتفق المصادر أن نسبهم يتصل بذي حوال الأكبر الحميري .

ويذكر أن لقب الأكوع منسوب إلى جدهم إبراهيم بن محمد لبروز في كوعه ، لا كما يبادر إلى أذهان بعضهم أنهم منسوبون إلى الصحابي سلمة بن الأكوع .

وكان قد اعتمد في المصادر عن ذكر تراجم آل الأكوع على ما يأتي :

– ما وجد متناثرا في بطون الكتب المخطوطة أو على هوامشها وحواشيها .

– ما كتب على شواهد القبور والأضرحة .

– مشجر آل الأكوع الذي كتب في المئة الحادية عشرة للهجرة .

– ما أخذه مشافهة ممن له معرفة بأنساب هذه الأسرة من أهلها [٢٥] .

وكانت منهجيته في هذا الكتاب حيث ذكر المؤلف : "أنه عمل على ضم شتات أسماء هذه التراجم ، كما هي بلفظها وأسلوبها ، وأضاف إليها تراجم جديدة من المتأخرين ، ورتبهم على حروف الهجاء"

٦ـ الدولة الرسولية في اليمن ٦٢٦ـ ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ـ ١٤٥٤ م

بلغت صفحاته (٦٢) صفحة وطبع في دار جامعة عدن للطباعة والنشر سنة ٢٠٠٣م

يؤرخ الكتاب لمرحلة مهمة في تاريخ اليمن هي فترة الدولة الرسولية التي حكمت ما يزيد على قرنين من الزمان ٦٢٦ – ٨٥٨ هـ / ١٢٢٨– ١٤٥٤م

ويذكر المؤلف : " أن اليمن بعد أن انسلخت عن جسم الدولة العباسية في النصف الثاني من القرن الثالث تداول حكمها عدد من الدول في فترات تاريخية مختلفة متباينة في طولها وقصرها ، وهي أصقاع مختلفة من البلدان اليمانية ، متباينة أيضاً في اتساع رقعتها الجغرافية"

ويضيف المؤلف : "أن دول اليمن الحضارية ، وأبرزها وأخلدها ذكرا ، وأبعدها صيتا، وأغزرها ثراء ، وأوسعها كرما وإنفاقا هي الدولة الرسولية ، التي كان عصرها أخصب عصور اليمن ازدهارا بالمعارف المتنوعة وأكثرها إشراقا بالفنون اليانعة في شتى ميادين المعرفة ، وذلك لأن سلاطين هذه الدولة وملوكها كانوا علماء ، فاهتموا بنشر العلم في ربوع اليمن على نطاق واسع ، فبنوا المدارس ودور العلم ، في اليمن وخارجه ، واستقدموا العلماء في شتى فنون المعارف والعلوم"

وذكر المؤلف نسب آل رسول : " أن الصحيح في ذلك أنهم أكراد كالأيوبيين ، وأن من لايعرفهم ينسبهم إلى قبيلة غسان ، ونسبهم من عرفهم إلى التركمان ، ومع ذلك فقد انصهروا في الشعب اليمني ، كما انصهر الفرس ، الذين جاؤوا إلى اليمن لمساعدة سيف بن ذي يزن ، وكما انصهر الأكراد الذين جاؤوا مع الدولة الأيوبية ، وقد أمر بنو رسول في عهد الدولة الأيوبية ، وقويت شوكتهم ، حتى تمكن عمر بن علي بن رسول من الانفصال عن الأيوبيين والاستقلال بحكم اليمن رغم المعارضة الداخلية من كثير من الأئمة الأمراء المحليين، وبقي في الحكم حتى مقتله سنة ٦٤٧هـ – ١٢٥٠م على يد بعض مماليكه" [٢٦] .

واستمر حكم بني رسول على يد سلاطينهم بعد ذلك ٦١٩– ٨٥٢ تعاقبا على حكمها (١٢) سلطان ، حيث انتهى حكم الدولة الرسولية بقيام الملك المسعود بن الأشرف بخلع نفسه من الحكم .

٧ـ الزيدية نشأتها ومعتقداتها :

بلغت صفحاته (١٢٦) صفحة وطبع في دار ابن حزم بيروت سنة١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

قدم المؤلف لهذا الكتاب مقدمة ذكر فيها الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع ، سواء أكانت عربية أم أجنبية ، ثم ذكر تعريف العلماء بالزيدية ، وأتى على بيان اشهر فرقها ، وهي : الجارودية ، والسليمانية ، والبترية ، وتحدث أيضا عن زيدية الجبل والديلم ، وزيدية اليمن ، وخلاصة ما قال المؤلف عن هذا الكتاب : "إن كثيرا من متأخري أتباع المذهب الزيدي لم يخالفوا أهل السنة والجماعة فحسب ، بل خالفوا أيضا ما كان عليه إمامهم زيد بن علي رحمه الله ، ويورد عن ذلك الكثير من الأمثلة والمسائل مثل مسألة الضم والرفع والتأمين في الصلاة " [٢٧] .

وهو في هذا سار على منهج الإمام محمد بن إبراهيم الوزير في الرد على الزيدية من كتب علمائهم ، كما هو واضح في كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) .

٨ـ سدود اليمن أبرز مظاهر حضارتها القديمة :

بلغت صفحاته (٤٣) صفحة وطبع في مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون ، وهو ضمن سلسلة الإبداع رقم ١٣ صنعاء ٢٠٠١م .

ذكر فيه المؤلف أولاً أسماء السدود في اليمن وخاصة الواقعة في منطقة يحصب وحدها ، فبلغ تعدادها ثمانية وتسعين سدا ، رتبها ترتيبا معجميا ، ذاكرا مكان وجود كل سد منها ، ثم ذكر السدود الأخرى في غير يحصب من مخاليف اليمن الأخرى ، مما أورده الهمداني وغيره ، وبعد ذلك ذكر السدود التي لم يوردها أي من المتقدمين قبله ، مما شاهده هو أو حدث عنه ، فبلغت أكثر من ثلاثين سداً [٢٨] .

بعد ذلك أكد المؤلف على سد مأرب، فذكر تاريخ أول بناء له وموارده من المياه، وما كان حوله من جنات ونعيم، ثم خرابة بسيل العرم، وتفرق أهله وتشتتهم في الأمصار[٢٩].

٩ـ تحقيق كتاب مجموع البلدان وقبائلها للمؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري

وبلغت صفحاته (٨٠٩) صفحة ، وطبع في دار النفائس ببيروت للناشر أحمد راتب عرموش منشورات وزارة الإعلام اليمنية سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

بين المؤلف فوائد كتابه ، فمن ذلك :

- تحديد مواقع البلدان اليمانية الوارد ذكرها في كتب التاريخ والتراجم والسير.
- بيان مواقع القرى الخاربة التي لها ذكر في التاريخ وأشعار العرب .
- بيان المحلات والمخاليف التي تبدل أسمائها .
- معرفة الخطأ في بعض المصنفات القديمة ، كمعجم البلدان لياقوت الحموي .
- معرفة البلدان والقبائل المتفقة الأسماء ، المختلفة الجهات .
- بيان القبائل الغامضة والبلدان الدارسة التي نسب إليها بعض الأعلام [٣٠] .

وعن عمله في خدمة هذا الكتاب ، قال المؤلف :"ولقد كنت ممن يلح على مؤلفه رحمه الله بسرعة طبعه وإخراجه للناس ، ولكنه كان يسوف بنشره ، وذلك لأمر لم يفصح عنه ، وبعد مدة أكثرت من الإلحاح على أخيه القاضي عبدالله الحجري بسرعة طبعه ، ثم اتفقت معه على أن نقابل نسخة الملف التي احتفظ بها لنفسه ، وهي في أربعة أجزاء ، علما إن النسخة كتبت بخطه ، ثم أهديت للإمام أحمد حميد الدين ، وهي في ثلاث مجلدات ، وبعد المقابلة وجدنا أن النسخة التي احتفظ بها المؤلف لنفسه أوفى وأشمل ، لأنه كان يضيف إليها ما عثر عليه من فوائد جديدة ، ومع ذلك فإنه ترك فراغاً في الأمكنة التي لم يستكملها ليكتب فيها ما جد عليه من أسماء البلدان والقبائل التي لم يستكمل ذكرها ، بينما يوجد في النسخة الأخرى بعض زيادات يسيرة أضيفت إلى النسخة الأم عند المقابلة ، كما يوجد اختلاف في العبارات ، لأنه كان لا يتقيد باللفظ عند النقل مما كتب من كلامه"[٣١] .

وقد أغناه المؤلف بفوائد نفيسة وتعليقات قيمة ، فمنها :

١) بيان بعض الأوهام التي وقع فيها المؤلف أو من أخذ معلوماته عنهم وتصحيحها، وتشمل :
   - أخطاء في ذكر الأعلام .
   - بيان أوهام في ذكر النسب إلى القبائل أو البلدان .
   - أوهام في ضبط الأماكن والبلدان أو تحديد إماكنها .
٢) تصحيح الأخطاء التي وقع فيها المؤلف بالرجوع إلى المصادر التي نقل عنها.
٣) التعريف ببعض الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب أو بيان اسم بعض من لم يصرح المؤلف بذكر أسمائهم .

٤) إثبات عناوين بعض الكتب التي ذكرت عرضا دون تسمية ، وأكثر من تلك النقاط التي أشار إليها المؤلف في تحقيق هذا الكتاب .

١٠ـ مخاليف اليمن :

وبلغت صفحاته (٣٢٧) صفحة ، جمع وطبع في أبي ظبي – الامارات العربية المتحدة، سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

وهذا الكتاب يقسم إلى قسمين ، الأول : مخاليف اليمن

وتعريف المخلاف ، كلمة اصطلح عليها أهل اليمن ، دون غيرهم في تسمية الصقع من بلادهم أو الناحية ، مضافاً إلى اسم القبيلة أو مضافاً إلى بلدة ، كالزستاق عند أهل فارس، أو الكورة عند أهل الشام ، ولا يعرف سبب التسمية بهذا المصطلح ، أو منشؤوها عند أهل اليمن .

فعمل المؤلف على جمع كل ما أورده العلماء المتقدمون حسب الترتيب الآتي :

- مخاليف اليمن عند أحمد بن اسحاق اليعقوبي في تاريخه .
- مخاليف اليمن عند عبيدالله بن أحمد بن خرداذبه في كتاب (المسالك والممالك) .
- مخاليف اليمن عند الحسن بن أحمد الهمداني في كتاب (صفة جزيرة العرب).
- مخاليف اليمن عند محمد بن أحمد المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)
- مخاليف اليمن عند ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) .
- مخاليف اليمن الصاغاني نقلا عن (تاج العروس) للزيدي .

وهو بعد أن أورد ما ذكره كل واحد منهم في المتن ، عرف في الهامش بهذه المخاليف، وحدد مواقع ما هو معروف منها ، ونبه إلى ما هو مخلاف وما ليس بمخلاف، وأوضح ما يحتاج إلى إيضاح وبيان ، من دون تطويل في الشرح .

وبعد أن أورد ما ذكره العلماء والمتقدمون من مخاليف اليمن أورد فصولا جديدة تتعلق بالموضوع هي :

- مخاليف اليمن في الزمن الحاضر .

- التقسيم الإداري في اليمن في العهد العثماني .
- التقسيم الإداري في عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين .
- التقسيم الإداري في عهد الاستعمار البريطاني للمخاليف الجنوبية في اليمن .
- التقسيمات الإدارية الحديثة للجمهورية اليمنية .
- قرار جمهوري بشأن التقسيم الإداري في أمانة العاصمة وبعض مديريات ومحافظات الجمهورية .

وفي نهاية الكتاب أورد كشافين موضوعيين ، الأول تاريخي ، والثاني هجائي .

أما القسم الثاني من الكتاب (طائفة من أسماء القبائل والبلدان في اليمن الواردة على صيغ أوزان مختلفة).

وجمع فيه المؤلف ما أمكن جمعه من الأسماء جاءت على صيغ مختلفة ، وهو في ذلك كله يوضح لكل اسم بلد أو قبيلة ذكرها ، إلا البعض ، حيث تركها غفلا من دون توضيح أو شرح ، كما في ضيعان ، وتسمان ، وشبينة ، وغير ذلك .[٣٢]

١١- المدارس الإسلامية في اليمن :

وبلغت صفحاته (٥٣٩) صفحة ، وطبع في مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م .

يرى المؤلف أن مدارس اليمن ما تزال مغمورة الذكر ، غير معروفة حتى لكثير من أبناء اليمن أنفسهم ، إذ لم يسبق لأحد أن كتب عنها ، أو تناولها بالتعريف والتنويه بها ، عدا إشارات متفرقة أتت عرضا في بطون الكتب أو من خلال تراجم العلماء الذين درَّسوا بها.

لذا قام المؤلف بجمع أشتات المدارس اليمنية فبلغت في مجموعها مائة وثلاثة وتسعون مدرسة .

وتحدث المؤلف عن أنواع المدارس من حيث تخصيصها للمذاهب الفقهية ، والكتب المعتمدة للتدريس في مختلف العلوم ، ومدة الدراسة وموعدها، وآداب التدريس وطرقه [٣٣].

واعتمد المؤلف في تناول منهجه ، فإنه راعى فيه التسلسل التاريخي لتأسيس المدارس ، فذكر أقدمها تأسيسا ، ثم ما تلاها ، وهكذا إلى آخر مدرسة أقيمت عند منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، وبينما هو عامر من تلك المدارس ، كما ذكر مكان كل مدرسة

واسم من بناها إن كان معروفا وتاريخ بنائها ، وأسماء من كان يتولى التدريس فيها ، مع ترجمة مختصرة لهم ، مراعاة الإبقاء على أسلوبها كما وردت في مصادرها التي اعتمدها في التعريف بهم ، ليتمثل الأسلوب الذي كان سائدا في العصور السالفة ، وطريقة المؤرخين في التعريف بالعلماء .[٣٤]

وذكر الكتب التي كانت تدرس في كل مدرسة في مختلف العلوم الفقهية الحديثة واللغوية والمنطقية ، وغيرها .

وإضافة ما كان يتبع كل مدرسة من أوقاف تكون مصدرا للإنفاق عليها ، إضافة لما عثر عليه من نصوص الوقف الخاصة بكل مدرسة .[٣٥]

١٢ـ نشوان بن سعيد الحميري والصراع الفكري والسياسي والمذهبي في عصره

بلغت صفحاته (١٠٢) صفحة وطبع في دار الكتاب الجديد ببيروت سنة ١٩٨٥

تحدث المؤلف في هذا الكتاب عن مولد نشوان الحميري ونشأته وحياته العلمية، وتطرق إلى الحديث عن مذهبه ومعتقده ، ورأيه في الإمامة ، كما وضح نسب نشوان وما لقيه بسبب ذلك النسب من تعال من الأشراف العلويين على قومه القحطانيين وهضم لحقوقهم .

وبعد ذلك أورد نماذج من شعر نشوان ونثره ، واصفا إياه بالجزالة والفصاحة والبيان ، مع الميل إلى السجع غير المتكلف ، ثم عدد مؤلفاته ، المخطوط منها والمطبوع والمفقود ، ذاكرا مكان وجود المخطوطات ، واصفا طبعات ما طبع ، ومن ذكر المفقود من هذه الكتب .

وأرخ المؤلف حقيقة زمنية عاشها المترجم له ، بما فيها من صراعات عقائدية مذهبية وسياسية وقبلية، حيث قال : "هذا هو نشوان بن سعيد الحميري ، عرضت آراءه، وحقيقة أمره ومعتقده ، وما قاله فيه خصومه ، وما رد عليهم ، ولم أعلق على ما قاله ، ولا على من اعترض عليه ، ولا مؤيدا ولا مفندا ، وتركت الحكم للقارئ وحده " ، ويضيف "لقد عاش نشوان مؤمنا بعقيدته ، مدافعا عنها بقلمه ولسانه حتى فارق الحياة بعد حياة طويلة شهدت صراعا فكريا وعقائديا و سياسيا ، كان عنيفا عنفا ما يزال صداه يتردد محتدما حتى اليوم" ، ولأهمية هذا الكتاب ترجم إلى الألمانية وإلى الانكليزية [٣٦] .

١٣ـ هجر العلم ومعاقله في اليمن

إن هذا المرجع مهم جدا للذي يدرس تاريخ اليمن فهو يبحث في جغرافية اليمن والأنساب والقبائل واليمانية وهو يبحث بالعقائد والمذاهب والفرق الإسلامية الفكرية التي انتشرت في اليمن قديما وحديثا وهو يعتبر موسوعة شاملة .

وهذا الكتاب يحتوي على (٥٠٥) من هجر العلم ومعاقله في اليمن ، إضافة إلى ٦٢٧٩ علما من أعلام اليمن ، وقد صدر في سنة ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣م ، مستدرك لهذا الكتاب ، جاء في (٥٣٦) صفحة ، (١٧٠) صفحة منها أفردها المؤلف للمقالات والتعاريض التي كتبت في هذا الكتاب نقداً وشعراً [٣٧]

والقسم الثاني المستدركات على الأجزاء الأربعة من الكتاب ، من تصحيح خطأ مطبعي أو إضافة معلومة جديدة أو تبيين الصواب في وهم وقع ، وغير ذلك [٣٨]

وللمؤلف الكثير من المقالات والبحوث التاريخية التي عالج بها الكثير من الجوانب التي تستحق اهتمام الباحثين وإبراز الدور التاريخي لعينة عبر التاريخ ، كما شارك بالعديد من المؤتمرات الدولية والقطرية ، وكان الهدف منها هو إظهار الكم الثقافي العلمي والحضاري لليمن بين البلدان ، كما لديه الكثير من الانتقادات العلمية والثقافية على كتب تاريخية أو غير تاريخية .

الهـــوامـــش :

١- عبدالله عبدالله الشيخ ، مدخل إلى علم التاريخ ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ن ١٩٩٤ ، ص١٧.

٢- مرتضى حسن النقيب ، المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي ، بغداد ، ١٩٩٩م ، ص١-٣ .

٣- عادل حسن غنيم وجمال محمود حجر ، في منهج البحث التاريخي ، دار المعرفـة الجامعيـة ، الاسـكندرية ، ١٩٩٨ ، ص٢١ .

٤- حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي ، دار المعارف ، ١٩٨٦ ، ص١٥ .

٥- حسن الظاهر ، دراسات في تطور الفكر السياسي ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص٣٧٦ .

٦- حمد الجاسر ، اليمن بين مؤرخين معاصرين ، وزارة الاعلام ، صنعاء ٢٠٠٠ ، ص٦٠ .

٧- القاضي والمؤرخ الكبير إسماعيل بن علي الأكوع ، كتيب تذكاري في مهرجان تكريمه ، من إصـدارات وزارة الثقافة والإعلام اليمنية ، صنعاء ٢٠٠٤ ، ص١-٥ .

٨- إبراهيم باجس عبد المجيد المقدسي ، القاضي اسماعيل بن علي الأكوع ، علامة اليمن ومؤرخها ، دار القلـم ، دمشق ٢٠٠٥ ، ص٣٧-٣٩ .

٩- مقابلة شخصية مع القاضي المؤرخ إسماعيل بن علي الأكوع بتاريخ ١٣ / ٣ / ٢٠٠٥ ، والإجازة تعني فـي السابق : شهادة التخرج التي تعرف هذا اليوم .

١٠-إسماعيل بن علي الأكوع ،تاريخ أعلام آل الأكوع ، دار الفكر المعاصر ١٤١١هـ- ١٩٩٠م ،ص١٣-٤٥.

١١-إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص٣٣ .

١٢-تاريخ أعلام آل الأكوع ، المصدر السابق ،ص١٠١-١١٦ .

١٣-إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص٣٧ .

١٤-المصدر نفسه ، ص٨٨-١٤٩ .

١٥-إسماعيل بن علي الأكوع ، هجر العلم ومعاقله في الـيمن ، دار الفكـر المعاصـر ، بيـروت ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م (المقدمة) .

١٦-إسماعيل بن علي الأكوع ، أئمة العلم المجتهدون في اليمن ، مؤسسة الرسالة ، عمـان ، ٢٠٠٢ ، ص١١٥-٢٦٨.

١٧-إسماعيل بن علي الأكوع ، أعراف وتقاليد حكام اليمن في العصر الإسلامي ، دار المغرب الإسلامي ، بيـروت ١٩٩٤م ، ص١٣-١٤٢ .

١٨-إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص٩٧ .

١٩-إسماعيل بن علي الأكوع ، الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه (العواصم والقواصـم) ، دار ابـن حـزم ، بيروت، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ،ص٤٠-٩٠ .

٢٠-حمد الجاسر ، المصدر السابق ، ص٦٥ .

٢١-إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص٩٩ .

٢٢-إسماعيل بن علي الأكوع ، الأمثال اليمنية ، مؤسسة الرسالة ، بيـروت ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م ،ص٨٨ - ١٧٠ .

٢٣-إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص١٠٦ .

٢٤-تاريخ أعلام آل الأكوع ، المصدر السابق ، ص١٦-٢١ .
٢٥-إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص١١١-١١٣ .
٢٦-إسماعيل بن علي الأكوع ، الدولة الرسولية في اليمن ، دار جامعة عدن ، ٢٠٠٣، ص١٩ – ٤٥ .
٢٧-إسماعيل بن علي الأكوع ، الزيدية ، نشأتها ومعتقداتها ، دار ابن حزم ، بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م ، ص٤٠-٨٨ .
٢٨-إبراهيم باجس عبدالمجيد ، المصدر السابق ، ص١٢٢-١٢٣ .
٢٩-إسماعيل بن علي الأكوع ، سدود اليمن ، أبرز مظاهر حضارتها القديمة ، سلسلة الإبداع ، مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون ، صنعاء ، ٢٠٠١ ، ص٦-٣٤ .
٣٠-إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص١٢٧-١٢٩ .
٣١-إسماعيل بن علي الأكوع ، تحقيق كتاب مجموعة بلدان اليمن وقبائلها للمؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص٢٤-٢٠٣ .
٣٢-إسماعيل بن علي الأكوع ، مخاليف اليمن ، مجمع أبو ظبي ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ص١٣ -١٩١
٣٣-إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ،ص١٤٠ .
٣٤-حمد الجاسر ، المصدر السابق ، ص٦٣ .
٣٥-إسماعيل بن علي الأكوع ، المدارس الإسلامية في اليمن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، ص٨-٣١٩ .
٣٦-إسماعيل بن علي الأكوع ، نشوان بن سعيد الحميري، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٨٥ ،ص١٤-٧٠.
٣٧-حمد الجاسر ، المصدر السابق ، ص٦١ .
٣٨-إسماعيل بن علي الأكوع ، هجر العلم ومعاقله في اليمن ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص٥٠-٢١٤ .

غـــزال المقدشيـــة
قـراءة فـي سـيرة الشاعـرة

د. وجدان عبدالإله الصائغ *

كيف تعامل المجتمع القبلي في اليمن مع الصوت الشعري الانثـوي وتحديـدا مـع الفتاة الريفية غزال المقدشية [١] ؟! وكيف استطاعت هـذه الـشاعرة ان تنـتفض علـى السائد الثقافي الذي يضرب على المرأة ثقافة الصمت والتهميش حد الالغـاء لتـستقر فـي المتن الاجتماعي؟! وكيف تمكنت من ان تنتزع من الثقافة الفحولية صـك ريادتهـا الـشعرية لتغدو صوت القبيلة وحارس احلامها وموفدها الى المستقبل ؟!وكيف اذعـن لهـا المتخيـل الشعري الجمعي لتتربع على عرش القصيدة الشعبية – شأنها شأن الملكة بلقـيس التـي تربعت على عرش الملك– ليكون صولجان غزال المقدشية الالتزام الاخلاقي والقيمي الـذي اشارت اليه معظم الدراسات التي تناولتها ، فهذا البردوني يقول عنها : " كانـت تلقـب بالمنطقة التي تسكنها بالحصان " [٢]

اشارة الى حصانتها ومنعتها وقد اشار الشاعر عبدالعزيز المقالح الى ملامحها الخارجيـة بقوله : " وكانت غزال امرأة تتمتع بقدر عال من الجمال، وبجسم قوي البنيـة امكنهـا مـن مقاومة الامراض والاوبئة "[٣] ويضيف البردوني على انها " كانت طويلة ممتلئة ، تبـدو

---

* أستاذ اللغة العربية المشارك – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة ذمار .

(١) : ولدت غزال بنت أحمد عمر علوان الحاج المقدشي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وتوفيت مطلع القرن العشرين وقد عرفت بـ(المقدشية) نسبة إلى المقادشة، الذين يسكنون قرية (حَوَروَر)، من ناحية (عنس)، في محافظة ذمـار التي تبعد عن صنعاء ٩٠كم جنوبا.

(٢): البردوني ، عبدالله ، رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه ، دار الفكر ، ط٥، دمشق ١٩٩٥، ص ٣١٨.

(٣): المقالح ، عبدالعزيز ، غزال المقدشية ، مجلة اليمن الجديد ، وزارة الاعلام والثقافـة، صـنعاء ، ينـاير/ فبرايـر ١٩٧٨، العدد الاول ، السنة السابعة ، ص ٢٤.

عليها مظاهر القوة والجمال والصحة ، والى جانب ان لها جمال المرأة الفاتنة فان لها استعداد الرجل المقاتل " [٤] وفي ذلك اشارة واضحة الى توق المتخيل الجمعي منحها بنية جسدية فحولية تصد عنها الطامعين في انوثتها وتصد ايضا المشككين بنبوغها الاجتماعي من منطلق بيولوجي والى ذلك يشير المقالح بقوله : " امرأة بهذه الصفات الجسمانية فضلا عن اجادتها للشعر لابد ان تتصارع من حولها المطامع ، وان يكون الشعر واحدا من اسلحتها النافذة للدفاع عن النفس والشرف ، لذلك تجنبها الرجال ، وحاولوا استرضاءها ، خوفا من ان تفضحهم باشعارها وتسجل عليهم العار كما سجلته على ذلك المسؤول الرسمي (المحصل)الذي تصور انه بنفوذه الوظيفي قادر على اغرائها وارغامها على الاستسلام فارغمته هي على التراجع " [٥]بعد ان فضحته واطاحت بخيلائه المستجلب من كون وظيفته من اخطر المراكز في الدولة العثمانية ولان بامكانه ان يسلب القرية او القبيلة محصولها الزراعي من نتاج عام كامل دون ان يجد من يقاومه او يعترض على قراره [٦] وقد قالت غزال قصيدة تهجو فيها هذا المحصل (المثمر) وترسم له صورة كاريكتورية تجعلك وجها لوجه مع البنية الجسدية القوية لغزال :

يارجال البلد قد المثمّر مخالف
جا يطوف الذرة أو جا يطوف المكالف[٧]
قال يشتي غزال والا يزيد الغرامة
باضربه بالقذال والا اربطه بالعمامه
لارجع يارجال ماشي علية ملامه[٨]

من اللافت ان هذه الصورة وان كانت ساخرة الا انها تضج باكثر من دلالة اشارية فثمة الخطاب المباشر لجماعة الذكور (يارجال+ يارجال) وثمة اشارة الى دور غزال التي تبوأت منصب شاعر القبيلة والمدافع عن عرضها المتمثل في (المكالف) أي النساء (جا يطوف الذرة

---

(٤): البردوني ، عبدالله ، ص ٣١٨

(٥): المقالح ، عبدالعزيز ، ص ٤١٩.

(٦): ينظر : نفسه.

(٧): المكالف : النساء.

(٨): نقلا عن المقالح ، عبدالعزيز ، ص٤١٨.

أو جـــــــا يطوف المكالف)بل ان الصورة التي رسمتها غزال تعكس انسلاخها عن جـنس النساء وانتمائها الى قيم الجماعة الفحول بشراستها الجسدية (باضـربه بالقـذال / والا اربطه بالعمامه/ لارجع يارجال /ماشي علية ملامه) اشارة الى انها الحارس الامين علـى قيم القبيلة ' وقد تفخر غزال في نص آخر بانتمائها الى جماعة الذكور حين تقول :

انا من البر ذي جا [٩] في القلوب[١٠]

لافيه حنذر[١١] ولامرقانها [١٢]

ما انـا مثل ذي معاهن كعـوب [١٣]

والا تندش[١٤] نميم سيانها [١٥]

انا آكل اللحم من فوق الجنـوب[١٦]

واخلي الشاه في عظمانها [١٧]

لابد ان تكرار تصدر الابيات الثلاثة بالضمير المنفصل (انا) يجعلك وجها لوجه مع غـرض الفخر بالنفس بالنسب الرفيع الصحيح (انا من البر)وهو فخر ينتقـل الـى افتخـار غـزال بانتمائها الى جماعة الذكور عبر ممارستها لطقوس تجعلها تنتمي لهـذه الجماعـة فهـي تنسلخ واعية عن جنس النساء بل انها تزدري بضعف الانوثة المنـشغل بمبـاهج الجـسد والتفنن في التزيين والتجمل ارضاء للرجل (ما انا مثل ذي معاهن كعوب / والا تنـدش نمـيم سيانها) وتفتخر بان مجلسها بين الرجال وفعلها فعلهم (انا آكل اللحم من فـوق الجنـوب) لتشكل غزال من هذا الطقس الفحولي قناعا ثقافيا وقائيا يحميها من هجمة جماعة الذكور التي تتعامل بتعال مع الانثى وفقا للتصنيف البايولوجي الذي يبقيها تابعة ومهمشة ، وفـي

---

(٩): البر ذي جا : القمح الذي جاء.

(١٠) : القلوب : الأرض المقلوبة بعد حرثها.

(١١) : حنذر : شوائب تعلق بالقمح بعد حصاده.

(١٢) : مرقانها : أشواك تبقى أجزاء منها مع القمح بعد الحصاد.

(١٣) : الشطر كله يعني انها ليست مثل النساء الكواعب.

(١٤) : تندش : تفك ظفائرها المجدولة.

(١٥) : نميم سيانها : ضفائرها المنمنمة.

(١٦) : الشطر يحيل الى طقس فحولي في أكل الطعام وهو أكل لحم الأضلاع وترك المتبقي للنساء.

(١٧) : الشطر يحيل الى عزوفها عن الطقس الأنثوي في تناول الطعام.

ذلك اشارة الى خضوع غزال ضمنا للنسق الثقافي السائد واشتغالها ضمن منظومته الشعرية والخطابية التي اباحت لها ان تتبوأ منصب شاعر القبيلة فهي تعلن في القصيدة ذاتها عن مهارتها في امتلاك ناصية الشعر – وإن كان غرض القصيدة يتضمن خطابا حربيا يتوعد المسيء الى حرمة قبيلتها وسيادتها ، وتحديدا بعد ان قام بغارة على منطقة (الجبوب) التي توردها صراحة في المتن– ، تأمل الاتي :

مطلوب مطلوب علام الغيوب ذي معتلي من على حجبانها
وذي فك لأيوب[١٨]من حبس الغضوب وخارجه من حمى نيرانها
يالله وامانة ويالعجز الهكوب ذي صفيه بالهوا جنحانها
شلي لي الخط من بيت الذنوب درب (الحدأ) والسما (ثوبانـ)ها
لاعند ذي قالوا معه سبعة شعوب[١٩] المشرقة ذي سما جيرانها
ايش كلفك يوم غرتوا للـ(جبوب) لابلها شاة معظم شانها ؟!!
ابوك وجدك ذي ذروا طيب الحبوب ساروا مقاضي على (ثوبانـ)ها
(ثوبان) ذي عامدة خلف النقوب ما تنفعك لاعكر دخانها
وسيلنا لا نزل شل العلوب وكل وادي قلع عيضانها
غزال من شاعرش[٢٠] بعدا يتوب يستغفر الله من عقبانها
وبنت علوان ذباح الثروب[٢١] عز الربيع لاوصل ميدانها

ستقف اوراق التاويل بداية عند خاتمة القصيدة التي تشهد انتقال النص من النحن القبلي المتمظهر في الاستعراض البصري للقوة الحربية للقبيلة (سيلنا لانزل {اذا نزل} شل{اقتلع } العلوب{شجر عظيم }) الى الانا في البيتين الاخيرين اذ تفخر غزال بامتلاكها ناصية الشعر بل انها تطلب من شاعر القبيلة المناظرة ان (يتوب + يستغفر الله) ويضيء المحمول اللفظي (عقابانها{عقابيلها}) تورية دلالية تحيل تارة الى عقابيل التناظر مع شاعرة مجيدة

---

(١٨) : أيوب : نبي الله أيوب (ع).

(١٩) : شعوب : شعاب والمقصود هنا: انك صاحب ثروة طائلة.

(٢٠): شاعرش : شاعرك.

(٢١): الثروب : جمع ثرب ، وهو كناية عن الكبش السمين.

مثل غزال ، وتارة اخرى تشير الى الشعراء الذين يصبون الزيت فوق نار الحروب ، لذلك تنهاهم غزال عن الدخول الى ميدانها المفعم بالسلام والامان وشيم الفروسية التي تكرم الضيف وتعفو عن المسيء (وبنت علوان ذباح الشروب {الاكباش السمينة}/عز الربيع{المطلوب} لاوصل ميدانها) ، وهي بذلك تقدم اسلوبا جديدا للتحاور مع النفوس المتخمة بالفتك والالغاء والمدججة بثقافة الغزو ، انها تقدم لافتات ملونة للتعايش السلمي الكريم ، انها تقصد السلام المخضل بالكرامة والسيادة الكاملة ، وهي تستثمر اسلوبا طريفا في مناقشة الخصم الذي لم يغنه ماله (لاعند ذي قالوا معه سبعة شعوب{اموال وثروة طائلة})من اجتياز سيادة قبيلتها لذلك فهي تحدثه باممومة حين تعاتبه قائلة : (ايش كلفك{ما الذي دعاك} يوم غرتوا للجبوب؟ /لابلها شاة {تعسا لهذه الشاة}معظم شانها{ما اعظم شأنها}؟!!) وتحاصره غزال بانتمائه الكريم ونسبه الرفيع (ابوك وجدك ذي{اللذان} ذروا طيب الحبوب /ساروا{كانوا} مقاضي{قضاة} على ثوبانها{ثوبان اسم مكان}) وتذكره بان امواله لن تنفعه اذا تصاعد دخان الحرب(ما تنفعك لاعكر دخانها) ، المتن باختصار دعوة المقتدر للسلام و الحياة بديلا عن الموت والدمار.

وقد تحصل ممحاكة كلامية بين غزال بوصفها شاعر قبيلة المقادشة وبين الجابري شاعر قبيلة اخرى ويقال ان هذه المحاورة حصلت حين تحسست غزال بدء استعار الحرب بين قبيلتها وقبيلة الجابري وبينما هم يجيشون الرجال ويعدون العدة للقتال خرجت اليهم غزال على فرسها متسلحة بالسلب [٢٢] ، وقد استغرب اصحاب القبيلة المتهيئة للهجوم ان يخرج فارس من جهة المقادشة بهذه الطريقة وحين عرفوا هوية القادم طلب شيخ القبيلة من شاعر القبيلة الجابري ان يبادرها خشية ان تنطق بالحكم في غير صالحهم وحصل الحوار التالي :

الجابري : صباح الاصباح [٢٣] يامدغنجة بالهرد
يابنت علوان ياذي حازية[٢٤]بالعقد

(٢٢) : السلب: رمح طويل وفي رأسه نصل كالسيف وفي الجهة الاخرى حبل.
(٢٣) : صباح الاصباح : تحية زاجرة تتضمن تهكما وتهديدا ووعيدا.
(٢٤) : حازية بالعقد : لابسة قلادة.

نار القُبل [٢٥]ذي تلاصـــي[٢٦] والبخيتي يقــد[٢٧]
بخــيت ثـــور القيــامـــة لاتبــاوع[٢٨] يهـــد
مجــرد معلي [٢٩] تهــامي [٣٠] من تكهاه جـــرد
يــارب حربـــي ضربنــاه وســط راســه فنــد
غزال : يامرحـــــــبا مايشـــدوا مــن رداع البجد [٣١]
مـــاحملوها زهبها[٣٢] والمــراسب [٣٣] جــدد[٣٤]
مرحب ملان[٣٥] قاع شرعــة[٣٦] وانت حمّل وشدّ
بالجــابري ذي حروفــه مثــل طعــم السمــد[٣٧]
اول حروفه قراحــة ([٣٨]) وآخر الحـــرف جــد
....
[٣٩].....
قــم يابخيتـــي تــروح[٤٠] عنـــس هي باتســد

---

(٢٥) : نار القبل : نيران القبائل.
(٢٦) : ذي تلاصي : بدأت تشتعل.
(٢٧): البخيتي يقد : البخيتي هو الذي يوقدها.
(٢٨): لاتباوع : اذا نظر .
(٢٩): مجرد معلي : سرب جراد عالي.
(٣٠): تهامي : نسبة الى تهامة.
(٣١): البجد : الفراش الاسود ويصنع من شعر الحيوانات .
(٣٢): زهبها : الجمال ، بكسر الجيم .
(٣٣): المراسب : القماش الذي يوضع على ظهر الجمال لحمل الامتعة.
(٣٤): جدد : جديدة .
(٣٥): ملان : ملآن.
(٣٦): قاع شرعة : اسم مكان.
(٣٧):طعم السمد : اكلة لينة تاكلها عادة النساء فقط ، والمقصود ان قصائدك غير قوية ومؤثرة.
(٣٨): قراحة : مزاح.
(٣٩): اسطر مخرومة.
(٤٠): تروح : عد الى ديارك.

والجعبلـــة يرضي الصوفـــي[٤١] بمثنى وحد[٤٢]
وخففـــوا الضـــول[٤٣] ماحـــد مـــن بلاده يشد

(قال البخيتي : خلاص حكمنا بما حكمت به غزال ، الجعبلة يرضي الصوفي بمثني وحد) تحيل هذه الحوارية الى نسقين دلاليين اولهما: حركة غزال الواعية باتجـــاه اطفـــاء جـــذوة الحرب ، ودرايتها بمكانتها الاجتماعية التي تؤهلها لان تلعب هذا الـــدور الهـــام ، ويتمظهـــر الاخر في الصراع النفسي الذي يولده حضور غزال – بوصفها الانثى التي تربعت باقتدار على عرش شاعر القبيلة – داخل الطرف الاخر من شعراء القبائل والجابري احدهم ، اذ تستشعر الاضطراب البصيري الذي يحدثه حضور غزال الباذخ وتكاد تلمس الطعنات التي توجه لهـــا بسبب من الفارق البايولوجي الذي رفعه بوجهها الجابري حين خاطبها هازئا مستنكرا خروج الانثى الى هذه الامكنة الملبدة بنذير الحرب : (يامدغنجـــة بـــالهرد/ يابنـــت علـــوان يـــاذي حازيةبالعقد) هذه الاستهلالة – التي لم تبصر محنة غزال في مجتمع فحولي ومكابدتها مـــن اجل ان توقف عجلات الموت والدمار – ترتكز الـــى مفـــصلين الاول يـــستدعي مناخـــات الخوف التي انعكست على وجه غزال فظهرت بوجه مصفر (مدغنجة بالهرد) وقد ارتدت لتقر فرائصها تميمة (العقد) وهي تحيل ايضا الى رغبتها في تجميل الـــذات (متجملـــة بـــالهرد ومرتدية العقد) وكلا المناخين يؤكدان استصغار الجابري لغزال من منطلق بـــايولوجي ينفـــي عنها دورها الانساني الساعي الى اخماد نار الحروب ، وانت تلاحظ بقليل من التأمل اخـــتلاف مقصدية الجابري التي تذكي سعير الحرب ومقصدية غزال في نزع فتيلها .

وقد تتحاور غزال المقدشية مع شاعر قبيلة آخر هو حسين احمد حين يهـــدد باســـم قبيلته التي اكملت الحصاد قبيلة غزال ويتوعد بحرب لاتمهلهم اكمال الحصاد اذ يرد:

حسين : غزال يابنت ابوها ما حدا لامها

---

(٤١): الجعبلة والصوفي العشيرتان المتناحرتان إحداهما تنتمي الى عنس والاخرى الى الحدأ .

(٤٢): بمثني وحد : الحكم بأن يعود المنهوب مضاعفا.

(٤٣): الضول : المبالغة والتهويل.

حين تدخل البـــال [٤٤] تلعب تنفض اكمامها

والصلح الذي قد عقــدنا غلـــق ايامهــا

وســـــيلـــــنا لاتنـــحى دحــق اعرامهــا

غزال : يامرحبـــا بحسين احمد ومقدامها

والشمـــس وصلت وغابت وقت معلامهــا

ذلحين نشريف [٤٥] وبعدا قيل اقلامهــا[٤٦]

صراب[٤٧]من شق ماندي على اثلامهــا[٤٨]

وسيلنا لاتنـــــحـــى زاوع[٤٩] اضبــارها[٥٠]

لامــا البنـــــادق تناجيكــم من اخشامهــا

من اللافت ان الحوار ينطوي على لياقة كلامية عالية فشاعر القبيلة يخاطب غــزال مادحــا وناسبا اياها الى جماعة الفحول (غزال يابنت ابوها) معترفا بمكانتها الاجتماعية كونها شاعر القبيلة الممتثل لقيمها واعرافها(ماحدا لامها) وهي تجيبه بالاسلوب ذاته (يامرحبــا بحــسين احمد ومقدامها) وكأن هذه الحوارية تشكل متوازية دلالية تقود الى تناظر طريف يبدأ بــان يثني كل من الطرفين على الاخر ليسلخ نفسه عن الجماعة التي ستتناحر ليبقى الــود الــذي يكنه كل للآخر ثم ينتقلان الى ثيمة ذوبان الذات بالنحن القبلية وتحديدا حين يــستدعي كــل من الشاعرين غزال وحسين عبارة (سيلنا) لتكون اشارة مستلة من عمق اللاشعور الجمعــي الذي يحدس مخزونات السيل ودلالاته المكتنزة بالدمار والخراب والموت الا انهما ينسجان

---

(٤٤) : البال : طقس شعبي ايقاعي يقف الطرفين المتخاصمين على شكل صفين متقابلين ولكل صف شاعر يــضع يــده على اذنه ثم يطلق صوته عاليا ويجيبه شاعر الطرف الآخر بالإسلوب نفسه وكل صف يتحمس لشاعره وقد تتطــور الــى اشتباك حد الضرب والطعن .

(٤٥): نشريف : تنزع عن السنبلة الورق حتى تستطيل وتكبر.

(٤٦) : قيل اقلامها : نقطع أقلام الزرع.

(٤٧) : صراب : حصاد.

(٤٨) : اثلامها : ترتيب الحصاد على هيئة صفوف.

(٤٩) : زاوع : زعزع .

(٥٠) : اضبارها : مداميك البيوت المكونة من صخور عظيمة.

صورا تعكس الرغبة في ارعاب الاخر فهاهو حسين يعلن عن عتو هذا السيل وبطشه (وسيلنا لاتنحى دحق اعرامها) وهاهي غزال تجد في السيل هتكا لحرمة الانسان الآمن حين يكتسح ركائز البيوت الصخرية (اضبارها) (وسيلنا لاتنحى زاوع اضبارها) زد على ذلك فان السطر الاخير يحيل الى نوع السلاح المستخدم (لاما البنادق تناجيكم من اخشامها) كما انه يعكس حوارا طريفا بين الانوات المدججة بالرغبة في قتل الآخر وبين بنادق قبيلة غزال المستعدة لردع هذه الانوات وقد اضاء المحمول اللفظي (تناجيكم) بنية ساخرة الا انها تخفي اقتدار حربيا في حسم المعركة لصالح قبيلة غزال .

وقد يعمد بعض شعراء القبائل الذين تتفوق عليهم غزال المقدشية الى منافسة غير شرعية وكما حدث" للجميزة وهو من الشعراء المنافسين لها ، فقد سلبها هذا الشاعر المنافس جملها المسمى بـ(خرصان) بعد ان عجز ذلك الشاعر اللص عن منافستها في ميدان الشعر وماكان منها الا ان اصلته بنار شعرها فاحترق "[٥١] اما عن طريقة السرقة فهناك اكثر من رواية منهم من يقول انه قد تسلل ليلا الى عقر الدار من الباب الخلفي حيث ازاح الطابوق الذي يخفيه ليسرق الجمل ، ويقال انه كان ضيف غزال وقد قام بسرقة الجمل بعد ان تأكد من نوم اصحاب المنزل ، ويقال انه حين سرقه وصل الى منطقة بني صياد –وهم اصدقاء قبيلة غزال – وقد عرفوا انه جمل غزال فاستردوا من جميزة السرقة وردوه اليها ويقال انهم اصابوا جميزة باطلاقات ، وفي هذا الشأن تقول غزال :

يـــالله يامنصف المـــظلـــوم بـــك نتكـــــل
لاانتـــه مهل يا الـــه العـــرش فأنا عجـــل
انصفـــت لـــي في علي صـــالح جُمَيزة قُتـــل
جعل له الصوب [٥٢] يمسي من ربيها[٥٣]يزل [٥٤]
ذي شل خرصـــان والله قد جُمَـــيزة يشـــل ؟!

---

(٥١) : المقالح ، عبدالعزيز ، ص ٤١٩.

(٥٢) : الصوب : جرح الرصاص .

(٥٣) : ربيها : ورمها أي امتلاء الجرح بالقيح .

(٥٤) :يزل : تؤلمه فيتوجع ويصرخ من ألمها ليلاً .

وعـــــروتي [٥٥] بـــــني صيـــاد بُر القُبـــل[٥٦]
حلفـــت ياصحبـــة الشـــــوم أنهـــا ماتحـــــل
لو مـــيّز السمـــن حقي شق ثرب [٥٧] الوعـــل
مـــن شـــــق[٥٨] صبيـــان قـــد برقهـــم مشتعل
من نايف اسبيل[٥٩] ذي يرعاه كم من وعل[٦٠]

من اللافت ان المتخيل الشعري قد نجح في ان يحول حادث الـــسرقة الـــى بنيـــة شـــعرية سددتها غزال المقدشية باتجاه الشاعر فاصابته اصابة موجعة شأنها شأن طلقـــات الرصـــاص التي اصابته ، المتن قام على تقنية شعرية واضحة ابتدأتها غزال بالنيل من جميزة الذي وقع في شرك هيمنتها التي امتدت الى الجوار الجغرافي (وعروتي بني صياد) لتشير الى نفـــوذ غزال وحضورها المهم في المنطقة وتعكس في الوقت نفسه ولاء القبائل لها بوصفها شاعر القبيلة ومؤسستها الاعلامية .

ويبدو ان الحرب لم تترك غزال المقدشية وشأنها وان كانت سباقة الى اطفاء جذوتها بحكمتها وحكمها العقلاني الذي يرضي كل الاطراف ، فان هذه الحرب قد سلبتها ابنها احمد المسمى بالفلة الذي قالت عنه متحسرة على غيابه :

بالله ياطـــير ياذي فوق نشـــوان [٦١]تلوب [٦٢]
هـــل تعلميلي علـــى فلة عريض الجنـــوب[٦٣]؟!

---

(٥٥) : عروتي : العروة هو الشخص الذي يفي حق الضيافة وحقوق الصداقة بالمشاركة المادية والمعنوية في المناســبات المحزنة والمفرحة ، ويقال انه يجلب معه في مثل هذه المناسبات شاة او ثورا او جملا ويتم بالمقابل المعاملة بالمثل .

(٥٦) : بر القبل : وهي صفة مدح مستقاة من المجتمع الزراعي الذي تنتمي اليه غزال ، بمعنى القمح الصافي.

(٥٧) : ثرب : اللية التي تغطي مؤخرة الكبش ، والوعل هنا كناية عن الكبش العظيم .

(٥٨) : شق : جنب .

(٥٩) : نايف إسبيل : جبل اسبيل.

(٦٠) :وعل : كناية عن الرجال الاشداء.

(٦١) : نشوان : اسم مكان في حورور.

(٦٢) : تلوب : تتألم ، تترقب الاحوال.

(٦٣): عريض الجنوب : عريض المنكبين .

عيـــالـــه ايتام وماله شق[٦٤] مالي صلوب[٦٥]

من الواضح ان مرايا النص تعكس ملامح غزال (الام الثكلى /الانثى المبتلاة باحفاد يتامى)، وهي تخلق من الطير معادلا شعريا يضيء عذاباتها التي تتناساها في البيـت الاول والثـاني اشارة الى ان ابنها (فلة) غائب تنتظر عودته ، وعبر التساؤل الواخز :(بـالله يـاطير..؟) ، لكن البيت الثالث يعكس حركة عيون غزال التي انتقلت من الطائر المحلق في عمق الفـضاء الى الطيور الصغيرة المقرفصة على الارض (ايتام ابنها) ليضيء عمق الفجيعة الراهنة التي تلمحها غزال في عيونهم الظمأى لحضوره الباذخ لذلك تنتقل وبوعي جمالي حاد الى معـادل شعري آخر لهذه الطفولة الجريحة حين تكون قرينة الارض العطشى لكفيّ احمـد وسـاعده المترع بالعنفوان (عريض الجنوب) ، المتن نجح في ان يعكس عالم غزال المقدشية الذي لفه الحزن بغياب احمد ، كما نجح في ان يعكس تفاصيل حياتها التي عـصفت بهـا الحـروب فسعت بكل كيانها الى ان تكون داعية للسلام لا للحرب.

وقد كان لغزال المقدشية – التي لم تعاصر المملكة المتوكلية التي اسـست عـام ١٩١٨م – وقفات ضد الاحتلال العثماني فبيت زوجها الاول احمد عوض علوان المقدشـي والمـسمى بدار بني احمد عوض المقدشي والمتكـون مـن اربعـة ادوار وقـد هـدم زلـزال ذمـار ١٩٨٢الجهة الشرقية منه ولازالت لحد كتابة هذه السطور اجزاء من الجهـة الغربيـة مـن البيت ظاهرة للعيان حيث تظهر اثار الغرف الداخلية والحمامات وخشب البناء ، وقد قـصفته الدولة العثمانية بالمدفعية حينما تصدت غزال لوجودهم على ارض الـيمن وتحديـدا حـين قالت تحيي اهل قرية الرخمة(المدقة) الذين كبدوا العثمانيين خسائر فادحـة وصلـت الـى سبعين قتيلا :

قم يارسولي تزلج [٦٦] لك وعاده غبش [٦٧]

لاتمسي الا والمدقة[٦٨] مـطوية بالحبش [٦٩]

---

(٦٤): وماله شق مالي : أرضه بجوار أرضي .

(٦٥): صلوب : بور .

(٦٦): تزلج : تحرك بسرعة.

(٦٧): غبش : قبل طلوع الشمس .

(٦٨) : المدقة : اسم آخر لقرية الرخمة التي استبسلت في الصراع مع العثمانيين الذين قصفوها بالمدافع والآلية الثقيلة.

والــرامي الجيــد منهم قد دُفي وافترش[٧٠]
قد قط [٧١]سبعين رامي من رمات البوش[٧٢]

من الواضح ان المتن ينطوي على اذكاء جذوة المقاومة المسلحة ضد الاحتلال العثماني لــذلك فانها تهيىء الوقت المناسب للانقضاض على المحتل (عاده غــبش) واســتخدام الحركــة المخاتلة والمتربصة للاطاحة بجيوش المحتل (تزلج) فضلا عن انها تشيد بالقرية(المدقــة / الرخمة) التي قاومت المحتل وكبدته خسائر فادحة ، وتشيد بحملة السلاح والرمــاة المهــرة الذين اتقنوا استخدام بنادقهم لدحر الغازي ، وكأن النص يعلن الاستنفار المسلح العــام ضــد العثمانين .

وقد تكون غزال المقدشية داعية لقيم الصداقة والفروســية ، فهــي تتوقــف فــي احــد نصوصها لتدين الصديق الغادر الذي قتل صديقه ومضيفه تحت وطأة الاذعان لطبــل القبيلــة وبدون الاحتكام لناموس الوفاء ، تأمل ما قالته عن عنبل[٧٣] الذي رمز لهتك قيم الــصداقة ، وكيف رسم المتخيل الشعري نهايته التراجيدية ووصف بدقة مصرعه البشع :

طويــل وامه طويلــة بالحليب اروته
لاكان تسمــى ولامريــم سعيد إدته
يالعنة الله عــــلى عنبــل وسمايته
قتل عروه وعاد الثرب في قنحته[٧٤]

---

(٦٩) : الحبش : حجر صخري اسود اللون .

(٧٠) : دفي وافترش : مثل شعبي يقال للذي يأخذ ثأره.

(٧١) : قط : ذبح .

(٧٢) : بوش : جمع باشا وهو منصب حكومي في الدولة العثمانية .

(٧٣): يقال أن عنبل قد سمى ابنه على اسم صديقه أحد المشايخ من قرية المقادشة ، ثم طلع بسماية – السماية هي كبش يجلبه والد الطفل المسمى باسم الشخص الى الشخص صاحب الاسم ليقوم الأخير بإهداء الأول جنبية وبندقيــة وكــسوة لأم الطفل– وحين وصل عنبل الى صاحب الاسم وأتم الأخير واجب الضيافة وأكرمه وضع عنبل ثربة الكبش علــى رأســه تحت القبعة وسار ليعود الى قريته إشارة الى كرم الضيافة وحين عاد وجد أصحابه متهيئن للاغارة على قريــة صــاحب الاسم _ حورور_ فاشترك معهم في النهب والسلب وقد حصل اشتباك بينهم وبين رجال حــورور ممــا أدى إلــى مقتــل صاحب الاسم على يد عنبل وكان بعد ذلك ان قُتل عنبل.

(٧٤) : قنحته : رأسه .

عاد الهريش يتدخــن في جفرته[٧٥]

من الواضح ان المتخيل الشعري يجعل من بشاعة مصرع عنبل مركزيــة دلاليــة تتمحــور حولها البنية المسكوت عنها التي تجعل من النص رسالة تربوية تعلي من شأن القيم السامية، وكــأن غزال المقدشية تصوغ بنية تحذيرية تحيل الى عاقبة الخيانة والغدر .

خلاصة القول ، فان مرايا قصائد غزال المقدشية قد عكست موهبتها الشعرية التي اهلتها بان تكون شاعر قبيلة من طراز خاص فهي من بين مجموع شعراء عصرها كانت داعية للــسلام لذلك خلدتها الذاكرة الشعبية واحتفت بنصوصها بشكل لافت ، زد على ذلــك فــان المتخيــل الشعري قد نجح في ان يجعل من قصائد غزال وثيقة سوسولوجية تعكس هموم انــسان تلــك المرحلة وطقوسه القبلية ، ووثيقة تاريخية تسجل اهم الاحــداث التــي شــهدتها المنطقــة ، ووثيقة جغرافية تعكس تضاريس المكان من جبل وسيول ومواسم الحصاد ، ووثيقة نفــسية تستبطن عذابات الانسان المطارد بالحرب والغــارات وماتخلفــه مــن جراحــات لاتمحوهــا الانتصارات المتلاحقة .

---

(٧٥): جفرته : بطنه ، احشاؤه

تم بحمد الله